فيكتوريا أڤيارد

VICTORIA AVEYARD

RED QUEEN

الملكة الحمراء

POWER IS A DANGEROUS GAME



رواية

ترجمة: دينا هيكل

RED QUEEN
الملكة الحمراء

ينقسم عالم (ماير بارو) حسب الدماء، أصحاب الدماء الحمراء وأصحاب الدماء الفضية. (ماير) وعائلتها من الحُمْر المتدنيين. قدرهم خدمة النبلاء الفضيين الذين يمتلكون قدرات خارقة تقربهم من منزلة الآلهة. تسرق (ماير) ما تقدر عليه لتساعد عائلتها على النجاة، ولكن يقودها القدر للقصر الملكي، وأمام الملك والنبلاء تكتشف قدرة خارقة لم تعلم أنها تمتلكها.
لكن دماءها حمراء!
لإخفاء هذا الوضع المستحيل، يجبرها الملك على التظاهر كأميرة فضية مفقودة، ويعلن خطبتها على ابنه الأمير الأصغر. بينما يجذب العالم الفضي (ماير) أكثر، تقودها أفعالها إلى رقصة مميتة وخطيرة تضع الأخوين في مواجهة بعضهما و(ماير) في مواجهة قلبها.
تقدم الكاتبة (ڤيكتوريا أڤيارد) سلسلة فانتازيا خصبة وحية حيث الولاء والرغبة قادران على تمزيقك، والحقيقة الوحيدة هي الخيانة.



ڤيكتوريا أڤيارد هي كاتبة وكاتبة سيناريو ولدت ونشأت في بلدة صغيرة في ولاية ماساتشوستس الغربية. لديها بكالوريوس في الكتابة للسينما والتلفزيون من كلية الفنون السينمائية بجامعة جنوب كاليفورنيا.
وهي مؤلفة #١ في نيويورك تايمز الأكثر مبيعًا وسلسلة USA Today الأكثر مبيعًا، Red Queen، والأكثر مبيعًا في New York Times Realm Breaker. .
تعيش في لوس أنجلوس.
ترجمت كتبها إلى أكثر من ٤٠ لغة ولا تزال في ازدياد.







الملكة الحمراء

فيكتوريا أفيارد

ترجمة

دينا هيكل

رواية

أفيارد، فيكتوريا
الملكة الحمراء : / فيكتوريا أفيارد.
ترجمة : دينا هيكل.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2023.
368 صفحة، 20 سم.
ردمك : 978-977-820-157-4
ا- القصص الانجليزية
أ- هيكل ، دينا (مترجم)
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 10791 / 2023
الطبعة الأولى : أكتوبر 2023.

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي



٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

إلى أمي وأبي ومورجان،

الذين أرادوا أن يعرفوا ما سيحدث لاحقًا،

حتى عندما لم أرِد أنا.





تليجرام

غواص في بحر الكتب

الفصل الأول

أكره الجمعة الأولى؛ تصبح القرية مزدحمة، وهذا آخر شيء يريده أي شخص الآن في حرارة الصيف المرتفعة. لم يكن الوضع سيئًا من مكاني في الظل، ولكن رائحة الأجساد الكريهة التي تتصبَّب عرقًا من أشغال الصباح كانت كافية لجعل الحليب يتخثر. يتوهج الهواء بالحرارة والرطوبة، حتى بِرك المياه من عاصفة الأمس ساخنة، يدور بها خطوط قوس قزح من الزيت والشحم.

ينكمش السوق مع إغلاق الجميع أكشاكهم لهذا اليوم، والتجار مشتتون ومهملون ويسهل عليَّ أخذ ما أريد من سلعهم، وعندما انتهيت كانت جيوبي منتفخة بالحلي، ولديَّ تفاحة من أجل الطريق؛ ليس سيئًا بالنسبة إلى عمل عدة دقائق. بينما يتحرك حشد الناس أترك نفسي ليأخذني تيار البشر، تمتد يداي كالسهام تدخل وتخرج دومًا في لمساتٍ سريعة، بعض النقود الورقية من جيب رجل، سوار من معصم سيدة، لا شيء كبير؛ القرويون مشغولون بالمراوغة في الطريق فلا يلاحظوا سارق الجيوب بينهم.

ارتفعت المباني العالية المرتكزة على الأعمدة الخشبية التي سُميت بها القرية (الستيلتز) -اسم مبتكر للغاية- حولنا عشرة أقدام فوق الأرض الموحلة. في الربيع تكون الضفة السفلية تحت المياه، ولكننا الآن في أغسطس حيث يلاحق الجفاف وضربات الشمس القرية. يتطلع تقريبًا الجميع إلى الجمعة الأولى من كل شهرٍ حيث تنتهي الأعمال والمدارس مبكرًا، لكن ليس أنا؛ لا، أفضِّل البقاء في المدرسة أتعلم لا شيء في فصل مليء بالأطفال.

لن أظل في المدرسة وقتًا طويلًا؛ فعيد ميلادي الثامن عشر قريبٌ ومعه التجنيد الإجباري. أنا لست متدربة وليس لديّ عملٌ لذا سيتم إرسالي إلى الحرب مثل كل العاطلين، لا عجب أنه لم يعُد هناك فرص عمل مع كل رجل وامرأة وطفل يحاول الابتعاد عن الجيش.

ذهب إخوتي إلى الحرب عندما أتموا الثامنة عشرة، أُرسل ثلاثتهم إلى محاربة قوم أرض البحيرة (اللايكلاندريين). (شايد) هو الوحيد الذي بالكاد يستطيع الكتابة ويرسل إليّ عند مقدرته. لم أسمع من أخويَّ الآخريْن (بري) و(ترامي) منذ أكثر من سنة، ولكن «لا خبر يُعتبَر خبرًا جيدًا». تقضي عائلاتٌ أعوامًا من دون أن تسمع شيئًا، فقط ليجدوا أولادهم وبناتهم ينتظرون عند عتبة منزلهم في إجازة، أو أحيانًا أخرى مباركة قد تم تسريحهم. لكن في أكثر الأوقات تستلم العائلات رسالة مصنوعة من ورقٍ ثقيلٍ وعليها ختم تاج الملك مدمغ تحت شكرٍ لتقديم حياة ابنهم، وربما تحصل على أزرار من بدلتهم الممزقة المدمرة.

كنت في الثالثة عشرة عندما رحل (بري)، قبّل وجنتيّ وأعطاني زوجًا وحيدًا من الأقراط حتى نتقاسمه أنا وأختي الصغيرة (جيسا)، كان من خرز زجاجي متدلٍّ باللون الوردي الضبابي لغروب الشمس. ثقبنا أذنينا بنفسنا في هذه الليلة، وحافظ (ترامي) و(شايد) على التقليد عند رحيلهما. والآن كلٌّ من أنا و(جيسا) لديه أذن واحدة بها مجموعة من الأحجار الصغيرة لتذكّرنا بإخوتنا الذين يحاربون في مكانٍ ما. لم أكن أصدق أنهم سيرحلون حقًّا حتى ظهر الجندي في درعه المصقول وأخذهم بعيدًا، واحدًا تلو الآخر، وفي هذا الخريف سوف يأتون من أجلي. بدأت بالفعل في الادخار -السرقة- لأشتري لـ(جيسا) زوجًا من الأقراط عند رحيلي.

«لا تفكري بالأمر» هذا ما تقوله أمي دائمًا عن الجيش وعن إخوتي وعن كل شيء؛ نصيحة عظيمة يا أمي.

يتضخم الزحام في آخر الطريق عند تقاطع شارعي (ميل) و(مارشر)، وينضم مزيدٌ من القرويين إلى التيار. ترفرف عصابة من الأطفال -لصوص صغار تحت التمرين- خلال الشغب بأصابع لزجة تبحث. هم صغار

ليكونوا بارعين في السرقة، وضباط الأمن أسرع في التدخل. في العادة يُرسل الأطفال إلى عمود التشهير أو السجن عند الحدود، ولكن لأن الضباط يريدون رؤية الجمعة الأولى، يكتفون بإعطاء زعمائهم بعض الضربات الصارمة قبل تركهم ليذهبوا؛ قدر ضئيل من الرحمة.

يجعلني أقل قدرٍ من الضغط على خصري ألتفت؛ رد فعل غريزي، أقبض على اليد الحمقاء بما يكفي لسرقتي، وأضغط بشدة حتى لا يقدر العفريت الصغير على الهرب، لكن بدلًا من طفل نحيل أجد نفسي أحدق إلى وجهه مبتسمًا.

(كيلورن وارين) تلميذ صياد ويتيم حرب وغالبًا صديقي الحقيقي الوحيد. اعتاد أحدنا ضرب الآخر عندما كنّا صغارًا، ولكن الآن ونحن أكبر سنًّا -وهو أطول مني بقدمٍ- أحاول اجتناب المشاجرات، لديه فوائده على ما أعتقد؛ الوصول إلى الرفوف العالية كمثالٍ.

«تغدين أسرع» يقول ضاحكًا، وهو ينفض قبضتي عنه.

«أو أنك تغدو أبطأ».

يلف عينيه ويخطف التفاحة من يدي.

«هل ننتظر (جيسا)؟» يسألني ويقضم الفاكهة.

«لديها إذن لليوم، إنها تحت قيد العمل».

«إذن فلنتحرك، لا أريد تفويت العرض».

«وهذه ستكون مأساة».

«عار عليكِ يا (ماير)» قال يغيظني وهو يهز إصبعه في وجهي، «من المفترض أن يكون هذا ممتعًا».

«من المفترض أن يكون تحذيرًا أيها الغبي».

لكنه بالفعل سار مبتعدًا بخطواته الواسعة التي تجبرني على الهرولة حتى أستطيع اللحاق به. تتمايل خطواته في عدم اتزان، «سيقان بحر» كما يدعوها على الرغم من أنه لم يذهب قطُّ إلى البحر البعيد. أظن أن الساعات الطويلة التي قضاها على مركب صيد معلمه حتى -إن كان في النهر- حتمت أن يكون لها بعض التأثيرات.

مثل والدي، أُرسل والد (كيلورن) إلى الحرب، لكن في حين عاد أبي فاقدًا ساقًا ورئة، عاد والده في صندوق حذاء. هربت والدة (كيلورن) بعد ذلك تاركة ابنها الصغير ليعتني بنفسه، كان على وشك الموت من الجوع، ولكن بطريقة ما ظل يثير المشاجرات معي. أطعمته حتى لا أضطر إلى ركل كيس عظام في كل مكان، والآن بعد عشر سنوات، ها هو، على الأقل هو يتدرب ولن يواجه الحرب.

وصلنا أسفل التل حيث الحشد الأكبر، يضغطون ويتدافعون في جميع الاتجاهات. حضور الجمعة الأولى إجباري إلا إذا كنت مثل أختي، «عاملًا ضروريًا»، كأن تطريز الحرير ضروري. لكن (الفضيين) يحبون حريرهم، أليس كذلك؟ حتى ضباط الأمن -بعض منهم على أي حال- يمكن رشوتهم بقطعٍ من الحرير حاكتها أختي، ليس كأنني أعرف أي شيء عن ذلك.

بينما تزداد الظلال من حولنا، نصعد الدرجات الحجرية تجاه قمة التل، يصعد (كيلورن) درجتين في المرة ويكاد يتركني خلفه، ولكنه يتوقف لينتظر. ينظر إليَّ بابتسامة متعالية ويرمي خصلة من شعره الأشقر الباهت بعيدًا عن عينيه الخضراوين.

«في بعض الأحيان أنسى أن لديكِ ساقي طفل».

«أفضل من أن أكون بعقلٍ واحدٍ» أقول مندفعة، وأعطيه ضربة خفيفة على وجنته بينما أمرُّ، وتتبعني ضحكاته على الدرجات.

«أنتِ متذمرة أكثر من المعتاد».

«أنا أكره هذه الأشياء فقط».

«أعرف» تمتم في جدية هذه المرة.

وبعدها أصبحنا في حلبة القتال، وتتوهج الشمس في حرارة فوقنا، بُنيت منذ عشر سنوات وهي بسهولة أكبر بناء في (الستيلتز). هي لا تقارن بالبنايات الضخمة في المدن لكن ما زالت -بأقواسها الفولاذية العالية وآلاف الأقدام من الخرسانة- كافية لجعل فتاة قروية تلاحق أنفاسها.

يبرز ضباط الأمن في كل مكان في زيهم الأسود والفضي وسط الجموع، هذه هي الجمعة الأولى ولا يطيقون الانتظار لمشاهدة الفعاليات. يحملون بنادق طويلة أو مسدسات رغم أنهم لا يحتاجون إليها. كالعادة الضباط من (الفضيين)، و(الفضيون) ليس لديهم ما يخافونه منًّا نحن (الحمر)، الجميع يعرف ذلك، لسنا ندًّا لهم، رغم أنك لن تدرك هذا بالنظر إلينا. الشيء الوحيد الذي يمكن أن يفرقنا -خارجيًا على الأقل- هو أنه بينما (الفضيون) يقفون شامخين، فظهورنا منحنية من العمل والأمنيات غير المجابة وخيبة الأمل الحتمية لأمثالنا في الحياة.

الجو مرتفع الحرارة داخل الحلبة مفتوحة السقف مثله مثل خارجها و(كيلورن) -دومًا متحفز- يقودني إلى الظل. لا نحصل على كراسٍ هنا، مجرد مقعد خرساني طويل. لكنَّ (الفضيين) النبلاء القليلين يجلسون عاليًا ويستمتعون بمقصوراتٍ باردة مريحة. هناك لديهم مشروبات ومأكولات وثلج -حتى في ذروة الصيف- وكراسٍ مبطنة وأضواء كهربائية ووسائل مريحة أخرى لن أستمتع بها أبدًا. (الفضيون) لا يجفل لهم جفن مع كل هذا ويشتكون من الظروف الفقيرة. سأريهم ظرفًا فقيرًا إذا أتيحت لي الفرصة. كل ما نحصل عليه هو مقاعد صلبة وبعض شاشات العرض الصارخة شديدة الإضاءة والإزعاج فبالكاد نطيقها.

«أراهنكِ بأجر يومٍ أن الفائز سيكون قوي الذراع (سترونج أرم) في آخر اليوم» قال (كيلورن) وهو يقذف لب التفاحة إلى أرض الحلبة.

«لا رهان» أصيح تجاهه.

الكثير من (الحمر) يقامرون بدخلهم على هذه المباريات أملًا في كسب القليل ليساعدهم على تخطي أسبوع آخر، لكن ليس أنا، حتى مع (كيلورن)، الأسهل أن أقطع حقيبة وكيل المراهنات من أن أحاول كسب النقود منه.

«يجب ألا تهدر مالكَ بهذه الطريقة».

«هذا ليس إهدارًا، دائمًا ما يغلب الـ(سترونج أرم) أي منافس آخر».

عادة يشارك (سترونج أرم) في نصف المعارك؛ مهاراتهم وقدراتهم ملائمة للحلبة أكثر من أي فضي آخر، ويبدو عليهم الاحتفاء بهذا باستخدام قوتهم غير البشرية لرمي الأبطال الآخرين في كل ناحية كدمية قماشية.

«ماذا عن الآخر» أسأله وأنا أفكر في أنواع (الفضيين) المحتمل ظهورهم، المتحكمين في الأشياء عن بُعدٍ بقوة عقلهم (تيلكي)، أصحاب السرعة الخارقة (سويفت)، الحوارين (نيمف)، المتحكمين في النباتات (جريني)، أصحاب الجلد المتحجر (ستونسكن) وكل الآخرين المروع مشاهدتهم.

«لستُ واثقًا، آمل في شيء ممتع، أحتاج إلى بعض المتعة».

(كيلورن) وأنا لا نتفق في الرأي بالنسبة إلى معارك الجمعة الأولى، بالنسبة إليّ، مشاهدة بطلين يمزق أحدهما الآخر ليس شيئًا ممتعًا، ولكن (كيلورن) يحبها، يقول «دعيهم يدمرون بعضهم؛ هم ليسوا من قومنا».

هو لا يفهم حقيقة المعارك، هذه ليست مجرد وسيلة ترفيهية بلا تفكيرٍ لتمنحنا راحة من أشغالنا المنهكة، هذه رسالة محسوبة وقاسية. فقط (الفضيون) يقدرون على القتال في الساحات لأن فقط (الفضيين) يقدرون على النجاة في الساحات. يتقاتلون حتى نرى قدرتهم وقوتهم، «لستم ندًّا لنا، نحن الأفضل، نحن آلهة»، وهذا مكتوب في كل ضربة خارقة يسددها البطل، وهذا صحيح تمامًا. الشهر السابق شاهدت (سويفت) يقاتل (تيلكي) ورغم أن الـ(سويفت) يستطيع التحرك أسرع من أن تراه العين، جمَّده الـ(تيلكي) في مكانه، رفع المقاتل الآخر فوق الأرض بقوة عقله فقط. بدأ الـ(سويفت) في الاختناق؛ أظن أن الـ(تيلكي) لديه قبضة ما خفية حول رقبته. عندما تحوَّل وجه الـ(سويفت) إلى اللون الأزرق أنهوا المباراة، وهتف (كيلورن) مشجعًا فقد راهن على الـ(تيلكي).

«سيداتي، سادتي، فضيين وحمرًا، مرحبًا بكم في الجمعة الأولى، معارك أغسطس» يدوي صوت المذيع في الحلبة، متضخمًا بسبب الجدران، بدا ضجرًا كالعادة ولا ألومه.

في وقتٍ من الأوقات، لم تكن المعارك مباريات على الإطلاق، بل كانت أحكام إعدام، يُنقَل المساجين وأعداء الدولة إلى العاصمة (أركيون)، ويُقتلون أمام حشدٍ من (الفضيين). أعتقد أن (الفضيين) أعجبوا بهذا وبدأت المباريات، لا للقتل، بل للترفيه. ثم أصبحت المعارك الحالية وانتشرت إلى مدن أخرى، إلى ساحات مختلفة وجماهير مختلفة. ولاحقًا سُمِح للحمر بالدخول، محصورين في المقاعد الرخيصة. ولم يمضِ طويلًا حتى بنى (الفضيون) ساحاتٍ في كل مكانٍ، حتى في قرى مثل (الستيلتز)، والحضور الذي كان في وقتٍ ما هدية أصبح لعنة إجبارية. يقول أخي (شايد) لأن المدن التي بها ساحات تتمتع بانخفاضٍ ملحوظٍ في جرائم (الحمر) والمعارضة وحتى أفعال التمرد القليلة. الآن (الفضيون) لا يضطرون إلى استخدام الإعدام أو الفيالق أو حتى الأمن للحفاظ على السلام؛ فبطلان يمكنهما إرهابنا بنفس السهولة.

اليوم، يبدو البطلان مستعدين للمهمة. أُعلن عن أول من يخرج إلى الرمال البيضاء (كانتوس كاروس)، فضي من خليج (هاربر) في الشرق. تصرخ شاشة العرض بصورة واضحة للمحارب ولا يحتاج أحدٌ إلى أن يقول لي إنه (سترونج أرم)، لديه ذراعان كجذعي شجرة، مفتولة العضلات وعروقها بارزة وتشد جلده، عندما يبتسم أرى أن كل أسنانه مفقودة أو مكسورة، ربما اختلف مع فرشاة أسنانه عندما كان فتى صغيرًا ينمو.

بجانبي يهتف (كيلورن) ويصيح القرويون الآخرون معه، يقذف ضابط أمن برغيف خبز تجاه الأعلى تشجيعًا لتعبهم. إلى يساري يعطي ضابط آخر طفلًا بطاقة صفراء فاتحة، بطاقة كهرباء (إليك) لحصة زيادة في الكهرباء، كل هذا لحثِّنا على التشجيع وإجبارنا على المشاهدة حتى إذا لم نرِد ذلك.

«هذا صحيح، أسمِعوه صوتكم!» قال المذيع، يطيل في نطقه للكلمات، ويجبر صوته على إظهار الحماس، «وهنا لدينا منافسه من العاصمة (سامسون ميراندس)».

يبدو المحارب الآخر شاحبًا ونحيلًا بجانب كتلة العضلات التي على شكل إنسان، ولكن درعه الأزرق الصلب دقيقٌ ومصقولٌ إلى درجة عالية من اللمعان، هو على الأرجح الابن الثاني للابن الثاني، يحاول أن يكسب صيتًا في الحلبة، وعلى الرغم من أن خوفه واجبٌ، يبدو هادئًا بطريقة غريبة.

اسمه الأخير يبدو مألوفًا، ولكن هذا ليس غريبًا؛ العديد من (الفضيين) ينتمون إلى عائلات مشهورة -يدعونهم منازل- بها الكثير من الأفراد.

العائلة الحاكمة لمنطقتنا -وادي العاصمة- هي منزل (ويل)، مع أني لم أرَ الحاكم (ويل) في حياتي. لا يزورها أكثر من مرة أو اثنتين في السنة، وحينها لا يقلل من منزلته ويدخل قرية حمراء مثل قريتي: رأيت مركبه النهري من قبل، شيء أنيق عليه أعلام خضراء وذهبية. هو (جريني) وفي أثناء مروره تفتحت الأشجار وخرجت الأزهار من الأرض، رأيت المشهد جميلًا حتى رمى أحد الأولاد بصخورٍ تجاه مركبه، سقطت الحجارة في النهر من دون إلحاق أي ضرر، ولكنهم وضعوا الولد على عمود التشهير على أي حالٍ.

«سيكون الفائز الـ(سترونج أرم) بالتأكيد».

يعبس (كيلورن) تجاه البطل الضئيل، ويقول «كيف تعرفين؟ ما هي قدرات (سامسون)؟».

«من يهتم، ما زال سيخسر» أقول ساخرة ثم أعتدل للمشاهدة.

يصدر صوت الاستدعاء فوق الحلبة، ويقف الكثير متشوقين للمشاهدة، ولكني أبقى جالسة في احتجاجٍ صامتٍ. على الرغم من أني أبدو هادئة، يغلي الغضب تحت جلدي، غضب وغيرة، «نحن آلهة» تتكرر في رأسي كالصدى.

«أيها البطلان، استعدًا».

يفعلان ذلك ويغرزان كعوبهما في جانبين متضادين في الحلبة، غير مسموحٍ بالمسدسات في معارك الحلبة ولهذا يسحب (كانتوس) سيفًا قصيرًا وعريضًا، أشك أنه سيحتاج إليه، ولا يقدم (سامسون) أي سلاح، بالكاد تهتز أصابعه على جانبيه.

يدوي طنينٌ كهربي خافت في الحلبة، أكره هذا الجزء، هذا الصوت يتذبذب بين أسناني وبين عظامي، ينبض حتى أشعر أن شيئًا بي سينكسر، ينتهي فجأة مع صرير الأجراس، إنه يبدأ؛ أتنفس.

تتحوَّل الحلبة إلى حمام دماء على الفور، يندفع (كانتوس) كالثور إلى الأمام راكلًا الرمال إلى الأعلى في أعقابه، يحاول (سامسون) تفادي (كانتوس) مستخدمًا كتفه للتزحلق حول الفضي، ولكن (السترونج أرم) سريع فيمسك بساق (سامسون) ويقذفه عبر الحلبة كأنه مكونٌ من الريش. يغطي الهتاف اللاحق صرخة ألم (سامسون) وهو يصطدم بالجدار الخرساني، لكن الألم واضحٌ على وجهه. قبل أن يأمل في النهوض، يصبح (كانتوس) فوقه ويرفعه تجاه السماء، يصطدم بالرمال في كومة مما لا يمكن أن تكون إلا عظامًا محطمة، ولكن بطريقة ما ينهض على قدميه مرة أخرى.

«هل هو كيس للملاكمة؟» قال (كيلورن) ضاحكًا: «اقضِ عليه يا (كانتوس)!».

لا يهتم (كيلورن) برغيف خبز إضافي أو عدة دقائق أكثر من الكهرباء، ليس لهذا يشجع، هو في الحقيقة يريد رؤية الدماء، دماء (الفضيين) - دماء فضية- تلطخ الحلبة، لا يهم أن هذه الدماء هي كل شيء لسنا عليه، كل شيء لن نكونه أبدًا، كل شيء نريده. هو فقط يحتاج إلى رؤيته ويخدع نفسه بالتفكير أنهم في الحقيقة بشرٌ، يمكن أذيتهم وهزيمتهم، ولكنني أعرف أكثر، إن دماءهم تهديدٌ، تحذيرٌ، وعدٌ؛ لسنا متساوين ولن نكون أبدًا، ولم يخِب ظنه. حتى مَن في كراسي المقصورات يستطيع رؤية السائل المعدني المتقزح يسيل من فم (سامسون)، يعكس شمس الصيف كمرآة مائية، ويرسم نهرًا من رقبته حتى درعه.

هذا الفرق الحقيقي بين (الفضيين) والحمر: لون دمائنا، هذا الفرق البسيط بطريقة ما يجعلهم أقوى، أذكى وأفضل منّا.

يبصق (سامسون) مرسلًا دماء فضية مشرقة عبر الحلبة، على بُعد عشر ياردات، يشد (كانتوس) قبضته على سيفه مستعدًّا لتعجيز (سامسون) وإنهاء المعركة.

«الأحمق المسكين» أتمتم، يبدو أن (كيلورن) محق، لا شيء أكثر من كيس ملاكمة.

يدب (كانتوس) خلال الرمال وسيفه مرفوع عاليًا وعيناه تشتعلان، ثم يتجمد في منتصف خطوته، يجلجل درعه من التوقف المفاجئ. يشير المحارب النازف من منتصف الحلبة تجاه (كانتوس) بنظرة ثاقبة يمكن أن تكسر العظام، ينقر (سامسون) بأصابعه ويمشي (كانتوس) متناغمًا تمامًا مع حركات (سامسون)، يسقط فمه مفتوحًا كأنه بطيء الفهم أو غبي، كأن عقله قد ذهب.

لا أصدق عينيّ.

يسقط صمتٌ قاتلٌ على الحلبة بينما نشاهد، غير مدركين المشهد أسفلنا، حتى (كيلورن) لا يوجد لديه ما يقوله.

«هامس (ويسبر)» أقول وأتنفّس بصوتٍ عالٍ.

لم أرَ واحدًا منهم في الحلبة من قبل، وأشك أن أي أحد قد رآه، الهامسون نادرون، خطرون، وأقوياء حتى في وسط (الفضيين)، حتى في العاصمة. تنوعت الإشاعات حولهم، ولكنها تصل إلى شيء بسيطٍ ومخيفٍ: هم قادرون على اقتحام رأسك، قراءة أفكارك، والسيطرة على عقلك، وهذا بالضبط ما يفعله (سامسون)، همس من خلال درع (كانتوس) وعضلاته داخل عقله حيث لا توجد دفاعات.

يرفع (كانتوس) سيفه ويده ترتعش، يحاول أن يقاوم قوة (سامسون)، ولكن مهما بلغت قوته فلا قتال لعدو في عقله.

لفة أخرى من يد (سامسون) وتنتشر دماء فضية عبر الرمال بينما يغرس (كانتوس) سيفه مباشرة خلال درعه داخل لحم بطنه. حتى من المقاعد في الأعلى أستطيع سماع صوت المعدن الساحق المثير للغثيان وهو يقطع خلال اللحم.

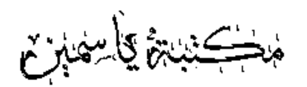
بينما تتدفق الدماء من (كانتوس) تتردد الشهقات عبر الحلبة، لم نرَ كمية الدماء هذه هنا من قبل.

تومض أضواء زرقاء إلى الحياة، وتغطي أرض الحلبة بأشعة شبحية تعلن نهاية المباراة، يركض معالجون (هيلر) فضيُّون عبر الرمال، مسرعين تجاه (كانتوس) المهزوم. ليس من المفترض أن يموت (الفضيون) هنا، يجب أن يحارب (الفضيون) في شجاعة، يتباهون بمهاراتهم ويقدمون عرضًا جيدًا، لكن ليس الموت، في نهاية الأمر هم ليسوا من الحُمر.

يتحرك الضباط أسرع مما رأيتهم من قبل، بعض منهم من المسرعين (سويفت)، بينما يندفعون ذهابًا وإيابًا في لمحات ضبابية، يجمعوننا لنخرج؛ لا يرغبون بوجودنا إذا مات (كانتوس) على الرمال. في هذه الأثناء يخرج (سامسون) في خطواتٍ واسعة كالعملاق، يقع نظره على جسد (كانتوس) وأتوقع أن يبدو آسفًا، لكن بدلًا من ذلك، بدا وجهه خاليًا من المشاعر وشديد البرودة، كانت المباراة لا شيء بالنسبة إليه، نحن لا شيء بالنسبة إليه.

تعلَّمنا في المدرسة عن العالم من قبل عالمنا، عن الملائكة والآلهة التي عاشت في السماء، يحكمون الأرض بأيدٍ حانية ومحبة، البعض يقول إنها مجرد قصص، ولكن لا أصدق هذا.

ما زالت الآلهة تحكمنا، هبطوا من النجوم، ولم يعودوا لطفاء.



الفصل الثاني

منزلنا صغيرٌ حتى بمقاييس (الستيلتز)، ولكن على الأقل لدينا إطلالة. قبل إصابته وخلال إحدى إجازاته من الجيش بنى أبي المنزل مرتفعًا حتى نرى عبر النهر. على الرغم من غشاوة حرارة الصيف تستطيع أن ترى مساحات الأراضي الخالية التي كانت في يومٍ ما غابات، هي الآن مقطوعة ومنسية، تبدو كما لو حلَّ بها المرض، ولكن التلال التي لم يمسها شيء في الشمال والغرب تخدم كتذكرة هادئة، ما زال هناك الكثير، بعيدًا عنَّا وبعيدًا عن (الفضيين)، وبعيدًا عن كل شيء أعرفه.

أتسلَّق السلم صعودًا إلى المنزل، خشبه مستهلك حتى تطبَّع بشكل الأيدي التي تتسلقه وتهبطه كل يوم. من هذا الارتفاع أستطيع أن أرى بعض المراكب تتجه أعلى النهر وترفع أعلامها البراقة بفخرٍ. فضيون، الوحيدون بالقدر الكافي من الثراء لاستخدام نقل خاص، بينما يتمتعون بالنقل البري والمراكب الفارهة وحتى الطائرات، لا نمتلك شيئًا غير سيقاننا أو عجلات دفع إذا كنَّا محظوظين.

لا بد أن تلك المراكب متجهة إلى (سمرتون)، المدينة الصغيرة التي تخرج للحياة في وقت إقامة الملك الصيفية. كانت (جيسا) هناك اليوم تساعد الخياطة التي تتدرب معها، تذهبان إلى السوق مرارًا عندما يزوره الملك، لبيع سلعها للتجار (الفضيين) والنبلاء الذين يتبعون العائلة الملكية كصغار البط. القصر نفسه يُعرَف بقاعة الشمس، لكنني لم أره قطُّ، لا أعرف لماذا تمتلك العائلة الملكية منزلًا ثانيًا لا سيما أن قصر العاصمة رائعٌ وجميلٌ للغاية، ولكن ككل (الفضيين)، تدفعهم الرغبة وليس الحاجة، وكل ما يرغبون فيه يحصلون عليه.

قبل أن أفتح الباب لأواجه الفوضى المعتادة، ألمس العلم الذي يرفرف على الشرفة الأمامية، ثلاث نجوم حمراء على قماش أصفر، واحدة لكل أخ وفراغ للمزيد، فراغ من أجلي. معظم البيوت لديها أعلام كهذه، بعضها عليه خطوط سوداء بدلًا من النجوم، تذكار صامت للموتى من الأبناء.

تتعرق أمي بالداخل أمام الموقد وتقلب قِدرًا من الحساء بينما يحدق إليه أبي من مكانه على الكرسي المتحرك، تقوم (جيسا) بالتطريز على الطاولة، تقوم بحياكة شيء جميل ورائع وبعيد عن فهمي.

«أنا بالبيت» أقول وليس لأحدٍ بالتحديد، يجيبني أبي بالتلويح بيده، وتومئ أمي، ولا تنظر (جيسا) بعيدًا عن قطعة الحرير بيدها.

ألقي بحقيبة البضاعة المسروقة بجانبها، تاركة العملات تصلصل بالقدر الذي تريد: «أعتقد أن لديَّ ما يكفي لشراء كيكة جيدة من أجل عيد ميلاد أبي والمزيد من البطاريات تكفينا حتى نهاية الشهر».

تحدق (جيسا) إلى الحقيبة وتعبس في نفور، هي في الرابعة عشرة، ولكنها أذكى من عمرها: «في يومٍ من الأيام سيأتي الناس وسيأخذون كل ما لديكِ».

«لا تليق بك الغيرة يا (جيسا)» أوبخها وأنا أربت على رأسها.

تطير يدها تجاه شعرها الأحمر اللامع وتسرحه حتى يعود لتسريحته الدائرية الدقيقة.

طالما أردت مثل شعرها، ومع ذلك لن أقول لها ذلك أبدًا، فشعرها مثل النار وشعري ما يدعونه بنيًّا نهريًّا، جذوره غامقة وأطرافه فاتحة، فتوتر حياة (الستيلتز) تستنزف اللون من شعورنا. معظم الناس تقص شعرها لإخفاء أطرافه الرمادية، ولكني لا أفعل ذلك، أحب أن أتذكر أن حتى شعري يعرف أن الحياة لا يجب أن تكون بهذا الشكل.

«لا أشعر بالغيرة» قالت وتأففت منزعجة ثم عادت إلى عملها، هي تحيك وردًا ناريًّا، وكل واحدة فيهم تتكوَّن من خيوطٍ جميلة من اللهب على الحرير الأسود.

«إنها جميلة يا (جي)» وأترك يدي تلمس واحدة من الورد، وأتعجب من ملمسها الحريري. تنظر إلى أعلى وتبتسم بنعومة حتى يظهر جزءٌ من أسنانها. على الرغم من شجارنا المتكرر فهي تعرف أنها نجمتي الصغيرة، وكل الناس يعلمون أنني الغيورة يا (جيسا)، كل ما أقدر على فعله هو السرقة من الناس الذين يفعلون شيئًا.

بعدما تنهي تدريبها ستكون قادرة على فتح متجر خاص بها، وسيأتي (الفضيون) من جميع الأنحاء لشراء المناديل والرايات والملابس، ستحقق (جيسا) ما يقدر عليه القليل من الحُمر وستعيش حياة كريمة، ستوفر لوالدينا وتعطي لإخوتي وظائف بسيطة لتخليصهم من الحرب؛ ستنقذنا (جيسا) في يومٍ من الأيام وليس معها أكثر من خيط وإبرة.

«الليل والنهار، فتياتي» تمتم أمي، وتمرر يدها خلال شعرها الرمادي، لا تعنيها كإهانة، ولكن كحقيقة لاذعة. فـ(جيسا) ماهرة وجميلة ولطيفة، وأنا أكثر خشونة كما تقول أمي في لطفٍ، أظن أن الشيء الوحيد المشترك بيننا هو الأقراط الذكرى من إخوتنا.

يسعل أبي من مكانه، ويضرب على صدره بقبضته، هذا أمرٌ معتادٌ حيث إن لديه رئة واحدة حقيقية. لحسن الحظ أنقذته مهارة طبيب أحمر بتبديل الرئة المنهارة بجهازٍ يتنفس من أجله، لم يكن اختراعًا فضيًّا؛ فلا يحتاجون إلى مثل هذه الأشياء فلديهم المعالجون، ولكنهم لا يضيعون وقتهم في إنقاذ الحُمر أو حتى في العمل على الخطوط الأمامية لإبقاء الجنود على قيد الحياة. معظمهم يبقون في المدينة لإطالة حياة (الفضيين) الشيوخ وإصلاح الأكباد التي دمرها الكحول وهكذا، لذا نحن مجبورون على مسايرة السوق السوداء للاختراعات والتكنولوجيا لتساعدنا على تحسين حالنا. بعض الاختراعات حمقاء ومعظمها لا يعمل، ولكن القليل من نقر المعادن أنقذ حياة والدي، أقدر على سماعها دائمًا، نبضة صغيرة لتبقي أبي قادرًا على التنفس.

«لا أريد الكعك» قال أبي متذمرًا، ولا أفوت لمحته تجاه بطنه الكبير.

«إذن، قل لي ما تريد؟ ساعة جديدة أو...».

«(ماير)، لا أعتبر شيئًا سرقتِه من أحد جديدًا».

وقبل أن تندلع حرب أخرى في منزل (بارو) تشد أمي الحساء من على الموقد: «وقت العشاء» تجلبه إلى الطاولة وتغمرني الأدخنة.

«رائحته رائعة يا أمي» تقول (جيسا) كاذبة، أبي ليس لبقًا ويكشر تجاه الطعام.

لا أريد أن ألفت الانتباه فأجبر نفسي على بلع بعض من الحساء، لمفاجأتي السارة هو ليس سيئًا كالعادة.

«استخدمتِ الفلفل الذي أحضرته لكِ؟».

بدلًا من الإيماء والابتسام وشكري على الملاحظة، يحمر وجهها ولا تجيبني، هي تعرف أنني سرقته ككل هداياي. تدير (جيسا) عينيها عن الحساء؛ تشعر أين سيتجه الحوار، تظن أنني اعتدت هذا الآن، ولكن رفضهم يرهقني.

تتنهد أمي، وتضع وجهها داخل يديها: «(ماير)، أنت تعلمين أنني أُقدر...أتمنى فقط...».

أكمل بدلًا منها: «أن أكون مثل (جيسا)؟».

تهز أمي رأسها نفيًا، كذبة أخرى.

«لا، بالطبع لا، هذا ليس ما أقصد».

«صحيح» أنا متأكدة أنهم يشعرون بمرارتي في الناحية الأخرى من القرية، أحاول بكل قدرتي أن أحافظ على صوتي من التقطع، «هذه الطريقة الوحيدة التي أستطيع بها مساعدتكم قبل...قبل أن أرحل».

ذكر الحرب هو طريقة سريعة لإسكات البيت، حتى صفير تنفس أبي توقف. تدير أمي رأسها ووجنتاها تتوهجان في غضبٍ وتحت الطاولة تغلق (جيسا) يدها حول يدي.

«أعلم أنك تفعلين كل ما تقدرين عليه للأسباب الصحيحة» تهمس أمي، تقول هذا بصعوبة، ولكنه يريحني على أي حالٍ، أغلق فمي وأجبر نفسي على الإيماء.

تقفز (جيسا) من على مقعدها كأنها صعقت، «كدتُ أنسى، مررتُ على البريد في طريق عودتي من (سمرتون)، وهناك رسالة من (شايد)».

كأن قنبلة انفجرت، أسرع أبي وأمي تجاه الظرف المتسخ الذي أخرجته (جيسا) من معطفها، أتركهما يتبادلانه ويفحصان الورق، فكلاهما لا يستطيع القراءة، لذا يحصدان ما يقدرون عليه من الورق نفسه.

يشم أبي الرسالة محاولًا التعرف على مصدرها: «صنوبر وليس دخانًا، هذا جيد، هو بعيد عن منطقة الاختناق».

نتنفَّس في ارتياحٍ؛ منطقة الاختناق هي منطقة تفجيرات تصل بين (نورتا) و(اللايكلاند) وتتركز بها الحرب، يقضي بها الجنود معظم فترتهم، يختبئون في الخنادق التي مصيرها التفجير أو يضغطون للأمام في تقدم جريء ينتهي بالمجازر. تمتد البحيرة على باقي الحدود، وتكون باردة كالقطب وجرداء لأي قتال. أصيب أبي في منطقة الاختناق منذ عدة سنوات عندما سقطت على وحدته قنبلة، الآن المنطقة مدمرة للغاية بسبب المعارك المستمرة لعقودٍ، فأصبح دخان المتفجرات كالضباب الدائم ولا شيء ينمو بها، ميتة ورمادية كمستقبل هذه الحرب.

يعطيني أبي الرسالة أخيرًا لأقرأها وأفتحها في ترقبٍ كبيرٍ، متشوقة ومتخوفة لرؤية ما كتبه (شايد).

عائلتي العزيزة، أنا على قيد الحياة كما هو واضح.

أضحك أنا وأبي وتبتسم (جيسا)، أمي ليست سعيدة مع أن (شايد) يبدأ كل رسالة بهذه الطريقة.

تم استدعاؤنا بعيدًا عن الجبهة، أظن أن ذلك ما خمَّنه أبي بأنفه الذي يشبه أنف كلب الصيد، الأمر لطيفٌ، العودة للمخيمات الرئيسية. المكان أحمر مثل الفجر هنا، بالكاد نرى أي ضباط فضيين، ومن دون ضباب منطقة الاختناق أرى الشمس تشرق أقوى كل يوم، ولكني لن أبقى طويلًا، خطة القيادة تطلب إعادة توظيف الوحدة لمعارك البحيرة، وتم تعيين واحدة من السفن الحربية الجديدة لنا. قابلت مسعفة انفصلت عن وحدتها وقالت لي إنها تعرف (ترامي) وإنه بخيرٍ، أصيب بقليلٍ من

الشظايا في أثناء انسحابه من منطقة الاختناق، ولكنه يتعافى جيدًا بلا عدوى أو ضرر دائم.

تتنهد أمي بصوتٍ عالٍ وتهز رأسها: «لا ضرر دائم» تقول في سخرية.

ليس هناك خبرٌ عن (بري)، ولكني لست قلقًا، هو الأفضل بيننا واقترب من إجازة الخمس السنوات؛ سيعود للبيت قريبًا يا أمي، فكفِّي قلقًا، ليس لديَّ أخبار أخرى، على الأقل أقدر على الكتابة لكم. (جيسا)، لا تكوني متباهية مع أن لديك الحق. (ماير)، لا تكوني مزعجة طوال الوقت وتوقفي عن ضرب ابن (وارين)، أبي، أنا فخورٌ بك دومًا، أحبكم.

ابنكم وأخوكم المفضَّل، (شايد).

كالعادة، تخترقنا كلمات (شايد)، أكاد أسمع صوته إذا حاولت بشدة، ثم بدأت الإضاءة تضعف فوقنا.

«ألم يضع أحدٌ بطاقة حصة الكهرباء التي أحضرتها بالأمس؟» أسأل قبل أن تهتز الإضاءة وتموت ويغمرنا الظلام، بينما تتأقلم عيناي أرى أمي تهز رأسها.

تتأوَّه (جيسا): «هل يمكننا عدم فعل هذا مرة أخرى؟» يأن مقعدها عندما تنهض وتقول: «سأذهب إلى النوم، حاولا ألَّا تصيحا».

لكننا لا نصيح، كبقية العالم، نحن متعبون للغاية. يذهب أبي وأمي إلى غرفة النوم ويتركانني وحيدة. في العادة أتسلل خارجًا، ولكني لا أجد القدرة على فعل أي شيء غير النوم. أتسلق سلمًا آخر إلى الدور العلوي. تشخر (جيسا) بالفعل، قدرتها على النوم لا مثيل لها، تسقط خلال دقيقة أو أقل في حين أظل أنا ساعات. أستقر في فراشي الخشبي الصغير، راضية فقط باستلقائي هنا ورسالة (شايد) في يدي. كما قال أبي، رائحتها صنوبر. صوت النهر لطيف الليلة، وتدفقه خلال الصخور على الضفة يهيِّئني للنوم. حتى صوت محرك الثلاجة القديمة الذي يعمل بالبطارية -وكان مزعجًا للغاية- لا يضايقني الليلة، لكن صوت صفير يقاطع سقوطي في النوم، (كيلورن).

لا، ارحل.

ينادي مرة أخرى وبصوتٍ أعلى، تتحرك (جيسا) قليلًا وتتقلّب على وسادتها.

أتذمر لنفسي كارهة (كيلورن)، أتدحرج من على فراشي وأهبط السلم، أي شخص آخر كان ليتعثَّر بسبب كل الفوضى في غرفة المعيشة، لكني أمتلك خطواتٍ حذرة بفضل كل الأعوام التي قضيتها في الهرب من الضباط. أهبطُ السلم الخارجي في ثوانٍ، وأسقط في الوحل حتى كاحلي، ينتظر (كيلورن) في الظلال أسفل المنزل.

«أتمنى أنك تحب الكدمات تحت عينيك، لأني لا أمانع إعطاءك بعضًا منها».

ملامح وجهه توقفني، كان يبكي، لا يبكي (كيلورن) أبدًا، مفاصل يده تنزف وأراهن أن هناك جدارًا يتألم بنفس القوة في مكانٍ ما قريبٍ. رغمًا عني ورغم الساعة المتأخرة يغلبني شعوري بالقلق، وشعور وصل إلى حد الخوف.

«ما الأمر؟ ماذا حدث؟» من دون تفكيرٍ أمسك بيده وأشعر بالدماء تحت أصابعي: «ماذا حدث؟».

يأخذ دقيقة ليجيبني ويستجمع قدرته، والآن أصبحت مرتعبة.

«رئيسي... لقد سقط، مات، لم أعد متدربًا».

أحاول إخفاء شهقة، ولكنها تعلو على أي حالٍ في غيظ، مع أنه ليس مضطرًا إلى الاستمرار في الحديث وأعرف ما سيقوله، يكمل كلامه.

«لم أنتهِ من التدريب...» يتعثَّر في كلماته: «أنا في الثامنة عشرة، وكل الصيادين لديهم متدربون، لا أعمل، لا أقدر على إيجاد عملٍ».

كلماته الأخيرة تؤلم كسكين في قلبي، يأخذ نفسًا متعبًا، وأتمنى ألا أسمع التالي.

«سيرسلونني إلى الحرب».

الفصل الثالث

مستمرة طوال معظم القرن الأخير، لا أظن أنه يجب إطلاق لقب الحرب عليها بعد الآن، ولكن ليس هناك كلمة بمثل هذه الدرجة من الدمار. قالوا لنا في المدرسة إنها بدأت بسبب صراع على الأرض، أراضي البحيرة مستوية وخصبة ويحيط بها بحيرات عظيمة مليئة بالثروة السمكية، ليس مثل تلال (نورتا) الصخرية والمليئة بالغابات، وبالكاد تقدر أراضيها الزراعية على إطعامنا. حتى (الفضيون) شعروا بالضيق لذا أعلن الملك الحرب، وأغرقنا في هذا الصراع الذي لا يستطيع أي طرف الفوز فيه.

ملك (اللايكلاندريين) -فضي آخر- ردَّ عليه بنفس اللطف وبكل الدعم من النبلاء التابعين له، أرادوا أنهارنا حتى يستطيعوا الوصول إلى بحرٍ ليس متجمدًا نصف العام، وطواحين المياه المنتشرة على أنهارنا، الطواحين هي التي تجعل بلدنا قوية، تمدنا بطاقة كهربائية كافية، حتى (الحمر) يتمتعون بجزءٍ منها. سمعت شائعات عن مدن في الجنوب البعيد بالقرب من العاصمة (أركيون)، بنى بها (الحمر) آلاتٍ بعيدة عن فهمي للنقل البري والبحري والجوي، وأسلحة تنشر الدمار أينما يريد (الفضيون). معلمنا قال لنا بفخرٍ إن (نورتا) هي نور العالم، أمة عظيمة بفضل التكنولوجيا والطاقة، كل الباقي إذا كانت (اللايكلاند) أم (بيدمونت) في الجنوب يعيشون في الظلام، إننا محظوظون أننا وُلِدنا هنا، «محظوظون» هذه الكلمة تجعلني أريد الصراخ.

ولكن على الرغم من طاقتنا الكهربائية وغذاء (اللايكلاندريين) وأسلحتنا وأعدادهم، لا يتمتع أي طرف بميزة كبيرة عن الآخر؛ الطرفان لديهم جنود حُمر وضباط فضيون يقاتلون بقدراتهم وأسلحتهم والدرع البشري المكون من آلاف (الحمر).

الحرب التي كان من المفترض أن تنتهي منذ أقل من قرن، ما زالت مستمرة. لطالما وجدتُ أننا نحارب من أجل الطعام والمياه أمرًا مضحكًا. حتى (الفضيون) العظماء يحتاجون إلى الطعام، لكن لم يعُد الأمر مضحكًا الآن بعد ما سيصبح (كيلورن) الشخص القادم الذي سأودعه، أتساءل إذا كان سيعطيني حلقًا حتى أتذكره عندما يأخذه الجندي ذو الدرع اللامع بعيدًا.

«أسبوع واحد يا (ماير)، أسبوع واحد وسأرحل» ينهار صوته ويسعل محاولًا التغطية عليه: «لا أقدر على هذا، لن...لن يأخذوني».

لكني أرى قدرته على المقاومة تهرب من عينيه.

«لا بد أن هناك شيئًا يمكننا فعله» أقول من دون تفكير.

«ليس هناك ما يمكن فعله، لم يهرب أحدٌ من التجنيد وبقي حيًا».

لا يحتاج إلى قول هذا، فكل عام، شخص ما يحاول الهرب، وكل عام يجرونه إلى ميدان القرية ويُشنق.

«لا، سنجد طريقة».

حتى الآن يجد القدرة على الابتسام في سخرية مني: «نحن؟».

ترتفع حرارة وجنتي أسرع من أي لهيبٍ: «مصيري التجنيد مثلك، ولكنهم لن يأخذوني أيضًا، سنهرب».

لطالما كان الجيش قدري، عقابي، أدرك ذلك، ولكن ليس مصيره، فأخذ منه الكثير بالفعل.

«لا يوجد مكان يمكننا الذهاب إليه» يقول، لكن على الأقل هو يناقشني، على الأقل لم يستسلم، «لن ننجو في برد الشمال، البحر في الشرق، الحرب في الغرب، والجنوب مشع بأكمله، وكل مكان في المنتصف مليء بـ(الفضيين) والأمن».

تتدفق مني الكلمات كالنهر: «وأيضًا هذه القرية، مليئة بـ(الفضيين) والأمن، ونقدر على السرقة تحت أنظارهم ونهرب بجلدنا».

تتسارع أفكاري محاولة بكل قدرتي إيجاد أي شيء يمكنه مساعدتنا، ثم ضربتني فكرة كالصاعقة.

«تجارة السوق السوداء التي نساعد في إبقائها تعمل، تُهرِّب كل شيء من الحبوب إلى المصابيح، من قال إنهم لا يهرِّبون الأشخاص؟».

يفتح فمه على وشك التفوه بألف سبب للفشل، ولكنه يبتسم ويومئ.

لا أحب التدخل في شؤون الآخرين، ولكن ليس لديَّ الوقت لهذا، وها أنا أسمع نفسي أقول الكلمات المدمرة.

«اترك كل شيء لي».

الأغراض التي لا نقدر على بيعها للمتاجر العادية نأخذها إلى (ويل ويسل)، هو كبير في السن وضعيف ليعمل في تقطيع الخشب لذا يقوم بكنس الشوارع في الصباح، وفي الليل يبيع كل شيء يمكن أن ترغب فيه من مقطورته المتعفنة، من القهوة المحظورة إلى الغرائب من (أركيون). كنتُ في التاسعة ومعي حفنة من الأزرار المسروقة عندما جرَّبتُ حظي مع (ويل)، دفع لي ثلاث عملاتٍ نحاسية مقابلها ومن دون أي أسئلة. الآن أنا زبونته المفضَّلة وربما السبب في قدرته على تدبُّر أمره في هذا المكان الصغير، وفي يومٍ جيدٍ يمكن أن أدعوه صديقًا. مضت أعوام قبل أن أعرف أن (ويل) جزءٌ من عملية أكبر بكثير، البعض يدعوها بسوق تحت الأرض والبعض الآخر بالسوق السوداء، لكن ما أهتم به هو ما يقدرون على فعله. لديهم حواجز وأشخاص مثل (ويل) في جميع الأنحاء، حتى في (أركيون) على الرغم من استحالة هذا، ينقلون البضائع غير القانونية في جميع أنحاء البلاد، وأراهن على أنهم يمكن أن يقوموا باستثناء وينقلوا شخصًا.

«بالتأكيد لا».

خلال ثماني سنوات لم يقُل لي (ويل) «لا» أبدًا، والآن يقوم هذا الشيخ الأحمق المليء بالتجاعيد بإغلاق باب مقطورته في وجهي، أنا سعيدة أن (كيلورن) لم يأتِ معي ليراني أخذله.

«(ويل)، أرجوكَ، أعلم أنكَ تستطيع».

يهز رأسه رفضًا وتهتز لحيته البيضاء: «حتى إذا استطعتُ، أنا تاجر والأشخاص الذين أعمل معهم ليسوا من النوع الذين يضيعون الوقت والمجهود لنقل هاربٍ من مكانٍ إلى مكان، ليس هذا عملهم».

أشعر بأملي وأمل (كيلورن) الوحيد ينسل من بين أصابعي.

يبدو أن (ويل) رأى اليأس في عينيّ فلانت ملامحه واستند إلى باب المقطورة، يتنهد وينظر إلى الخلف إلى الظلام في الداخل، بعد لحظة يلتف ويشير إليّ لأتبعه إلى الداخل، وأنفذ في سرور.

«شكرًا يا (ويل)» أقول في هذيان: «لا تعرف كم يعني هذا لي».

«اجلسي واصمتي يا فتاة» يقول صوتٌ حادٌ.

من بين الظلال بالكاد أرى في الضوء الضعيف لشمعة ويل الزرقاء الوحيدة، تنهض امرأة، فتاة يجب أن أقول؛ حيث إنها لا تبدو أكبر مني، ولكنها أطول بكثيرٍ ولديها هيئة محارب قديم، والسلاح المعلق على خصرها من حزام أحمر بالتأكيد غير مرخص. هي شقراء وشاحبة فلا يمكن أن تكون من (الستيلتز)، والعرق على وجهها يخبرني بأنها غير معتادة الجو الحار والرطوبة، هي أجنبية من خارج البلاد وكذلك خارجة عن القانون، هي الشخص الذي أحتاج إليه.

تشير إليّ تجاه المقعد المثبت في جدار المقطورة وتجلس بعدما أجلس، يتبعنا (ويل) وينهار على كرسي قديم قريبٍ منّا، عيناه تتنقل بين الفتاة وبيني.

«(ماير بارو)، هذه (فارلي)» يتمتم (ويل)، وتضغط (فارلي) فكَّها.

تنظر إلى وجهي: «ترغبين في نقل بضاعة».

«أنا وفتى...» ترفع يدًا جافة وضخمة أمامي لتوقفني.

«بضاعة» تقول مرة أخرى وعيناها تؤكد المعنى، يقفز قلبي داخل صدري، (فارلي) يمكنها مساعدتي.

«ما هي الوجهة؟».

أصفي ذهني وأحاول التفكير في مكان آمن، خريطة المدرسة القديمة تحوم أمام عيني؛ تحدد الساحل والأنهار، وتضع علامات على المدن والقرى وكل شيء في المنتصف، من خليج الميناء في غرب (اللايكلاند)، والقطب الشمالي إلى الأراضي المشعة في منطقة الأنقاض والجرف، كلها أراضٍ خطرة بالنسبة إلينا.

«مكان آمن من (الفضيين) فقط».
ترمش (فارلي) وملامحها ثابتة: «الأمان له سعره يا فتاة».
«كل شيء له سعره يا فتاة» أجيبها في حدة وأقلِّد نبرتها: «أعرف هذا أكثر من أي شيء».
تسود لحظاتٌ من الصمت في المقطورة، أشعر بالليل أوشك على الانتهاء ويأخذ معه دقائق غالية من (كيلورن)، تشعر (فارلي) بعدم راحتي وقلة صبري، لكنها لا تتكلم سريعًا، بعد ما يقرب من الأبدية، تفتح فمها أخيرًا.
«الحرس القرمزي يقبل يا (ماير بارو)».
أستخدم كل قدرتي على ضبط النفس حتى لا أقفز من على مقعدي في سعادة، ولكن فكرة ما تؤرقني تمنع الابتسامة من الارتسام على وجهي.
تكمل (فارلي): «نتوقع الدفع كاملًا، المقابل ألف كراون».
كلامها يقرب على سحب كل الهواء من رئتي، حتى (ويل) بدا متفاجئًا، فيختفي حاجباه الأبيضان المزغبان تحت خط شعره.
«ألف؟» أقول مختنقة، لا أحد يتعامل مع هذا الكم من المال، ليس في (الستيلتز)، هذا المبلغ يمكنه إطعام عائلتي لعام...أعوامًا كثيرة.
لكن (فارلي) لم تنتهي، أشعر أنها تستمتع بما يحدث، «يمكن دفع المبلغ على هيئة عملات ورقية أو عملات معدنية محلية (تيترارك: عملات عليها صورة الحاكم) أو بالمقايضة، للقطعة طبعًا».
ألفان من (الكراونات)، ثروة، حريتنا تساوي ثروة.
«سننقل البضاعة بعد الغد، يجب أن تُدفع وقتها».
بالكاد أقدر على التنفس، أقل من يومين لجمع مال أكثر مما سرقت في حياتي، هذا مستحيل، لا تعطيني حتى الفرصة لأعترض.
« هل توافقين على الشروط؟».
« أحتاج إلى المزيد من الوقت».
تهز رأسها وتميلها تجاهي، أشم رائحة البارود تصدر منها، «هل توافقين على الشروط؟».
هذا مستحيل، هذه حماقة وهذه أيضًا فرصتنا الوحيدة.

«أوافق على الشروط».

تمرُّ الدقائق التالية في غشاوة بينما أسير مجهدة خلال الوحل والظلال متجهة إلى البيت. يشتعل عقلي في محاولة لإيجاد طريقة لأضع يدي على أي شيء تقترب قيمته من سعر (فارلي)، لا شيء في (الستيلتز) بالتأكيد.

ما زال (كيلورن) ينتظرني في الظلام، يبدو كفتى تائه، أظن أنه كذلك بالفعل.

«أخبار سيئة؟» يقول، ويحاول إبقاء صوته متزنًا، ولكنه يرتعش على أيِ حالٍ.

«جماعة تحت الأرض يمكنها إخراجنا» بينما أشرح له ما حدث، أبقي نفسي هادئة من أجله. ألفان من (كراونات) مثلهم مثل عرش الملك، ولكني أتظاهر كأنهم لا شيء، «إذا كان هناك من يقدر على هذا، فهو نحن، نستطيع».

«(ماير)» صوته بارد، أكثر برودة من الشتاء، لكن النظرة الفارغة في عينيه أسوأ، «انتهى الأمر؛ لقد خسرنا».

«لكن إذا فقط...».

يمسك بكتفي بقوة ويفرد ذراعيه، لا يؤلمني، لكنني مصدومة، «لا تفعلي هذا بي يا (ماير)، لا تتركيني أصدق أن هناك مهربًا من هذا، لا تعطيني أملًا».

هو محقٌّ، من القاسي إعطاء الأمل في أمرٍ ليس به فيتحوَّل إلى خيبة وكراهية وغضب، كل ما يجعل هذه الحياة أصعب مما هي عليه.

«اتركيني أتقبَّل الأمر، فربما...ربما يمكنني التفكير بعقلانية وأتمرَّن كفاية حتى يصبح لي فرصة في القتال هناك».

تجد يدي معصمه وأقبض عليه بقوة: «تتحدث كأنك ميتٌ بالفعل».

«ربما أنا ذلك».

«إخوتي...».

«حرص والدك على تعليمهم كل ما يجب فعله قبل أن يرحلوا بفترة طويلة، وتساعدهم بنيتهم الضخمة» يجبر نفسه على الابتسام محاولًا إضحاكي، لكنه يفشل: «أنا سبّاح وبحار جيدٌ، سيحتاجون إليَّ عند البحيرات».

أدرك أنني أرتجف عندما يحيطني بذراعيه ويضمني إليه، «(كيلورن)...» أهمس تجاه صدره، لكن كلماتي التالية لا تخرج، يجب أن أكون مكانك، وقتي يقترب سريعًا، أتمنى أن ينجو لألحق به وأراه مرة أخرى، في المخيمات أو الخنادق، ربما وقتها سأجد الكلمات الصائبة لأقولها، ربما وقتها سأفهم حقيقة شعوري.

«شكرًا يا (ماير)، على كل شيء» يتركني سريعًا، «إذا ادخرتِ فسيكون لديكِ ما يكفي عندما يأتي الجنود من أجلكِ».

أومئ من أجله، لكنني لا أخطط لتركه يقاتل ويموت وحيدًا، أعرف أني لن أنام عندما أستقر على سريري الخشبي، لا بد أن هناك شيئًا يمكنني فعله، حتى إذا قضيت ليلي كله في التفكير فسأجد طريقة. تسعل (جيسا) في نومها وتصدر صوتًا مهذبًا خافتًا، حتى في أثناء غياب وعيها تتمكّن من التصرف كسيدة لائقة، لا عجب في أنها تندمج جيدًا مع (الفضيين)، هي كل شيء يحبون أن يكون عليه الحُمر: هادئة وقانعة ومتواضعة. من الجيد أنها مَن تضطر إلى التعامل معهم، تساعد الحمقى الخارقين في اختيار الحرير والأقمشة لملابسهم التي يلبسونها مرة واحدة فقط. تقول إنها تعتاد أمر كمية المال التي ينفقونها على مثل هذه الأغراض التافهة، وتزداد عشرة أضعاف في الحديقة الكبيرة والسوق في (سمرتون). تحيك (جيسا) الدانتيل والحرير والفرو مع سيدتها وحتى الأحجار الكريمة لخلق قطعة فنية على هيئة ملابس لصفوة (الفضيين) الذين يتبعون العائلة الملكية في كل مكان. تدعو هؤلاء الطواويس المتباهين بالموكب، كلٌّ منهم فخورٌ وسخيف أكثر من الذي يليه، فضيون تافهون مهووسون بالمظاهر، أكرههم أكثر من العادي الليلة. الجوارب التي يفقدونها يمكن أن تنقذني و(كيلورن) ونصف (الستيلتز) من التجنيد، وللمرة الثانية اليوم تضرب الصاعقة.

«(جيسا)...استيقظي» لا أهمس، فالفتاة تنام كالموتى، «(جيسا)».

تتقلَّب وتتأوَّه على مخدتها، وتقول متأففة: «في بعض الأحيان، أريد قتلكِ».

«هذا لطيفٌ، الآن انهضي».

لا تزال عيناها مغلقة عندما أقفز عليها كقطٍّ ضخم، وقبل أن تبدأ في الصياح والتذمر وتشرك أمي في الأمر، أضع يدي على فمها: «اسمعيني فقط، لا تتحدثي، اسمعي».

تنفخ في يدي، ولكنها توافق.

«(كيلورن)...».

يحمرُّ وجهها عندما تسمع اسمه وتضحك قليلًا، وهذا شيء لا تفعله أبدًا، لكن ليس لديَّ وقتٌ لإعجاب فتيات المدرسة، ليس الآن.

«توقفي يا (جيسا)» آخذ نفسًا مهزوزًا، «(كيلورن) سيذهب إلى التجنيد».

اختفت ضحكتها، فالتجنيد ليس بمزحة، ليس بالنسبة إلينا.

«وجدتُ طريقة لتهريبه من هنا وإنقاذه من الحرب، ولكنني أحتاج إلى مساعدتكِ» يؤلمني قول هذا، ولكن الكلمات تمرُّ من بين شفتيَّ، «أحتاج إليكِ يا (جيسا)، هل تساعدينني؟».

لا تتردد في الإجابة، وأشعر بدفعة حب ضخمة تجاه أختي.

«موافقة».

من الجيد أني قصيرة وإلا لن يناسبني زي (جيسا) الآخر؛ هو سميك وغامق لا يناسب حرارة الصيف، تبدو أزراره وسحاباته كأنها تُقلى في الحرارة. تميل حقيبة ظهري، وأكاد أسقط من ثقل الأقمشة وأدوات الحياكة. لدى (جيسا) نفس الحقيبة وترتدي نفس الزي، ولكن لا يبدو أنهما يضايقانها على الإطلاق، اعتادت هي العمل الشاق والحياة الشاقة.

نبحر معظم المسافة شمال النهر وتسحقنا تحتها مكاييل القمح على مركب مزارع طيب، صادقته (جيسا) منذ أعوامٍ، يثق بها الناس هنا كما لا يثق بي أحدٌ أبدًا. يتركنا المزارع وما زال أمامنا ميلٌ لنمشيه بالقرب من الطريق المتعرج للتجار المتجهين إلى (سمرتون). نختلط بينهم في اتجاه

ما تدعوه (جيسا) ببوابة الحديقة مع أنه لا توجد أي حدائق على مرمى البصر. هي في الحقيقة بوابة مصنَّعة من الزجاج اللامع يعمينا حتى قبل أن نخطو إلى الداخل. يبدو أن بقية الجدران مصنَّعة من نفس الشيء، لكن لا أصدق أن الملك الفضي غبيٌّ إلى درجة الاختباء خلف جدران زجاجية.

«هذا ليس زجاجًا» تقول لي (جيسا)، «على الأقل معظمه، اكتشف (الفضيون) طريقة لإذابة الألماس وخلطه مع مواد أخرى، هو حصين بقوة حتى القنابل لن تؤثِّر به».

جدران ماسية.

«يبدو هذا ضروريًّا».

«ابقي رأسكِ منخفضة واتركي لي الحديث» تهمس لي.

أتبعها وعيني على الطريق حتى يختفي الأسفلت الأسود وتظهر الحجارة البيضاء، ناعمة إلى درجة أنني كدت أنزلق، ولكن (جيسا) تمسك بذراعي وتبقيني ثابتة. لم يكن (كيلورن) ليواجه صعوبة في المشي عليها، ليس ولديه سيقانه البحرية، ولكن لن يأتي (كيلورن) هنا أبدًا، لقد استسلم، ولن أفعل ذلك.

بينما نقترب من البوابات أدقق النظر خلال الضوء الساطع لأرى الجانب الآخر. مع أن (سمرتون) تفتح فقط لفترة الموسم وتصبح مهجورة عند أول سقوط للثلج فهي أكبر مدينة رأيتها في حياتي. بها شوارع صخبة ومتاجر وحانات وبيوت وميادين، وكلها تشير تجاه الوحش اللامع المكون من زجاج الألماس والرخام، وأدرك سبب تسميته بقاعة الشمس فهي تبرق مثل النجم وترتفع مئات الأقدام في الهواء في كتلة ملتوية من الأبراج والجسور. بعض أجزائها تظلم حسب الرغبة لمنح سكانها الخصوصية، فلا يصح أن يرى الفلاحون الملك وبلاطه، هذا المكان أخاذ ورهيب وعظيم وهو فقط المنزل الصيفي.

يصيح بنا صوتٌ أجش، وتتوقف (جيسا) فجأة: «اسماكما».

«(جيسا بارو)، وهذه أختي (ماير بارو)، هي تساعدني في جلب بعض المعدات لسيدتي في العمل» لا تتردد وتحافظ على صوتها متزنًا يميل إلى الملل. يشير إليَّ ضابط الأمن وأدير ظهري لأريه الحقيبة، تسلِّمه (جيسا) أوراق هويتنا المهترئة المتسخة التي على وشك التداعي، ولكنها تفي بالغرض.

لا بد أن هذا الضابط يعرف أختي لأنه بالكاد نظر إلى هويتها، ولكنه يفحص هويتي في دقة ويبدل النظر بينها وبين وجهي دقيقة كاملة. أتساءل إذا كان هذا هامس (ويسبر)؟ إذن سيقدر على قراءة عقلي؛ وهذا سيضع نهاية لهذه الرحلة سريعًا، أو ربما سيتسبب في لف حبل المشتقة حول رقبتي.

«معصميكما» يقول في سأم.

للحظات شعرت بالحيرة، ولكن (جيسا) تمد يدها اليمنى إلى الأمام من دون تفكير، أفعل مثلها وأمد يدي إلى الضابط، يضع سوارًا أحمر على معصم كل واحدة فينا، ويتقلص السوار حتى يصبح ضيقًا كالأصفاد، لا مجال لنزع هذه الأشياء بنفسنا.

«تحرّكا» يقول الضابط وهو يشير إلينا في كسلٍ، شابتان مثلنا لا يمكن أن تشكِّلا أي خطر في عينيه.

تومئ (جيسا) في شكرٍ ولا أفعل مثلها؛ لا يستحق هذا الرجل ذرة تقدير مني. تُفتح البوابات حولنا ونتحرك إلى الأمام. أسمع ضربات قلبي في أذني تغطي على أي أصوات في الحديقة الكبيرة بينما ندخل إلى عالمٍ آخر، سوق لا يشبه أي مكان رأيته من قبل، مليء بالزهور والأشجار والنوافير. الحُمر قليلون ومسرعون لتنفيذ مهامهم أو بيع سلعهم، مميزون بالأساور الحمراء على أرساغهم. وعلى الرغم من أن (الفضيين) لا يرتدون أي أساور، ولكن من السهل تمييزهم، يرتدون الجواهر والأحجار الثمينة، ثروة على كل واحد منهم. زلة واحدة وسأعود إلى المنزل بكل شيء قد أحتاج إليه. كل (الفضيين) طوال القامة وفاتنون وباردون، يتحركون برشاقة هادئة لا يقدر عليها أيٌّ منّا نحن الحُمر، فليس لدينا الوقت بكل بساطة لنتحرك بهذه الطريقة.

تقود (جيسا) الطريق، ونمرُّ بمخبزٍ لديه كعكات مغطاة بغبار الذهب، وبائع يعرض فاكهة ذات ألوان زاهية لم أرَ مثلها من قبل، وحتى متجر حيوانات مليء بحيوانات برية تفوق معرفتي. تطعم فتاة صغيرة -فضية بالنظر إلى ملابسها- حيوانًا منقطًا ذا رقبة طويلة قطعًا من التفاح، على بُعد عدة شوارع يلمع محل جواهر بكل ألوان قوس قزح، أحدق إليه، فمن الصعب إبقاء نظرك إلى الأمام في هذا المكان، كأن الهواء ينبض بالحياة والنشاط. وفي الوقت الذي فكرت فيه أنه لن يكون هناك ما يبهرني بعد هذا المكان، أنظر إلى (الفضيين) وأتذكر طبيعتهم، هذه الفتاة الصغيرة (تيلكي)، ترفع التفاحة عشرة أقدام في الهواء حتى تطعم الحيوان طويل الرقبة. يمرِّر بائع الزهور يده خلال أصيص من الورد الأبيض فينمو سريعًا ويلتف حول مرفقه، هو (جريني)، يتحكم في النباتات والتربة. يجلس زوج من الـ(نيمف) عند النافورة، يتلاعبان بكراتٍ من المياه في كسلٍ لتسلية الأطفال، واحدٌ منهما لديه شعرٌ برتقالي وعينان حقودتان حتى مع تجمُّع الأطفال حوله. في جميع أنحاء الميدان، يستمر (الفضيون) في حياتهم الاستثنائية، هناك العديد منهم وكل واحد عظيم ورائع وقوي وبعيد كل البعد عن العالم الذي أعرفه.

«هكذا يعيش النصف الآخر» تهمس إليَّ (جيسا)، وتشعر بدهشتي: «هذا كافٍ لجعلكِ مريضة».

يغمرني إحساس الذنب فطالما كنت أشعر بالغيرة من (جيسا) وموهبتها وكل المميزات التي تحصل عليها، لكنني لم أدرك الثمن من قبل. لم تمضِ فترة طويلة في المدرسة، وليس لديها أصدقاء في (الستيلتز)، لو كانت طبيعية لكان لديها الكثير، كانت ستبتسم، بدلًا من ذلك، تجاهد الفتاة ذات الأربعة عشر عامًا مع الخيط والإبرة وتحمل مستقبل عائلتها فوق ظهرها، وتعيش غارقة في عالمٍ تكرهه.

«شكرًا يا (جي)» أهمس في أذنها، وتدرك أني لا أقصد فقط هذا اليوم.

«متجر (سالا) هناك، ذو المظلات الزرقاء» تشير (جيسا) أمامنا في الشارع إلى متجرٍ صغيرٍ يقع بين مقهيين، «سأكون في الداخل إذا احتجتِ إليَّ».

«لن أحتاج إليكِ» أجيب سريعًا، «حتى إذا حدث مكروه، لن أورطك».

«جيد» تقول ثم تمسك يدي وتضغطها قليلًا، «كوني حذرة، المكان مزدحم اليوم، أكثر من الطبيعي».

«أماكن أكثر للاختباء» أقول لها وأبتسم في غرورٍ.

لكن صوتها جاد محذر: «وضباط أمن أكثر أيضًا».

نستمر في المشي، وكل خطوة تقربنا من اللحظة التي ستتركني فيها في مكانٍ غريبٍ. بينما يدق داخلي الفزعُ، ترفع (جيسا) الحقيبة من على كتفي؛ فقد وصلنا إلى المتجر.

أقول بصوتٍ منخفضٍ لطمأنة نفسي: «لا تتحدثي إلى أحدٍ، لا تنظري إلى أحدٍ، استمري في التحرك، سأخرج كما دخلت، خلال بوابة الحديقة. سيخلع الضباط سواري ثم أتابع المشي...» تومئ (جيسا) إليَّ وعيناها متسعة في قلقٍ وربما في أمل أيضًا، «عشرة أميال للبيت».

تردد: «عشرة أميال للبيت».

أنظر إلى (جيسا) حتى تختفي تحت المظلات الزرقاء، وأتمنى في مقابل العالم كله أن أذهب معها، لقد أوصلتني إلى هذا الحد والآن دوري.

الفصل الرابع

فعلت هذا العديد من المرات، مراقبة الجمهور كما يراقب الذئب قطيع الخراف، أبحث عن الضعيف، والبطيء، والأحمق، ولكن الآن أنا الفريسة. يمكن أن أختار (سويفت) ويمسكني في طرفة عين أو أسوأ، (ويسبر) فيشعر بي قبل أن أصل إليه بميلٍ، حتى الفتاة الـ(تيلكي) الصغيرة تقدر على التغلب عليَّ إذا ساء الوضع، إذن أحتاج إلى أن أكون أسرع من ذي قبل، أذكى من ذي قبل، والأصعب أكثر حظًا، يقودني هذا إلى الجنون. من حسن الحظ أن لا أحد يهتم بخادمة حمراء أخرى، حشرة تتجول تحت أقدام آلهة.

أعود إلى الميدان، ذراعاي متدليتان بجانبي، هذه طريقتي في أغلب الأوقات، أتحرك خلال أكثر المناطق ازدحامًا بين الناس، وأترك يدي تمسك بحقائب وجيوب مثل خيوط العنكبوت التي تمسك بالذباب. لست غبية لأجرب هذا هنا، بدلًا من ذلك أتبع الزحام حول الميدان. الآن لا تعميني الأشياء المدهشة حولي وأنظر أبعد منها إلى الشقوق بينهم وضباط الأمن تحت كل ظلٍّ. ويظهر عالم (الفضيين) المستحيل بتركيزٍ أكبر. بالكاد ينظر (الفضيون) بعضهم إلى بعضٍ، لا يبتسمون، تبدو الفتاة ضجرة وهي تطعم حيوانها الغريب وحتى التجار لا يساومون. الحُمر فقط يبدون أحياء، يسرعون حول الرجال والنساء الذين يتحركون بثقلٍ وبطء، أصحاب الحيوات الأفضل، رغم الحرارة والشمس واللافتات اللامعة لم أرَ مكانًا باردًا كهذا من قبل.

وأكثر ما يقلقني هو كاميرات المراقبة السوداء المخفية بين الظلال في الأزقة. هناك القليل فقط في القرية عند نقاط الأمن وحلبة القتال، ولكنها في كل مكان في السوق، أستطيع سماع طنينها كأنها تطلق تحذيرًا شديدًا أن شخصًا ما يراقب كل شيء.

يأخذني الزحام إلى الجادة الرئيسية، مارّة بالحانات والمقاهي، يجلس (الفضيون) على بارات خارجية ويشاهدون المارة بينما يستمتعون بمشروبهم الصباحي. البعض منهم يشاهد الشاشات المعلقة في أقواس، كلُّ منها تعرض شيئًا مختلفًا، تتراوح بين مباريات الحلبات والأخبار والبرامج البراقة التي لا أفهمها؛ فكلهم يتداخلون مع بعض في رأسي. يطن ضجيج الشاشات العالي وأزيز الكهرباء البعيد في أذني، لا أعلم كيف يتحمّلون ذلك، (الفضيون) لا يرمشون أمام الفيديوهات، بالكاد يعيرونها أي اهتمام.

تلقي قاعة الشمس بظلالٍ لامعة فوقي، وأجد نفسي أحدق إليها في دهشة طفولية مرة أخرى. أخرجني منها صوت طنين رتيب، بدا كصوت جرس حلبة القتال في بداية المباريات، ولكنه مختلف، منخفض وأثقل بطريقة ما، ومن دون تفكير ألتفت تجاه الصوت.

تومض كل الشاشات في نفس الوقت لتبث نفس البرنامج، لم يكن خطابًا ملكيًا، بل نشرة أخبار، حتى (الفضيون) توقفوا لرؤيتها في صمتٍ مفاجئ. يتوقف الصوت ويبدأ التقرير، تظهر على الشاشة امرأة ذات شعر أشقر مزغب -من دون شكٍّ فضية- وتقرأ من ورقة أمامها في خوفٍ.

«فضيي (نورتا)، نعتذر عن هذه المقاطعة، منذ ثلاث عشرة دقيقة، حدث هجوم إرهابي في العاصمة».

يشهق (الفضيون) حولي وينفجرون في همهمات فزعٍ، كل ما فعلته هو الرمش، هجوم إرهابي؟ على (الفضيين)؟ هل هذا ممكن؟

«كان تفجيرًا منظمًا لمبانٍ حكومية في غرب (أركيون)، وهي وفقًا للتقارير المحكمة الملكية ومبنى الخزانة وقصر (وايتفاير)، وكانت المحكمة ومبنى الخزانة فارغين هذا الصباح».

تتغير الصورة لتظهر المباني المحترقة ويقوم ضباط الأمن بإخلاء الناس بينما يقذف بعض الحوريين الـ(نيمف) المياه تجاه النار ويهرع المعالِجون -المميزون بصليبٍ أسود وأحمر على أذراعتهم- ذهابًا وإيابًا بينهم.

«لم يكن أي من أعضاء العائلة الملكية بداخل قصر (وايتفاير)، ولا توجد أخبار أخرى عن أي ضحايا حتى الآن، ومن المتوقع أن يقوم الملك (تايبرياس) بمخاطبة الأمة في غضون ساعة».

يقوم فضي بجانبي بإحكام قبضته والضرب على الطاولة ويسببُ شقوقًا خلال الحجر العلوي، لا بد أنه (سترونج أرم).

«إنهم (اللايكلاندريون)! يخسرون في الشمال فيريدون إخافتنا هنا في الجنوب!» يقوم البعض بالهتاف معه ولعْن (اللايكلاند).

«يجب أن نقوم بإبادتهم ونضغط للأمام طوال الطريق حتى المراعي» يقول فضي آخر.

ويهتف الكثير بالموافقة، أستغرق كل قواي حتى لا أصرخ في كل هؤلاء الذين لن يروا الجبهة الأمامية أبدًا أو يرسلوا أولادهم إلى القتال، حربهم الفضية يدفع ثمنها (الحمر) بدمائهم.

جزءٌ مني يشعر بالسعادة بينما تظهر الصور متتالية لواجهة مبنى المحكمة الرخامية وهي تتفجّر وتتحوّل إلى غبارٍ وجدار من الزجاج الألماسي يقاوم كرة من اللهيب، ف(الفضيون) ليسوا محصّنين، لديهم أعداء، أعداء يقدرون على أذيتهم، ولأول مرة لا يختبئون خلف درعٍ من الحُمر.

تعود مذيعة الأخبار ووجهها أكثر شحوبًا من قبل، بينما يهمس إليها شخصٌ من خلف الكاميرا فتقلّب أوراقها بيدٍ ترتجف.

«يبدو أن منظمة ما أعلنت مسؤوليتها عن تفجيرات (أركيون)»، تقول وتتعثّر قليلًا. يهدأ صياح الرجال سريعًا في لهفة على سماع حديث المذيعة.

«جماعة إرهابية تدعو نفسها الحرس القرمزي نشرت هذا المقطع المصور منذ عدة دقائق».

«الحرس القرمزي؟»

«من هؤلاء...؟»

«هل هذه خدعة ما؟»

ترتفع أسئلة الحائرين حول الطاولات، فلم يسمع أحدٌ عن الحرس القرمزي من قبل، ولكني سمعت هذا الاسم.

هذا ما دعت به (فارلي) نفسها، هي و(ويل)، ولكنهما مجرد مهربين، ليسا بمفجِّرين وإرهابيين وهذا الذي تقوله المذيعة، هذه صدفة، لا يمكن أن يكونا هما.

يجذب انتباهي مشهدٌ مروعٌ على الشاشة، امرأة تقف أمام كاميرا مهتزة، تلف وشاحًا أحمر حول رأسها بحيث لا يظهر منها غير شعرها الذهبي وعينيها الزرقاوين اللتين تلمعان بالحماس، تمسك بإحدى يديها مسدسًا وبالأخرى تمسك علمًا أحمر مهترئًا، وعلى صدرها تعلق شارة على شكل شمس ممزقة.

«نحن الحرس القرمزي، ندافع عن الحرية والمساواة بين البشر...» تقول المرأة، وأتعرَّف على صوتها، (فارلي)، «بدايةً بـ(الحمر)».

لا أحتاج إلى ذكاءٍ خارقٍ لأدرك أن مكانًا مليئًا بفضيين غاضبين وعنيفين هو آخر مكان يناسب فتاة حمراء، لكنني لا أستطيع التحرك، لا أستطيع إزاحة نظري من على وجه (فارلي).

«تعتقدون أنكم سادة العالم، ولكن حكمكم كملوك وآلهة على وشك الانتهاء، حتى تعترفوا بنا كبشرٍ مساوين لكم، سنجلب القتال إلى أبوابكم، ليس في حلبات معارك، بل في مدنكم، في شوارعكم، في بيوتكم. لا ترونا، ولكننا في كل مكان» يمتلئ صوتها بالسلطة والرزانة، «وسننهض، أحمر مثل الفجر».

أحمر مثل الفجر.

ينتهي المقطع، وتعود الصورة للشقراء ذات الفك المتراخي، تغطي صيحات (الفضيين) الذين وجدوا أصواتهم بقية النشرة. يصرخون بـ(فارلي) ويدعونها إرهابية وقاتلة وشيطانًا أحمر. وقبل أن تجدني أعينهم أنسحب عائدة للشارع، لكن بطول الجادة من الميدان حتى القاعة يخرج (الفضيون) من كل حانة ومقهى، أحاول أن أخلع السوار الأحمر من يدي، ولكن الشيء الأحمق مثبت بقوة. يختبئ (الحمر) داخل الحارات والأبواب في محاولة للهرب وأتصرف بذكاءٍ وأفعل مثلهم، وبمجرد أن عثرت على زقاقٍ بدأ الصراخ.

وعكس كل حواسي أنظر فوق كتفي لأجد رجلًا أحمر معلقًا في الهواء من رقبته، يتوسل إلى مُهاجمه الفضي: «أرجوكَ، لا أعرف من هؤلاء الناس!».

«من هم الحرس القرمزي؟» يصيح الفضي في وجهه، وأتعرَّف عليه، كان واحدًا من الـ(نيمف) الذين كانوا يلعبون مع الأطفال منذ نصف ساعة فقط.

- من هم؟

وقبل أن يجيب الأحمر، يضربه بدفقة من المياه أقوى من ضربة المطرقة. يرفع الـ(نيمف) يده وتضرب الرجل المياه مرة أخرى، يتجمَّع (الفضيون) حول المشهد ويضحكون في مرحٍ ويهتفون في تشجيعٍ. يلهث الأحمر ويبصق المياه محاولًا التنفس، يعلن براءته مع كل ثانية أخرى تمرُّ، ومع ذلك تتدفق المياه. لا يظهر الـ(نيمف) أيَّ نية للتوقف بعينين مليئة بالكره، يسحب المياه من كل نافورة ومن كل كوب ويمطر به الرجل مرة بعد مرة، يقوم الـ(نيمف) بإغراقه.

أتخذ المظلة الزرقاء كمنارة لي ترشدني خلال الشوارع بينما أتفادى (الحمر) و(الفضيين) بالمثل. في العادة تكون الفوضى صديقتي المفضلة فتجعل عملي كلصة أسهل بكثيرٍ، فلا يلاحظ أي أحد أن حقيبته مفقودة إذا كان يهرب من الزحام، لكن لم يعد (كيلورن) وألفان كراون أولويتي الأولى، فلا أقدر على التفكير إلا في إحضار (جيسا) والخروج من المدينة التي على وشك أن تصبح سجنًا إذا أغلقوا البوابات، لا أريد التفكير في الاحتجاز هنا خلف الزجاج والحرية على بعد خطوات.

يركض ضباط الأمن ذهابًا وإيابًا في الشارع لا يعلمون ما يفعلون، أو مَن يحمون، بعض منهم يجمعون الحُمر ويجبرونهم على الركوع وهم يرتجفون ويتوسلون ويقولون مرارًا إنهم لا يعرفون شيئًا. أراهن أنني الوحيدة في المدينة بأكملها التي سمعت عن الحرس القرمزي اليوم، وهذا يرسل طعنة صغيرة من الخوف داخلي. إذا تم اعتقالي، إذا قلت لهم عن القليل الذي أعرفه، فماذا سيفعلون بعائلتي؟ وبـ(كيلورن)؟ وبـ(الستيلتز)؟

لا يمكنهم الإمساك بي؟

أختبئ في الأكشاك وأركض بأسرع ما يمكن، تحوَّل الشارع الرئيسي إلى منطقة حرب، لكني أبقي نظري إلى الأمام تجاه المظلات الزرقاء في آخر الميدان. أمرُّ بمتجر الجواهر وأتمهَّل؛ فقطعة واحدة فقط قد تنقذ (كيلورن)، لكن بتوقفي هذه الثانية، يخدش وجهي وابلٌ من الزجاج المكسور، يحدق إليَّ (تيلكي) من الجانب الآخر من الشارع ويستهدفني مجددًا، لا أعطيه الفرصة وأركض. أتزحلق تحت الستائر والأكشاك وذراعاي ممدودتان حتى أعود إلى الميدان. تنسكب مياه تحت قدمي بينما أركض نحو النافورة ثم تضربني موجة زرقاء من الجانب وأسقط في المياه المموجة. لم تكن مياه النافورة عميقة، لا أكثر من قدمين في العمق، ولكن يتحول الماء كأنه فولاذ لا أستطيع الحركة أو السباحة ولا أستطيع التنفُّس، وبالكاد أقدر على التفكير. يصرخ عقلي: (نيمف)، وأتذكر الرجل الأحمر المسكين في الجادة وهو يغرق واقفًا. ترتطم رأسي بالأرض الحجرية وأرى نجومًا وشرارًا قبل أن يصفو نظري. يشعر كل أنش من جلدي بالكهرباء. يتحرك الماء حولي ويصير طبيعيًّا وأطفو إلى سطح النافورة، يسرع الهواء داخل رئتي صارخًا، ويحرق حلقي وأنفي، ولكن لا أهتم؛ أنا حية.

تمسك يدان صغيرتان قويتان ياقتي محاولة سحبي من النافورة، (جيسا)، تدفع قدماي الأرض ونسقط معًا خارج النافورة.

«يجب أن نرحل» أصيح بينما أحاول الوقوف.

بدأت (جيسا) في الركض أمامي تجاه بوابات الحديقة.

«كم أنتِ سريعة البديهة!» تقول وهي تنظر إليَّ من خلف كتفها.

لا أقدر على منع نفسي من النظر إلى الميدان، ينتشر به حشدٌ من (الفضيين) ويبحثون في الأكشاك بنهم الذئاب. تنكمش القلة الباقية من (الحمر) على الأرض ويتوسلون من أجل حياتهم، ويطفو رجلٌ ذو شعرٍ برتقالي فوق مياه النافورة ووجهه نحو الأسفل.

يرتعد جسدي، وكل أعصابي تحترق بينما نركض إلى البوابة، تمسك (جيسا) بيدي وتدفع بنا خلال الزحام.

«عشرة أميال للبيت» تتمتم (جيسا)، «هل حصلتِ على ما تحتاجين إليه؟».

يكسرني ثقل خجلي وأنا أهز رأسي نفيًا، لم يكن هناك وقتٌ كافٍ، بالكاد وصلت إلى الجادة عندما أُذيع الخبر؛ لم يكن بمقدرتي فعل أي شيء.

تتحوَّل ملامح (جيسا) إلى العبوس: «سنجد حلًا» تقول في صوتٍ يائسٍ مثلي.

لكن البوابة تظهر في الأفق، وتقترب أكثر مع كل ثانية تمرُّ، وتملؤني بالرعب، بمجرد مروري وخروجي منها سيرحل (كيلورن).

ولهذا أظنها فعلت ما فعلت.

قبل أن أوقفها، أمسك بها، أو أدفعها بعيدًا، تنزلق يد (جيسا) الماهرة داخل حقيبة شخصٍ ما، لم يكن أي شخص، كان فضيًّا هاربًا، ذا عينين رصاصية وأنف حاد وكتفين مضلعتين، كل ما به يصرخ «لا تعبث معي».

ربما تكون (جيسا) فنانة بما يتعلق بالإبرة والخيط، ولكنها ليست بسارقة جيوب، يستغرق الأمر ثانية ليدرك الفضي ما يحدث ثم يمسك بـ(جيسا) شخصٌ ما ويرفعها في الهواء.

هو نفس الفضي، هناك اثنان، توأمان؟

«ليس من الحكمة البدء في سرقة جيوب (الفضيين)» يقول التوأمان في نفس الوقت ثم أصبحا ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة يحيطون بنا وسط الزحام، إنه يتضاعف، هذا مستنسخ (كلونر).

«لم تقصد أي أذى؛ هي مجرد طفلة حمقاء...».

«أنا مجرد طفلة حمقاء!» تصيح (جيسا) وتحاول الإفلات من قبضة الفضي المستنسخ.

يضحكون معًا في صوتٍ مرعبٍ.

أندفع تجاه (جيسا) وأحاول أن أخلِّصها منه، لكنَّ مستنسخًا آخر يدفعني إلى الأرض، وتدفع الأرض الحجرية بالهواء خارج رئتي وأشهق بينما أشاهد في عجزٍ مستنسخًا آخر يضع قدمه فوق معدتي ليثبتني مكاني.

«أرجوك...» أقول بصوتٍ مبحوحٍ ولكن لم يسمعني أحدٌ. يزداد الطنين في رأسي بينما تتحرك كل كاميرا وتنظر تجاهنا. أشعر بالكهرباء مرة أخرى هذه المرة من الخوف على أختي.

يتجه ضابط أمن -الذي أدخلنا من البوابة في الصباح- سريعًا إلينا وفي يده سلاحه: «ما كل هذا؟» يسأل وهو ينظر تجاه المستنسخين.

وواحد تلو الآخر يتداخلون معًا حتى يعود عددهم إلى اثنين: الذي يمسك ب(جيسا) والذي يثبتني أرضًا.

«هي لصة» يقول الذي يمسك بـ(جيسا) ويهزها، لا تصرخ من أجل كرامتها.

يتعرّف عليها الضابط ويعبس وجهه للحظة، «تعرفين القانون يا فتاة».

تنظر (جيسا) إلى أسفل وتقول: «أعرف القانون».

أقاوم قدر استطاعتي محاولة إيقاف ما على وشك الحدوث، يتهشم زجاج شاشة بالقرب منّا بسبب الشغب، ولا يتوقف الضابط، يمسك بأختي ويدفعها إلى الأرض، أصرخ وينضم صوتي إلى الفوضى، «كانت أنا! كانت فكرتي، عاقبني أنا»، ولكنهم لا يستمعون ولا يهتمون.

كل ما قدرت على فعله هو المشاهدة بينما يثبت الضابط أختي على الأرض، وعيناها في عينيَّ، ثم يضرب الضابط بمؤخرة سلاحه يدها مهشمًا عظام اليد التي تحيك بها.

الفصل الخامس

سيجدني (كيلورن) أينما ذهبت، لذا أواصل الحركة، أركض كأني سأسبق ما فعلته بـ(جيسا) وخذلاني لـ(كيلورن) وكل ما دمرته. ولكن مهما ركضت لم أهرب من نظرة أمي عندما أوصلت (جيسا) إلى باب المنزل. رأيت ظل اليأس يمرُّ خلالها وركضت قبل أن يرانا أبي، لم أقدر على مواجهتهما معًا؛ أنا جبانة.

لذا أركض حتى لا أفقد قدرتي على التفكير، حتى تختفي كل ذكرى، وكل ما أشعر به هو حرقة عضلاتي، وأقنع نفسي أن الدموع على وجهي هي المطر. عندما أبطئ أخيرًا لألتقط أنفاسي، أجد نفسي خارج القرية، على بعد عدة أميال من الطريق الشمالي المروع.

تمر الأضواء بين الأشجار وتنير حانة، واحدة من الكثير في هذه الطرق القديمة، مزدحمة مثل كل صيف، مليئة بالخدم وعمال الموسم الذين يتبعون بلاط الملك. لا يقيمون في (الستيلتز)؛ فلا يتعرفون على وجهي، لذا هم فريسة سهلة للسرقة. أفعل هذا كل صيف، ولكن دائمًا يكون معي (كيلورن) ويبتسم بينما يشرب مشروبًا ما ويشاهدني أعمل، لا أعتقد أنني سأرى هذه الابتسامة لفترة طويلة.

تعلو صوت ضحكات بعض الرجال، يخرجون من الحانة مرحين وسكارى، وحقائب النقود تصلصل، ثقيلة بأجر اليوم، نقود (الفضيين) مقابل خدمتهم مبتسمين راكعين أمام الوحوش التي ترتدي ملابس السادة. لقد سببت أذى كبيرًا اليوم، أذيت من أحب أكثر من أي شيء، يجب أن أعود إلى المنزل وأواجه الجميع بشجاعة على الأقل، لكن بدلًا من ذلك، أستقر تحت ظلال الحانة، راضية بالبقاء في الظلام.

أظن أن إلحاق الألم هو كل ما أجيد فعله.

لا يتطلب ملء جيوب معطفي وقتًا طويلًا، يخرج السكارى كل عدة دقائق وأقترب منهم مبتسمة لأبعد الانتباه عن يدي، لا أحد يلاحظ ولا أحد يهتم عندما أختفي مرة أخرى؛ أنا ظلٌ ولا أحد يتذكر ظلًا. يأتي منتصف الليل ويرحل وما زلت أقف، يذكّرني القمر المضيء فوقنا بالوقت، بكم مضى منه منذ رحيلي، «جيب أخير» أقول لنفسي، واحد أخير وسأذهب، أقول هذا طوال الساعة السابقة.

لا أفكر عندما يخرج زبون آخر عيناه مثبتتان إلى السماء ولا يلاحظني. كان سهلًا أن أمد يدي وأعلق خيوط حقيبة النقود على أصابعي، كان يجب أن أدرك بهذا الوقت أن لا شيء هنا سهلٌ، لكنَّ الشغب وعيني (جيسا) الفارغتين جعلوني حمقاء من الحزن.

تغلق يده حول معصمي، قبضته قوية ساخنة بطريقة غريبة، تسحبني خارج الظلال، أحاول المقاومة والإفلات والهروب، ولكنه كان قويًا. عندما يواجهني، تخيفني نيران في عينيه، نفس الخوف الذي شعرت به هذا الصباح، ولكني أرحب بأي عقاب يستدعيه؛ أستحقه كله.

«لصة» يقول ودهشة غريبة في صوته.

أغلق عينيَّ، وأقاوم الرغبة في الضحك، ليس لديَّ القوة حتى للاعتراض.

«هذا واضح».

يحدق إليَّ ويدقق بكل شيء من وجهي إلى حذائي المهترئ، جعلتني نظراته أتلوى، بعد فترة طويلة، يتنهد ويتركني، كل ما أفعله هو التحديق إليه في ذهول. وعندما تدور عملة فضية في الهواء، بالكاد أستوعب وألتقطها. (تيترارك) فضي قيمته كروان كامل، أكثر من كل النقود المسروقة في جيبي.

«لا بد أن هذا يكفي ليبقيكِ سعيدة» يقول قبل أن أنبس بكلمة. في ضوء الحانة تلمع عيناه باللون الأحمر الذهبي، لون الدفء. أعوامي التي قضيتها في تقدير الناس لم تخذلني. شعره الأسود يلمع بشدة، وبشرته شاحبة للغاية ليكون أي شيء غير خادمٍ، لكن بنيته الجسدية تشبه بنية قاطع الأخشاب، بكتفيه العريضتين وساقيه القويتين. هو شاب، أكبر مني

بقليلٍ في العمر، مع أنه ليس بالثقة الكافية التي يكون عليها أصحاب التاسعة عشرة أو العشرين.

يجب عليَّ أن أُقبِّل حذاءه لتركي وإعطائي هدية كهذه، لكن فضولي يغلبني كما يفعل دومًا.

«لماذا؟» تخرج كلمتي حادة وقاسية، بعد يوم كهذا كيف أكون أي شيء غير؟

يفاجئه سؤالي ويهز كتفيه: «تحتاجين إليه أكثر مني».

أريد إلقاء العملة في وجهه، أن أقول له إنني أستطيع الاهتمام بنفسي، لكن جزءًا مني يعرف أفضل، ألم تتعلمي شيئًا من هذا اليوم؟

«شكرًا» أجبر نفسي على قولها وأجز على أسناني.

يسخر من ترددي في الاعتراف بالجميل، نوعًا ما، «لا تؤذي نفسك» ثم يتحرك مقتربًا مني، هذا أغرب شخصٍ قابلته: «تعيشين في القرية أليس كذلك؟

«نعم» أجيبه وأشير إلى نفسي. شعري الباهت وملابسي المتسخة وعيناي المهزومتان، فأي مكان آخر يمكن أن أعيش فيه؟ يقف أمامي في تباين واضح؛ فقميصه نظيف وأنيق، حذاؤه من الجلد الناعم اللامع، أحدق إليه بينما يعبث بياقته، أسبِّب له التوتر.

يزداد شحوبه تحت ضوء القمر وعيناه مشتتة، «هل تستمتعين بها؟» يسألني، «الحياة هناك؟».

أكاد أضحك من سؤاله، ولكن لا يبدو مازحًا، «هل يستمتع بها أي أحد؟» أجيبه أخيرًا، وأتساءل ما هي لعبته؟

لكن بدلًا من الرد السريع في حدة كما يفعل (كيلورن)، يبقى صامتًا، وتعبر وجهه نظرة غامضة، «هل أنت في طريقك للعودة؟» يسأل فجأة مشيرًا إلى الطريق.

«لماذا؟ هل تخاف من الظلام؟» أقول في سخرية وأعقد ذراعي أمام صدري، لكن في قرارة نفسي أتساءل هل يجب أن أخاف؟ هو قوي وسريع وأنا وحيدة هنا.

تعود ابتسامته وأتفاجأ بالراحة التي تشعرني بها، «لا، لكن أريد أن أتأكد أن تبقي يديكِ لنفسك لآخر الليلة، لا يمكننا تركك تحرمين نصف رواد الحانة من المأوى، أليس كذلك؟ أنا (كال)، بالمناسبة» يقول ويمد ذراعه للمصافحة.

لا أصافحه؛ تذكرت حرارة جلده الحارقة، بدلًا من ذلك، أبدأ في التحرك بخطواتٍ سريعة وهادئة، «(ماير بارو)» أقول له من فوق كتفي، ولا يستغرق وقتًا ليتبعني بسيقانه الطويلة.

«إذن هل أنتِ مرحة هكذا طوال الوقت؟» يقول في سخرية، وأشعر لسببٍ ما أنه يتفحصني، لكن العملة الفضية في يدي تبقيني هادئة؛ فتذكرني بما يوجد في جيوبه، فضة من أجل (فارلي)، كم هو مناسب!

«يبدو أن أسيادك يدفعون لك جيدًا لتحمل (كروانات) كاملة» أقول في حدة أملًا في منعه من الاستطراد في الحديث، أنجح بشكلٍ رائعٍ، ويتراجع عن كلامه.

«لديَّ عملٌ جيدٌ» يشرح لي محاولًا تجاهل الأمر.

«هذا يجعل واحدًا فينا لديه عمل».

«ولكنك...».

«في السابعة عشرة» أكمل نيابة عنه، «ما زال لديَّ وقتٌ قبل التجنيد».

يضيق عينيه، ويضم شفتيه في خطٍّ رفيعٍ، ويحل على صوته شيء قاسٍ، يجعل كلماته أكثر حدة، «كم لديكِ من الوقت؟».

«أقل مع كل يوم يمرُّ» مجرد قول هذا يؤلمني من الداخل، و(كيلورن) لديه أقل مني، تتلاشى كلماته ثم يحدق إليَّ مجددًا، يدرسني بينما نمرُّ بالغابات ويفكر.

«ولم يعُد هناك وظائف» يهمهم لنفسه أكثر من لي، «لا طريق أمامك لتجنب التجنيد».

يحيِّرني ارتباكه، «ربما الأمور مختلفة في موطنك».

«لذلك تسرقين».

أسرق، «هذا أفضل ما أقدر عليه» تسقط الكلمات من فمي، وأتذكر مرة أخرى أن إلحاق الألم هو أفضل ما أفعله. «أختي لديها وظيفة» أقول قبل أن أتذكر، لا ليس لديها، ليس بعد الآن، بسببي.

يشاهدني (كال) بينما أتصارع مع الكلمات، أتساءل إذا كنت سأصححها، يتطلب كل قوتي إبقاء ملامحي ثابتة، ومنع نفسي من الانهيار كليًّا أمام شخص غريب، ولكن لا بد أنه يرى ما أحاول فعله.

«هل كنتِ في قاعة الشمس اليوم؟» أظنه يعرف الإجابة مسبقًا، «كان الشغب رهيبًا».

«كان كذلك» أقول، وأكاد أختنق بالكلمات.

«هل...» يضغط بأكثر طريقة هادئة ومطمئنة كأنه يحفر ثقبًا في سدٍّ ويندفع خلاله كل شيء، لم أقدر على منع الكلمات حتى إذا أردت.

لا أذكر (فارلي) أو الحرس القرمزي أو حتى (كيلورن)، فقط أن أختي أدخلتني الحديقة الكبيرة لمساعدتي على سرقة المال الذي نحتاج إليه للبقاء، ثم جاءت غلطتها وإصابتها وكل ما تعنيه بالنسبة إلينا، ما فعلت لعائلتي، وكل ما كنت أفعله، أخيب أمل أمي وأسبِّب الإحراج لأبي وأسرق من الناس الذين أدعوهم مجتمعي. هنا في الطريق ولا شيء سوى الظلام حولي أخبر الغريب كم أنا سيئة، لا يسألني حتى عندما لا أبدو منطقية، يستمع فقط.

«هذا أفضل ما أقدر عليه» أقول مرة أخرى قبل أن ينهار صوتي كليًّا.

ثم يلمع ضوءٌ فضي في جانب عيني، هو يحمل عملة أخرى، في ضوء القمر أرى رسم تاج الملك المتوهج مطبوعًا على العملة، عندما يضعها في يدي أتوقع أن أشعر بالحرارة مرة أخرى، ولكنها أصبحت باردة.

لا أريد شفقتك، أريد الصراخ، ولكن سيكون هذا فعلًا أحمق مني، ستبتاع العملة ما لا تستطيع (جيسا) شراءه بعد الآن.

«أنا آسف على حالك يا (ماير)، ليس من المفترض أن تكون الأحوال هكذا».

لا أقدر حتى على العبوس، «هناك أحوالٌ أسوأ للحياة؛ لا تشعر بالأسف لأجلي».

يتركني عند حدود القرية، وأعبر (الستيلتز) عائدة إلى منزلي وحدي، شيء ما متعلق بالوحل والظلال يجعل (كال) منزعجًا ويختفي قبل أن تتاح لي فرصة لشكر الخادم الغريب.

البيت مظلم وهادئ ومع ذلك أرتعد في خوفٍ كأن أعوامًا مضت منذ أحداث هذا الصباح، جزءًا من حياة أخرى، كنت بها حمقاء وأنانية وربما حتى سعيدة قليلًا، الآن ليس لديّ إلا صديق مجند وأخت بعظام محطمة.

«لا يجب أن تقلقي والدتك هكذا» دوى صوت أبي من خلف أحد الأعمدة الخشبية، لم أره في الخارج منذ أعوامٍ لا أتذكرها.

يعلو صوتي في مفاجأة وخوفٍ: «أبي؟ ماذا تفعل؟ كيف...».

يشير أبي بأصبعه خلف كتفه تجاه ماكينة البكرة للرفع المتدلية من المنزل، ولأول مرة استعملها.

«انقطعت الكهرباء، ففكرت أن ألقي نظرة» يقول بصوتٍ أجش أكثر من ذي قبل، يتحرك بكرسيه مارًّا بجانبي تجاه صندوق الخدمات المثبت في مواسير بالأرض، كل منزلٍ لديه واحد لتنظيم الكهرباء التي تبقي الأنوار مضاءة.

يصدر أبي صفيرًا وصدره يطقطق مع كل نفس، هل أصبحت (جيسا) مثله الآن؟ يدها فوضى من المعدن وعقلها محطم ومرير من التفكير فيما كان من الممكن أن يكون.

«لِمَ لا تستخدم بطاقة الكهرباء التي أحضرتها إليك؟».

يُخرج أبي بطاقة الكهرباء إجابة عن سؤالي ويغذي بها الصندوق، في العادة يعود الشيء للحياة، ولكن لم يحدث هذا الآن، معطوبة.

«لا فائدة» يتنهد أبي ويسند ظهره إلى كرسيه، نحدق معًا إلى الصندوق، لا يوجد ما نقوله، ولا نريد التحرك، لا نريد العودة إلى المنزل. يهرب أبي مثلي، لا يقدر على البقاء في المنزل، حيث تبكي أمي بالتأكيد لما حدث لـ(جيسا) وفقدان أحلامها بينما تحاول (جيسا) نفسها ألا تنضم إليها.

يضرب أبي على الصندوق كأن هذا سيجلب الضوء والدفء فجأة ويعيد إلينا الأمل، تصبح حركته أكثر توترًا ويأسًا ويشع منه الغضب، ليس مني أو من (جيسا) بل من العالم. منذ زمن طويلٍ كان يدعونا بالنمل، نمل أحمر يحترق تحت ضوء الشمس الفضية، تُدمرنا عظمة الآخرين ونخسر معركة الحفاظ على حقوقنا لمجرد أننا غير مميزين. لم نتطور مثلهم، ليس لدينا قوى وقدرات تفوق خيالنا المحدود، بقينا على نفس الحال، راكدين في أجسادنا، تَغير العالم من حولنا وبقينا كما نحن.

أصبح الغضب داخلي أيضًا، ألعن (فارلي) وتجنيد (كيلورن) وكل شيء صغير أقدر على التفكير فيه. الصندوق المعدني بارد الملمس، بعدما فقد دفء الكهرباء منذ مدة طويلة، ولكن ما زال هناك ذبذبات في عمق الآلة تنتظر أن تعود للعمل. أفقد نفسي في محاولة إيجاد الكهرباء وإعادتها وإثبات أن شيئًا صغيراً واحدًا يمكن إصلاحه في عالمٍ فاسدٍ. يقابل شيء حاد أطراف أصابعي ويجعل جسدي يرتد، أقول لنفسيٍ إنه سلكٌ عارٍ أو مفتاح معطوب، أشعر به كأنه وخز إبرة تخترق أعصابي، لكن الألم لم يؤثر بي، فوقنا ضوء الشرفة يطن ويعود للحياة.

«انظري إلى هذا» يتمتم أبي، يدور في الوحل بكرسيه ويعود إلى البكرة. أتبعه في هدوء، لا أريد أن أذكر السبب الذي يجعلنا نخاف من المكان الذي ندعوه بيتنا.

«لا هروب بعد الآن» يهمس وهو يربط نفسه في ماكينة البكرة.

«لا هروب بعد الآن» أوافق من أجلي أكثر من أن يكون من أجله.

تصدر الماكينة صريرًا بسبب الحِمل بينما ترفع أبي إلى الشرفة، أصِل أسرع باستخدام السلم؛ فأنتظره في الأعلى وأساعده على الانفصال عن الماكينة.

«هذا الشيء لعنة» يزمجر أبي بينما أفك آخر حزام.

«ستسعد أمي لأنك خرجت من المنزل».

ينظر إليّ في حدة ويمسك بيدي، رغم أن أبي لا يعمل كثيرًا الآن، يصلح بعض الحلي والمنحوتات للأطفال، فإن يديه لا تزال خشنة وقاسية كأنه للتوّ عاد من الجبهة الأمامية، الحرب التي لم يتركها أبدًا.

«لا تخبري والدتك».

«ولكن...».

«أعلم أن الأمر يبدو تافهًا، ولكنه كافٍ، ستعتقد أنها خطوة صغيرة في رحلة كبيرة، أترين؟ في الأول أخرج من المنزل في الليل، ثم خلال النهار، ثم أتجول معها في السوق مثل منذ عشرين عامًا سابقًا، ويعود كل شيء إلى سابق عهده» تظلم عيناه بينما يتكلم، يقاتل كي يبقي صوته متزنًا وهادئًا. «لن أتحسَّن أبدًا يا (ماير)، لن أشعر بشعورٍ أفضل، لا يمكنني تركها تأمل في ذلك، ليس وأنا أعرف أنه لن يحدث قطُّ، هل تفهمين؟».

أفهم جيدًا يا أبي.

يعلم ما فعله الأمل بي ويخفف الأمر، «أتمنى أن تكون الأمور مختلفة».

«كلنا نتمنى ذلك».

رغم الظلال، أستطيع رؤية يد (جيسا) المكسورة عندما أصعد إلى أعلى، في العادة تنام متكورة على نفسها تحت غطاء خفيف، لكن الآن تستلقي على ظهرها، وترفع ذراعها المصابة فوق كومة من الملابس. أصلحت أمي جبيرتها وحسَّنت من محاولتي المتواضعة في المساعدة، والأضمدة جديدة. لا أحتاج إلى الضوء لأرى يدها المسكينة سوداء مليئة بالكدمات، لكن ذراعها ثابتة في مكانها؛ فحتى في أثناء نومها تؤلمها.

أريد أن أتواصل معها، ولكن كيف أعوضها عن أحداث اليوم الرهيبة؟

أخرج رسالة (شايد) من الصندوق الصغير الذي أحتفظ فيه بكل رسائله، إن لم يفعل شيئًا آخر فعلى الأقل سيهدئني، مزاحه، كلماته، صوته المحبوس في الورقة يريحني دومًا، ولكن بينما أفحص الرسالة مرة أخرى، يزداد شعور بالرهبة في معدتي.

«أحمر مثل الفجر...» يقول في الرسالة، ها هي، واضحة مثل الأنف على وجهي، كلمات (فارلي) من مقطع الفيديو. صيحة الحرس القرمزي التشجيعية، بخط أخي. الجملة غريبة إلى درجة لا يمكن تجاهلها، مميزة للغاية، والجملة التالية «أرى الشمس تشرق أقوى...» أخي ذكي وعملي، لا يهتم بالشروق والفجر واختيار الكلمات بأسلوب جمالي ذكي. تتردد كلمة ننهض داخلي، لكن بدلًا من صوت (فارلي)، أسمع صوت أخي، سننهض، أحمر مثل الفجر.

بطريقة ما، علم (شايد) قبل التفجير بأسابيع وقبل فيديو (فارلي)، علم (شايد) بأمر الحرس القرمزي وحاول أن يقول لنا، لماذا؟

لأنه واحدٌ منهم.

الفصل السادس

لا أخاف عندما يدوي صوت طرقات على الباب في الفجر، التفتيش الأمني طبيعي هنا، رغم أننا نمرُّ بواحدٍ أو اثنين فقط كل عام، فهذا سيكون الثالث.

«هيا يا (جي)» أتمتم وأساعدها على النهوض من فراشها ونزول السلم. تتحرك بصعوبة وتستند إلى ذراعها السليم، تنتظرنا والدتنا في الأسفل. تحتضن (جيسا) ولكن عيناها مثبتة عليَّ، ولدهشتي، لا تبدو غاضبة أو حتى خائبة الأمل، بدلًا من ذلك، تنظر إليَّ في عطفٍ.

ينتظر ضابطان أمن عند الباب، أسلحتهما معلقةٌ بجانبهما، لكن هناك شخصًا آخر، شابة ترتدي الأحمر وشارة التاج ذي الألوان الثلاثة فوق قلبها، خادمة ملكية، حمراء تخدم الملك، وأدرك أن هذا ليس تفتيشًا عاديًا.

«نقدم أنفسنا للتفتيش والضبط» قال أبي الكلمات المفترض أن يقولها كل مرة نمرُّ فيها بذلك، لكن بدلًا من التفرق لتفتيش كل جزء في المنزل، يقف الضابطان في ثباتٍ، تتقدم الشابة إلى الأمام ولذعري توجه كلامها إليَّ.

«(ماير بارو)، تم استدعاؤك إلى (سمرتون)».

تغلق (جيسا) يدها السليمة حول يدي، كأنها ستوقفني.

«ما...ماذا؟» أتلعثم في القول.

«تم استدعاؤك إلى (سمرتون)» تكرر وتشير إلى الباب، «سوف ترافقك، تقدمي من فضلك».

استدعاء! من أجل شخص أحمر، لم أسمع شيئًا كهذا في كل حياتي، لماذا أنا؟ ماذا فعلت لأستحق هذا؟

من ناحية أخرى، أنا لصة وربما يعتبرونني إرهابية بسبب تورطي مع (فارلي). تتحول أعصابي إلى شوك في جسدي، وتصير عضلاتي مشدودة ومتحفزة، يجب أن أهرب، حتى وإن حجب الضابط الباب، ستكون معجزة إذا وصلت إلى النافذة.

«اهدئي، فكل شيء مستقر بعد الأمس» تقول ضاحكة، تظن خطأ في خوفي. «القاعة والسوق تحت السيطرة، تقدمي من فضلك»، ولذهولي تبتسم، حتى مع تشديد الضابطين على أسلحتهما، تسبب لي رجفة في دمائي.

مقاومتك للضباط، ورفضك لاستدعاء ملكي يعني الموت، وليس لي فقط. «حسنًا» أتمتم، وأفك يدي من يد (جيسا)، تتحرك لتمسك بي لكن أمي توقفها، «سأراكِ لاحقًا؟».

يظل السؤال معلقًا في الهواء، وأشعر بيد أبي الدافئة تلمس ذراعي، يودعني. تغرق عينا أمي في الدموع المحبوسة، وتحاول (جيسا) ألا تطرف عينيها لتتذكر كل لحظة أخيرة لي. ليس لديَّ أي شيء لأتركه لها. وقبل أن أترك نفسي للبكاء، يمسك ضابطٌ بذراعي ويجرني بعيدًا، تجبر الكلمات نفسها على الخروج من بين شفتيَّ، ومع ذلك لا تكون أكثر من همسة: «أحبكم».

ثم أسمع الباب يصفق خلفي، ويخرجني من بيتي وحياتي. يسرعون بي خلال القرية، إلى آخر الطريق وميدان السوق، نمرُّ بمنزل (كيلورن) المتهالك، في العادة يكون مستيقظًا في هذا الوقت وفي منتصف طريقه إلى النهر ليبدأ يومه مبكرًا بينما ما زال الجو باردًا، ولكن هذه الأيام انتهت. الآن أعتقد أنه ينام نصف اليوم، يستمتع بالراحة القليلة المتاحة له قبل التجنيد. يريد جزءٌ مني الصياح بالوداع، لكني لا أفعل، سيأتي للبحث عني لاحقًا وستقول له (جيسا) كل شيء. أكتم ضحكتي لتذكري أن (فارلي) أيضًا تتوقع أن أقابلها اليوم ومعي ثروة ثمنًا لمساعدتها، سيخيب ظنها.

في الميدان، تنتظرنا عربة سوداء لامعة، أربع عجلات ونوافذ زجاجية، قريبة من الأرض، تبدو كوحشٍ مستعد لالتهامي. يجلس ضابطٌ آخر عند لوحة التحكم ويدير المحرك عندما نقترب، ويبصق المحرك دخانًا إلى هواء الصباح. يدفعون بي إلى المقعد الخلفي في صمتٍ، وبالكاد تجلس الخادمة بجانبي وتنطلق العربة مسرعة في الطريق بسرعاتٍ لم أتخيلها من قبل، هذه ستكون أول وآخر مرة أركب مثل هذه العربات.

أريد أن أتحدث، وأسأل عما يحدث، كيف سيعاقبونني على جرائمي؟ لكني أعلم أن كلماتي ستقع على آذان صماء، لذا أحدق خلال النافذة إلى القرية وهي تختفي بينما ندخل الغابة ونسرع خلال الطريق الشمالي. لم يكن مزدحمًا مثل الأمس وينتشر ضباط الأمن طوال الطريق، القاعة والسوق تحت السيطرة، قالت الخادمة وأظن أن هذا ما قصدته.

يلمع الجدار ذو الزجاج الألماسي أمامنا، يعكس أشعة الشمس بينما تشرق من خلف أشجار الغابة. أريد أن أغلق عينيّ، ولكني لا أفعل، يجب أن أبقيهما مفتوحتين هنا. تنتشر البدل السوداء عند البوابات، كل ضباط الأمن يفتشون المسافرين عدة مرات عند دخولهم. عندما تتوقف العربة، تسحبني الخادمة متخطية الصف وخلال البوابة، لا يعترض أحدٌ ولا حتى يهتم بفحص هويتنا، يبدو أنهم يعرفونها جيدًا. بمجرد دخولنا تنظر إليّ الخادمة وتقول «أنا (آن)، بالمناسبة، لكننا نُدعى بأسماء عائلتنا هنا، ناديني (والش)».

(والش)، يبدو هذا الاسم مألوفًا! مصحوبًا بشعرها الباهت وبشرتها السمراء، يعني ذلك شيئًا واحدًا، «أنت من...».

«(الستيلتز)، مثلك، أعرف أخاكِ (ترامي)، وأتمنى أنني لم أتعرّف على (بري)، هذا الشاب مُحطم للقلوب».

كان لدى (بري) سمعة عبر القرية قبل أن يرحل، قال لي مرة إنه لا يخاف من التجنيد مثل الآخرين، لأن العشرات من الفتيات المتعطشة إلى الدماء اللاتي سيتركهن خلفه أكثر خطورة.

«لا أعرفك، لكني سوف أفعل بالتأكيد».

لا أقدر على منع نفسي من الرد بخشونة: «ماذا يعني ذلك؟».

«أقصد أنكِ سوف تعملين ساعاتٍ طويلة هنا، لا أعلم من وظَّفكِ، وماذا قالوا لكِ عن الوظيفة، لكنها تبدأ في إرهاقك، ليس الأمر مجرد تغيير شراشف السرائر وتنظيف الأطباق؛ يجب أن تنظري من دون أن تري، أن تسمعي من دون أن تصغي، هنا نحن مجرد أغراض، تماثيل هدفها الخدمة» تتنهد وتلتفت لفتح باب مقام داخل أحد جوانب البوابة، «خاصة الآن مع كل ما يحدث مع الحرس القرمزي، ليس هناك وقتٌ جيدٌ لتكون أحمر، لكن هذا أسوأ ما يكون».

تخطو خلال الباب ويبدو أنها تخطو عبر الجدار، يستغرق مني لحظة إدراك أنها تهبط درجًا وتختفي في الظلام.

«الوظيفة؟» ألح في كلامي أكثر: «أي وظيفة؟ ما هذا؟».

تلتفت تجاهي وتقلب عينيها، «تم استدعاؤكِ لشغل وظيفة خدمية» تقول كأنه أكثر شيء بديهيًا في العالم.

أعمل، وظيفة، أكاد أسقط من الفكرة.

(كال)، قال لي إن لديه عملًا جيدًا، والآن استخدم بعض نفوذه ليوفر لي نفس الشيء، ربما حتى سأعمل معه، يقفز قلبي شوقًا من الاحتمالية، وأدرك ماذا يعني ذلك؛ لن أموت، لن أرحل إلى القتال، سأعمل وأعيش، ولاحقًا عندما أجد (كال)، يمكنني إقناعه بفعل المثل لـ(كيلورن).

«استمري، ليس لديَّ وقتٌ لأمسك بيدك!».

أهرول خلفها وأهبط نفقًا مظلمًا، تتوهج أضواء صغيرة على الجدار، تجعل الرؤية بالكاد ممكنة، تمتد مواسير بطول النفق فوقنا وتطن بأصوات الكهرباء وهدير المياه.

«أين نذهب؟» أقول وأتنفس أخيرًا.

أستطيع سماع انزعاج (والش) بينما تلتفت نحوي في حيرة، «قاعة الشمس بالتأكيد».

للحظة، أقدر على سماع قلبي يتوقف: «ماذا؟ ماذا؟ القصر؟ القصر حقًّا؟».

تنقر الشارة فوق زيها، يلمع التاج في الضوء الخافت.
«أنتِ في خدمة الملك الآن».

لديهم زيٌ جاهزٌ من أجلي، لكني بالكاد أعيره اهتمامًا، فأنا مذهولة بكل ما يحيط بي، الحجر الأسمر والأرضية المكونة من الفسيفساء اللامعة في هذه الردهة المنسية في بيت الملك. يتحرك الخدم في ضجيجٍ من الأزياء الحمراء، أبحث في وجوههم عن (كال)، أريد أن أشكره، ولكنه لا يظهر.

تبقى (والش) بجانبي، وتهمس بنصيحة: «لا تتكلمي، لا تسمعي، لا تتحدثي إلى أي شخص، لأنهم لن يتحدثوا إليكِ».

بصعوبة أحافظ على الكلام متزنًا؛ فاليومان السابقان كانا دمارًا لقلبي وروحي، أظن أن الحياة قررت ببساطة فتح بوابات فيضان، محاولة إغراقي في دوامة من التقلبات والمفاجآت.

«أتيتِ في يومٍ حافلٍ، ربما أسوأ يوم سنراه».

«رأيت المراكب والطائرات، (الفضيون) يتحركون أعلى النهر منذ أسابيع، أكثر من العادي حتى في هذا الوقت من العام».

تسرع (والش) وتدفع بصينية عليها أكواب براقة إلى يدي، بالتأكيد هذه الأغراض يمكنها شراء حريتي أنا و(كيلورن) ولكن القاعة مؤمَّنة بالحراس عند كل بابٍ ونافذة، لا يمكنني التسلل مع وجود كل هؤلاء الضباط حتى مع كل مهاراتي.

«ماذا يحدث اليوم؟» أسأل في حمقٍ، تسقط خصلة من شعري القاتم على عيني، وقبل أن أحاول إبعادها تقوم (والش) بربط شعري بدبوسٍ صغيرٍ إلى الخلف بحركات سريعة ودقيقة، «هل هذا سؤال غبي؟».

«لا، فلم أعلم عنه أيضًا قبل أن نبدأ التحضيرات على أي حالٍ؛ فلم يُقَم واحدٌ منذ عشرين عامًا، عندما تم اختيار الملكة (إيلارا)» تتحدث سريعًا إلى درجة أن كلماتها تداخلت مع بعضها. «اليوم هو يوم اختبارات الملكة، فتيات المنازل النبيلة والعائلات الفضية عالية الشأن، حضرن لتقديم أنفسهن إلى الأمير. سيكون هناك وليمة عظيمة الليلة، لكنهن الآن في الحديقة الحلزونية، يحضرن أنفسهن للتقديم، ويتمنين أن يتم

اختيارهن؛ واحدة من تلك الفتيات ستكون الملكة المستقبلية. ويضربن بعضهن للحصول على الفرصة».

أتخيل صورة لبعض من الطواويس في عقلي، «إذن، ماذا؟ يدُرن ويقلن بعض الكلمات ويرمشن بأعينهن؟».

لكن (والش) تهزأ بي: «بالكاد» ثم تبرق عيناها، «أنت في مهمة الخدمة، لذا سترين كل شيء بنفسك».

نقترب من الأبواب المصنَّعة من خشب محفور وزجاج، يقوم خادم بفتحها ليسمح لصفٍّ من الأزياء الحمراء بالعبور وبعدها دوري.

«ألن تأتي؟» أسمع اليأس في صوتي يتوسل إلى (والش) أن تبقى معي، ولكنها تبتعد وتتركني وحدي. قبل أن أعطل الصف أو أدمر طابور الخدم المنظم، أجبر نفسي على التقدم والخروج إلى ضوء الشمس إلى ما تُدعى بالحديقة الحلزونية.

في البداية أظن أنني في منتصف حلبة قتال مثل التي في قريتي، فالمكان مقعرٌ إلى أسفل وفي منتصفه ساحة دائرية، لكن بدلًا من مقاعد حجرية، توجد طاولات وكراسٍ فاخرة حول المدرجات، وتتناثر نباتات ونوافير حول الدرجات تقسم المدرجات إلى مقصورات مكعبة، وتلتقي في الأسفل ليزينوا الدائرة العشبية المحاطة بتماثيل حجرية. يوجد أمامي منطقة مغطاة بحرير أسود وأحمر، بها أربعة مقاعد، كلٌّ منها من معدن صلب، يطلون على المشهد بالأسفل.

ما هذا المكان بحق الجحيم؟

يمضي وقت العمل سريعًا، أتبع ما يفعله (الحمر) الآخرون. أنا خادمة بالمطبخ، واجبها التنظيف ومساعدة الطباخ وحاليًا تحضير الحلبة للحدث القادم. لماذا تحتاج العائلة الملكية إلى حلبة، لست متأكدة، في قريتي، يستخدمونها فقط في المباريات، مشاهدة فضي ضد فضي، لكن ما معنى وجودها هنا؟ هذا قصر، لن تلطخ الدماء هذه الأرضيات أبدًا. ورغم ذلك تملؤني الحلبة بشعور نذير بالشر، يعود إحساس الوخز ينبض تحت جلدي في موجاتٍ، عندما أنتهي أعود إلى مدخل الخدم، فالاختبارات على وشك أن تبدأ.

يختفي الخدم ويتحركون إلى منصة مرتفعة محاطة بستائر شفافة، أسرع خلفهم في تدافع، أصطدم بالصف بينما تفتح الأبواب، بين مقصورة الملك ومدخل الخدم.

إنها تبدأ.

يومض في عقلي ذكرى الحديقة الكبيرة، والمخلوقات الجميلة القاسية الذين يدعون أنفسهم بشرًا. محبون للمظاهر الزائفة ولفت الأنظار، بأعين حادة وطباع أسوأ. هؤلاء (الفضيون)، المنازل النبيلة، كما تدعوهم (والش)، لن يكونوا مختلفين، ربما حتى هم أسوأ.

يحتشدون في الدخول، يتفرق جمهور من الألوان حول الحديقة الحلزونية برشاقة باردة. من السهل التعرف على العائلات المختلفة أو المنازل؛ فكل عائلة ترتدي لونًا خاصًّا بها، بنفسجي، أخضر، أسود، أصفر، قوس قزح من درجات الألوان كل منهم يتحرك تجاه المقصورة الخاصة به، أفقد سريعًا عددهم، كم منزلًا هناك في الأساس؟ ينضم المزيد والمزيد إلى الجمهور، يتوقف بعضهم للحديث ويتعانق آخرون بأذرع متصلبة. أدرك أن هذه حفلة بالنسبة إليهم، من المحتمل أن معظمهم ليس لديه أي أمل في تقديم ملكة وهذه فقط إجازة.

لكن لا يبدو البعض في مزاجٍ للاحتفال، تجلس عائلة فضية الشعر وترتدي حريرًا أسود في تركيزٍ وصمتٍ على يمين مقصورة الملك. وكبير المنزل لديه لحية مدببة وعينان سوداوان. أبعد في الأسفل، منزل يرتدي الأزرق الداكن والأبيض، يهمسون إلى بعضهم، لمفاجأتي أتعرَّف على واحدٍ منهم، (سامسون ميراندس)، الهامس (ويسبر) الذي رأيته في حلبة القتال منذ عدة أيام، عكس الآخرين، يحدق إلى الأرض في غموض، تركيزه في مكان آخر، أسجل ملحوظة لنفسي بألا أقترب ناحيته أو قدراته المميتة.

الغريب أنني لا أرى أي فتيات في عمرٍ مناسبٍ للزواج بالأمير، ربما هن يجهزن أنفسهن في مكان آخر، متحمسات للفوز بالتاج. من وقت إلى آخر يضغط شخص ما مفتاحًا معدنيًّا مربعًا فوق طاولتهم، ليضيء مصباحًا يدل على حاجتهم إلى خادم. الأقرب إلى الباب يقوم بخدمتهم والباقي

يتحرك في الصف وينتظر دوره للخدمة. بالطبع في الثانية التي أكون فيها بجانب الباب، يقوم كبير المنزل التعس ذو العينين السوداوين بالضرب على المفتاح.

الشكر للسماء لقدمي التي لم تخذلني أبدًا، أكاد أقفز عبر الزحام، راقصة بين الأجساد بينما يطرق قلبي في صدري؛ بدلًا من السرقة من هؤلاء الناس، أقصد خدمتهم. (ماير بارو) من الأسبوع السابق كانت ستحتار بين الضحك أو البكاء على هذه النسخة منها، ولكنها كانت فتاة حمقاء والآن أدفع الثمن.

«سيدي» أقول أمام الشيخ الذي طلب خدمتي، في عقلي، ألعن نفسي، لا تقولي أي شيء، هذه القاعدة، وقد كسرتها بالفعل.

ولكنه لا يبدو أنه لاحظ وببساطة يرفع كوب المياه الفارغ ونظرة ملل على وجهه: «إنهم يتلاعبون بنا يا (بتوليموس)» يزمجر للرجل مفتول العضلات بجانبه، أخمن أنه الشخص تعيس الحظ كفاية ليكون (بتوليموس).

«استعراض للقوة، يا أبي» يجيبه (بتوليموس) ويفرغ كوبه، ثم رفعه تجاهي، آخذه من دون تردد، «يتركوننا ننتظر لأنهم يستطيعون».

المقصود بهم هو العائلة الملكية التي لم تظهر بعد، لكن سماع (الفضيين) يتحدثون هكذا، بكل احتقارٍ، أمرٌ محيرٌ؛ نحن (الحمر) نقوم بإهانة الملك والنبلاء إذا استطعنا النجاة بفعلتنا، لكن أعتقد أن هذا حق لنا، هؤلاء لم يعانوا يومًا في حياتهم؛ فما المشكلات التي يمكن أن يعانوها مع بعضهم؟ أريد البقاء والاستماع، ولكن حتى أنا أعرف أن هذا مخالف للقواعد. ألتفت صاعدة الدرجات مبتعدة عن مقصورتهم. هناك حوضٌ مخبأ بين بعض الورد مشرق الألوان، ربما حتى لا أعود كل المسافة لبداية الحلبة التي ليست حلبة، لملء أكوابهم.

ثم يصدر صوتٌ حادٌّ معدني خلال الهواء، مثل الذي يصدر في بداية مباريات الجمعة الأولى، يتردد بعض المرات كنغمة فخورة تبشر بدخول الملك، في كل مكان تنهض المنازل النبيلة على أقدامهم، في حقدٍ أو لا، ألاحظ (بتوليموس) يهمس بشيء إلى أبيه مجددًا.

من موقع رؤيتي، مختبئة بين الأزهار، أكون على مستوى واحدٍ مع مقصورة الملك، خلفه قليلًا. (ماير بارو) على بُعد ياردات قليلة من الملك، ماذا ستظن عائلتي أو (كيلورن) في هذا الأمر؟ هذا الرجل يرسلنا لنموت وأصبحتُ بإرادتي خادمته؛ هذا يشعرني بالغثيان.

يدخل برشاقة، كتفاه مستقيمتان، حتى من خلفه، يبدو أكثر سمنة من صورته على العملات وفي مقاطع الفيديو، ولكنه أيضًا أكثر طولًا. زيه أحمر وأسود، شعره مصفف بطريقة عسكرية، رغم أنني أشك أنه قضى يومًا واحدًا في الخنادق التي يموت بها الحُمر. تلمع الشارات والميداليات على صدره، شهادة لأشياء لم يفعلها أبدًا، ويرتدي سيفًا مذهبًا رغم كل الحراس حوله. التاج فوق رأسه مألوف، مصنوع من حديد مطوع، لونه أحمر ذهبي وأسود، كل حافة كأنها تتفجر بلهيبٍ يتراقص، يبدو مشتعلًا خلال شعره الأسود القاتم الذي يتخلله الرمادي. كم هذا مناسب؛ فهذا الملك حارق (برنر)، ووالده من قبله وهكذا، مدمرون، متحكمون أقوياء بالنار والحرارة. يومًا ما، كان يحرق ملوكنا المنشقين بلمسة نارية واحدة، هذا الملك لم يعد يحرق الحُمر، ولكنه لا يزال يقتلنا بالحرب والدمار. عرفت اسمه منذ كنت طفلة صغيرة تجلس في فصل مدرستها متشوقة إلى العلم، كأن هذا سيجنيني أي شيء. (تايبرياس كالور) السادس، ملك (نورتا)، شعلة الشمال، لقب يملأ الفم إذا كان هناك واحدٌ، سأبصق على اسمه إذا استطعت.

تتبعه الملكة، تومئ إلى الجمهور، بينما ملابس الملك قاتمة وحادة، زيها الأزرق، والأبيض واسع، وخفيف. تنحني في تحية فقط لمنزل (سامسون)، وألاحظ أنها ترتدي نفس الملابس، هي منهم، بالنظر إلى التشابه بينهم، الشعر الأشقر الفاتح نفسه، والعينان الزرقاوان والابتسامة الرفيعة نفسها، مما يجعلها تبدو كقطة برية مفترسة.

بينما تبدو العائلة الملكية مخيفة فهم لا شيء بالنسبة إلى الحرس خلفهم، رغم أنني حمراء وُلِدت في الوحل، أعرف من هم، كل شخص يعرف كيف يكون حراس (السينتنال)، لأن لا أحد يريد مقابلتهم. يقفون على جانبي

الملك في كل بثٍّ وكل خطبة أو قرار، وكالعادة يبدو زيهم مثل اللهب، يتداخل فيه اللونان الأحمر والبرتقالي، وتلمع أعينهم خلف أقنعة سوداء. يحمل كلٌّ منهم بندقية سوداء بها حربة فضية لامعة يمكنها قطع العظام، ومهاراتهم أكثر رعبًا من مظهرهم، نخبة المحاربين من منازل فضية مختلفة، يتدربون منذ صغرهم، أقسموا ولاءهم للملك وعائلته طوال حياتهم، كافون لجعلك ترتجف، ولكن لا يبدو الخوف على أي من المنازل النبيلة.

في مكان ما عميقٍ داخل المقصورات، يبدأ الصياح: «الموت للحرس القرمزي!» يصيح أحدهم، ويردد معه آخرون سريعًا. أشعر بقشعريرة داخلي بينما أتذكر أحداث الأمس، تبدو بعيدة الآن، كم هو سريع تقلب الجمهور! يبدو الملك منزعجًا، ويشحب وجهه بسبب الضوضاء، هو ليس معتادًا مثل هذه الثورات ويزمجر قليلًا تجاه الصياح.

«الحرس القرمزي، وكل أعدائنا يتم التعامل معهم!» يدوي صوت (تايبرياس) فوق الجمهور، ويخرسهم مثل ضربة سوط، «لكن لسنا هنا الآن لمناقشة ذلك، اليوم نكرم التقاليد ولن يعوق ذلك أي شيطان أحمر، الآن تقام شعائر اختبارات الملكة، لتقديم أكثر ابنة ماهرة للزواج بابننا النبيل، في هذا نجد القوة، لربط المنازل النبيلة، والقدرة على الحفاظ على حكم (الفضيين) حتى نهاية الزمن، لهزيمة أعدائنا على الحدود وبيننا».

«القوة» يردد الجمهور في صوتٍ مدوٍّ مخيف: «القدرة».

«لقد حان الوقت للحفاظ على هذه الفكرة، ويكرم كلٌّ من أبنائي أكثر تقاليدنا مهابة» يشير بيده ويتقدم شخصان ليقفا إلى جانبي والدهما. لا أستطيع رؤية وجوهما، ولكن كليهما طويلٌ وذو شعر أسود كأبيه. يرتديان أيضًا الزي العسكري. «الأمير (مافين)، من منزلي (كالور) و(ميراندس)، ابن زوجتي الملكة (إيلارا)».

الأمير الأصغر، أكثر شحوبًا وأخف وزنًا من الآخر، يرفع يده في ترحيبٍ، يلتفت يسارًا ويمينًا وأرى وجهه. بينما هو ملكي ويبدو حازمًا، لا يبدو أكبر من السابعة عشرة، ملامحه حادة وعيناه زرقاء يمكنه تجميد النار بابتسامته. يكره هذه الاستعراض وأوافقه الرأي.

«والأمير المتوج، من منزلي (كالور) و(جاكوس)، ابن زوجتي الراحلة الملكة (كوريان)، وريث مملكة (نورتا) والتاج المشتعل، (تايبرياس) السابع».

أنا مشغولة بالضحك على الاسم السخيف ولا ألاحظ الشاب المبتسم وهو يحيي الجمهور، أخيرًا أرفع عيني حتى ألقي نظرة على الملك المستقبلي، ولكني أحصل على أكثر مما توقعت.

تسقط الأكواب الزجاجية من يدي وتهبط من دون ضرر في حوض المياه، أعرف هذه الابتسامة، وأعرف هذه الأعين، لقد حدقت إليها بالأمس، لقد حصل لي على هذه الوظيفة، أنقذني من التجنيد، كان منًا، كيف هذا؟

ثم يلتفت بالكامل يلوح بيده في كل ناحية، لا مجال للخطأ.

الأمير المتوج هو (كال).

الفصل السابع

أعود إلى منصة الخدم، وداخلي حفرة جوفاء، وأي سعادة شعرت بها من قبل اختفت تمامًا، لا أقدر على النظر إلى الخلف ورؤيته يقف هناك في ملابس راقية تتناثر عليها الميداليات والأوشحة والغرور الملكي التي أكرهها. مثل (والش)، يرتدي شارة التاج المشتعل، ولكن خاصته مصنوعة من حجر أسود وألماس وياقوت، تلمع وسط الزي الأسود الذي يرتديه. اختفت الملابس الباهتة التي ارتداها بالأمس، استخدمها ليندمج وسط عامة الناس مثلي، الآن يبدو بكل ما عليه كالملك المستقبلي، فضيًّا حتى العظام، لا أصدق أنني وثقت به.

يفسح لي الخدم الآخرون الطريق ويتركونني أتحرك إلى آخر الصف، بينما تدور رأسي، لقد أعطاني هذه الوظيفة، أنقذني، أنقذ عائلتي، وهو واحد منهم، أسوأ من فيهم، الأمير، الشخص الذي يريد رؤيته كل من في هذا الوحش الحلزوني.

«كل منكم جاء ليكرم ابني وهذه المملكة، لذا أنا أكرمكم» يقول الملك (تايبرياس)، ويكسر أفكاري كأنها زجاج. يرفع ذراعيه ويشير إلى كل المقصورات. على الرغم من محاولتي إبقاء نظري على الملك لا أقدر على منع نفسي من النظر إلى (كال)، يبتسم، ولكن لا تصل ابتسامته إلى عينيه.

«أكَرِم الحق في الحكم، الملك المستقبلي، ابنًا لحفيدي سيكون من دماء فضية مثل هم من دمائي، فمن سيطالب بهذا الحق؟».

كبير المنزل ذو الشعر الفضي يصيح بالإجابة: «أنا أطالب باختبارات الملكة».

ومن كل مكان حول المدرجات، قادة المنازل المختلفة يصيحون كصوتٍ واحدٍ، «أنا أطالب باختبارات الملكة» تصدر أصواتهم أصداء في المكان للحفاظ على تقليد لا أفهمه.

يبتسم (تايبرياس) ويومئ، «إذن سنبدأ، لورد (بروفوز)، إذا تفضَّلت».

يلتفت الملك لينظر تجاه ما أظنه منزل (بروفوز)، ويتبع باقي الجمهور نظره وتقع أعينهم على عائلة ترتدي اللون الذهبي المخطط بالأسود. يتقدم إلى أمام رجل كبير، شعره فضي به خطوط بيضاء، بملابسه الغريبة يبدو كدبورٍ على وشك اللدغ، لا أعلم ماذا أتوقع أن يحدث عندما يحرك يده.

فجأة، تتحرك المنصة إلى الجانب، لا أقدر على منع نفسي من القفز، كنت على وشك دفع الخادم بجانبي إلى الأرض بينما نتحرك على المسار المحجوب. يقفز قلبي إلى حلقي وأنا أشاهد الحديقة الحلزونية تدور، اللورد (بروفوز) (تيلكي)، يحرك البناء على مسارات مبنية بلا شيء غير قدرة عقله. يتحرك البناء بالكامل تحت أمره، حتى أرض الحديقة تتسع في دائرة كبيرة، تتراجع الشرفات السفلى لتصطف مع المستويات العليا، وتتحول الحديقة الحلزونية إلى أسطوانة مفتوحة إلى السماء، بينما تتحرك الشرفات، تهبط الأرضية حتى تتوقف نحو عشرين قدم أسفل أقرب مقصورة. تتحول النوافير إلى شلالات، تتدفق من أعلى الأسطوانة إلى الأسفل وتملأ أحواضًا عميقة رفيعة. تتوقف منصتنا فوق مقصورة الملك فتسمح لنا بالرؤية المثلى لكل شيء حتى الطابق السفلي البعيد، ويحدث كل هذا في خلال دقيقة بينما يشكِّل اللورد (بروفوز) الحديقة الحلزونية إلى شيء أكثر شرًّا.

لكن عندما يعود (بروفوز) إلى مقعده مجددًا، لم ينته التغيير، يعلو صوت طنين كهرباء حتى تطقطق في كل مكان حولنا، تجعل الشعر على ذراعي يقف. يشتعل ضوء بنفسجي فاتح بالقرب من أرضية الحديقة من فتحات صغيرة غير مرئية في الأحجار. لم يقف أي فضي لهذا مثلما فعل (بروفوز) بالحلبة، وأدرك لماذا، هذه ليست قدرة فضية، بل معجزة

تكنولوجية؛ برق دون الرعد. تتداخل أشعة الضوء وتتقاطع، وتنسج من نفسها شبكة ساطعة بارعة، مجرد النظر إليها يؤلم عيني ويرسل خناجر حادة من الألم إلى دماغي، وليس لديَّ فكرة كيف يتحمَّلها الآخرون.

يبدو الانبهار على (الفضيين)، مفتونين بشيء ليس لديهم القدرة على التحكم به، وبالنسبة إلى الحُمر، نحدق في ذهولٍ تام. تتبلور الشبكة بينما تتوسع الكهرباء وتتفرع، وبعدها فجأة كما بدأت تتوقف الضوضاء، ويتجمد البرق في وسط الهواء، مكونًا درعًا بنفسجيًّا شفافًا بيننا وبين الأرض، بيننا وبين ما سيظهر في الأسفل.

يركض عقلي جامحًا في تساؤل عما يمكن أن يحتاج إلى درعٍ من البرق، ليس دبًا أو قطيعًا من الذئاب أو أي نوع من وحوش الغابة، حتى المخلوقات الأسطورية، القطط الضخمة أو قروش البحر أو التنانين لن تكون خطرًا على كل (الفضيين) في المدرجات. ولماذا يكون هناك وحوش في اختبارات الملكة؟ هذه من المفترض أن تكون حفلة لاختيار الملكات، ليس لمحاربة الوحوش.

كأنها تجيبني، تنفتح الأرض على اتساعها في منتصف دائرة التماثيل التي هي مركز الأسطوانة، من غير تفكير، أندفع إلى الأمام في أمل لرؤية أفضل. يتزاحم باقي الخدم في محاولة لرؤية الرعب الذي سيخرج من الغرفة. تصعد من الظلام أصغر فتاة رأيتها في حياتي، تعلو الهتافات في منزل يرتدي الحرير البني والأحجار الحمراء بينما يصفقون لابنتهم.

«(روهر)، من منزل (رامبوز)» تصيح العائلة لتقديمها إلى العالم.

تبتسم الفتاة ذات الأربعة عشر تجاه عائلتها، تبدو صغيرة بالمقارنة مع التماثيل، لكن يديها كبيرة بشكلٍ غريبٍ، عدا ذلك يبدو مظهرها قابلًا للطيران مع أي نسمة هواء قوية. تدور حول التماثيل مبتسمة للأعلى. تقع عيناها على (كال) -أقصد الأمير- في محاولة لإثارته بعينيها الشبيهة بأعين الغزلان وشعرها العسلي، باختصار تبدو كحمقاء، حتى تقترب من أحد التماثيل الصلبة وتقطع رأسه بضربة واحدة من كفها.

يصيح منزل (رامبوز) مجددًا «(سترونج أرم)».

في الأسفل، تدمر (روهر) الصغيرة المكان في إعصار، محولة التماثيل إلى غبار مطحون وتحطم الأرضية تحت قدمها كأنها زلزال في هيئة إنسان ضئيل يدمر كل شيء وكل مكان في طريقه. إذن هذه مسابقة، مسابقة عنيفة، المقصود بها استعراض جمال ومهارة وقدرة الفتاة، أكثر فتاة مهارة، هذا استعراض للقوة، لتزويج الأمير بأكثر الفتيات قوة، حتى يكون أبناؤهم الأكثر قوة، وهذا مستمر منذ مئات السنين.

أرتجف من التفكير في القوة تحت أمر إصبع (كال)، يصفق بأدب بينما تنتهي ابنة (رامبوز) من عرضها للتدمير المنظم وتعود إلى المنصة التي تبدأ في الهبوط ويشجعها منزل (رامبوز) بينما تختفي. التالية هي (هيرون) من منزل (ويل)، ابنة حاكم قريتنا. طويلة ولها وجه مثل الطائر الذي تحمل نفس اسمه، تتحرك الأرض المدمرة حولها وهي تعيد المكان كما كان.

«حارس الخضرة (جرين واردين)» تهتف عائلتها، (جريني). تنمو الأشجار بأمرٍ منها في طرفة عين حتى تصطدم بدرع النور في الأعلى. يصدر شرار عندما يلمسه الأغصان فتشتعل النيران في الأوراق الجديدة. الفتاة التالية، حورية (نيمف) من منزل (أوسانوس) وترتقي إلى مستوى المسابقة، تستخدم شلال مياه من النوافير لإغراق حريق الأشجار في عاصفة مائية، ويتبقى فقط الأشجار والأرض المتفحمة.

يستمر هذا فترة تبدو كعدة ساعاتٍ، كل فتاة ترتفع لعرض قيمتها، وكل واحدة تجد حلبة محطمة أكثر من التي قبلها، ولكنهن مدربات على التعامل مع أي شيء، تتراوح أعمارهن ومظاهرهن، ولكن كلهن متألقات. تفجر واحدة منهم -بالكاد في الثانية عشرة من عمرها- كل شيء تلمسه كأنها قنبلة متحركة، «الاندثار، (أوبلفين)» تصيح عائلتها بوصف قدرتها بينما تُحطم آخر تمثال أبيض، يثبت الدرع على وضعه، ثم يصدر طنينًا بسبب نيرانها، وتصرخ الضوضاء في أذني.

تتداخل الكهرباء و(الفضيون) وكل هذا الصياح في عقلي بينما أشاهد (النيمف) و(الجريني) و(السويفت) و(السترونج أرم) و(التيلكي)، وما يبدو كمئات الأنواع الأخرى من (الفضيين) يتفاخرون بقدراتهم تحت

الدرع. أشياء لم أحلم أبدًا بوجودها تحدث أمام عيني، الفتيات منهن من تحوَّل جلدها إلى حجر أو تصرخ فتدمر جدرانًا من الزجاج. (الفضيون) أقوى وأعظم مما توقعت، يمتلكون قدراتٍ لم أدرك وجودها، كيف يكون هؤلاء البشر حقيقيين؟ قطعت كل هذه المسافة وفجأة عدت إلى حلبة القتال أشاهد (الفضيين) يعرضون كل ما نحن ليس عليه.

أريد أن أتعجب في ذهول بينما تنادي مخلوقة تتحكم في الحيوانات (أنيموس) آلاف الحمامات من السماء. عندما تهبط الطيور على الدرع الكهربائي وتتفجر في سحبٍ من الدماء والريش والشرار الكهربائي، يتحوَّل ذهولي إلى اشمئزاز. يضيء الدرع مجددًا ويشعل المتبقي من الطيور حتى يصبح لامعًا كالجديد. كدت أتقيأ من صوت التصفيق عندما هبطت (الأنيموس) باردة الدماء عائدة للأرض. تصعد فتاة أخرى، الأخيرة لحسن الحظ، إلى الحلبة التي صارت غبارًا.

«(إيفانجلين)، منزل (ساموس)» يصيح كبير العائلة ذو الشعر الفضي، يتحدث وحيدًا وصوته يتردد في الحديقة الحلزونية. من مكاني ألاحظ أن الملك والملكة يعتدلان في جلستهما، حظيت (إيفانجلين) على اهتمامهما بالفعل، وفي تعارضٍ صارخٍ ينظر (كال) إلى يديه، بينما ترتدي معظم الفتيات فساتين حريرية أو دروعًا لامعة غريبة، تظهر (إيفانجلين) في زي من الجلد الأسود، معطف، سروال، حذاء عالٍ، مرصعين بالفضة، لا، ليست فضة، حديد، فالفضة ليست باهتة أو صلبة كهذا. يهتف منزلها في تشجيع، جميعهم على أقدامهم. تنتمي إلى (بتوليموس) والشيخ، ولكن يشجعها آخرون أيضًا، عائلات أخرى. يريدونها أن تصير الملكة، هي المفضلة. تحييهم برفع إصبعين فوق حاجبها، أولًا لعائلتها ثم لمقصورة الملك، ويردون لها التحية، ومن الواضح أنهم يفضلون (إيفانجلين).

ربما هذا مثل المباريات أكثر مما أدركت، عدا أنه بدلًا من إيضاح للحمر مكانتهم، يوضح الملك لأتباعه -رغم قوتهم- أين مكانتهم، تسلسل داخل تسلسل. كنت مشغولة بالاختبارات إلى درجة أنني لم ألحظ أنه دوري للخدمة مرة أخرى، قبل أن يدفعني أحدٌ إلى الاتجاه الصحيح، أنطلق

إلى المقصورة الصحيحة، بالكاد أسمع كبير منزل (ساموس) يتحدث، «(ماجنترون)» أظن أنه قال، وليس لديَّ فكرة عمَّ يعني هذا.

أتحرك عبر الممرات الضيقة -التي كانت طرقًا واسعة- إلى (الفضيين) الذين يطلبون الخدمة، المقصورة في الأسفل، ولكني سريعة ولا آخذ وقتًا طويلًا في الوصول إليهم. أجد عائلة سمينة ترتدي حريرًا أصفر مزينًا بريشٍ قبيحٍ، يستمتعون بكعكة ضخمة، الأطباق والأكواب الفارغة مبعثرة في المقصورة، وأهمُّ بالعمل والتنظيف حولهم، يداي سريعة ومتمرنة. تضيء شاشة فيديو داخل المقصورة، تعرض (إيفانجلين) التي تبدو كما هي تقف ثابتة على الأرض.

«ما هذه المهزلة؟» يتذمر أحد الطيور الصفراء بينما يحشو فمه بالطعام، «فتاة (ساموس) فازت بالفعل».

غريب فتبدو أضعفهم.

أضع الأطباق في كومة، ولكن تعود عيناي إلى الشاشة، وأراها تطوف حول الحلبة المحطمة. لا يبدو أن هناك أي شيء أمامها لتعمل عليه وتعرض ما تقدر على فعله، ولكن لا يبدو أنها تعارض. ابتسامتها رهيبة كأنها مقتنعة تمامًا بعظمتها، لا تبدو عظيمة بالنسبة إليَّ. ثم تتحرك القطع الحديدية على زيها، تنفصل وتطوف في الهواء، كل واحدة دائرية مثل رصاصة معدنية.، ثم مثل طلقات من مسدس اندفعت بعيدًا عن (إيفانجلين)، وحفرت خلال الغبار والجدران وحتى الدرع المضيء، يمكنها التحكم في المعادن.

قامت عدة مقصورات بالتصفيق لها، ولكنها بعيدة كل البعد عن النهاية، تدوي أصوات قعقعة معدنية عميقًا من داخل بناء الحديقة الحلزونية، حتى العائلة السمينة تتوقف عن الطعام للمشاهدة في حيرة، متوترون ومتحمسون. أستطيع أن أشعر بالذبذبات تحت قدمي، وأدرك أنه يجب عليَّ الخوف. في صوت مزلزل تخرج أنابيب تشق أرض الحلبة، ترتفع من مكان بعيد في الأسفل وتتفجر خلال الجدران، وتحيط (إيفانجلين) في شكل تاج رمادي وفضي معدني، ويبدو أنها تضحك، ولكن صوت سحق المعدن

المدوي يغطي عليها. تسقط شرارات من الدرع وتحمي نفسها بجزء من البقايا من دون أن تتعرق نقطة واحدة، وأخيرًا تترك المعدن يسقط في صوت رهيب. تنظر إلى أعلى إلى المقصورات، وفمها مفتوح على اتساعه وتظهر أسنان حادة صغيرة، تبدو جائعة.

تبدأ ببطء، بتغييرٍ بسيطٍ في التوازن، ثم تتحرك المقصورة بأكملها، تتهشم الأطباق على الأرض، وتتدحرج الأكواب إلى الأمام لتسقط من على السور وتتحطم على الدرع. تقوم (إيفانجلين) بسحب المقصورة إلى الخارج، تنثني نحو الأمام وتجعلنا نميل. ينعق (الفضيون) حولي ويتبعثرون، ويتحول تصفيقهم إلى فزعٍ، ليسوا الوحيدين فكل مقصورة في صفنا تتحرك معنا. من الأسفل، تقوم (إيفانجلين) بتوجيهنا بيدها وتقطب حاجبيها في تركيز، مثل المحاربين (الفضيين) في الحلبة، تريد أن توضح العالم ماذا تكون، هذا ما أفكر فيه عندما ترتطم بي كرة صفراء من الجلد والريش، وتدفعني فوق السور مع بقية الأواني.

كل ما أراه هو اللون البنفسجي عندما أسقط، اقترب الدرع الضوئي مني، يطن بالكهرباء ويغني للهواء، بالكاد أجد الوقت لأدرك ما يحدث، ولكني أعرف أن الزجاج البنفسجي المتشعب سيطهوني حية ويصعقني في زيي الأحمر. أراهن أن (الفضيين) لن يهتموا بغير مَن سيأتي لينظف مكاني. ترتطم رأسي بالدرع وأرى نجومًا، لا، ليست نجومًا، شرارات. يقوم الدرع بعمله ويشعلني بصواعق من الكهرباء، يحترق زيي ويصدر منه دخان وأتوقع أن يقوم جلدي بالمثل؛ ستكون رائحة جثتي رائعة، ولكن بطريقة ما، لا أشعر بأي شيء، يبدو أنني في ألمٍ ما لا أشعر به.

لكني...أستطيع الشعور به، أشعر بحرارة الكهرباء تسري في جسدي وتشعل كل عصب في طريقها، لكنه ليس بشعورٍ سيئ، بالعكس أشعر أنني بخيرٍ وحية كأنني كنت كفيفة طوال حياتي والآن فقط فتحت عيني. يتحرك شيء تحت جلدي وليس بشرارة الكهرباء، أنظر إلى يدي وذراعي وأتعجب من البرق الذي ينساب خلالي. يحترق القماش إلى فتات سوداء من الحرارة، ولكن لا يتغير جلدي، يستمر الدرع في محاولة قتلي، ولكنه لا يقدر.

كل شيء خاطئ.
أنا حية.
يصدر الدرع دخانًا أسود ويبدأ في التشقق والتصدع، تزداد الشرارة سطوعًا وغضبًا، ولكنها تضعف. أحاول رفع نفسي والنهوض على قدمي، ولكن يتحطم الدرع أسفلي وأسقط مجددًا وأنقلب على نفسي. بطريقة ما أستطيع السقوط على كومة من الغبار ليست مغطاة بشظايا معدنية، بلا شكٍّ مغطاة بالكدمات وضعيفة العضلات، ولكني ما زلت قطعة واحدة. لم يكن لزيي نفس الحظ، بالكاد يتماسك كفوضى محروقة، أكافح لأنهض على قدمي، وأشعر بالمزيد من زيي يسقط. من أعلى تصدر همهمات وشهقات في الحديقة الحلزونية، أشعر بأعينهم تحدق إليَّ، الفتاة الحمراء المحترقة، عمود الصواعق البشري.
تحدق إليَّ (إيفانجلين) بعينين واسعتين، تبدو غاضبة وحائرة...وخائفة، مني، بشكلٍ ما، خائفة مني.
«أهلًا» أقول بحماقة.
تجيبني (إيفانجلين) بموجة من الشظايا المعدنية حادة ومميتة، تندفع تجاه قلبي ممزقة الهواء، من دون تفكير أرفع ذراعيَّ في أمل إنقاذ نفسي من الأسوأ. بدلًا من التقاط عشرات من الشفرات الحادة بين كفيَّ، أشعر بشيء مختلف، مثلما شعرت بالشرارة من قبل، تغني أعصابي، حية بنيران داخلية، تتحرك داخلي خلف عينيَّ وتحت جلدي حتى أشعر أنني أكثر مما كنت، ثم تندفع مني قوة خالصة وطاقة، شعاع من الضوء...لا، البرق، يندفع من يديَّ ويحرق المعدن. تصرخ القطع وتدخن ثم تنفجر من الحرارة ثم تسقط على الأرض من دون أن تسبب أي ضرر بينما يفجِّر الشعاع الجدار البعيد، ويترك في أثره حفرة مدخنة تتسع أربعة أقدام وبالكاد تخطت (إيفانجلين).
يسقط فكها مفتوحًا من الصدمة. أنا متأكدة أنني أبدو مثلها وأنا أنظر إلى يدي وأتساءل عم يحدث لي. بالأعلى، يتساءل مئات من أقوى (الفضيين) عن نفس الشيء، أنظر إلى أعلى لأجدهم كلهم يحدقون إليَّ،

حتى الملك يميل فوق حافة المقصورة وتاجه المشتعل يلقي بظله أمام السماء، (كال) بجانبه يحدق إلى أسفل بعينين متسعتين.

«حراس (السينتنال)».

صوت الملك حاد كالشفرة ومليء بالتهديد، فجأة يندفع الحراس أصحاب الزي الأحمر والبرتقالي من كل مقصورة، ينتظر صفوة الحراس كلمة أخرى، أمرًا آخر. أنا لصة ماهرة لأني أعرف وقت الهروب المناسب، والآن واحد من هذه الأوقات، قبل أن يتحدث الملك، أركض دافعة (إيفانجلين) المصدومة وأنزلق داخل الفتحة في الأرض.

«أمسكوها!» يصدر الصوت خلفي بينما أسقط في الغرفة شبه المظلمة، تَرك عرض (إيفانجلين) للمعادن الطائرة حفرًا في السقف فجعلتني أرى خلال الحديقة الحلزونية، ولذعري، يبدو أن البناء ينزف مع نزول حراس (السينتنال) بزيهم هذا من مقصوراتهم، وكلهم يطاردونني، لا يوجد وقت للتفكير، كل ما أقدر على فعله هو الركض.

تتصل غرفة الانتظار تحت الحلبة بممرٍّ فارغ مظلم، تراقبني كاميرات مربعة بينما أركض بأقصى سرعة، وأنعطف إلى ممر آخر وآخر. أستطيع الشعور بهم يطاردونني مثل حراس (السينتنال) الذين أصبحوا أقرب الآن، اركضي، تتردد في رأسي، اركضي، اركضي، اركضي.

يجب أن أجد مخرجًا، نافذة، شيئًا ما ليساعدني على تدارك حالي، إذا استطعت الخروج إلى السوق ربما سيكون لدي فرصة، ربما.

يقود أول سلم أجده إلى ردهة طويلة من المرايات، ولكن هناك كاميرات أيضًا تجلس في زوايا الجدران مثل الحشرات الضخمة. تنفجر طلقة نارية فوق رأسي وتجبرني على السقوط، يرتطم اثنان من (السينتنال) في زي بلون النيران بمرآة ويندفعان تجاهي. هم مثل الحراس الآخرين، أقول لنفسي، مجرد ضباط أمن متلعثمين ولا يعرفونني، لا يعرفون ما تقدرين عليه.

أنا لا أعرف ما أقدر عليه.

يتوقعون مني الهروب لذا أفعل العكس، وأنقض كالعاصفة عليهما، أسلحتهما قوية، ولكنها ضخمة، قبل أن يرفعاها لإطلاق النار، أو الطعن أو الاثنين، أهبط على ركبتيَّ على الأرضية الرخامية الناعمة، وأنزلق بين الرجلين الضخمين. يصيح واحد منهما بي وصوته يفجر مرآة أخرى لعاصفة من الزجاج. وحينما يتمكنان من الالتفات أكون على قدميَّ وأركض مجددًا. عندما أجد نافذة أخيرًا، تكون نعمة ولعنة، أتوقف أمام لوحٍ كبيرٍ من الزجاج الألماسي الذي يطل على غابة واسعة، إنها هناك في الجانب الآخر، فقط خلف جدارٍ غير قابلٍ للاختراق.

حسنًا أيتها اليدان هذا وقتٌ جيدٌ لتفعلي ما تفعلين، لا شيء يحدث بالطبع، لا شيء يحدث عندما أحتاج إليه. فاجأني لهيبٌ من الحرارة، ألتفت لأرى جدارًا من الأزياء الحمراء والبرتقالية وأعلم أن (السينتنال) قد وجدوني، لكن الجدار ساخن ويتذبذب، تقريبًا صلب، نار، وتتجه ناحيتي.

صوتي خافت وضعيف ومهزوم بينما أضحك على معضلتي، «عظيم».

ألتفت لأركض، ولكن بدلًا من ذلك أصطدم بحائطٍ عريضٍ من القماش الأسود، تحيط بي ذراعان قويتان وتثبتني عندما أحاول الإفلات، اصعقيه، اجعليه يضيء، أصرخ داخل رأسي، لكن لا يحدث شيء، لن تنقذني هذه المعجزة مرة أخرى، تزداد الحرارة وتهدد بسحق رئتي، لقد نجوت من الرعد اليوم فلا أريد أن أخاطر بحظي مع النيران.

لكنه الدخان ما سيقتلني، سميك وأسود وقوي إلى حدٍّ غريبٍ، يخنقني، يدور نظري وتصبح جفوني ثقيلة، أسمع خطواتٍ وصياحًا وصوت النيران بينما يتحول العالم إلى الظلام.

«أنا آسف» يقول صوت (كال)، أظن أني أحلم.

الفصل الثامن

أنا على الشرفة، أشاهد أمي تودع أخي (بري)، تبكي وتحتضنه بقوة، وتمشط شعره المقصوص حديثًا. يترقب (شايد) و(ترامي) سقوطها حتى يمسكاها. أعرف أنهما يريدان البكاء أيضًا بينما يشاهدان أخي الكبير يرحل، ولكن من أجل أمي، لا يفعلان هذا. يقف بجانبي أبي في صمتٍ، راضيًا بالتحديق إلى الجندي، حتى في درعه المعدني والقماش المضاد للرصاص، يبدو الجندي ضئيلًا بجانب أخي، يقدر (بري) على أكلهم وهم أحياء، ولكنه لا يفعل أي شيء، لا يفعل أي شيء عندما يمسك الجندي بذراعه ويسحبه بعيدًا عنا، يتبعه ظل، يطارده على أجنحة سوداء رهيبة، يدور العالم من حولي ثم أسقط.

أهبط بعد عامٍ، قدماي عالقتان في الطين الموحل تحت منزلنا، هذه المرة تحضن أمي (ترامي) وتتوسل إلى الجندي، يضطر (شايد) إلى جذبها عنه. في مكان ما، تبكي (جيسا) من أجل أخيها المفضل، نظل أنا وأبي صامتين، نحتفظ بدموعنا. يعود الظل وهذه المرة يدور حولي ويغطي السماء والشمس، أغلق عينيَّ وأتمنى أن يرحل. عندما أفتحهما مرة أخرى، أجد نفسي بين ذراعي (شايد) وأحتضنه بقوة، لم يقص شعره بعد، ولحيته القصيرة البنية تدغدغ مقدمة رأسي، بينما أضغط صدره، أجفل، تؤلمني أذني بشدة وأبتعد، أرى بقعًا من الدماء على قميص أخي، فقد ثقبنا أذنينا مجددًا أنا و(جيسا)، وارتدينا الهدية الصغيرة التي تركها (شايد). أظنني فعلتها بطريقة خاطئة كما أفعل كل شيء. هذه المرة أشعر بالظل قبل أن أراه، ويبدو غاضبًا. يجرجرني عبر موكبٍ من الذكريات، كلها جروح جديدة ما زالت تلتئم، بعضها مجرد أحلامٍ، لا...كوابيس، أسوأ كوابيسي.

يتجسد عالمٌ جديدٌ من حولي، عبارة عن أراضٍ يابسة مغطاة بظلالٍ من الدخان والرماد، منطقة الاختناق، لم أذهب هناك قطُّ، ولكني سمعت عنها كفاية لأتخيلها. الأرض مسطحة، مليئة بالحفر من آلاف المتفجرات التي هبطت من السماء. ينكمش الجنود داخل أزيائهم الحمراء الملطخة، مثل الدماء المتجمعة على الجروح، أطوف عبرهم جميعًا، وأبحث بين الوجوه عن إخوتي الذين فقدتهم بسبب دخان وشظايا الحرب.

يظهر (بري) أولًا، يقاتل جنديًّا (لايكلاندريًا) يرتدي الأزرق في بركة موحلة، أريد مساعدته، ولكني أستمر في طريقي حتى يبتعد عن نظري. يأتي (ترامي) بعده، يميل فوق جندي مصاب ويحاول إيقاف نزيف دمائه، تتلوى ملامحه الرقيقة -مثل (جيسا)- في ألمٍ، لن أنسى قطُّ صرخات الألم واليأس، مثلما حدث مع (بري)، لا أقدر على مساعدته.

ينتظر (شايد) في مقدمة الجبهة بعيدًا عن حتى أشجع المقاتلين، يقف فوق حافة مرتفعة من دون اهتمام للقنابل أو الأسلحة أو جيش (اللايكلاندريين) الذي ينتظر على الجبهة المقابلة.

«توقف!» أقدر على الصراخ، وأمد يدي تجاه الدخان الذي كان أخي.

يتشكل الرماد ويكون مجددًا الظل، ويحيطني بالظلام حتى تغلبني موجة أخرى من الذكريات، يد (جيسا)، تجنيد (كيلورن)، عودة أبي للمنزل نصف ميت، كلها تتداخل معًا في دوامة ساطعة تؤلم عينيَّ، شيء ما ليس صحيحًا. تعود الذكريات للأعوام الماضية كأنني أشاهد حياتي بالعكس، ثم هناك أحداث من المستحيل أن أقدر على تذكرها: تعلُّم الكلام، والمشي، يمررني إخوتي الصغار بينهم حتى توبخهم أمي، هذا مستحيل.

«مستحيل» يقول لي الظل، صوته حادٌّ للغاية، أخشى أن يحطم جمجمتي. أسقط على ركبتيَّ وأصطدم بما يبدو كالأسمنت، ثم يختفون، إخوتي، أبواي، ذكرياتي، وكوابيسي، يرحلون وترتفع قضبان من الحديد حولي، قفص.

أحاول النهوض على قدميَّ، ويدي على رأسي المتألمة بينما تظهر تفاصيل كل شيء، يحدق إليَّ شخصٌ من خلف القضبان ويلمع تاج فوق رأسها.

«كنت لأنحني، ولكني قد أسقط» أقول للملكة (إيلارا)، وفورًا أتمنى أن أسحب كلماتي. هي فضية، لا يمكنني التحدث معها بهذه الطريقة، يمكنها وضعي على عمود التشهير، وحرماني من حصصي التموينية، ومعاقبتي ومعاقبة عائلتي، لا، أدرك بينما يزداد ذعري، هي الملكة، يمكنها قتلي، ستقتلنا كلنا.

لكنها لا تبدو مُهانة، بدلًا من ذلك تبتسم، تغمرني موجة من الغثيان عندما أنظر إلى عينيها وأسقط مجددًا.

«هذه تبدو كانحناءة بالنسبة إليَّ» تقول وتستسيغ ألمي.

أقاتل الرغبة في التقيؤ، وأمد يدي لأمسك بالقضبان، تلتف قبضتي حول المعدن البارد: «ماذا تفعلين بي؟».

«لا شيء بعد الآن، ولكن...» تمد ذراعها عبر القضبان وتلمس جبهتي، يتضاعف الألم تحت أصابعها وأسقط أمام القضبان، بالكاد واعية لأصمد، «هذا لمنعك من فعل أي شيء سخيف».

تلسع الدموع عينيَّ، ولكني أهزهم بعيدًا. «كالوقوف على قدميَّ؟» أقدر على القول. بالكاد أستطيع التفكير مع الألم، ناهيك بقدرتي لأتحدث بتهذيب، ولكني أتدبر منع تيار من الإهانات من الخروج، بحق النعيم، (ماير بارو)، امسكي بلسانك.

«كصعق شيء ما» تقول في اندفاع.

ينحسر الألم ويترك لي قوة كافية لأصل إلى المقعد المعدني، عندما أسند رأسي إلى الجدار الحجري البارد، تعود كلمتها إليَّ، صعق.

تومض الذكرى في عقلي، وتعود كقطعٍ متهاوية، (إيفانجلين)، الدرع الضوئي، الشرارات وأنا، هذا ليس ممكنًا.

«أنت لست فضية، والداك من (الحمر)، أنت من (الحمر)، دماؤك حمراء» تتمتم الملكة وتحوم أمام قضبان قفصي. «أنت معجزة يا (ماير بارو)، استحالة، شيء، حتى أنا، لا أفهمه، وقد رأيت كل ما أنت عليه».

«هذا كان أنت؟» أكاد أصرخ، وأضع رأسي بين يديَّ مجددًا، «أنت كنت بعقلي؟ ذكرياتي؟ كوابيسي؟».

«إذا عرفتِ مخاوف المرء، فأنتِ تعرفينه بأكمله» تطرف عيناها تجاهي كأني مخلوقٌ غبي، «وكان يجب أن أعرف الشيء الذي نتعامل معه».

«أنا لست شيئًا».

«ما أنتِ عليه لا يزال تحت قيد النظر، لكن كوني ممتنة لأمرٍ واحدٍ يا فتاة البرق الصغيرة» تبتسم في استهزاء، وتضع وجهها بين القضبان، فجأةً تتشنج سيقاني وأفقد كل الشعور بهما كأني جلست عليهما بطريقة خاطئة، كأني شُللت، يزداد الفزع في صدري عندما أدرك أني لا أقدر على تحريك أصابع قدميّ. أظن أن هذا ما يشعر به أبي، محطم وعديم الفائدة. ولكن بطريقة ما أنهض على قدميّ، يتحركان من دون أمرٍ مني، يتوجهان ناحية القضبان، وتشاهدني الملكة من الجانب الآخر، طرفات عينيها تتماشى مع خطواتي.

هي هامسة (ويسبر)، وتتلاعب بي، عندما أقترب كفاية تمسك بوجهي بين يديها، أصرخ فالألم في رأسي يتضاعف، ما يمكنني أن أفعل الآن لأحظى بالهلاك السهل الخاص بالتجنيد.

«فعلتِ ذلك أمام المئات من (الفضيين)، أشخاص سيطرحون أسئلة، أشخاص لديهم القوة» تهمس في أذني، ويغطي وجهي نفسها العذب المريض، «وهذا السبب الوحيد لبقائك على قيد الحياة».

أقبض يدي بشدة وأتمنى البرق مجددًا، ولكنه لا يأتي. تدرك ما أفعله وتضحك، تنفجر نجوم خلف عينيّ وتغيم على رؤيتي، ولكنني أسمع حفيف دوران زيها الحريري وهي ترحل. يعود نظري لأرى فستانها يختفي خلف الزاوية، وتتركني وحيدة بحق في الزنزانة، بالكاد أعود للمقعد وأقاتل رغبتي في التقيؤ.

يأتيني الإرهاق في موجاتٍ، يبدأ في عضلاتي ثم يتسلل إلى عظامي، أنا مجرد بشر، والبشر ليس من المفترض أن يمروا بأيامٍ كهذا اليوم. أجفل عندما أدرك أن معصمي خالٍ؛ فقد اختفى السوار الأحمر، أخذوه، ماذا يعني هذا؟ تلسعني دموع في عينيّ، وتهدد بالانهمار، لكنني لن أبكي، لديَّ ما يكفي من الكرامة متبقية، يمكنني محاربة الدموع، ولكن ليس الأسئلة، ولا الشك الذي ينمو في قلبي.

ماذا يحدث لي؟

من أنا؟

أفتح عينيَّ لأرى ضابط أمن يحدق إليَّ من الجهة الأخرى من القضبان، تلمع أزراره الفضية في الضوء الخافت، ولكنها لا تقارن بلمعان رأسه الصلعاء.

«يجب أن تقول لعائلتي أين أنا» أقول في اندفاعٍ، وأنهض، على الأقل قلت لهم إني أحبهم، أتذكر لحظاتنا الأخيرة.

«لا يجب عليَّ فعل أي شيء غير أخذك إلى أعلى» يجيبني في برودٍ كأنه عمود من الهدوء، «غيّري ملابسك»، أدرك فجأة أنني ما زلت أرتدي الملابس النصف المحترقة. يشير الضابط إلى كومة مرتبة من الملابس بالقرب من القضبان، يدير ظهره، ليسمح لي بقليلٍ من الخصوصية. الملابس سادة، ولكنها جيدة، أنعم من أي شيء ارتديته من قبل. قميص أبيض طويل الأكمام وسروال أسود، كلاهما مزينان بخط فضي طويل على جانبيهما، هناك حذاء أيضًا، حذاء أسود طويل يصل إلى ركبتيَّ، ولمفاجأتي، لا يوجد خيط أحمر واحد في ملابسي، لكن لِمَ؟ لا أعرف، أصبح جهلي سمة.

«حسنًا» أتذمر وأقاتل الحذاء الأخير لأرتديه. يلتفت الضابط بينما ينزلق الحذاء في مكانه، لا أسمع صلصلة المفاتيح، ولكني لا أرى قفلًا أيضًا، فكيف يخطط لإخراجي من القفص الذي ليس له باب، لست متأكدة.

بدلًا من فتح بوابة خفية، يحرك يده وتنحني القضبان المعدنية لتكون فتحة، بالطبع، السجان يكون...

«(ماجنترون)، نعم» يقول وهو يلاعب أصابعه، «وفي حالة إن كنتِ تتساءلين، الفتاة التي كنتِ ستحرقينها هي قريبتي».

كدت أختنق بالهواء في رئتي وأنا لا أعرف كيف أجيبه، «أنا آسفة؟» يبدو كسؤال.

«كوني آسفة لأنكِ لم تصيبيها» يجيب دون أي لمحة للفكاهة، «(إيفانجلين) وغدة».

«سمة عائلية؟» يسبق فمي عقلي وأشهق مدركة ما قلته للتوِّ.

لا يضربني للتحدث من دون أذن، رغم أن لديه كل الحق لذلك، بدلًا من ذلك يتحول وجهه إلى ابتسامة ضئيلة، «أظننا سنكتشف ذلك» يقول، ونظرة عينيه السوداوين ناعمة، «أنا (لوكاس ساموس)، اتبعيني».

لا أضطر إلى السؤال لأعرف أنه ليس لديَّ خيارٌ في هذا الأمر، يقودني خارج الزنزانة وأعلى سلم ملتوٍ لما لا يقل عن اثني عشر ضابط أمن يحيطون بي من دون كلام في تشكيلة صارمة، ويدفعونني إلى الأمام معهم. يبقى (لوكاس) بجانبي، يتحرك بالتزامن مع الآخرين، أسلحتهم في أيديهم كأنهم يستعدون للقتال، شيء ما يخبرني أن هؤلاء الرجال ليسوا هنا للدفاع عني، بل لحماية الجميع مني.

عندما نصل إلى الطوابق الأكثر جمالًا، تكون الجدران الزجاجية سوداء بشكلٍ غريبٍ. مظللة، أقول لنفسي، وأتذكر ما قالته لي (جيسا) عن قاعة الشمس، أن الزجاج الألماسي يمكن أن يظلم عند الحاجة لإخفاء ما يجب عدم رؤيته. وفي صدمة أدركت أن النوافذ لا تظلم عن طريق آلية معينة، بل ضابطة ذات شعر أحمر، تلوح يدها أمام كل جدار تمر به وبقدرة ما داخلها تحجب الضوء، وتغيم على الزجاج بظلال رفيعة.

«هي ظلالية (شادو)، تتلاعب بالضوء» يهمس لوكاس عندما يلاحظ تعجبي.

تتواجد الكاميرات هنا أيضًا، تسري قشعريرة في جلدي، وأنا أشعر بنظرتهم الكهربائية تحدق مخترقة عظامي. في العادة تؤلمني رأسي بوجود هذا الثقل من الكهرباء، ولكن لا يأتي الألم الآن. شيء ما بالدرع قد غيرني أو ربما أطلق سراح شيء وكشف جزءًا مني كان محبوسًا لفترة طويلة، ماذا أكون؟ تردد في رأسي مجددًا، في تهديد أكثر حدة من قبل.

فقط عندما نعبر خلال الأبواب الضخمة ينحسر شعور الكهرباء. لا تقدر الأعين على رؤيتي الآن، يمكن للغرفة بالداخل احتواء منزلي عشر مرات، بالأعمدة الخشبية وكل شيء. ومقابلي ومباشرة، تحرقني نظرته النارية، الملك، يجلس على عرش من الزجاج الألماسي محفور على هيئة نيران. خلفه، تتحول نافذة من ضوء الصباح إلى الظلام سريعًا، ربما تكون هذه

آخر نظراتي إلى الشمس. يقودني (لوكاس) وضباط الأمن، ولكن لا يبقون طويًلا، مجرد نظرة سريعة خلفه ويقود (لوكاس) الآخرين إلى الخارج.

يجلس الملك أمامي وتقف الملكة إلى يساره والأمراء إلى يمينه. أرفض النظر إلى (كال)، ولكني أعرف أنه يحدق إليّ. أبقي نظري على حذائي الجديد، أركز على أصابع رجلي ولا أستسلم إلى الخوف الذي يحول جسدي إلى رصاص.

«ستنحنين» تقول الملكة بصوتٍ ناعمٍ مخملي.

يجب أن أنحني، ولكن كرامتي لا تسمح لي، حتى هنا أمام (الفضيين)، أمام الملك، لا تنحني ركبتاي، «لن أفعل ذلك» أقول وأجد القوة لأنظر إلى أعلى.

«هل تستمتعين بزنزانتك، يا فتاة؟» يقول (تايبرياس)، صوته الملكي يملأ الغرفة، والتحذير في صوته واضح وضوح النهار، ولكني ما زلت واقفة. يرفع رأسه ويحدق إليّ كأنني اختبار يفك لغزه.

«ماذا تريد مني؟» أجبر نفسي على القول.

تميل الملكة بجانبه، «قلت لك، هي حمراء عن ظهر قلب» ولكن الملك يلوح بيده ناحيتها كأنها ذبابة، تضغط شفتيها وتتراجع، ويداها متشابكتان بإحكامٍ، تستحق ذلك.

«ما أريده بشأنك غير ممكن» يقول (تايبرياس) مندفعًا، ونظرته مشتعلة كأنه يريد أن يحرقني.

أتذكر كلمات الملكة.

«حسنًا، لست آسفة أنك لا تستطيع قتلي».

يضحك الملك، ويقول «لم يقولوا لي إنك سريعة البديهة».

يغمرني شعورٌ بالارتياح؛ فلا ينتظرني الموت هنا، ليس بعد. يرمي الملك كومة من الورق، مغطاة بالكلمات، الورقة الأولى بها المعلومات الأساسية، اسمي ويوم ميلادي ووالداي والبقعة البنية الصغيرة تكون دمي. صورتي موجودة أيضًا، مماثلة لصورة بطاقة هويتي. أحدق إلى نفسي في الصورة، إلى عينيّ الضجرة من الانتظار في صف لالتقاط صورتي، كم أتمنى أن أقفز داخل الصورة، إلى الفتاة التي كانت كل مشاكلها التجنيد والجوع.

«(ماير مولي بارو)، ولدت في السابع عشر من نوفمبر، عام 302 من العصر الجديد، لأبويها (دانيال) و(روث بارو)»، يقول (تايبرياس) من ذاكرته، يعرض حياتي مكشوفة. «لا عمل ومقرر تجنيدها في يوم ميلادها القادم، حضورك ضئيل في المدرسة، ونتائجك الأكاديمية متدنية، لديك قائمة بمخالفات يمكنها زجك في السجن في معظم المدن، السرقة، التهريب، مقاومة الاعتقال، هذه أمثلة قليلة. عامة أنتِ فقيرة، وقحة، عديمة الأخلاق، بلا ذكاء، معدمة، مريرة، عنيدة وبلاء على قريتك ومملكتي».

صدمة كلماته الفظة تتطلب دقيقة لأدركها، ولكني لا أعترض، هو محق بالكامل.

«ومع ذلك» يكمل وينهض على قدميه، من هذا القرب أستطيع رؤية تاجه الحاد إلى درجة مميتة، أطرافه يمكنها القتل. «أنتِ أيضًا شيء مختلف، شيء لا أقدر على فهمه، أنت حمراء وفضية في نفس الوقت، ظاهرة مميزة لها عواقب مميتة لا يمكنك إدراكها، إذن ماذا سأفعل بكِ؟».

هل يسألني؟

«يمكنك تركي أرحل ولن أقول كلمة واحدة».

توقفني ضحكة الملكة الحادة، «وماذا عن المنازل النبيلة؟ هل سيبقون على الصمت أيضًا؟ هل سينسون فتاة البرق الصغيرة في الزي الأحمر؟».

لا، لن ينسى أحدٌ.

«أنت تعرف نصيحتي يا (تايبرياس)» تضيف الملكة وعيناها على الملك، «وستحل كل مشكلاتنا».

لا بد أنها نصيحة سيئة، بالنسبة إليَّ، لأن (كال) يضغط قبضته، تجذب حركته عيني وأخيرًا أنظر إليه، يبقى ثابتًا، رزينًا هادئًا، كما تم تدريبه بالتأكيد، ولكن تشتعل نيران في عينيه، للحظة ينظر إليَّ وأنظر بعيدًا بسرعة قبل أن أصرخ وأطلب منه أن يساعدني.

«نعم يا (إيلارا)» يقول الملك ويومئ إليها، «لا يمكننا قتلك يا (ماير بارو)» كلمة ليس بعد تعلق في الهواء، «لذا سنخبئك في العلن حتى نقدر على مراقبتك وحمايتك ونحاول فهمك».

تشعرني الطريقة التي تلمع بها عيناه كأنني وجبة على وشك التهامها.
«أبي!» تندفع الكلمة من (كال)، لكنَّ أخاه -الأمير الأكثر شحوبة ونحافة- يمسكه من ذراعه ويمنعه عن المضي في الاعتراض، لديه تأثير مهدئ ويتراجع (كال) إلى مكانه، يكمل (تايبرياس) متجاهلًا ابنه: «لم تعودي بعد الآن (ماير بارو)، ابنة (الستيلتز) الحمراء».
«إذن من أنا؟» أسأل، وصوتي يرتجف رعبًا، من التفكير في كل الأشياء الرهيبة التي يمكنهم فعلها بي.
«والدك كان (إيثان تيتانوس)، جنرال الفيلق الحديدي، قُتل عندما كنتِ طفلة، جندي، رجل أحمر أخذك كأنك له ورباكِ في الوحل، ولم يقُل لكِ أبدًا عن نسبك الحقيقي، كبرتِ وأنتِ تعتقدين أنكِ لا شيء، والآن وبفضل الحظ أصبحتِ كاملة مجددًا. أنت فضية، سيدة نبيلة من منزلٍ راقٍ، نبيلة بقدرة عظيمة ويومًا ما أميرة لـ(نورتا)».
مهما حاولت لم أقدر على منع صرخة مفاجأة: «فضية، أميرة؟».
تخونني عيناي وتطير نحو (كال)، الأميرة يجب أن تتزوج أميرًا.
«ستتزوجين ابني (مافين)، وستفعلين ذلك من دون أن تتجاوزي أي حدود».
أقسم أنني أسمع فكي يصطدم بالأرض، صوت تعيس ومحرج يهرب من فمي بينما أبحث عن شيء ما لأقوله، ولكني صدقًا عاجزة عن الكلام. يبدو الأمير الصغير أمامي مرتبكًا مثلي. تأفف بصوت عالٍ وهذه المرة، كان دور (كال) في كبح جماحه، رغم أن نظره كان مركزًا عليّ.
يستطيع الأمير الصغير إيجاد صوته: «لا أفهم» يقول ويهز (كال) بعيدًا عنه، يأخذ خطوات سريعة تجاه أبيه، «هي...لمَ؟» في العادة سأشعر بالإهانة، ولكني لا بد أن أوافق على تحفظات الأمير.
«اصمت» تصيح والدته: «سوف تطيع الأوامر».
يحدق إليها، وكل إنش منه، الابن الذي يتمرد على والديه، ولكن والدته تصبح أكثر صرامة ويتراجع الأمير، فهو يعرف غضبها وقدرتها مثلي.

صوتي ضعيف بالكاد مسموع، «هذا..كثير» ببساطة لا يوجد أي كلمة أخرى للوصف، «لا تريدون جعلي سيدة راقية، ما بالكم أميرة».

يتحول وجه (تايبرياس) إلى ابتسامة قاتمة، مثل الملكة، أسنانه ناصعة البياض، «ولكني أريد ذلك يا عزيزتي، لأول مرة في حياتك البسيطة الضئيلة، لديكِ هدف» أشعر بالوخزة كأنها لطمة على الوجه. «ها نحن ذا، في مرحلة البداية لثورة سيئة التوقيت مع جماعات إرهابية أو مقاتلي حرية أو أيًّا كان ما يدعو به الحمقى (الحمر) نفسهم، ويفجرون الأشياء باسم المساواة».

«الحرس القرمزي» (فارلي) و(شايد)، وبمجرد أن خطر الاسم على عقلي، أدعو أن تبقى الملكة (إيلارا) بعيدًا عن رأسي، «فجروا...».

«العاصمة، نعم» يقول الملك، ويهز كتفيه في لا مبالاة ويحك رقبته.

علَّمتني أعوامي في الظلال العديد من الأشياء: من يحمل الأكثر من المال، من لن يلاحظك، كيف يبدو الكذابون. الملك كاذب، أدرك ذلك، وأنا أشاهده يجبر نفسه على هز كتفيه مرة أخرى، يحاول أن يبدو لامباليًا، ولا ينجح في هذا. شيء ما يخيفه من (فارلي)، من الحرس القرمزي، شيء أكبر من بضع تفجيرات.

«وأنتِ» يكمل كلامه ويميل إلى الأمام: «يمكنكِ أن تساعدينا في منع المزيد».

كنت سأضحك بعلو صوتي إذا لم أكن خائفة، «بالزواج من...آسفة، ما اسمك مجددًا؟».

تحوَّلت وجنتاه إلى البياض فيما أظنه النسخة الفضية من الاحمرار خجلًا، فدماؤهم فضية بعد كل شيء. «اسمي (مافين)» يقول وصوته ناعم وهادئ. شعره أسود لامع مثل (كال) وأبيه، ولكن هنا ينتهي التشابه، بينما هما عريضان ولهما بنية عضلية، (مافين) نحيل وعيناه مثل المياه الصافية. «وما زلت لا أفهم».

«ما يحاول والدك قوله هو أنها تقدم لنا فرصة» يقول (كال) مقاطعًا الحديث ليفسر. عكس أخيه، صوت (كال) قوي وبه سلطة، هو صوت ملك. «إذا رآها (الحمر)، فضية بالدماء وحمراء بالطبيعة، ترعرعت معنا، فيمكن تهدئتهم، مثل حكاية خيالية قديمة، واحدة من العامة تصبح أميرة، هي بطلتهم، يمكنهم التطلع إليها بدلًا من الإرهابين» ثم يقول بنبرة ناعمة، ولكن تحمل أهمية أكبر، «هي إلهاء».

ولكن هذه ليست حكاية خيالية أو حتى حلمًا، هذا كابوس، سأسجن لبقية حياتي، مجبرة أن أكون شخصًا آخر، واحدة منهم، دمية، مسرحية ليظل الناس سعداء وهادئين ومقهورين.

«وإذا حبكنا القصة بشكلٍ صحيحٍ، ستصير المنازل النبيلة راضية أيضًا، أنتِ الابنة المفقودة لبطل حرب، هل هناك شرف أكبر لمنحك إياه؟».

أنظر إلى عينيه متوسلة، ساعدني مرة فربما سيفعلها مجددًا، ولكن يميل (كال) رأسه من ناحية إلى أخرى ويهزها ببطء، لا يقدر على مساعدتي هنا.

«هذا ليس طلبًا يا سيدة (تيتانوس)» يقول (تايبرياس)، ويستعمل اسمي الجديد، لقبي الجديد، «ستفعلين ذلك، وستفعلينه كما ينبغي لك».

تدير الملكة (إيلارا) عينيها الشاحبة ناحيتي، «ستقيمين هنا، كما تنص العادات على العروس الملكي. كل يوم سيتم ترتيبه حسب توجيهاتي، وسيتم تدريبك على كل شيء وأي شيء ممكن لجعلك...» تبحث عن الكلمة المناسبة وتعض على شفتها، «لائقة» لا أعلم ماذا يعني ذلك. «سيتم التدقيق في كل شيء، من الآن وبعد أنت تعيشين على طرف السكين، خطوة خاطئة واحدة، كلمة واحدة خاطئة، وستعانين بسببها».

يضيق حلقي كأني أشعر بقيود الملك والملكة تلتف حولي، «ماذا عن حياتي؟».

«أي حياة؟» تصيح (إيلارا) ضاحكة، «يا فتاة، لقد سقطت على رأسك في معجزة».

يغمض (كال) عينيه للحظة كأن صوت ضحك الملكة يؤلمه: «تقصد عائلتها، (ماير)...الفتاة لديها عائلة».

(جيسا)، أمي، أبي، إخوتي، (كيلورن)...حياة تم سلبها.

«آه، هذا» ينفخ الملك الهواء من فمه، ويستلقي إلى الخلف في مقعده: «أعتقد سنعطيهم إعانات ونبقيهم صامتين».

«أريد أن يعود إخوتي من الحرب» ولمرة أشعر أنني قلت الشيء الصحيح، «وصديقي (كيلورن وارين)، لا تجعل الجنود يأخذونه أيضًا».

يجيب (تايبرياس) خلال نصف نبضة قلب، فالقليل من الجنود (الحمر) لا يعنون له شيئًا: «تم».

ولا يبدو كإعفاء، بل أقرب إلى حكم إعدام.

الفصل التاسع

السيدة النبيلة (مارينا تيتانوس)، ابنة كل من السيدة (نورا نول تيتانوس) ولورد (إيثان تيتانوس)، جنرال الفيلق الحديدي، وريثة منزل (تيتانوس)، (مارينا تيتانوس)، (تيتانوس).

يتردد اسمي الجديد في رأسي بينما تجهزني الخادمات (الحمر) للمذبحة القادمة. تعمل الفتيات الثلاث في سرعة وكفاءة، لا يتحدثن إلى بعضهن أبدًا، لا يسألن أي أسئلة أيضًا، مع أنهن بالتأكيد يريدن ذلك، لا تقولي شيئًا، أتذكر، ليس مسموحًا لهن التحدث إليَّ، وبالتأكيد ليس مسموحًا لهن الكلام عني لأي شخص آخر، حتى الأشياء الغريبة، الأشياء الحمراء التي لا بد أنهن يرونها.

بعد العديد من الدقائق المؤلمة، يحاولن جعلي لائقة، يحممونني ويرسمونني للشيء السخيف المفترض أن أكونه. الأسوأ هي مستحضرات التجميل، خاصة المعجون السميك الأبيض الذي يضعنه على بشرتي. يستعملن ثلاثة علب منه لتغطية وجهي ورقبتي وعظمة الترقوة وذراعيَّ بالبودرة الرطبة اللامعة. في المرآة يبدو أن الدفء قد استنزف مني كأن البودرة قد أخفت كل حرارة جلدي. أشهق عندما أدرك أنها من المفترض أن تخفي احمرار وجنتي الطبيعي، ودموية بشرتي، الدماء الحمراء، أنا أتظاهر بأنني فضية. وعندما ينتهين من طلاء وجهي، أبدو كذلك حقًّا، أبدو باردة وقاسية ببشرتي الشاحبة الجديدة وعينيَّ وشفتيَّ القاتمتين، مثل شفرة حادة حية، أبدو كفضية، أبدو جميلة، وأكره ذلك.

كم سيدوم من الوقت؟ مخطوبة لأمير، حتى في رأسي يبدو كالجنون، لأنه كذلك. لا يوجد فضي في كامل قواه العقلية يرضى بالزواج بي، فما بالك أمير (نورتا)، لا لتهدئة ثورة أو لإخفاء هويتك، لا من أجل أي شيء، إذن لم يفعلون ذلك؟

عندما تنتهي الخادمات من وخزي وجذبي داخل الفستان، أبدو كجثة يتم تجهيزها للجنازة. أعلم أنه لا يبدو ذلك بعيدًا عن الحقيقة، فلا تتزوج الفتيات (الحمر) من الأمراء (الفضيين)، لن أرتدي تاجًا أو أجلس على عرش، سيحدث شيء ما، ربما حادثة، سترفعني كذبة ويومًا ما ستسقطني كذبة.

لون الفستان درجة قاتمة من البنفسجي، يتناثر عليه الفضي، مصنوع من الحرير والدانتيل الشفاف. كل المنازل لديها ألوانها الخاصة. أتذكر قوس قزح الألوان من العائلات، ألوان (تيتانوس)، اسمي، لا بد أنها بنفسجي وفضي.

عندما تمد إحدى الخادمات يدها إلى أحد أقراطي، محاولة خلع آخر جزء من حياتي السابقة، تنتابني موجة من الخوف.

«لا تلمسيهم!».

تقفز الفتاة إلى الخلف، وتطرف عيناها سريعًا وتتجمد الأخريان بسبب اندفاعي.

«آسفة، أنا...» الفضية لا تعتذر، أسعل وأستجمع شتاتي، «اتركي الأقراط» يصدر صوتي قويًا وحادًا...ملكي. «يمكنك تغيير كل شيء آخر، ولكن اتركي الأقراط».

ثلاث القطع المعدنية الرخيصة، كل واحدة أخ، لن تذهب إلى أي مكان.

«يليق بكِ هذا اللون».

أدور وأرى الخادمات منحنيات في نفس الوضعية، ويقف فوقهن: (كال). فجأة، أكون سعيدة أن مستحضرات التجميل تغطي الاحمرار الذي ينتشر في وجهي.

يشير سريعًا وبحركة من يده تنصرف الخادمات مثل الفئران الهاربة من قط.

«أنا نوعًا ما جديدة على الملكية، لكني لست متأكدة أنه يمكنك القدوم إلى غرفتي» أقول وأجبر أكبر قدر من الازدراء في صوتي. بعد كل شيء، هو السبب في وقوعي في تلك الفوضى الملعونة. يخطو مقتربًا مني وبالفطرة

أخطو إلى الخلف، فتنزلق قدمي على طرف الفستان وتجبرني على الاختيار بين التحرك أو السقوط، لا أعرف أي منها أفضل.

«جئت للاعتذار، شيء لا يمكنني فعله وسط جمهور» يتوقف ويلاحظ انزعاجي. ترتعش عضلة في وجنته بينما يتفحصني، ربما يتذكر الفتاة اليائسة التي حاولت سرقته فقط بالأمس، لا أشبهها في أي شيء الآن، «أنا آسف على توريطك في كل هذا يا (ماير)».

«(مارينا)» الاسم له مذاق خاطئ على لساني، «هذا اسمي، أتتذكر؟».

«هذا شيء جيد فـ(ماير) كنية مناسبة».

«لا أعتقد أن أي شيء بي مناسب».

يحدق إليَّ (كال)، وأشعر أن جلدي يشتعل تحت نظرته. «ما رأيك في (لوكاس)؟» يقول أخيرًا، ويأخذ خطوة إلى الخلف.

الحارس (ساموس)، الفضي الوحيد المحترم الذي قابلته هنا، «هو جيد، أظن» ربما ستبعده الملكة إذا اكتشفت كم كان لطيفًا معي.

«(لوكاس) شخصٌ جيدٌ، تظنه عائلته ضعيفًا بسبب طيبته» يضيف وعيناه تظلم قليلًا كأنه يعرف هذا الشعور، «ولكنه سيخدمك جيدًا، وبعدلٍ، سأحرص على ذلك».

كم هو مراعٍ، لقد منحني سجانًا لطيفًا، ولكني أعض على لساني فلن يفيد انفجاري في رحمته.

«شكرًا سموك».

تعود الشرارة إلى عينيه، ويبتسم في استنكارٍ: «تعلمين أن اسمي (كال)».

«وأنت تعرف اسمي، أليس كذلك؟» أقولُ له في مرارة: «تعلم من أين جئت؟».

بالكاد يومئ من الخزي.

«يجب أن تهتم بهم» عائلتي، تسبح وجوههم أمام عيني، يبتعدون بالفعل: «كلهم، لأطول وقتٍ ممكنٍ».

«بالتأكيد، سأفعل» يقتربُ مني ويغلق الفجوة بيننا، «أنا آسف» يقول مرة أخرى، تدوي الكلمات في رأسي وتردد في ذاكرتي.

الجدار الناري، الدخان الخانق، أنا آسف، أنا آسف، أنا آسف.

لقد كان (كال) من أمسك بي من قبل، من منعني من الهروب من هذا المكان الرهيب.

«هل أنت آسف بسبب سلبي فرصتي الوحيدة في الهرب؟».

«أتقصدين إذا هربتِ من (السينتنال) والحرس والجدران والغابة، وعدت لقريتك في انتظار الملكة نفسها حتى تلحق بكِ؟» يجيبني ويتلقى اتهاماتي بكل هدوءٍ: «إيقافك كان أفضل خيارٍ من أجلك وأجل عائلتك».

«كان في إمكاني الهرب، أنت لا تعرفني».

«أعرف أن الملكة كانت لتمزق العالم بحثًا عن فتاة البرق الصغيرة».

«لا تدعوني بهذا» هذا اللقب يؤلمني أكثر من اسمي المزيف الذي ما زلت أعتاده، فتاة البرق الصغيرة، «هكذا تدعوني والدتك».

يضحك في استنكارٍ: «هي ليست والدتي، هي والدة (مافن)، ليست والدتي». من طريقة ضغطه لفكه أدرك أنه من الأفضل إنهاء ذلك الموضوع.

أتنهد بصوتٍ ضئيلٍ، هذا كل ما أفعله. يختفي بسرعة، صدى خافت من السقف، أرفع رقبتي وأنظر حول غرفتي الجديدة لأول مرة منذ دخلتها. هي أرقى من أي مكان رأيته من قبل.. رخام وزجاج، حرير وريش، تغير الضوء وتحوّل إلى لون الغسق البرتقالي، سيأتي الليل ومعه بقية حياتي.

«استيقظت هذا الصباح كشخصٍ» أتمتم لنفسي أكثر من له: «والآن من المفترض أن أصبح شخصًا مختلفًا تمامًا».

«يمكنكِ فعل ذلك» أشعر به يقترب مني، تملأ حرارته الغرفة بطريقة تجعل جلدي يقشعر، ولكني لا أنظر إلى أعلى، لن أفعل.

«كيف تعلم ذلك؟».

«لأنه يجب عليكِ» يعض على شفتيه وتتحرك عيناه تجاهي، «وبقدر جمال هذا العالم، هو خطير، من ليس له فائدة، من يرتكب الأخطاء، يمكن إزالتهم، يمكنهم إزالتك».

وسيحدث ذلك في يومٍ ما، ولكن ليس هذا حقًّا الخطر الذي أواجهه، «إذن اللحظة التي أخطئ فيها ستكون الأخيرة؟».

لا يتكلم، ولكني أرى الإجابة في عينيه، نعم.

تتلاعب أصابعي بالحزام الفضي على خصري، تشده أكثر، لو كان هذا حلمًا، فسأستيقظ، ولكني لا أفعل، هذا يحدث حقًّا.

«ماذا عني؟ عن...» أمد يديَّ وأحدق إلى هذه الأشياء الجهنمية، «هذا؟».

عندئذٍ يرفع كفيه الفارغتين، تطقطق أداة غريبة على رسغه تشبه السوار ولها طرفان معدنيان، وتصدر شرارة. بدلًا من أن تختفي سريعًا، تضيء وتنفجر في شعلة حمراء وتصدر موجة من الحرارة، هو حارق (برنر)، يتحكم بالحرارة والنيران، أتذكر، هو أمير وهو أمير خطير، ولكن تختفي الشعلة بسرعة كما بدأت، تاركة فقط (كال) وابتسامته المشجعة وطنين الكاميرات المخبأة في مكان ما، يشاهدون كل شيء.

***

يُمثِّل (السينتنال) المقنعون -الذين ألمحهم بجانب نظري- تَذْكِرة دائمة لي بوضعي الجديد، أكاد أصبح أميرة، مخطوبة لثاني أكثر عازب مرغوب به في البلاد، وأنا كذبة. رحل (كال) منذ فترة، وتركني لحراسي. لم يكن لوكاس سيئًا، ولكن الآخرين هادئون وحازمون، لا ينظرون إلى عينيَّ أبدًا. الحراس وحتى (لوكاس) يخدمون كسجانين ليبقوني محبوسة داخل جلدي، حمراء خلف ستارة فضية لا يمكن إزالتها قط. إذا سقطتُ، إذا انزلقتُ سأموت، وسَيَقْتِلُون آخرين لفشلي.

بينما يرافقونني إلى الوليمة، أراجع القصة التي حفرتها الملكة داخلي، القصة الجميلة التي ستطلع البلاط عليها، بسيطة، سهلة التذكر، ولكنها ما زالت تقشعرني.

ولدت في الجبهة الأمامية للحرب، قُتل والداي في هجوم على المعسكر، أنقذني جندي أحمر من الحطام وأخذني إلى بيته وزوجته التي أرادت دومًا ابنة، ربياني في قرية تُدعى (الستيلتز)، وكنت أجهل نسبي وقدراتي حتى هذا الصباح، والآن عدتُ إلى مكاني الصحيح.

تجعلني الفكرة مريضة؛ مكاني الصحيح هو بيتي مع والديَّ و(جيسا) و(كيلورن)، ليس هنا.

يقود حراس (السينتنال) الطريق عبر متاهة من الممرات في الطوابق العليا للقصر. ومثل الحديقة الحلزونية، البنيان مكون من تقوسات حجرية وزجاجية ومعدنية، تميل إلى أسفل تدريجيًا. يكشف الزجاج الألماسي عند كل زاوية عن مشاهد خلابة للسوق، ووادي النهر والغابات بعدهم. من هذا الارتفاع أستطيع رؤية تلال لم أعلم بوجودها مرتفعة على بُعد، مظللة أمام الشمس الغاربة.

«يحتوي آخر طابقين على المساكن الملكية» يقول (لوكاس) ويشير تجاه الممر المائل الحلزوني، تلمع أشعة الشمس كعاصفة نارية، وترمي بنقاط ضوئية علينا. «سيأخذنا المصعد إلى أسفل حيث قاعة الاحتفالات، هنا» يمد (لوكاس) يده ويتوقف بجانب جدار معدني يعكس صورتنا باهتة، وينزلق إلى الجانب بإشارة من يده.

يرشدنا حراس (السينتنال) إلى صندوقٍ بلا نوافذ وبه ضوء ساطع. أجبر نفسي على التنفس على الرغم من رغبتي في الهروب من هذا التابوت المعدني. أقفز عاليًا عندما يتحرك المصعد فجأة، وتتسارع نبضات قلبي. تأتي أنفاسي على هيئة شهقات قصيرة وأنا أشاهد بعينين متسعتين وأتوقع ردة فعل الآخرين أن تكون مماثلة، ولكن لا يبدو أن أي أحد آخر يبالي بحقيقة أننا في صندوق يسقط. يلاحظ (لوكاس) وحده ضيقي ويقلل من سرعة هبوطنا قليلًا.

«يتحرك المصعد إلى أعلى وإلى أسفل حتى لا نضطر إلى المشي، هذا المكان ضخم يا سيدة (تيتانوس)» يقول وعلى ملامحه شبح ابتسامة. أنا ممزقة بين الدهشة والخوف بينما نهبط، وأتنفس في راحة عندما يفتح (لوكاس) باب المصعد. نسير خلال الممر ذي المرايات الذي هربت فيه هذا الصباح، تم إصلاح المرايا المحطمة بالفعل. ويبدو كأن شيئًا لم يحدث.

عندما تظهر الملكة (إيلارا) من عند الزاوية وحراسها (السينتنال) يحيطون بها، يقوم (لوكاس) بانحناءة. الآن هي ترتدي الأسود والأحمر والفضي، ألوان زوجها، مع شعرها الأشقر وبشرتها الشاحبة تبدو وحشية بلا شك. تمسك بذراعي وتجذبني تجاهها بينما نسير، لا تتحرك شفتاها،

ولكني أسمع صوتها رغم ذلك يتردد في رأسي. هذه المرة لا يؤلم أو يصيبني بالغثيان، ولكن الشعور ما زال مريضًا وخاطئًا. أريد الصراخ، أن أقتلعها بمخالب من رأسي، لكن ليس هناك ما يمكنني فعله غير كرهها.

كانت عائلة (تيتانوس) منسية، تقول وصوتها في كل مكان، كانت قدرتهم هي تفجير الأشياء بلمسة واحدة مثلما فعلت فتاة (ليرولان) في الاختبارات. عندما أحاول تذكر الفتاة، تقوم (إيلارا) ببث صورتها مباشرة داخل عقلي، تومض، بالكاد موجودة، ولكني أرى فتاة صغيرة ترتدي البرتقالي وهي تفجر الحجارة والرمال كالمتفجرات العسكرية. والدتك، (نورا نول) كانت عاصفية (ستورم) مثل باقي عائلة (نول)، يتحكمون بالطقس إلى حدٍّ ما، هذه القدرة ليست شائعة، ولكن اتحادهما تسبب في قدرتك المميزة في التحكم بالكهرباء، لا تقولي أكثر من ذلك إذا سألك أحد ما.

ماذا تريدين مني حقًّا؟ حتى في عقلي، يرتجف صوتي، ترتد ضحكتها داخل جمجمتي، الإجابة الوحيدة التي حصلت عليها.

تذكري من يجب أن تكوني، وتذكري جيدًا، تكمل كلامها متجاهلة سؤالي. أنت تتظاهرين كأنك كبرتِ كحمراء، ولكنك فضية بالدماء، أنت الآن حمراء في عقلك وفضية في قلبك.

تخترقني رجفة من الخوف.

من الآن حتى آخر أيامك، يجب أن تكذبي، حياتك تعتمد على ذلك يا فتاة البرق الصغيرة.

الفصل العاشر

تتركني (إيلارا) واقفة في الممر أفكر في كلامها مليًّا، اعتدت الظن أن هناك فقط هذه الفروق، فضي وأحمر، غني وفقير، ملوك وعبيد، ولكن يبدو أن هناك الكثير بالمنتصف، أشياء لا أفهمها، وأنا في منتصفها، كبرت أتساءل إذا كنت سأجد طعامًا للعشاء، والآن أقف في قصر على وشك أن يتم التهامي.

حمراء في عقلي وفضية في قلبي، تبقى المقولة معي تقود تحركاتي. تظل عيناي متسعة تستوعب القصر الضخم الذي لم تحلم به لا (ماير) أو (مارينا)، ولكني أضم شفتيَّ إلى خط رفيع. تشعر (مارينا) بالدهشة، ولكنها تبقي مشاعرها تحت السيطرة، هي باردة وعديمة المشاعر.

تُفتَح الأبواب في نهاية الممر لتظهر أكبر غرفة رأتها عيناي، أكبر حتى من غرفة العرش، لا أعتقد أنني سأعتاد أبدًا ضخامة هذا المكان. أخطو عبر الأبواب إلى أرض مائلة، تقود درجات إلى الغرفة حيث ينتظر كل منزل في ترقبٍ هادئ، أعينهم إلى الأمام، ومجددًا ملتزمون بألوانهم. البعض يهمس بينهم، على الأغلب بشأني وبشأن عرضي الصغير. يقف الملك (تايبرياس) و(إيلارا) على منصة عالية عن الأرض، يواجهان حشدًا من أعوانهما، لا يفوتهم فرصة لإظهار سيادتهم على الآخرين، هما مغروران للغاية أو واعيان للغاية، حتى تبدو قويًّا يجب أن تكون قويًّا.

يطابق الأميران والديهما في الأزياء الحمراء والسوداء، مزينة بأوسمة عسكرية، يقف (كال) على يمين أبيه وملامحه جامدة وساكنة، إذا كان يعلم من ستتزوجه فلا يبدو سعيدًا بذلك. (مافين) هنا أيضًا، عل يسار والدته وعلى وجهه عاصفة من المشاعر، الأخ الأصغر ليس بمهارة (كال) في إخفاء مشاعره.

على الأقل لن أضطر إلى التعامل مع كاذب ماهر.

«مراسم اختبارات الملكة دومًا مناسبة سعيدة؛ فتمثل مستقبل مملكتنا العظيمة والروابط التي تبقينا متحدين بقوة في وجه أعدائنا» يقول الملك للجمهور. لا يروني بعد؛ فأقف عند نهاية الغرفة وأنظر إلى أسفل تجاههم، «ولكن كما رأينا اليوم قدمت لنا اختبارات الملكة أكثر من ملكتنا المستقبلية».

يلتفت إلى (إيلارا) التي تمسك بيد الملك بين يدها في ابتسامة مطيعة، تحوُّلها من الشريرة الشيطانية إلى الملكة الخجولة مذهلٌ.

تقول (إيلارا)، «كلنا نتذكر أملنا المشرق ضد ظلام الحرب، الكابتن، صديقنا الجنرال (إيثان تيتانوس)».

يهمهم الجمهور في حزنٍ وشوقٍ، حتى كبير منزل (ساموس)، والد (إيفانجلين) القاسي، يحني رأسه.

«لقد قاد الفيلق الحديدي إلى النصر، ودحر حدود الحرب التي ظلّت ثابتة لما يقرب من مئة عام، هابه (اللايكلاندريون)، وأحبه جنودنا».

أشك بشدة في حب حتى جندي واحد للجنرال الفضي.

«الجواسيس (اللايكلاندرون) قتلوا صديقنا العزيز (إيثان)، تسللوا عبر الحدود ليدمروا أملنا الوحيد في السلام. وزوجته السيدة النبيلة (نورا)، امرأة جميلة ومنصفة، ماتت معه. في هذا اليوم المصير منذ ستة عشر عامًا، فقدنا منزل (تيتانوس)، سُلب من الأصدقاء، وأريقت دماؤنا».

سيطر الصمت على الغرفة بينما توقفت الملكة لتمسح عينيها مما أعرف أنه مزيف، دموع مزيفة. بعض من الفتيات المتباريات في اختبارات الملكة تململن في مقاعدهن، لا يهتممن بشأن جنرال ميت، ولا حتى الملكة، ليس بحق، هذا من أجلي، من أجل تسلل فتاة حمراء مثلي إلى الملكية من دون أن يلاحظ أحدٌ.

هذه خدعة سحرية والملكة ساحرة بارعة.

تجدني عيناها، تشعل مكاني في أعلى الدرجات، ويتبعها الجميع. يبدو بعضهم محتارًا، بينما يتعرف آخرون عليَّ من هذا الصباح، وبعضهم يحدق إلى فستاني، يعلمون ألوان منزل (تيتانوس) أكثر مما أعرف وأفهم من أكون، أو على الأقل من أتظاهر بكونها.

«هذا الصباح شهدنا معجزة، شاهدنا فتاة حمراء تسقط في الحلبة كالصاعقة، تتحكم في قدرات ليس من المفترض أن تكون لديها».

تتصاعد المزيد من الهمهمة ويقف بعض (الفضيين)، تبدو الفتاة (ساموس) غاضبة، عيناها السوداء مثبتة ناحيتي.

«لقد تحدثنا أنا والملك باستفاضة، في محاولة لاستكشاف كيف أصبحت هكذا» تحدثنا، هذه كلمة مضحكة لوصف خفق دماغي.

«هي ليست حمراء، أصدقائي، من فضلكم رحبوا بعودة السيدة النبيلة (مارينا تيتانوس) إلينا، ابنة (إيثان تيتانوس)، وجدناها بعد الضياع».

بإشارة من يدها تأمرني بالاقتراب، وأطيعها.

أهبط الدرجات وسط تصفيقٍ متكلفٍ، أركز على عدم السقوط ولكن قدميَّ واثقة، ووجهي ثابت، بينما أمضي تجاه مئات من الوجود المتسائلة، تحدق وتشك بي. لا يتبعني (لوكاس) أو حراسي، يبقون على المنصة، أنا وحيدة وسط هؤلاء القوم مجددًا. لم أشعر بالعري مثل الآن حتى تحت طبقات من الحرير ومستحضرات التجميل، ومجددًا أنا شاكرة لتلك المستحضرات فهي درعي، تخفي حقيقتي عنهم، حقيقة لا أفهمها.

توجهني الملكة تجاه مقعدٍ فارغٍ في مواجهة الحضور وأمشي إليه، تراقبني فتيات اختبارات الملكة، متسائلات لِمَ أنا هنا؟ ولِم أصبحت مهمة فجأة؟ ولكن هذا فقط فضول وليس غضبًا، ينظرن تجاهي في شفقة، وتعاطف مع قصتي الحزينة بأقصى ما يقدرن، عدا (إيفانجلين ساموس). عندما أصل أخيرًا إلى مقعدي، أجدها جالسة بجانبي، عيناها تحدق إليَّ، لم تعد ترتدي الملابس الجلدية والقطع الحديدية، الآن ترتدي فستانًا ذا حلقات معدنية متداخلة، من طريقة قبضها لأصابعها أدرك أنها لا تريد أكثر من لفها حول عنقي.

«أنقذت من مصير والديها، أخذت السيدة (مارينا) من الجبهة ووجدت نفسها في قرية حمراء على بُعد عشرة أميال من هنا» يكمل الملك، بدلًا من الملكة حتى يكشف هو المفاجأة في قصتي. «ربّاها والدان حمراوان، عملت كخادمة حمراء، وحتى هذا الصباح، صدَّقت أنها واحدة منهم» الشهقات المصاحبة جعلتني أعض على أسناني. «كانت (مارينا) ألماسة في أرض وعرة، كانت خادمة في قصري، ابنة صديقي الراحل تحت أنفي، ولكن ليس بعد الآن. حتى أكفِّر عن جهلي وأكافئ والدها ومنزلها على إسهاماتهم العظيمة لمملكتنا، أفضِّل أن أستغل هذه اللحظة لأعلن عن تحالف منزل (كالور) ومنزل (تيتانوس) العائد».

شهقات أخرى، وهذه المرة من فتيات الاختبارات، يعتقدن أنني سأسرق (كال) منهن، يعتقدن أني سأصبح منافسة لهن. أرفع نظري تجاه الملك أتوسل منه أن يكمل قبل أن تقتلني إحدى الفتيات. أكاد أشعر بمعدن (إيفانجلين) البارد يقطعني، أصابعها تتشابك، ومفاصلها بيضاء من شدة مقاومة رغبتها في سلخي الآن أمام الجميع، وعلى جانبها الآخر يضع والدها يده على ذراعها لتهدئتها.

عندما يخطو (مافين) إلى الأمام، يتقلص التوتر في الغرفة، يتردد قليلًا، يتعثَّر في الكلمات التي تلقنها، ولكنه يجد صوته أخيرًا.

«السيدة (مارينا)».

أحاول أن أوقف نفسي عن الارتجاف بينما أنهض.

«أمام أعين والدي الملك والبلاط النبيل، أريد أن أطلب يدك للزواج، أتعهد بنفسي لكِ، (مارينا تيتانوس) هل تقبلين؟».

تشتد ضربات قلبي وهو يتحدث، وعلى الرغم من أن كلماته تبدو كسؤالٍ، أعلم أنه ليس لديَّ خيارٌ في ردي، مهما أردت النظر بعيدًا تظل عيناي على (مافين)، يعطيني أصغر ابتسامة مشجعة، أتساءل من الفتاة التي كانوا سيختارونها له.

من كنت سأختار؟ لو لم يحدث أي من هذا، لو لم يمُت معلم (كيلورن) في العمل، لو لم تتحطم يد (جيسا)، لو لم يتغير أي شيء، لو، هذه أسوأ كلمة في العالم.

التجنيد، البقاء، أطفال لديهم أعين خضراء وساقاي السريعتان واسم (كيلورن) الأخير، المستقبل الذي كان مستحيلًا من قبل، أصبح غير موجودٍ.

«أتعهد بنفسي لك، (مافين كالور)» أقول، وأطرق آخر مسمارٍ في نعشي، يرتعش صوتي، ولكني لا أتوقف، «أقبل».

يحمل كلامي نوعًا من القطعية تصفق الباب على بقية حياتي، أشعر أنني على وشك الانهيار، ولكني أتمكّن من الجلوس في رشاقة.

يجلس (مافين) على مقعده، شاكرًا بُعده عن الضوء، تربت والدته على ذراعه لطمأنته، وتبتسم في لطفٍ، فقط من أجله. حتى (الفضيون) يحبون أولادهم، وتتحول إلى البرود مجددًا بينما يقف (كال)، وتختفي ابتسامتها في ثانية.

يبدو أن الهواء ينفد من الغرفة عندما تسحب كل الفتيات نفسًا عميقًا في انتظار القرار. أشك أن (كال) كان لديه أي رأي في اختيار ملكته، ولكنه يلعب دوره جيدًا مثل (مافين)، مثلما حاولت أن أفعل. يبتسم بإشراقٍ، مظهرًا أسنانًا بيضاء تجعل بعض الفتيات تتنهد، ولكن عينيه الدافئة جادة.

«أنا وريث والدي، ولدت مع الامتيازات والقوة، أنتم مدينون لي بولائكم كما أنا مدين لكم بحياتي. واجبي خدمتكم وخدمة مملكتنا بأقصى قدرتي... وأكثر» لقد تدرب على هذا الخطاب، ولكن حماسه لا يمكن أن يكون مزيفًا، يؤمن بنفسه، إنه سيكون ملكًا صالحًا أو سيموت من أجل ذلك.

«أحتاج إلى ملكة تضحي بنفسها مثلما أضحي، للحفاظ على النظام والعدل والتوازن».

تميل فتيات الاختبارات إلى الأمام، في شوقٍ إلى سماع كلماته التالية، ولكن (إيفانجلين) لا تتحرك، وتعتلي ابتسامة فاضحة وجهها. ومنزل (ساموس) يبدو هادئًا مثلها، يحاول أخوها (بتوليموس) إخفاء تثاؤبه، يعلمون من تم اختياره.

«سيدة (إيفانجلين)».

لا توجد شهقة مفاجأة ولا صدمة أو حماس ظاهرٌ عليها، حتى الفتيات الأخريات، على الرغم من فطر قلوبهن يجلسن ويهززن أكتافهن في حزن. ظن الجميع أن هذا سيحدث، أتذكر العائلة البدينة في الحديقة الحلزونية وهم يتذمرون أن (إيفانجلين ساموس) قد فازت بالفعل، كانوا محقين.

في حركة رشيقة باردة تنهض (إيفانجلين)، وبالكاد تنظر تجاه (كال)، بل تلتفت من خلف كتفها لتهزأ من الفتيات المحبطات، تستمتع بلحظة مجدها، وتظهر ابتسامة باهتة عليها عندما تنظر تجاهي ولا أفوت رؤية أسنانها المتوحشة. عندما تلتفت مرة أخرى يردد (كال) عرض الزواج مثل أخيه. «أمام أعين والدي الملك والبلاط النبيل، أريد أن أطلب يدك للزواج، أتعهد بنفسي لكِ، (إيفانجلين ساموس) هل تقبلين؟».

«أتعهد بنفسي لك يا أمير (تايبرياس)» تقول بصوتٍ رفيعٍ وهامسٍ بصورة عجيبة، متناقض مع مظهرها الحاد، «أقبل»، تجلس وعلى وجهها ابتسامة نصر ويعود (كال) لمقعده. يحافظ على ابتسامة ثابتة مثل قطعة من الدرع ولا يبدو أنها تلاحظ.

ثم أشعر بيدٍ تجد ذراعي وأظافر تغرز في جلدي، أحارب الرغبة في القفز من على مقعدي، لا يبدو على (إيفانجلين) أي رد فعل وما زالت تحدق إلى الأمام تجاه المكان الذي سيكون لها يومًا ما. إذا كنا في (الستيلتز)، كنت سأحطم أسنانها. تغرز أصابعها أكثر، حتى اللحم، إذا جرحتني ونزفت، دماء حمراء، ستنتهي لعبتنا الصغيرة هذه قبل أن تتاح لها فرصة البدء. ولكنها تتوقف قبل أن تقطع جلدي، تاركة كدمات ستضطر الخادمات إلى إخفائها.

«إذا اعترضتِ طريقي سوف أقتلك ببطء، يا فتاة البرق الصغيرة» تهمس خلال ابتسامتها. فتاة البرق الصغيرة، هذا اللقب بدأ يزعجني بشدة.

ولتؤكد وجهة نظرها، يتحرك السوار المعدني على معصمها، ويتحول إلى دائرة من الأشواك الحادة، يلمع كل طرف فيه، ويتوق إلى إراقة الدماء. أبتلع ريقي، وأحاول ألا أتحرك، ولكنها تتركني سريعًا وتعيد يدها فوق

ساقها، ومجددًا تصبح صورة الفتاة الفضية الرزينة، إذا كان هناك من يرجو لضربة كوع في وجهه فهي (إيفانجلين ساموس).

تخبرني نظرة سريعة حول القاعة أن البلاط أصبح متجهمًا، وبعض أعين الفتيات تدمع، وترمي بنظراتٍ عنيفة تجاه (إيفانجلين) وتجاهي. على الأرجح انتظرن هذا اليوم طوال حياتهن، فقط ليفشلن. أريد أن أسلم خطيبي لهن، أن أتخلى عما يريدن بشكلٍ يائسٍ، ولكن لا، يجب أن أبدو سعيدة، يجب أن أتظاهر.

«كم كان اليوم رائعًا وسارًّا» يقول الملك (تايبرياس)، متجاهلًا الشعور السائد في الغرفة، «يجب أن أذكِّركم لِمَ قمنا بهذا الاختيار، قوة منزل (ساموس) تنضم إلى ابني، وكل أبنائه المستقبلين، ستساعد في توجيه الأمة. تدركون كلكم حالة البلاد الحرجة، الحرب في الشمال والمتطفلون الحمقى، أعداء طريقتنا في الحياة، يحاولون تدميرنا من الداخل. قد يبدو الحرس القرمزي ضئال ومحدودين بالنسبة إلينا، ولكنهم يمثلون منحنى خطر لإخوتنا (الحمر)».

الكثير من الحشد يسخر من كلمة إخوتنا وأنا من ضمنهم.

ضئال ومحدودون، إذن لماذا يحتاجون إليَّ؟ لماذا يستغلونني إذا كان الحرس القرمزي لا شيء بالنسبة إليهم؟ الملك كاذب، ولكن ما الذي يحاول إخفاءه، لست متأكدة، قد تكون قوة الحرس، قد تكون أنا.

على الأرجح الاثنان معًا.

«إذا استمرت حركات التمرد هذه» يكمل الملك، «سينتهي الأمر بإراقة الدماء وأمة منقسمة، وهذا ما لا أحتمله، يجب أن نحافظ على التوازن، وسوف تساعد (إيفانجلين) و(مارينا) على تحقيق ذلك، من أجل مصلحتنا جميعًا».

يتخلل همس الحضور كلمات الملك، البعض يومئ، وآخرون غاضبون من نتيجة اختبارات الملكة، ولكن لا أحد يعرب عن اعتراضه، لا يتحدث أحد؛ فلن يستمع أحد إذا فعل.

يحني الملك (تايبرياس) رأسه مبتسمًا؛ لقد فاز ويدرك ذلك، «القوة والقدرة» يكرر ويصدر الشعار صدى بينما يردد الجميع الكلمات.

تتعثَّر الكلمات على طرف لساني، وأشعر بغرابتها في فمي. يحدق إليَّ (كال)، ويشاهدني بينما أردد الكلمات مع الجميع، وفي تلك اللحظة كرهت نفسي.

«القوة والقدرة».

أعاني خلال الوليمة، أشاهد ولا أرى، أسمع ولا أستمع. حتى الطعام، طعام أكثر مما رأيت طوال حياتي، طعمه بلا مذاق في فمي. من المفترض أن أحشو وجهي وأستمتع بأفضل وجبة في حياتي، ولكني لا أقدر، لا أقدر حتى على الكلام عندما يتمتم (مافين) لي، صوته هادئ ومتزن في تأكيدٍ.

«تبلين بلاءً حسنًا» يقول وأحاول تجاهله. مثل أخيه يرتدي السوار المعدني، صانع اللهب، وذلك تذكرة جادة بمن يكون (مافين)، قوي وخطير، حارق، وفضي.

جلوسي على طاولة مصنوعة من الكريستال وشربي للمشروب الذهبي المليء بالفقاعات حتى تدور رأسي، يشعرني كأني خائنة؛ ماذا يأكل والداي الليلة في العشاء؟ هل يعلمان أين أكون؟ أم تجلس أمي في الشرفة، تنتظر عودتي للمنزل؟

بدلًا من ذلك أنا محبوسة في غرفة مليئة بمن سيقتلونني إذا أدركوا حقيقتي، والعائلة الملكية بالطبع، سيقتلونني إذا استطاعوا، وربما سيفعلون ذلك في يومٍ ما. لقد بدَّلوني داخليًّا وخارجيًّا، بدَّلوا بـ(ماير) (مارينا)، تاجًا بلصة، حريرًا بخرقٍ، فضيًّا بأحمر، هذا الصباح كنت خادمة، والليلة أنا أميرة.

ماذا سيتغير أيضًا؟ ماذا سأخسر أيضًا؟

«هذا يكفي؟» يقول (مافين)، ويسبح صوته وسط ضجيج الوليمة، يسحب مني كأسي الفخم، ويبدل به كأسًا من المياه.

«يعجبني هذا المشروب» أقول، ولكني أتجرع المياه في نهمٍ وأشعر برأسي يصفو.

يهز (مافين) كتفيه، «ستشكرينني لاحقًا».

«شكرًا» أجيبه سريعًا في سخرية. لم أنس الطريقة التي نظر بها إليَّ هذا الصباح، كأني شيء عالق بأسفل حذائه، ولكن نظرته الآن ألطف، أهدأ، مثل (كال).

«آسف بشأن ما حدث سابقًا يا (مارينا)».

اسمي (ماير)، ويخرج مني في المقابل، «أنا متأكدة من كونك ذلك».

«حقًّا» يقول ويميل تجاهي. نجلس متجاورين، مع بقية العائلة الملكية، على الطاولة العالية.

«الأمر فقط...أن الأمراء الأصغر يمكنهم الاختيار، هذه إحدى مميزات عدم كوني الوريث» يضيف ويجبر ابتسامة على وجهه.

«لم أعلم ذلك» أجيبه ولا أعلم حقًّا ما أقول. من المفترض أن أشعر بالأسف تجاهه، ولكني لا أقدر على جبر نفسي بالشعور بأي شفقة تجاه أمير.

«حسنًا لم تكوني تعلمين، هذا ليس خطأك».

يعود بنظره تجاه صالة الوليمة، يبحث بعينيه كأنهما صنارتان للصيد، أتساءل عمَّ يبحث.

«هل هي هنا؟» أهمس، وأحاول أن أبدو آسفة، «الفتاة التي كنت ستختارها»:

يتردد ويهز رأسه نفيًا: «لا، ليس لديَّ شخص محدد في رأسي، ولكن كان سيكون أمرًا لطيفًا أن يكون لديَّ اختيار، أتعرفين؟».

لا، لا أعرف، ليس لديَّ رفاهية الاختيار، ليس الآن وليس أبدًا.

«ليس مثل أخي، لقد كبر وهو يدرك أنه لن يكون له قول في مستقبله، أظنني الآن أتذوق جزءًا مما يشعر به».

«أنت وأخوك لديكما كل شيء يا أمير (مافين)» أهمس بصوتٍ صادقٍ للغاية كأنه دعاء.

«تعيشان في قصرٍ، لديكما القوة ولديكما القدرة، لن تتعرَّفا على المصاعب حتى إذا ركلتكما في أسنانكما، وصدقني، تفعل ذلك كثيراً، فمعذرة إذا لم أشعر بالأسف تجاه أحدٍ منكما».

ها أنا، أترك فمي يهرب مع عقلي، بينما أتعافى وأشرب باقي المياه في محاولة لتبريد عصبيتي. يحدق إليَّ (مافين) بعينين باردتين، ولكن يتراجع جدار الثلج ويذوب بينما تلين نظرته.

«أنتِ محقة يا (ماير)، لا أحد يجب عليه الشعور بالأسف تجاهي» أستطيع سماع المرارة في صوته، وبرجفة أشاهده يرمق (كال). يشع أخوه الأكبر مثل الشمس، ضاحكًا مع أبيه. عندما يلتفت (مافين) مجددًا يجبر ابتسامة أخرى على وجهه، ولكن هناك حزن مفاجأ في عينيه.

مهما حاولت لا أقدر على تجاهل ضربة الشفقة المفاجئة تجاه الأمير المنسي، ولكنها تمر عندما أتذكر من يكون ومن أكون.

أنا فتاة حمراء في بحر من (الفضيين)، ولا أتحمل الشعور بالأسف تجاه أي شخص، ناهيك بابن الثعبان.

الفصل الحادي عشر

يقدم الحشد نخبًا في نهاية الوليمة، يرفعون كؤوسهم تجاه الطاولة الملكية. وها هم، السيدات واللوردات في قوس قزح يحاولون شق طريقهم إلى إحسان الملك. يجب أن أتعلم كيفية التعرف عليهم قريبًا، أن أربط كل لون بمنزل وكل منزل بشخص. يهمس (مافين) بأسمائهم الواحد تلو الآخر، على الرغم من أني لن أتذكرهم غدًا.

في البداية كان الأمر مزعجًا، ولكن سريعًا أجد نفسي أميل ناحيته لأسمع الأسماء.

اللورد (ساموس) كان آخر من يقف، وعندما يفعل ذلك، يعم الصمت المكان، هذا الرجل يطالب بالاحترام، حتى وسط الجبابرة. على الرغم من أن رداءه الأسود سادة وعلى أطرافه حرير بسيط، وليس لديه أي حلي ضخمة أو شارات يتفاخر بها، لديه قوة في المكان لا يمكن إنكارها. لا أحتاج إلى (مافين) أن يقول لي إنهم أعلى المنازل، وإنه رجل يستحق الهيبة أكثر من الجميع.

«(فولو ساموس)» يتمتم (مافين)، «كبير منزل (ساموس)، يملك ويدير مناجم الحديد، كل مسدس في الحرب يأتي من أرضه».

إذن هو ليس مجرد واحدٍ من النبلاء، أهميته تأتي أكثر من ألقابه.

نخب (فولو) قصير ومحدد، «في نخب ابنتي» يقول بصوتٍ هادئ ومتزن وقوي، «الملكة المستقبلية».

«في نخب (إيفانجلين)!» يصيح (بتوليموس) ويقفز بجانب والده، تشع عيناه عبر القاعة، تتحدى أي شخص يجرؤ على المعارضة. يبدو الانزعاج على بعض اللوردات والسيدات، وحتى الغضب، ولكنهم يرفعون كؤوسهم مع البقية يحيون الأميرة الجديدة، تعكس كؤوسهم الضوء، كل واحد

كنجمة لامعة صغيرة في يد إله.

عندما ينتهي، ينهض الملك (تايبرياس) والملكة (إيلارا)، يبتسمان تجاه ضيوفهما. وينهض (كال) أيضًا، وحتى (إيفانجلين)، ثم (مافين) وبعد لحظة حماقة قصيرة أنضم إليهم. ويفعل المثل المنازل المتعددة عند طاولاتهم، وتصدر الكراسي المزاحة على الأرضية الرخامية صريرًا كأنها صوت مسامير تحتك بالصخور. لحسن الحظ ينحني الملك والملكة ببساطة ويهبطان الدرجات مبتعدين عن الطاولة، لقد انتهى الأمر، لقد اجتزت ليلتي الأولى.

يمسك (كال) بيد (إيفانجلين) ويلحقان بهما ثم (مافين) وأنا في المؤخرة، عندما يمسك (مافين) بيدي، أشعر بجلده باردًا إلى درجة صادمة.

يضغط حشد (الفضيين) من كلا الجانبين، يراقبوننا نمرُّ في صمتٍ ثقيلٍ، وجوههم فضولية، ماكرة، قاسية وخلف كل ابتسامة زائفة تذكرة، هم يراقبون، كل عين تفحصني، تبحث عن ثغرات وعيوب، تجعلني أتلوى، ولكن لا يمكنني الانهيار.

لا يمكنني أن أزل، ليس الآن وليس أبدًا، أنا واحدة منهم، أنا مميزة، أنا حادثة، أنا كذبة، وحياتي تعتمد على الحفاظ على هذا الوهم.

يضيق (مافين) أصابعه على يدي، يحثني على التقدم: «نحن على وشك الانتهاء» يهمس بينما نقترب من الطرف البعيد للقاعة، «أوشكنا على الوصول».

يمر شعوري بالاختناق بمجرد تركنا الوليمة، ولكن تلاحقنا الكاميرات بأعين كهربائية ثقيلة. كلما فكرت في الأمر صارت نظراتها أقوى، حتى أصبحت أشعر بوجود الكاميرات قبل أن أراها، ربما هذا عرض جانبي لحالتي، ربما لم أكن محاطة بكل هذه الكهرباء من قبل، وهذا ما يشعر به الجميع، أو ربما أنا الغريبة.

تنتظر مجموعة من (السينتنال) في الممر لاصطحابي إلى أعلى، ولكن ما الذي يمكن أن يهدد هؤلاء الناس؟ (كال)، (مافين) والملك (تايبرياس) يمكنهم التحكم بالنار، و(إيلارا) تتحكم بالعقول، ما الذي يخافونه؟

سوف ننهض، أحمر مثل الفجر، صوت (فارلي) وكلمات أخي، عقيدة الحرس القرمزي، تعود إليَّ. قاموا بالهجوم على العاصمة بالفعل، يمكن أن يكون هنا هدفهم القادم، يمكن أن أكون أنا هدفًا، (فارلي) يمكنها احتجازي في بث آخر، كشفي للعالم في محاولة للتقليل من (الفضيين).

«انظروا إلى كذبتهم، انظروا إلى تلك الكذبة» كانت لتقول وتدفع بوجهي تجاه الكاميرا وتريق دمائي الحمراء ليراها العالم.

تخطر على عقلي أفكار مجنونة واحدة تلو الأخرى، كل منها أكثر رعبًا وأكثر غرابة من سابقتها، هذا المكان يدفعني إلى الجنون بعد ليلة واحدة فقط.

«سار هذا جيدًا» تقول (إيلارا) وتنزع يدها من يد الملك عندما نصل الطابق السكني، لا يبدو أنه يمانع على الإطلاق، «اصطحبوا الفتيات إلى غرفهن» لا توجه أمرها إلى شخصٍ بالتحديد، ولكن ينفصل أربعة من حراس (السينتنال) عن المجموعة، تلمع أعينهم خلف أقنعتهم السوداء.

«يمكنني فعل هذا» يقول (كال) و(مافين) في نفس الوقت، ينظر أحدهما إلى الآخر، متفاجئين.

ترفع (إيلارا) حاجبها: «سيكون هذا غير لائقٍ».

«سأصطحب (مارينا)، (مافي) يمكنك أخذ (إيفانجلين)» يعرض (كال) سريعًا، ويضغط (مافين) على شفتيه عند سماعه كلمة (مافي)، ربما هذا ما دعاه به (كال) عندما كان صبيًّا وقد التزق به الآن، رمزًا للأخ الأصغر، دومًا في الظلال، دومًا في المرتبة الثانية.

يهز الملك كتفيه: «دعيهم يا (إيلارا)، تحتاج الفتيات إلى نومٍ جيدٍ، ويسبِّب (السينتنال) كوابيس لأي فتاة» يضحك ويومئ تجاه الحراس؛ لا يجيبون، صامتين مثل الحجر، لا أعلم إذا كان من المسموح لهم الكلام على الإطلاق.

بعد لحظة من الصمت الموتر، تلتفت الملكة: «حسنًا» مثل أي زوجة تكره عندما يتحداها زوجها، ومثل أي ملكة تكره القوة التي يملكها الملك عليها، تركيبة سيئة.

«إلى النوم» يقول الملك وصوته أكثر قوة وسلطة، يبقى حراس (السينتنال) معه، يتبعونه بينما يمضي في الطريق المضاد لزوجته، لا أظن أنهما ينامان في نفس الغرفة، ولكن لم يكن هذا صادمًا.

«أين غرفتي بالضبط؟» تسأل (إيفانجلين) وهي تحدق تجاه (مافين)، رحلت الملكة المستقبلية الخجولة، ومكانها الشيطانة القاسية التي أعرفها.

يبتلع ريقه عند رؤيتها: «آه، من هنا، يا...سيدتي» يمد ذراعه إليها، ولكنها تتحرك متجاهلاه: «تصبحان على خير يا (كال) و(مارينا)» يتنهد (مافين) وينظر إليَّ.

يمكنني فقط أن أومئ إلى الأمير، خطيبي، تجعلني الفكرة أشعر بالغثيان، حتى إذا بدا مهذبًا، ولطيفًا، هو فضي، وابن (إيلارا)، وربما هذا أسوأ. ابتسامته وكلماته الطيبة لا يمكنها إخفاء هذا عني، و(كال) بنفس القدر من السوء، نشأ من أجل الحكم، ليُخلد هذا العالم المنقسم أكثر. يشاهد (إيفانجلين) تختفي، وعيناه معلقة بها بطريقة تجعلني منزعجة لسببٍ ما.

«اخترت فائزة حقيقية» أتمتم عندما تبتعد عن حدود السمع.

تموت ابتسامة (كال) في رجفة، ويبدأ في المضي نحو غرفتي صاعدًا سلَّمًا حلزونيًّا. تكافح ساقاي الصغيرتان للحاق بخطواته الواسعة، ولكنه لا يبدو عليه الملاحظة، غارقًا في تفكيره.

أخيرًا يلتفت وعيناه تبدو مثل الفحم المشتعل: «لم أختر شيئًا، يعلم الجميع ذلك».

«على الأقل كنت تدرك ما على وشك الحدوث، لقد استيقظتُ هذا الصباح ولم يكن لديَّ حتى رفيق» يجفل (كال) من كلماتي، ولكني لا أهتم، لا أقدر على تحمُّل رثائه لحاله. «وكما تعلم هناك أمر أنك ستكون الملك، لا بد أن هذا دافع».

يضحك ضحكة خافتة، وتظلم عيناه، يخطو إلى الأمام ويفحصني من رأسي إلى قدمي، بدلًا من أن يبدو ناقضًا، يبدو حزينًا، حزن عميق في بركة الأحمر والذهبي في عينيه، صبي صغير تائه، يبحث عمن ينقذه.

«أنت تشبهين (مافين) كثيرًا» يقول بعد لحظة طويلة جعلت قلبي يسرع.

«تقصد الخطبة لشخصٍ غريبٍ؟ لدينا هذا كعامل مشترك».

«كلاكما حاد الذكاء» لا أقدر على منع نفسي من إصدار صوت سخرية، من الواضح أن (كال) لا يعلم أني لن أجتاز امتحان رياضيات مخصصًا لسن الرابعة عشرة. «أنتِ تعرفين الناس، أنتِ تفهمينهم، يمكنكِ الرؤية خلالهم».

«لقد قمت بعملٍ جيدٍ في ذلك بالأمس، كنت أعلم بالتأكيد أنك الأمير طوال الوقت» ما زلت لا أصدق أن هذا كان بالأمس فقط. يا له من فارق يمكن أن يحدث خلال يوم.

«كنتِ تعلمين أنني لم أنتمِ».

حزنه معدٍ، يبعث بألم داخلي: «إذن لقد بدلنا أماكننا».

فجأة لا يبدو القصر رائعًا وبديعًا، المعدن الصلب والحجارة قاسيان بشدة، مشرقان بشدة، غير طبيعيين بشدة، يحاصرانني بالداخل، وأسفل كل شيء، يستمر صوت الكاميرات الكهربائي، هو ليس صوتًا حقًّا، هو شعور تحت جلدي، داخل عظامي، في دمي. يحاول عقلي التواصل مع الكهرباء، كأنها فطرة. توقفي، أقول لنفسي، توقفي، ينتصب الشعر فوق ذراعي بينما يزحف شيء تحت جلدي، طاقة متفجرة لا أستطيع التحكم بها، بالطبع تعود الآن، عندما يكون احتياجي إليها الأقل.

ولكن يمر الشعور سريعًا كما بدأ وتتحول الكهرباء إلى همهمة خافتة مرة أخرى وتترك العالم يعود لطبيعته.

«هل أنت بخيرٍ؟» يحدق إليَّ (كال) في حيرة.

«آسفة» أتمتم وأهز رأسي، «أفكر فقط».

يومئ ويبدو تقريبًا آسفًا: «بعائلتك؟».

تضربني الكلمات كصفعة؛ فلم تطرأ عائلتي على عقلي منذ ساعات، ويشعرني ذلك بالمرض، قد غيرتني ساعات قليلة من الحرائر والملكية بالفعل.

«لقد أرسلت إعفاء من التجنيد إلى إخوتك وصديقك، وأرسلت ضابطًا إلى منزلك، ليقول لعائلتك أين تكونين» يكمل (كال) معتقدًا أنه يمكنه تهدئتي، «لا يمكننا أن نقول لهم كل شيء بالطبع».

يمكنني تخيل كيف صار ذلك. مرحبًا، ابنتكم أصبحت فضية الآن، وستتزوج الأمير، ولن تروها مجددًا، ولكنها سترسل إليكم المال لمساعدتكم، مقايضة عادلة، ألا تعتقدون؟

«يعلمون أنك تعملين لدينا ويجب أن تقيمي هنا، ولكنهم يعتقدون أنك خادمة، وللوقت الحالي على الأقل، عندما تصير حياتك أكثر علانية، سنرى كيف نتعامل معهم».

«هل يمكنني مراسلتهم على الأقل؟» كانت رسائل (شايد) دومًا نقطة مشرقة في حياتنا المظلمة، وربما تكون رسائلي مثلها.

ولكن (كال) يهز رأسه: «أنا آسف، هذا ليس ممكنًا».

«لم أعتقد ذلك».

يشير إليّ تجاه غرفتي التي تضيء فجأة بالحياة، تُفعل الأضواء بالحركة، أعتقد، مثل في الممر، تحتد حواسي وكل شيء كهربائي يصير شعورًا حارقًا داخل عقلي، وفورًا أدرك أنه هناك لا أقل من أربع كاميرات في الغرفة ويجعلني هذا أتلوى من الانزعاج.

«هذا فقط لحمايتك، إذا اعترض أي شخص المراسلات واكتشف أمرك...».

«وهل الكاميرات هنا لحمايتي أيضًا؟» أسأله وأشير إلى الجدران، تجرح الكاميرات جلدي، تراقب كل إنش من جسدي، يثير ذلك جنوني، وبعد يوم كهذا، لا أعلم كم سأتحمل أكثر. «أنا محبوسة في قصر الكوابيس، تحاصرني الجدران والحراس والناس الذين سيمزقونني إلى أشلاء، ولا أقدر حتى على الحصول على لحظة من السلام في غرفتي الخاصة».

بدلًا من الغضب، يبدو (كال) محتارًا، تفحص عيناه الغرفة، الجدران عارية، ولكن بالتأكيد يشعر بها أيضًا، كيف لا يشعر أحدٌ بهذه الأعين تضغط عليه؟

«(ماير)، لا يوجد كاميرات هنا».

ألوح بيدي في استنكارٍ، فما زالت همهمة الكهرباء تخترق جلدي، «لا تكن أحمق، أستطيع الشعور بها».

الآن يبدو حقًّا ضائعًا: «تشعرين بها؟ ماذا تقصدين؟».

«أنا...» تموت الكلمات في حلقي، وأدرك: هو لا يشعر بأي شيء، هو لا يعلم عما أتحدث، كيف يمكنني شرح الأمر له، إذا لم يعرف من البداية؟ كيف يمكنني أن أخبره أني أشعر بالطاقة في الهواء مثل النبضات، مثل أي جزء آخر مني؟ مثل حاسة أخرى؟ هل سيفهمني؟

هل سيفهم أي شخص؟

«هل هذا...ليس طبيعيًّا؟».

يبرق شيء في عينيه ويتردد، يبحث عن الكلمات المناسبة ليخبرني أنني مختلفة، حتى وسط (الفضيين)، أنا شيء آخر.

«ليس إلى حد علمي» يقول أخيراً.

يصدر صوتي خافتًا، حتى بالنسبة إليَّ، «لا أظن أن أي شيء بي ما زال طبيعيًّا بعد الآن».

يفتح فمه ليتحدث، ولكنه يفضل الصمت؛ فلا شيء يمكنه قوله سيشعرني بالتحسن، لا شيء يمكنه فعله من أجلي. في الحكايات الخيالية، الفتاة المسكينة تبتسم عندما تصير أميرة، وفي هذا الوقت، لا أعرف إذا كان في إمكاني الابتسام مجددًا.

الفصل الثاني عشر

جدولك الزمني كما يلي:

07:30 - الإفطار.

08:00 - بروتوكول.

11:30 - الغداء.

13:00 - دروس.

18:00 - العشاء.

سيصحبك (لوكاس) إلى كل مواعيدك، الجدول غير قابل للمفاوضة.

جلالتها الملكة (إيلارا) من منزل (ميراندس).

مذكرتها قصيرة ومحددة، من دون ذكر «فظَّة»، يسبح تفكيري في الساعات الخمس التي سأقضيها في الدروس، وأتذكر كم كنت سيئة في المدرسة، أتذمر وأرمي الورقة على الطاولة الجانبية؛ تسقط في بركة من ضوء الصباح الذهبي فقط لتغيظني.

مثل الأمس، تسرع الخادمات الثلاث داخل الغرفة في هدوء كالهمسات، وبعد خمس عشرة دقيقة ومحاربة سروال جلدي ضيق وفستان ثقيل وقطع ملابس غريبة غير عملية أخرى، نستقر على أكثر الملابس بساطة استطعت إيجادها في خزانة العجائب، سروال قوي أسود، معطف بنفسجي ذو أزرار فضية وحذاء لامع رمادي، وبجانب الشعر اللامع وحرب الطلاء، صرت تقريبًا أشبه نفسي مرة أخرى.

ينتظرني (لوكاس) على الجانب الآخر من الباب، تطرق قدمه الباب الحجري: «دقيقة تأخير عن الجدول» يقول بمجرد أن أخطو في الممر.

«هل ستقوم بمجالستي كل يوم مثل الأطفال أم حتى أتعلم طريقي هنا؟».

يتقدم ليمشي بجانبي ويوجهني بلطفٍ إلى الطريق الصحيح، «ماذا تعتقدين؟».

«نخب صداقة طويلة وسعيدة أيها الضابط (ساموس)».

«ولكِ أيضًا يا سيدتي».

«لا تدعني بذلك».

«كما تريدين يا سيدتي».

مقارنة بوليمة الأمس يبدو الإفطار مملًا، لا تزال صالة الطعام الأصغر ضخمة، سقفها عالٍ، وتطل على النهر، لكن الطاولة الكبيرة محضرة لثلاثة أشخاص فقط. لسوء حظي الكرسيان الآخران هما لـ(إيلارا) و(إيفانجلين)، قد أنهيا بالفعل نصف الفاكهة في الأطباق أمامهما عندما وصلت. بالكاد تنظر (إيلارا) تجاهي، ولكن تحدق (إيفانجلين) إليَّ بحدة كافية لكليهما، ومع ضوء الشمس المنعكس على زيها المعدني تبدو كنجمٍ مشعٍّ.

«يجب أن تأكلي سريعًا» تقول الملكة من دون أن تنظر إلى أعلى: «السيدة (بلونوس) لا تتسامح مع التأخير».

تضحك (إيفانجلين) وتغطي فمها بيدها في الناحية المقابلة مني: «ما زلت تدرسين البروتوكول؟».

«هل تقصدين أنكِ لا تدرسينه؟» يقفز قلبي من فكرة عدم اضطراري إلى الجلوس معها في الدروس: «عظيم».

تزمجر (إيفانجلين) وتتجاهل إهانتي: «فقط الأطفال يدرسون البروتوكول».

ولدهشتي تأخذ الملكة صفي: «السيدة (مارينا) نشأت في ظروفٍ بشعة، لا تعلم شيئًا عن عاداتنا وعن التوقعات المطلوبة منها الآن، بالتأكيد تفهمين احتياجاتها يا (إيفانجلين)؟».

كان التوبيخ هادئًا ومهددًا؛ تسقط ابتسامة (إيفانجلين) وتومئ دون أن تجرأ على النظر في عيني الملكة.

«ستكون وجبة الغداء اليوم في الشرفة الزجاجية، مع سيدات اختبارات الملكة وأمهاتهن، حاولا عدم الشماتة» تضيف (إيلارا)، مع أني لن أفعل

أبدًا، ولكن من الناحية الأخرى، تتحوَّل وجنتا (إيفانجلين) إلى الأبيض حرجًا.

«هل ما زلن هنا؟» أسمع سؤالي: «حتى بعد...عدم اختيارهن؟».

تومئ (إيلارا): «ضيوفنا سيبقون هنا للأسابيع القادمة لتكريم أميرنا وخطيبته، لن يغادروا إلا بعد حفلة الوداع».

يسقط قلبي حتى يصل إلى أصابع قدمي؛ إذن هناك أيام أخرى كليلة أمس، من الجمهور الملح وآلاف الأعين، وسيسألون أيضًا أسئلة ليس لديَّ لها إجابات: «رائع».

«وبعد الحفلة، سنرحل معهم» تستكمل (إيلارا)، وتلف السكين في يدها، «لنعود للعاصمة».

العاصمة، (أركيون)، أعلم أن العائلة الملكية تعود لقصر (وايتفاير) في نهاية كل صيف، والآن سأذهب أنا أيضًا، سأضطر إلى الرحيل، وهذا العالم الذي لا أفهمه سيصبح واقعي الوحيد، لن أقدر على العودة لمنزلي. «أنت تعلمين ذلك» أقول لنفسي، «ووافقتِ عليه»، ولكن الألم لم يقل.

عندما أهرب عائدة للممر، يقودني (لوكاس) إلى نهايته، وبينما نمشي يبتسم ابتسامة ساخرة: «لديك قطعة بطيخ على وجهك».

«بالتأكيد» أقول غاضبة، وأمسح فمي بكمي.

«السيدة (بلونوس) من هنا» يقول ويشير إلى نهاية الممر.

«وما قصتها؟ هل تستطيع الطيران أم تنمو الزهور من أذنيها؟».

يبتسم (لوكاس) لمجاراتي: «ليس بالضبط، هي معالِجة، الآن هناك نوعان من المعالجين: معالجو الجلد ومعالجو الدماء. كل منزل (بلونوس) معالجو دماء، بمعنى أنهم يقدرون على شفاء أنفسهم، يمكنني رميها إلى سقف الردهة وستنهض من دون أي خدش».

أرغب في رؤيته يختبر ذلك، ولكني لا أعبِّر بكلمات مسموعة: «لم أسمع بمعالجي الدماء من قبل».

«لم تكوني لتسمعي، ليس مسموحًا لهم بالمقاتلة في الساحات، فلا يوجد هدفٌ لفعل ذلك».

رائع، فضيون آخرون بقدراتٍ أسطورية: «إذن...إذا أصبت بنوبة...»،

يعرف (لوكاس) ما أقصد قوله وتلين ملامحه: «ستكون بخيرٍ، ولكن الستائر من ناحية أخرى...».

«لهذا كلّفوها بي، لأنني خطر».

ولكن يهز (لوكاس) رأسه نفيًا: «سيدة (تيتانوس)، كلفوها بكِ لأن وقفتك فظيعة وتأكلين مثل الكلب، دروس (بلونوس) ستعلمك كيف تصبحين سيدة لائقة، وإذا أشعلتِ بها النيران مرة أو اثنتين لن يلومك أحدٌ».

كيف أصير سيدة لائقة... سيكون هذا رهيبًا.

يفرقع مفاصل يده تجاه الباب، أقفز في دهشة، ويتأرجح الباب مفتوحًا في صمتٍ ليكشف عن غرفة تضيئها أشعة الشمس.

«سأعود لأحضر لكِ الطعام» يقول، لا أتحرك، قدماي مثبتة في الأرض، ولكن لوكاس يدفعني بلطفٍ داخل الغرفة المخيفة.

يتأرجح الباب خلفي، وهذه المرة يحجب الممر وكل شيء يمكنه تهدئتي. الغرفة جيدة، ولكنها بسيطة وبها جدار من النوافذ، وفارغة تمامًا. أزيز الكاميرات والأضواء، الكهرباء قوية بوضوحٍ هنا، تكاد تحرق الهواء حولي بالطاقة، أنا متأكدة أن الملكة تراقبني، مستعدة لتسخر من محاولاتي لأكون لائقة.

«مرحبًا؟» أقول وأتوقع إجابة، ولكن لا شيء يأتي، أتوجه ناحية النوافذ التي تطل على ساحة، وبدلًا من حديقة جميلة أخرى، أتفاجأ أن النافذة لا تطل على الخارج، بل تطل على غرفة بيضاء ضخمة.

الأرض على بُعد عدة طوابق إلى الأسفل، ويحيطها مضمار حول طرفها الخارجي، وفي المنتصف، تتحرك أداة غريبة وتدور، تلف حول أذرع معدنية ممتدة. رجال ونساء، يرتدون أزياء رسمية، يتفادون الماكينة الدوارة. تزداد سرعتها، وتدور أسرع، حتى يتبقى اثنان فقط، يغطسان ويتفاديان برشاقة وسرعة، ومع كل دورة تسرع الماكينة، حتى تبدأ في تقليل السرعة تدريجيًا وتغلق؛ لقد هزماها، يبدو أن هذا نوع ما من التدريبات، للأمن أو حراس (السينتنال).

ولكن عندما ينتقل المتدربان إلى تمرين إصابة الأهداف، أدرك أنهم ليسا من الحراس. يطلق الاثنان كرات متوهجة من النار في الهواء، لتفجر هدفًا يتحرك من أعلى إلى أسفل، وكل كرة تصيب الهدف ببراعة، وحتى من مكاني، أتعرف على ابتساماتهما، (كال) و(مافين).

إذن هذا ما يفعلانه في أثناء الصباح، لا يتعلمان كيف أحكم، أو كيف أصبح ملكًا، أو حتى لوردًا، ولكن يتمرَّنان على الحرب. (كال) و(مافين) مخلوقان مميتان، جنديان، ولكن معركتهما ليست على الحدود، هي هنا، في قصر، في الإذاعات وفي قلب كل شخص يحكمانه. سوف يحكمان وليس فقط بأحقية التاج، ولكن بقوتهما، القوة والقدرة، هذا ما يحترمه (الفضيون) جميعًا، وهذا كل ما يتطلب إبقاؤنا جميعًا عبيدًا.

تكون (إيفانجلين) التالية، عندما يتحرك الهدف، ترمي بمجموعة من السهام المعدنية الفضية الدوارة للقضاء على كل هدف على حِدة. لا عجب في سخريتها مني لاحتياجي إلى دروس البروتوكول، بينما أنا هنا أتعلم كيف أتناول الطعام بطريقة لائقة، تتمرن هي على كيفية القتل.

«هل تستمتعين بالعرض، يا سيدة (مارينا)؟» يقول صوتٌ حادٌ من خلفي، ألتف وأعصابي توخزني قليلًا، وما أراه لا يهدئني.

مظهر السيدة (بلونوس) مهيب، ويتطلب كل ما أعرفه من الآداب منع فكي من السقوط، معالِجة دماء، تقدر على شفاء نفسها، أفهم الآن ما يعني ذلك.

يبدو أنها أكبر من الخمسين عامًا، أكبر من والدتي، ولكن جلدها ناعم ومشدود بقوة على عظامها. شعرها أبيض تمامًا، مصفف إلى الخلف، ويبدو حاجباها أنهما مثبتان في وضع الدهشة، مقوسان على جبهتها الخالية من التجاعيد. كل شيء بها خاطئ، من شفاها الممتلئة إلى ميل أنفها الحاد بطريقة غير طبيعية. فقط عيناها الرماديتان تظهر بهما الحياة، الباقي، أدرك أنه مزيف. بطريقة ما استطاعت شفاء نفسها أو تغييرها إلى هذا الشيء الوحشي في محاولة لتبدو أصغر سنًا أو أكثر جمالًا أو أفضل.

«آسفة» أقول أخيرًا، «عندما وصلت لم تكوني...».

«لاحظت...» قاطعتني، ويبدو أنها تكرهني سلفًا: «تقفين كالشجرة في وسط العاصفة».

تمسك بكتفي وتسحبه إلى الخلف، تجبرني على الاستقامة: «أُدعى (بيس بلونوس)، وسأقوم بمحاولة جعلكِ سيدة لائقة؛ ستصبحين أميرة في يومٍ ما، ولا يمكننا تركك تتصرفين كهمجية، أليس كذلك؟».

همجية، وللحظة مشرقة وجيزة، أفكر في البصق على وجه السيدة (بلونوس) السخيف، ولكن ماذا سيكلفني ذلك؟ ماذا سيحقق هذا الفعل؟ سيثبت أنها على حقٍّ، والأسوأ من ذلك، أدرك أني أحتاج إليها، تدريبها لي سوف يمنعني من ارتكاب الأخطاء والأهم سيبقيني حية.

«لا» تجيب قشرة خاوية من صوتي: «لا يمكن».

وبالضبط بعد ثلاث ساعات ونصف، تحررني (بلونوس) من قبضتها وتعيدني إلى رعاية (لوكاس). يؤلمني ظهري من دروس كيفية الجلوس المستقيم، والوقوف والمشي وحتى النوم (على ظهرك، ذراعاكِ بجانبكِ، ودومًا في ثباتٍ) ولكن لا يقارن ذلك بالتدريبات العقلية التي جعلتني أمرُّ بها، فقد حفرت قواعد البلاط داخل رأس، ملأتني بالأسماء والبروتوكولات والسلوكيات. في الساعات القليلة السابقة تلقيت درسًا مكثفًا في أي شيء وكل شيء من المفترض أن أعرفه. وبدأ التسلسل بين العائلات النبيلة يتضح، ولكني متأكدة أنني سأخفق في شيء ما على أي حالٍ، فقد بدأنا فقط بمقدمات البروتوكول، ولكني الآن يمكنني الذهاب إلى مهمة الملكة ولديَّ فكرة عن كيفية التصرف.

الشرفة الزجاجية قريبة إلى حدٍّ ما، للأسفل بطابقٍ وفي نهاية ممرٍّ، لهذا لا أحظى بوقتٍ كافٍ لألملم شتاتي قبل أن أواجه (إيلارا) و(إيفانجلين) مجددًا، وهذه المرة، عندما أخطو خلال الباب، يرحب بي هواء منعش. أنا بالخارج لأول مرة منذ أصبحت (مارينا)، والآن والهواء في رئتي وضوء الشمس على وجهي، أشعر كأنني (ماير) مجددًا، إذا أغلقت عينيَّ يمكنني أن أتظاهر كأن لم يحدث أي من هذه الأمور، ولكنها حدثت.

الشرفة الزجاجية مزخرفة بالمقارنة بالفضاء في غرفة دروس (بلونوس)، وتستحق اسمها. تمتد فوقنا قبة زجاجية مدعومة بأعمدة صافية محفورة بمهارة، وتكسر القبة أشعة الشمس إلى مليون لون متراقص، ليطابق النساء اللاتي يتسكعن هنا، الغرفة جميلة جمالًا صناعيًا مثل كل شيء في العالم الفضي.

قبل أن آخذ نفسي، تقفز فتاتان أمامي، ابتسامتهما زائفة وباردة، مثل أعينهما بالضبط، وبالنظر إلى ألوان ملابسهما (أزرق غامق وأحمر على واحدة، وأسود على الأخرى)، فهما ينتميان إلى منزل (إيرال) و(هافين)، الحريري والظلالي (سيلك) و(شادو) على قدر ما أتذكر من دروس (بلونوس).

«السيدة (مارينا)» يقولان في نفس الوقت، وينحنيان بصعوبة، أفعل المثل وأميل رأسي كما علَّمتني السيدة (بلونوس).

«أنا (سونيا) من منزل (إيرال)» تقول الأولى، وتميل رأسها في فخرٍ، حركاتها خفيفة ومرنة؛ الحريريون (السيلك) سريعون وهادئون، متزنون كليًا ومرنون.

«وأنا (إيلاين) من منزل (هافين)» تضيف الأخرى، صوتها بالكاد همسٌ، بينما فتاة (إيرال) غامضة وبشرتها سمراء وشعرها أسود، (إيلاين) ذات بشرة باهتة وشعرها خصلات حمراء، تنعكس أشعة الشمس المتراقصة على بشرتها في هالة كاملة، تجعلها بلا شائبة، (شادو)، متلاعبة بالضوء.

«أردنا أن نرحب بكِ».

ولكن ابتسامتهما الحادة وأعينهما الضيقة لا يبدو عليهما الترحيب نهائيًا.

«شكرًا، هذا لطيف للغاية» أسعل لتنقية حنجرتي، أحاول أن أبدو طبيعية والفتاتان لا يفوتهما الفعل، ويتبادلان النظرات. «أنتما أيضًا شاركتما في اختبارات الملكة؟» أقول سريعًا، في أمل أن أشتت انتباههما عن سلوكي الاجتماعي السيئ.

ويبدو أن ذلك أثار حنقهما، شبّكت (سونيا) ذراعيها أمام صدرها، وأظهرت أظافر حادة بلون الحديد. «شاركنا، من الواضح أننا لم نكن بحسن حظ (إيفانجلين)».

«آسفة...» تخرج مني الكلمة قبل أن أستطيع إيقافها، (مارينا) لم تكن لتعتذر، «أقصد، تعرفان لم يكن لديَّ أي نية...».

«لم تتبيَّن نواياكِ بعد» تقول (سونيا) مزمجرة، وتبدو أقرب إلى قطة مع مرور كل ثانية، عندما تلتفت تفرقع أصابعها بطريقة تجعل أظافرها تحتك ببعضها، وأجفل من الصوت: «جدتي، تعاليْ لمقابلة السيدة (مارينا)».

جدتي، كدت أتنفس الصعداء، أتوقع سيدة عجوز لطيفة تتهادى وتنقذني من هذه الفتيات المفترسة، ولكني مخطئة بشدة.

بدلًا من عجوز حكيم، تقابلني امرأة قوية مخلوقة من الصلب والظلال، مثل (سونيا)، بشرتها بلون القهوة وشعرها أسود، لكنه ملطخ بخصلات بيضاء، ورغمًا عن سنها، تشتعل عيناها البنية بالحياة.

«السيدة (مارينا)، هذه جدتي السيدة (أرا)، كبيرة منزل (إيرال)» توضح (سونيا) بابتسامة حادة، تحدق إليَّ السيدة العجوز وعيناها أسوأ من أي كاميرا، تخترقني، «ربما تعرفينها بلقب الفهد».

«الفهد؟ لا أعرفها...».

ولكن تكمل (سونيا) حديثها، وتتمتع برؤيتي أتلوى، «منذ أعوام عديدة، عندما هدأت الحرب، أصبح عملاء الاستخبارات أهم من الجنود، والفهد كانت أعظمهم».

جاسوسة، أنا أقف أمام جاسوسة.

أجبر نفسي على الابتسام، حتى لو لإخفاء خوفي فقط، تبدأ كفاي في التعرق، وأتمنى ألا أضطر إلى مصافحة يدها، «يسرني لقاؤكِ سيدتي».

تومئ (أرا) ببساطة: «كنت أعرف والدك يا (مارينا)، ووالدتك».

«أفتقدهما بشدة» أجيبها بالكلمات التي سترضيها.

ولكن تبدو الفهد في حيرة، وتميل رأسها إلى جانبها. للحظة أرى آلاف الأسرار التي اكتسبتها بصعوبة بين ظلال الحرب تنعكس في عينيها.

«أتتذكرينهما؟» تسألني وتضغط على كذبتي.

يتقطع صوتي، ولكن يجب أن أكمل الحديث، أكمل الكذب: «لا، ولكن أفتقد وجود الوالدين» مرَّت صورة أبي وأمي في عقلي، ولكني أدفعها بعيدًا، ماضيَّ الأحمر هو آخر ما يجب أن أفكر فيه، «أتمنى وجودهما هنا لمساعدتي في فهم كل هذا».

«همم» تقول وهي تتفحصني مجددًا، تجعلني ريبتها أتمنى القفز من الشرفة. «كانت عينا أبيكِ زرقاء ووالدتك أيضًا».

وعيني بنية: «أنا مختلفة بطرقٍ متعددة، معظمها لا أفهمها حتى الآن» هذا كل ما قدرت على قوله، وتمنيت أن يكون واضحًا كفاية.

ولمرة واحدة كان صوت الملكة منقذي: «هل نجلس يا سيداتي؟» تقول ويتردد صوتها فوق التجمع، كان كافيًا لابتعاد (أرا) و(سونيا) و(إيلاين) الهادئة عني، وجلست لأتنهد تنهيدة صغيرة لنفسي.

في منتصف الدروس، بدأت الشعور بالهدوء مرة أخرى، تحدثت مع الجميع بطريقة لائقة، وتحدثت فقط بما يكفي، كما أُمِرتُ. وتحدثت (إيفانجلين) كفاية عنا معًا. تُمتع السيدات بحكاية حبها الذي لا يفنى لـ(كال) والشرف الذي شعرت به عن اختيارها. ظننت فتيات الاختبارات سيجتمعن ويقتلونها، ولكن لم يحدث هذا، لاستيائي. فقط الجدة من منزل (إيرال) و(سونيا) أبديتا اهتمامًا بوجودي، على الرغم من عدم استكمالهما التحقيق معي، بالتأكيد سوف تفعلان في المستقبل.

عندما يظهر (مافين) عند ركن الغرفة كنت سعيدة للغاية بنجاتي من هذا الغداء فلم أنزعج من وجوده. في الواقع، أشعر بقليلٍ من الارتياح وأترك جزءًا من واجهتي الباردة تسقط، يبتسم وهو يقترب في خطواتٍ واسعة.

«ما زلتِ حية؟» يسألني، وبالمقارنة بأفراد منزل (إيرال)، يبدو كجروٍ أليفٍ.

لا يمكنني إلا الابتسام: «يجب أن ترسل السيدة (إيرال) إلى (اللايكلاندريين) مجددًا، ستجعلهم يستسلمون في غضون أسبوع».

يجبر نفسه على ابتسامة سطحية: «هذه سيدة شرسة، لا أفهم لماذا لم تعُد للحرب مجددًا، هل سألتك عن أي شيء؟».

«أقرب إلى التحقيق، أظنها غاضبة لأنني سبقت حفيدتها».

يلمع الخوف في عينيه وأفهم السبب، إذا كانت الفهد تدور حول اختباري...

«لا يجب أن تزعجك هكذا» يتمتم، «سأعلم والدتي وستهتم بالأمر».

على قدر ما أريد رفض مساعدته، لا أرى أي حلٍّ آخر: امرأة مثل (أرا) يمكنها بسهولة إيجاد الشقوق في قصتي، وعندها سأكون انتهيت بحقٍّ.

«شكرًا، هذا سيكون...سيساعدني للغاية».

بدَّل (مافين) زيه الرسمي برداء عادي صُنع من أجل الشكل والعملية، يهدئني ذلك قليلًا، على الأقل رؤية شخص آخر يبدو غير رسميٍّ، ولكن لا يمكنني تركه يهدئني، هو واحد منهم، لا يمكنني نسيان ذلك.

«هل انتهيتِ هذا اليوم؟» يقول ويصفي وجهه لتظهر ابتسامة حماسية، «يمكنني أن أريكِ المكان إذا أردتِ».

«لا» تخرج الكلمة سريعًا، وتختفي ابتسامته، يوترني عبوسه مثل ابتسامته بنفس القدر، «لديَّ دروس قادمة» أضيف، في تمني أن أهوِّن عليه الضربة، لماذا أهتم بمشاعره، لا أعرف بالضبط: «تحب والدتك مواعيدها».

يومئ، ويبدو أفضل قليلًا: «فعلًا هي كذلك، حسنًا، لا أريد تأخيرك».

يمسك بيدي بلطفٍ، قد اختفت البرودة التي شعرت بها في لمسته من قبل، وبدلتها حرارة لطيفة، وقبل أن أحظى بفرصة سحب يدي، يتركني أقف هنا وحدي.

يمهلني (لوكاس) دقيقة لألملم شتات نفسي قبل أن يقول، «تعرفين، سنصل أسرع إذا تحركتِ فعليًّا».

«اخرس يا (لوكاس)».

الفصل الثالث عشر

ينتظرني معلمي الجديد في غرفة ممتلئة من الأرض حتى السقف بعددٍ من الكتب لم أرَ مثله من قبل، عدد أكبر مما توقعت وجوده، تبدو قديمة ولا تقدر بثمن. ورغم نفوري من أي دراسة أو كتب من أي نوع، أشعر بانجذاب تجاههم. لكن الكتب والعناوين مكتوبة بلغة لا أفهمها، فوضى من الرموز لا أملك أي أمل في فهمها.

وكما هي مثيرة الكتب، توجد على الجدار خرائط مثلها لممالك وأراض أخرى، قديمة وجديدة. وفي الجانب البعيد من الحائط محاطة بإطار وموضوعة خلف لوح من الزجاج، توجد خريطة عريضة ملونة مكونة من قطع من الورق مجمعة معًا، طولها أكبر مني مرتين وتسيطر على الغرفة، ممزقة وباهتة ومكونة من عقدة متشابكة من الخيوط الحمراء والسواحل الزرقاء والغابات الخضراء والمدن الصفراء، هذه خريطة للعالم القديم، بأسماء قديمة وحدود قديمة ليس لها أهمية عندنا الآن.

«غريب رؤية العالم كما كان قديمًا» يقول المعلم، ويظهر من بين صفوف الكتب، يجعله رداؤه الأصفر الباهت والمبقع من الزمن كقطعة من الورق على هيئة إنسان: «هل يمكنك تحديد موقعنا؟».

حجم الخريطة وحده يجعلني أبتلع ريقي، ولكن كأي شيء آخر هنا، أنا متأكدة من أن هذا اختبار، «يمكنني المحاولة».

(نورتا) في الشمال الشرقي، (الستيلتز) توجد على نهر العاصمة، والنهر يصب في البحر، بعد دقيقة من البحث المؤلم، أجد أخيرًا النهر والمصب قرب قريتي. «هنا» أقول وأشير إلى الشمال، حيث أعتقد موقع (سمرتون).

يومئ سعيدًا بمعرفته كم أنا حمقاء: «هل تتعرَّفين على أي شيء آخر؟».

لكن مثل الكتب، الخريطة مكتوبة بلغة مجهولة: «لا أستطيع قراءتها».

«لم أسألك إذا كنتِ تستطيعين قراءتها» يجيبني وما زال سعيدًا، «ثم أن الكلمات تكذب، انظري إلى ما خلفها» أهز كتفي، وأجبر نفسي على النظر مرة أخرى، لم أكن طالبة جيدة قطُّ في المدرسة، وهذا الرجل سوف يدرك ذلك قريبًا. ولكن لمفاجأتي، أحب هذا اللعبة، البحث في الخريطة، البحث عن معالم مألوفة لي، «هذا يمكن أن يكون خليج (هاربور)» أتمتم أخيرًا وأشير إلى منطقة حول خليج معقوف.

«صحيح» يقول وينثني وجهه في ابتسامة. تزداد التجاعيد حول عينيه من الفعل، فتظهر عمره الحقيقي. «هذه (ديلفي) الآن» يضيف مشيرًا إلى مدينة في الجنوب، «و(أركيون) هنا».

يضع إصبعه على نهر العاصمة، على بُعد الأميال شمالًا مما تبدو كأكبر مدينة في الخريطة، في كل الدولة من العالم القديم. منطقة الأنقاض، سمعت عن هذا الاسم، في همسات بين الأطفال الأكبر سنًّا، ومن أخي (شايد).

مدينة الرماد، الحطام، هكذا كان يدعوها، تجتاحني قشعريرة أسفل عمودي الفقري عند التفكير بهذا المكان، ما زال مغطى بالدخان وظلال الحرب منذ ألف عام، هل سيصير العالم يومًا مثل هذا، إذا لم تنتهِ الحرب؟

يخطو المعلم إلى الخلف ليتركني لتفكيري، لديه فكرة غريبة عن التدريس، ربما سينتهي الأمر بلعبة مدتها أربع ساعات من التحديق إلى الجدار، ولكن فجأة، أصبحت مدركة لصوت طنين في الغرفة، أو بالأحرى نقصه. طوال اليوم شعرت بثقل كهرباء الكاميرات، إلى درجة أني توقفت عن الملاحظة. حتى الآن، فلا أشعر بها على الإطلاق، اختفت، أشعر بالأضواء تنبض بالكهرباء، ولكن لا توجد أي كاميرات، لا أعين، لا تستطيع (إيلارا) رؤيتي.

«لما لا يراقبنا أحد؟».

يرمش بعينيه: «حتى يكون هناك فرقٌ» يتمتم، لا أعرف ما يعنيه ذلك، ويجعلني هذا غاضبة.

«لماذا؟».

«(ماير)، أنا هنا لتدريسك تاريخك، لتعليمك كيف تكونين فضية، وكيف تكونين...مفيدة» يقول وتتعكر ملامحه.

أحدق إليه في حيرة، ويجتاحني خوفٌ باردٌ، «اسمي (مارينا)».

ولكنه يلوح بيده ويتجاهل تصريحي الضعيف: «وأيضًا سأفهمك كيف وُجدتِ وكيف تعمل قواكِ».

«قواي وجدت لأني...لأني فضية، من اختلاط قدرات والديَّ، أبي كان (أوبلفين) وأمي كانت عاصفية (ستورم)» أتلعثم في التفسير الذي علَّمتني إياه (إيلارا)، محاولة أن أجعله يفهمني، «أنا فضية يا سيدي».

ولرعبي، يهز رأسه، «لا لست كذلك يا (ماير بارو)، ولا يجب أن تنسي ذلك أبدًا».

هو يعرف، لقد انتهيت، انتهى كل شيء، يجب أن أتوسل، أترجاه أن يحافظ على سري، ولكن الكلمات تلتصق بحلقي، النهاية قادمة، ولا يمكنني حتى أن أفتح فمي لأوقفها.

«لا حاجة إلى ذلك» يكمل حديثه، ويلاحظ خوفي، «ليس لديَّ أي خطط لأثير انتباه أي شخص لأصولك».

انتهت الراحة التي شعرت بها سريعًا، وتحوَّلت إلى نوع آخر من الخوف، «لماذا؟ ماذا تريد مني؟».

«أنا فوق كل شيء، رجل فضولي، وعندما دخلتِ اختبارات الملكة كخادمة حمراء وخرجتِ كسيدة فضية مفقودة منذ زمن، أثار ذلك فضولي للغاية».

«ألهذا لا توجد أي كاميرات هنا؟» أقول في نبرة خشنة، وأخطو بعيدًا عنه. أشد على قبضتي وأتمنى أن يأتي البرق لحمايتي من هذا الرجل، «حتى لا يكون هناك سجلات لفحصك لي؟».

«لا توجد كاميرات هنا لأن لديَّ المقدرة لإغلاقها».

يشتعل الأمل داخلي، مثل الضوء في عتمة الظلام، «ما هي قدراتك؟» أسأله في ترددٍ، ربما هو مثلي.

«(ماير)، عندما يقول فضي كلمة مقدرة يعني بها القوة والسلطة، إنما القدرات تشير إلى تلك الأشياء البسيطة التي نستطيع فعلها».

الأشياء البسيطة، مثل كسر رجلٍ إلى نصفين أو إغراقه في ميدان القرية.

«أقصد أن شقيقتي كانت الملكة في وقتٍ ما، وما زال هذا يعني شيئًا هنا».

«لم تعلمني السيدة (بلونوس) هذا».

يضحك: «هذا لأن السيدة (بلونوس) تعلمك هراءً، لن أفعل ذلك أبدًا».

«إذا كانت الملكة شقيقتك فأنت...».

«(جوليان جاكوس)، في خدمتك» ينحني إلى أسفل في سخرية، «كبير منزل (جاكوس)، وريثًا للاشيء غير بعض الكتب القديمة. كانت شقيقتي الملكة الراحلة (كوريان)، والأمير (تايبرياس) السابع أو (كال) كما ندعوه أكون له خالًا».

بعدما قال هذا، أقدر الآن على رؤية الشبه، ألوان (كال) من والده، ولكن ملامحه السهلة والدفء خلف عينيه، ذلك من والدته.

«إذن لن تحوِّلني إلى تجربة علمية ما من أجل الملكة» أسأله ولا أزال قلقة.

وبدلًا من أن يبدو عليه الإهانة، يضحك (جوليان) بصوتٍ عالٍ، «عزيزتي، الملكة لا تريد شيئًا أكثر من اختفائك، اكتشاف ماهيتك، مساعدتك على فهمها، هذا آخر ما تريد».

«ولكنك ستفعل ذلك على أي حال؟».

يبرق شيء في عينيه مثل الغضب: «سلطة الملكة ليست كبيرة كما تريدك أن تعتقدي، أريد أن أعرف ما أنتِ، ومتأكد من أنك تريدين ذلك أيضًا».

وكما كنت خائفة منذ لحظة، أنا الآن متشوقة: «أريد ذلك».

«هذا ما ظننته» يقول ويبتسم تجاه صف من الكتب، «أنا آسف لقولي إني أيضًا يجب أن أفعل ما طُلب مني، تحضيرك لليوم الذي ستتقدمين فيه».

تهبط أساريري، وأتذكر ما أوضحه لي (كال) في غرفة العرش، أنتِ بطلتهم، فضية نشأت كحمراء: «يريدون استغلالي لوقف التمرد، بطريقة ما».

«صحيح، يعتقد زوج شقيقتي العزيز وملكته أنه في إمكانك تحقيق ذلك، إذا تم توظيفك بطريقة صحيحة» تقطر كلماته المرارة.

«هذه فكرة حمقاء ومستحيلة، لن أقدر على فعل أي شيء وعندها...» يهرب مني صوتي، سيقتلونني.

يتبع (جوليان) مسار تفكيري، «أنتِ مخطئة يا (ماير)، لا تفهمين القدرة التي تمتلكينها الآن، وكم ما تقدرين التحكم به» يعقد يديه خلف ظهره بشدة. «الحرس القرمزي شيء قاسٍ من وجهة نظر الغالبية، حدث الكثير في وقتٍ قصيرٍ، ولكنك عنصر تغيير خاضع للسيطرة، النوع الذي يحبه الناس. أنتِ التطور البطيء الذي سيطفئ الثورة عن طريق بعض الخطابات والابتسامات. يمكنكِ مخاطبة (الحمر)، وتخبرينهم كم هم نبلاء وكم هم خيرون وكم هم صالحون الملك وحاشيته من (الفضيين). يمكنك مخاطبتهم رجوعًا إلى قيودهم، وحتى أيضًا (الفضيون) الذين يشككون في ملكهم، الذين لديهم شكوك ويمكنك إقناعهم، وسيظل العالم كما هو».

لدهشتي، يبدو (جوليان) محطم القلب بشأن ذلك. ومن دون صرير الكاميرات، أنسى نفسي ويتحوَّل وجهي إلى ابتسامة: «ولا تريد هذا؟ أنت فضي، وتكره الحرس القرمزي...وتكرهني».

«اعتقادك أن كل (الفضيين) أشرار خاطئ، كاعتقاد أن كل (الحمر) متدنون» يقول، بنبرة خطرة: «ما يفعله قومي لكِ ولناسك خاطئ لأقصى حدود الإنسانية، قمعكم، وحصركم في هذه الحلقة اللانهائية من الفقر والموت، لمجرد أننا نعتقد أنكم مختلفون عنّا؟ هذا ليس صائبًا، وكما يدرك أي طالب تاريخ سينتهي الأمر بشكل سيئ».

«ولكننا مختلفون» يوم واحد في هذا العالم علمني ذلك، «لسنا متساوين».

يميل (جوليان) رأسه وعيناه تخترق عينيَّ، «أنا أنظر إلى دليل يثبت خطأك».

أنت تنظر إلى مسخ يا (جوليان).

«هل ستدعينني أثبت أنكِ مخطئة يا (ماير)؟».

«وبماذا سيفيد ذلك؟ لن يغير ذلك شيئًا».

يتنهد (جوليان) في غضبٍ، يمسح بيده على شعره الكستنائي الخفيف. «لمئات من الأعوام، مشى (الفضيون) على هذه الأرض كآلهة و(الحمر) عبيد تحت أقدامهم، حتى ظهرتِ، إذا لم يكن هذا تغييرًا، فلا أعرف ما يكون».

يمكنه مساعدتي في النجاة، وأفضل من ذلك يمكنه مساعدتي في البقاء حية.

«إذن ماذا سنفعل؟».

***

تتخذ أيامي شكلًا إيقاعيًّا، دومًا نفس الجدول. في الصباح بروتوكول، ودروس بعد الظهر، بينما تعرضني (إيلارا) في حفلات الغداء والعشاء في المنتصف. ما زالت الفهد و(سونيا) قلقتين مني، ولكن لم يقولا أي شيء منذ حفلة الغداء، ويبدو أن مساعدة (مافين) قد أجدت نفعًا، على الرغم من كرهي الاعتراف بذلك.

في أثناء التجمع الكبير التالي، هذه المرة في غرفة الطعام الخاصة بالملكة، تجاهلتني عائلة (إيرال) تمامًا، وعلى الرغم من دروس البروتوكول، كانت حفلة الغداء غامرة بينما أحاول تذكر كل شيء تعلمته. (أوسانوس)، (نيمف)، أزرق وأخضر، (ويل)، (جرين واردين)، أخضر وذهبي، (ليرولان)، (أوبلفين)، برتقالي وأحمر، (رامبوس) و(تايروس) و(نورنس) و(إيرال) وآخرون كثير، كيف يقدر أي شخص على متابعة كل هذا، لن أعرف أبدًا.

كالعادة، أجلس بجانب (إيفانجلين)، أنا مدركة بشكل مؤلم بعدد الأدوات المعدنية على المائدة، كلها أسلحة مميتة في يد (إيفانجلين) القاسية. كل مرة ترفع سكينها لقطع طعامها، يتوتر جسدي، في انتظار الضربة. تعلم (إيلارا) بماذا أفكر، كالعادة، ولكنها تكمل وجبتها مبتسمة، ربما هذا أقسى من عذاب (إيفانجلين)، معرفة أنها تستمتع بهذه الحرب الصامتة.

«وما رأيك في ساحة الشمس، يا سيدة (تيتانوس)؟» الفتاة التي تجلس قبالتي سألتني. (أتارا)، عائلة (فايبر)، أخضر وأسود، (الأنيموس) التي قتلت الحمام. «أعتقد أنها لا تقارن... بهذه القرية التي عشتِ بها سابقًا» تقول كلمة القرية كأنها لعنة ولا تفوتني ابتسامتها الساخرة.

تضحك السيدات الأخريات معها، والبعض يهمس بصوت مليء بالخزي.

آخذ دقيقة لأجيبها حيث أحاول منع دمائي من الغليان، «الساحة و(سمرتون) مختلفان عما اعتدته» أجبر نفسي على القول.

«من الواضح» تقول سيدة أخرى، وتميل إلى الأمام لتشارك في المحادثة، من عائلة (ويل)، بالنظر إلى زيها الأخضر والذهبي. «ذهبت في جولة إلى وادي العاصمة مرة، ويجب أن أقول، القرى الحمراء ببساطة في حالة مزرية، ليس لديهم حتى طرق سليمة».

بالكاد نقدر على توفير الطعام، ناهيك برصف الطرق. أضغط فكي وأظن أني على وشك تحطيم أسناني، أحاول أن أبتسم، ولكن بدلًا من ذلك أتجهم بينما توافق السيدات على الكلام.

«و(الحمر)، حسنًا، أعتقد أن هذا أفضل ما يستطيعون فعله بالمتاح لديهم» تكمل السيدة (ويل)، وتكشر أنفها من الفكرة. «هم مناسبون لتلك الحياة».

«ليس خطأهم أنهم ولدوا للخدمة» تقول السيدة رامبوس في الرداء البني في استخفاف، كأنها تتحدث عن الطقس أو الطعام، «هذه ببساطة الطبيعة».

يتلوى الغضب بداخلي، ولكن نظرة واحدة من الملكة تخبرني أنه لا يمكنني أن أتصرف بناء عليه. عوضًا عن ذلك يجب أن أقوم بواجبي، يجب أن أكذب: «بالفعل هي كذلك» أسمع نفسي أقول، وتحت المائدة، أشدد على قبضتي وأعتقد أن قلبي يتحطم.

حول المائدة، تستمع السيدات في انتباه، الكثيرات يتسمن، والأكثر يكتفين بإماءة بينما أؤكد معتقداتهن البشعة حول قومي، تجعلني وجوههن أريد الصراخ.

«بالطبع» أكمل، غير قادرة على إيقاف نفسي. «الإجبار على تلك الحياة من دون راحة ومن دون تنفيس ومن دون هروب، يجعل أي شخص خادمًا».

تختفي الابتسامات القليلة، وتتحول إلى حيرة.

«السيدة (تيتانوس) لديها أفضل المعلمين وأفضل المساعدة لتأكيد تأقلمها الصحيح» تقول (إيلارا) سريعًا، وتقاطعني، «لقد بدأت بالفعل مع السيدة (بلونوس)».

تهمس السيدات في تقدير بينما تدير الفتيات أعينهن، مما يعطيني الوقت الكافي للتعافي، واستعادة السيطرة على النفس التي أحتاج إليها للنجاة من هذه الوجبة.

«ماذا ينوي جلالة الأمير فعله بشأن المتمردين؟» تسأل سيدة، ويرسل صوتها الأجش صدمة تجلب الصمت حول المائدة، وتصرف الاهتمام عني.

تتحول كل عين على المائدة تجاه المتحدثة، سيدة في زي عسكري، بعض السيدات الأكبر عمرًا يرتدين أزياء عسكرية أيضًا، ولكن زيها يلمع بعدد أكبر من الميداليات والأوشحة. وتقول الندبة البشعة أسفل وجهها المليء بالنمش أنها استحقتها. هنا في القصر، من السهل نسيان وجود الحرب الحالية، ولكن النظرة المطاردة في عينيها تدل على أنها لن تنسى، لا تستطيع النسيان.

تضع الملكة (إيلارا) ملعقتها على المائدة بطريقة أنيقة ماهرة، وترسم ابتسامة على وجهها بنفس الشكل: «كولونيل (ماكنتوس)، بالكاد يستحقون لقب المتمردين...».

«وهذا الهجوم الوحيد الذي نسبوه إليهم» تقول الكولونيل في اندفاع، مقاطعة الملكة، «ماذا عن الانفجار في خليج (هاربور)، أو المطار في (ديلفي) أيضًا؟ دُمرت ثلاث طائرات نفاثة، وسُرقت اثنتان أخريان من قواعدنا!».

تتسع حدقتا عينيَّ، لا أمنع نفسي من الشهقة مع بعض السيدات، هجمات أخرى؟ لكن بينما لم يبد أي فزع على الأخريات، وأيديهن تغطي أفواههن، كان عليَّ محاربة رغبتي في الابتسام، كانت (فارلي) مشغولة.

«هل أنتِ مهندسة يا كولونيل؟» صوت (إيلارا) حاد وبارد وقاطع، لا تترك الفرصة لـ(ماكنثوس) لهز رأسها. «إذن لن تفهمي كيف سبب تسرب غاز الانفجار في الخليج، وذكريني، هل تقودين القوات الجوية؟ لا، أنا آسفة، ولكن اختصاصك هو القوات البرية. حادثة المطار كانت حادث تدريب كان يشرف عليه اللورد جنرال (لاريس) بنفسه، وقد أكد شخصيًا لجلالته الأمان التام في قاعدة (ديلفي)».

في مشاجرة عادلة، ربما تستطيع (ماكنثوس) تقطيع (إيلارا) بيديها العاريتين، ولكن بدلًا من ذلك، حطمت (إيلارا) الكولونيل بلا شيء غير كلماتها، ولم تنته بعد، كلمات (جوليان) تتردد في رأسي، الكلمات تكذب.

«هدفهم هو أذية المواطنين الأبرياء، فضيين وحمر، لإثارة الخوف والهيستريا، هم ضئال، مقيدون وجبناء، يختبئون من عدالة زوجي. وقول إن كل حادث وسوء تفاهم في هذه المملكة من أعمال ذلك الشر يعزز مجهوداتهم لإرهاب بقيتنا، لا تعطِ هذه الوحوش رضا حدوث ذلك».

تصفق وتومئ بعض السيدات حول المائدة، مقتنعات بكذبة الملكة المبهرة. وتنضم إليهن (إيفانجلين)، وينتشر الفعل سريعًا، حتى يتبقى فقط الكولونيل وأنا في صمتٍ. أرى أنها لا تصدق أي شيء قالته الملكة، ولكن لا يمكن قول إن الملكة كاذبة، ليس هنا، في الحلبة. وعلى قدر ما أريد أن أبقى ساكنة، أعرف أنه لا يمكنني. أنا (مارينا)، لست (ماير)، ويجب أن أساند ملكتي وكلماتها البائسة، تلتقي يداي ببعضهما وتصفق لكذبة (إيلارا)، بينما تحني الكولونيل المُعنفة رأسها.

***

حتى وعندما يحاوطني دومًا الخدم و(الفضيون)، تستقر بداخلي الوحدة، لا أرى (كال) كثيرًا، مع جدوله المزدحم بالتدريبات والتدريبات والمزيد من التدريبات. يمكنه حتى مغادرة الساحة والذهاب إلى مخاطبة الجنود في قواعد قريبة أو مصاحبة والده في أعمال الدولة. أعتقد أنه يمكنني محادثة (مافين) ذي الأعين الزرقاء والابتسامة الساخرة، ولكنني ما زلت قلقة منه. من حسن الحظ لا يتركوننا وحدنا أبدًا، تقليد سخيف في البلاط، لإبقاء الفتيان والفتيات النبلاء بعيدًا عن الغواية، كما تقول السيدة (بلونوس)، ولكني أشك إنها ستنطبق عليَّ أبدًا.

في الحقيقة، أنسى نصف الوقت أنني من المفترض أن أتزوجه في يوم ما، فكرة كون (مافين) زوجي لا تبدو واقعية، لسنا صديقين، فما بالك بشريكي حياة. بقدر ما هو لطيف، تحثني غرائزي على عدم إعطاء ظهري لابن (إيلارا)، وأنه يخفي شيئًا ما، لا أعرف ما يمكن أن يكون هذا.

ما يعلِّمه لي (جوليان) يجعل كل شيء محتملًا؛ التعليم الذي كنت أخشاه من قبل صار النقطة المضيئة في بحر من الظلام. من دون الكاميرات وأعين (إيلارا)، يمكننا تقضية وقتنا في اكتشاف ما أنا عليه حقًّا، لكن التقدم بطيء مما يحبطنا.

«أظنني أعرف ما هي المشكلة» يقول (جوليان) في نهاية الأسبوع الأول، أقف على بُعد عدة ياردات منه، وذراعاي ممتدتان، وأبدو كالحمقاء كالعادة، هناك آلة كهربائية عجيبة عند قدميَّ، ومن حين إلى آخر تبصق شرارًا، يريد مني (جوليان) تطويعها واستغلالها، ولكن مرة أخرى فشلت في إنتاج البرق الذي وضعني في هذه الأزمة من البداية.

«ربما يجب أن أكون في خطرٍ محدقٍ» أتنهد، «هل نطلب من (لوكاس) مسدسه؟».

في العادة يضحك (جوليان) على نكاتي، ولكن الآن هو غارق في التفكير.

«أنتِ مثل الأطفال» يقول أخيرًا، أكشر أنفي من إهانته، ولكنه يكمل على أي حال، «هكذا يكون الأطفال في البداية عندما لا يقدرون على التحكم في أنفسهم، تظهر قدراتهم في أوقات الضغط والخوف، حتى

يتعلموا تطويع هذه المشاعر واستخدامها لمنفعتهم، هناك دافع، ويجب أن تعرفي خاصتك».

أتذكر كيف شعرت في الحديقة الحلزونية، كنت أسقط إلى ما ظننته هلاكي، ولكنه لم يكن الخوف الذي سرى خلال عروقي عند اصطدامي بالدرع الكهربائي، كان السلام، كان معرفة أن نهايتي قد حانت وتقبل أنه لا شيء يمكنني فعله لإيقافها، كان الاستسلام.

«يستحق المحاولة على الأقل» يقول (جوليان) محفزاً.

أتذمر وأواجه الجدار مرة أخرى، وضع (جوليان) رفوف كتب حجرية على الجدار، فارغة بالطبع، حتى أجد شيئًا أستهدفه، من طرف عيني، أراه يبتعد وهو يراقبني طوال الوقت.

اتركي كل شيء، حرري نفسك، همس صوتٌ بداخل رأسي، أغلق جفوني وأركز، وأترك أفكاري تسقط بعيدًا حتى يقدر عقلي على التواصل والشعور بالكهرباء التي يشتاق إلى لمسها. تتحرك خلالي موجات من الطاقة، حية تحت جلدي، حتى تغني في كل عضلة وعصب. وفي العادة يتوقف الأمر عند هذا الحد، عند حدود الإحساس بها، ولكن ليس تلك المرة. وبدلًا من محاولة التمسك بها ودفع نفسي تجاه القوة، أتركها. وأسقط فيما لا أقدر على شرحه، تجاه الشعور بكل شيء ولا شيء، الضوء والظلام، الحرارة والبرودة، حية وميتة. وبعد قليل أصبحت القوة هي كل ما بداخل رأسي، تحجب كل أشباحي وذكرياتي. حتى (جوليان) والكتب يتوقفون عن الوجود. عقلي صافيًا، حفرة سوداء تهمهم بالقوة. الآن عندما أدفع تجاه الإحساس، لا يختفي ويتحرك داخلي، من عيني إلى أطراف أصابعي، وإلى يساري، يشهق (جوليان) بصوتٍ عالٍ.

ولأول مرة، لا يوجد لدى (جوليان) شيء ليقوله، وليس لديَّ أيضًا.

لا أريد التحرك، خوفًا من أن يجعل أي تغيير صغير البرق يختفي، ولكنها لا تختفي، تبقى وتقفز وتتلوى في يدي مثل الهريرة مع كرة من الغزل، وتبدو عديمة الضرر مثلها، ولكني أتذكر ما كدت أفعله بـ(إيفانجلين)، هذه القدرة يمكنها التدمير إذا تركتها.

«حاولي تحريكها» يتنهد (جوليان)، ويراقبني بعينين واسعة متشوقة.

وشيء ما يخبرني أن ذلك البرق سيطيع رغباتي، هي جزء مني، جزء من روحي يعيش في العالم.

أشدد على قبضتي في كرة ضيقة، وتتفاعل الشرارة مع عضلاتي المتوترة، وتصبح أكبر وأكثر إشراقًا وأسرع، فتأكل أطراف أكمامي، تحرق القماش في ثوانٍ، مثل طفل يلقي بكرة، ألوح بذراعي تجاه الرفوف الصخرية، وأرخي قبضتي في آخر لحظة، يطير البرق عبر الهواء في دوائر من الشرارة البراقة، ويرتطم بالرفوف.

يجعلني صوت الانفجار الناتج أصرخ وأسقط على كومة من الكتب خلفي، بينما أتعثر على الأرض، وقلبي يسرع داخل صدري، تنهار الرفوف الحجرية الصلبة في كومة من الغبار الكثيف، وتضيء شرارات حول الحطام قليلًا قبل أن تختفي، ولا تترك خلفها غير الأنقاض.

«أعتذر بشأن الرف» أقول من داخل كومة من الكتب، وما زالت أكمامي تدخن في خراب من الخيوط، ولكن هذا لا شيء بالمقارنة بالطاقة في يدي، تغني أعصابي بالقوة، وهذا شعور جيد.

يتحرك ظل (جوليان) عبر الهواء الغائم، تصدر ضحكة عميقة من صدره بينما يفحص عمله اليدوي، وابتسامته البيضاء تبرق خلال الغبار.

«سوف نحتاج إلى مكان أكبر».

ليس مخطئًا، أُجبرنا على البحث عن غرف أكبر وأحدث للتمرين كل يوم، حتى وجدنا أخيرًا مكانًا في الطوابق تحت الأرض بعد أسبوع. هنا الجدران من المعدن والأسمنت، أقوى من أحجار وأخشاب التزيين في الطوابق العليا. فأقل ما يقال على قدرتي على التصويب إنها مزرية، ويحرص (جوليان) جيدًا أن يبتعد عني في أثناء التدريب، ولكن صار الأمر أسهل وأسهل بالنسبة إليَّ لأستدعي البرق.

يأخذ (جوليان) ملاحظات طوال الوقت، يدوِّن كل شيء من ضربات قلبي إلى درجة حرارة آخر كوب مصعوق. وكل ملاحظة تجلب ابتسامة حائرة، ولكن سعيدة لوجهه، مع أنه لا يخبرني بالسبب. وأشك أنني سأفهم

حتى إذا قال لي.

«مذهل» يتمتم وهو يقرأ شيئًا من جهاز معدني لا أعرف اسمه، يقول إنه يقيس الطاقة الكهربائية، ولكن لا أعرف كيف.

أفرك يديَّ إحداهما بالأخرى، وأشاهدهما يفصلان الطاقة كما يقول (جوليان)، وتبقى أكمامي سليمة هذه المرة، والفضل لزيي الجديد، قماش مضاد للنيران، مثل الذي يرتديه (كال) و(مافين)، ولكن أظن أن خاصتي يجب أن يطلق عليه مضاد للصدمات الكهربائية، «ما هو المذهل؟».

يتردد كأنه لا يريد اطلاعي، كأنه لا يجب عليه اطلاعي، ولكنه يهز كتفيه في النهاية. «قبل أن تشتعل الطاقة وتحرقي التمثال المسكين» يشير إلى كومة الحطام التي يتصاعد منها الأدخنة التي كانت في وقتٍ ما تمثالًا نصفيًا لملكٍ ما، «قمت بقياس كمية الطاقة الكهربائية في الغرفة، من الأضواء والأسلاك ومثل هذه الأشياء، والآن قمت بقياسك».

«ثم؟».

«أطلقتِ ضعف ما سجلته من قبل» يقول في فخرٍ، ولكني لا أدرك لِمَ هذا مهم، في هبوط سريع، أطفأ صندوق الشرار كما اعتدت تسميته وشعرت بالكهرباء تموت. «حاولي مرة أخرى».

أتنهد وأركز مجددًا، وبعد دقيقة من التركيز، تعود الشرارة داخلي، بنفس القوة السابقة، ولكن هذه المرة تصدر من داخلي.

تتسع ابتسامة (جوليان) من أذن إلى الأخرى.

«إذن؟».

«إذن هذا يؤكد شكوكي» أنسى في بعض الأحيان كون (جوليان) عالمًا ومفكرًا، ولكنه يذكرني سريعًا، «لقد أنتجتِ طاقة كهربائية».

الآن أنا محتارة للغاية: «حسنًا، هذه قدرتي يا (جوليان)».

«لا، ظننت أن قدرتك التلاعب وليس الخلق» يقول وتنخفض نبرة صوته بشدة. «لا أحد يقدر على الخلق يا (ماير)».

«ولكن هذا ليس منطقيًا. فالـ(نيمف)...».

«التلاعب بالماء الموجودة بالفعل، لا يمكنهم استغلال شيء ليس موجودًا».

«إذن، ماذا عن (كال) و(مافين)؟ لا أرى أي نيران مشتعلة حولهما ليتلاعبا بها».

يبتسم (جوليان) ويهز رأسه: «رأيتِ أساورهما أليس كذلك؟».

«دومًا يرتديانها».

«تنتج الأساور شرارًا، شعلات صغيرة ليتحكم بها الولدان؛ دون مصدر للنيران، هما بلا قوى، كل متحكمي العناصر متشابهون في ذلك، التلاعب بالمعادن أو المياه أو الحياة النباتية الموجودة مسبقًا. هم أقوياء بقدر ما يحاوطهم، ليس مثلك يا (ماير)».

ليس مثلي، أنا لست مثل أي أحد، «ماذا يعني هذا؟».

«لست متأكدًا، أنتِ شيء مختلف نهائيًا، لستِ حمراء، لستِ فضية، شيء آخر، شيء أكثر».

«شيء مختلف» توقعت أن اختبارات (جوليان) سوف تقربني من الحقيقة، ولكن عوضًا عن ذلك أثارت المزيد من الأسئلة: «ماذا أكون يا (جوليان)؟ ماذا بي؟».

فجأة صار التنفس صعبًا، وسبحت عيناي واضطررت إلى منع الدموع الساخنة، لإخفائهم عن (جوليان)، وأظن أن كل شيء يلحق بي، الدروس والبروتوكول، هذا المكان الذي لا أستطيع أن أثق فيه بأحدٍ، ولا أقدر على أن أكون حتى على طبيعتي، أنا أختنق، أريد الصراخ، ولكن أعرف أنني لا أستطيع.

«كونك مختلفة لا يدعو إلى الخزي» أسمع (جوليان) يقول، وكلماته مجرد صدى، أفكاري وذكريات بيتي، و(جيسا) و(كيلورن)، تغرقه.

«(ماير)؟» يأخذ خطوة تجاهي، ووجهه صورة من اللطف، ولكنه ما زال بعيدًا عني مسافة ذراع، ليس من أجلي، بل من أجله؛ لحماية نفسه مني. أشهق عند إدراكي أن الشرارات عادت، تصل إلى منتصف ذراعي الآن، تهدد بابتلاعي داخل عاصفة ساطعة غاضبة.

«(ماير) ركزي معي، (ماير)، تحكَّمي بها».

يتحدث بهدوءٍ ولطفٍ وقوة مستقرة، حتى إنه يبدو مخيفًا بالنسبة إليَّ.

«التحكم يا (ماير)».

ولكنني لا أقدر على التحكم في أي شيء، لا مستقبلي ولا أفكاري ولا حتى قدراتي التي هي جذر كل مشاكلي. هناك شيء واحد ما زلت أستطيع التحكم به حتى الآن على الأقل: قدميَّ، ومثل الجبانة البائسة التي هي أنا، أركض. الممرات فارغة بينما أخترقهم، لا يوجد غير الوزن الخفي لألف كاميرا تضغط عليَّ، ليس لديَّ الكثير من الوقت حتى يجدني (لوكاس) أو الأسوأ منه (السينتنال)، أحتاج فقط إلى أن أتنفس، أحتاج إلى رؤية السماء فوقي، ليس الزجاج.

أقف في الشرفة لمدة عشر ثوانٍ كاملة قبل أن أدرك أنها تمطر، وتغسلني من الغضب الغارم. ذهبت الشرارة وبدلتها دموع شرسة وقبيحة تنزل على وجهي. يصدر صوت الرعد من مكان ما فوقي والهواء دافئ، لكن اختفت الرطوبة، وانكسرت الحرارة وقريبًا سينتهي الصيف. يمضي الوقت وتمر حياتي مهما أردت أن أبقى على نفس الوضع. أكاد أصرخ عندما تمسكني يدان قويتان من ذراعي، يقف اثنان من الحراس (السينتنال) أمامي، أعينهما مظلمة خلف أقنعتهما، كلٌّ منهما ضعف حجمي ومتحجرا القلب، يحاولان جرجرتي إلى زنزانتي.

«سيدتي» يقول أحدهم بصوتٍ أجش، لا يبدو محترمًا مطلقًا.

«اتركني» صوتي ضعيف، يقرب إلى الهمس، أتنفس بقوة كأنني أغرق، «فقط أعطني بضع دقائق، أرجوك».

ولكني لست سيدتهما، ولا يستجيبان لي، لا أحد يفعل.

«سمعت زوجتي المستقبلية» يقول صوت آخر، كلماته قوية وصارمة، صوت ملكي، (مافين): «اتركها».

عندما يدخل الأمير إلى الشرفة، لا أقدر على منع نفسي من الشعور بموجة من الارتياح. يستقيم الحارسان في وجوده، وينحيان رأسيهما تجاهه. يتحدث الحارس الذي يمسكني: «يجب أن نحرص على أن تحافظ

السيدة (تيتانوس) على جدولها» يقول، ولكنه يخفف من قبضته: «هذه أوامر يا سيدي».

«إذن لديكم أوامر جديدة» يجيبه (مافين) بصوتٍ مثل الجليد: «سأصطحب (مارينا) إلى دروسها».

«حسنًا يا سيدي» يقول الحارسان في نفس الوقت، فلا يقدران على معارضة أميرٍ.

عندما يخطوان بعيدًا، وتقطر عباءة كلا منهما مياه المطر، أتنهد بصوتٍ عالٍ، لم أدرك من قبل أن يديَّ ترتجفان، ويجب أن أضغط قبضتي حتى أخفي الرجفة، ولكن (مافين) لا يكون شيئًا إذا لم يكن مهذبًا، وتظاهر بعدم الملاحظة.

«لدينا مناطق استحمام صالحة في الداخل، أتعلمين؟».

أمسح عينيَّ بيدي، على الرغم من ضياع دموعي وسط المطر، تاركة خلفها سيلان أنف وطلاء أسود ملطخًا، ولحسن الحظ البودرة الفضية ما زالت ثابتة؛ مصنعة من مواد أقوى مني.

«أول أمطار هذا الموسم» أقدر على القول، وأجبر نفسي على أن أبدو طبيعية، «كان يجب أن أراه بنفسي».

«صحيح» يقول ويتحرك ليقف إلى جانبي، أدير رأسي، أتمنى أن أخفي وجهي لوقت قليلٍ بعد، «أفهم، أتعرفين».

هل تفعل حقًّا يا أمير؟ هل تفهم معنى أن تُؤخذ بعيدًا عن كل شيء تحبه، وتُجبر أن تصبح شيئًا آخر؟ أن تكذب في كل لحظة في كل يوم لبقية حياتك؟ أن تعرف أن هناك شيئًا خاطئًا بك؟

لا أمتلك القدرة على التعامل مع ابتسامته الحكيمة. «يمكنك أن تتوقف عن التظاهر بمعرفة أي شيء عني أو عن مشاعري».

تتعكر ملامحه بسبب نبرتي، ويلتوي فمه في عبوس: «أتعتقدين أنني لا أعرف كم هو من الصعب البقاء هنا؟ مع هؤلاء الناس؟».

يلقي بنظرة سريعة خلفه كأنه قلق من أن يسمعه أحد، ولكن لا أحد يستمع إلا المطر والبرق، «لا يمكنني قول ما أريد، فعل ما أريد، وفي وجود أمي بالكاد أستطيع التفكير فيما أريد. وأخي...».

«ماذا عن أخيك؟».

تلتصق الكلمات بفمه، لا يريد قولها، ولكنه يشعر بها: «هو قوي، هو ماهر، هو قادر و... أنا ظله، ظل النيران».

ببطء، أتنفس وأدرك أن الهواء حولنا ساخن بطريقة غريبة. «آسف» يقول، ويأخذ خطوة مبتعدًا عني، ليترك الهواء يبرد. وأمام عيني يذوب عائدًا إلى الأمير الفضي اللائق بالحفلات والمناسبات الرسمية، «لم يكن عليَّ قول ذلك».

«لا بأس» أتمتم: «من اللطيف أن أعرف أنني لست الوحيدة التي تشعر بأنها في غير مكانها».

«هذا شيء يجب أن تعرفيه عنَّا نحن (الفضيين)، نحن دومًا في وحدة، هنا وهنا» يقول ويشير إلى رأسه وإلى قلبه، «يبقينا هذا أقوياء».

يصدر الرعد فوقنا، وينير عينيه الزرقاوين حتى بدا أنهما تبرقان، «هذا غباء» أقول له ويضحك ضحكة قاتمة.

«من الأفضل أن تخفي قلبك هذا أيتها النبيلة (تيتانوس)، لن يقودك إلى أي مكان تحبين الوصول إليه».

تجعلني الكلمات أرتجف، أخيرًا أتذكر المطر والفوضى التي أبدو عليها، «يجب أن أعود لدروسي» أهمس، ونيتي أن أتركه على الشرفة، ولكنه يمسك بذراعي.

«أظن أنه يمكنني أن أساعدك في مشكلتك».

أرفع حاجبي تجاهه: «أي مشكلة؟».

«لا يبدو أنكِ النوع من الفتيات التي تبكي من أقل شيء، لديك فقط شعور بالغربة»، ويرفع يده لإيقافي قبل أن أعترض، «يمكنني معالجة ذلك».

الفصل الرابع عشر

يقوم الحرس بدوريات في الممرات أزواجًا، ولكن و(مافين) معي، لن يوقفوني. على الرغم من أن الوقت ليلٌ، وتخطينا ميعاد نومي، لا ينطق أحدٌ بكلمة، لا أحد يعارض الأمير، لا أعرف إلى أين يأخذني الآن، ولكنه وعدني بإيصالي إلى هناك، بيتي.

هو هادئ وعازم، يحارب ابتسامة صغيرة، لا أقدر على منع نفسي من التحديق إليه، ربما هو ليس سيئًا، ولكنه يوقفنا في مكان لم أظنه سيتوقف به. لا نغادر حتى الطابق السكني.

«ها نحن ذا» يقول ويطرق الباب.

يُفتح الباب بعد لحظة، كاشفًا عن (كال)، يجعلني مظهره آخذ خطوة إلى الوراء، صدره عارٍ، بينما بقية درعه الغريب معلق به، لوحات معدنية منسوجة في القماش، بعضها منبعج، ولا يفوتني الكدمة الأرجوانية فوق قلبه، أو بقايا لحيته البسيطة على خديه. هذه المرة الأولى التي أراه فيه منذ أكثر من أسبوع، ومن الواضح أنني أتيت في لحظة سيئة، لم يلاحظني في البداية؛ فيركز على إزالة المزيد من درعه، يجعلني ذلك أبتلع ريقي.

«قم بتحضير اللوح يا (مافي)» يبدأ ثم يتوقف عندما يجدني واقفة بجانب أخيه، «(ماير)، كيف...كيف أساعدك؟» يتعثر في كلماته أو في فقدانه لها.

«لست متأكدة» أجيبه وأنظر إليه ثم إلى (مافين)، يبتسم خطيبي فقط ويرفع حاجبه.

«كوني الابن الصالح، أخي لديه بعض الأسرار الخاصة به» يقول وسلوكه مرح بشكلٍ مفاجئ، حتى (كال) يضحك قليلًا، ويقلب عينيه. «أردتِ الذهاب إلى بيتك يا (ماير) ووجدت شخصًا ذهب هناك من قبل».

بعد لحظة من الارتباك، أدرك ما يحاول (مافين) قوله، وكم أنا غبية لعدم إدراكي ذلك مسبقًا، يستطيع (كال) إخراجي من القصر، كان (كال) في الحانة، أخرج نفسه من هنا، لذا يمكنه فعل المثل لي.

«(مافين)» يقول (كال) ويجز على أسنانه وقد ذهبت ابتسامته، «أنت تعرف أنه لا يمكنها، هذه ليست فكرة جيدة».

جاء دوري للحديث، وقول ما أريد: «كاذب».

ينظر إليّ بعين مشتعلة، تخترقني نظرته، أتمنى أن يرى مدى إصراري ويأسي واحتياجي.

«لقد أخذنا كل شيء منها يا أخي» يتمتم (مافين) ويقترب منه، «بالتأكيد يمكننا إعطاؤها هذا؟».

ثم ببطء وتردد يومئ (كال)، ويشير إليّ لأدخل الغرفة، أسرع وأشعر بدوار من الحماس، أكاد أقفز على قدميّ؛ سأعود للبيت.

يتباطأ (مافين) عند الباب، وتختفي ابتسامته قليلًا عندما أتركه، «لن تأتي» وهذا ليس سؤالًا.

يهز رأسه، «لديك ما تقلق عليه كفاية من دون مجيئي».

لا يجب أن أكون عبقرية لأرى الحقيقة في كلامه، ولكن عدم مجيئه ليس معناه أنني سأنسى ما فعله لأجلي حتى الآن، من دون تفكير أرمي ذراعيّ حول (مافين)، لا يستجيب للحظة، ولكنه ببطء يدع ذراعه يلتف حول كتفي، عندما أتراجع، يتلون خداه بخجلٍ فضي، وأشعر بدمائي ساخنة أسفل جلدي، وتنبض في أذنيّ.

«لا تتأخري» يقول ويبعد نظره عني ويوجهه إلى كال.

بالكاد يبتسم (كال)، «تتصرف كأنني لم أفعل ذلك من قبل».

يتشارك الأخوان الضحك، يضحكان فقط لأجل بعضهما كما رأيت إخوتي يفعلون آلاف المرات سابقًا. عندما يغلق (مافين) الباب ويتركني مع (كال)، لا أقدر على منع نفسي من الشعور بالقليل من الكراهية تجاه الأمراء.

غرفة (كال) ضعف حجم غرفتي، لكنها مزدحمة للغاية فتبدو أصغر. تملأ الدروع والملابس الرسمية وأزياء القتال فجوات صغيرة في الجدران، معلقة على تماثيل عرض أزياء مصنعة على هيئة جسم (كال)، مرتفعة مثل الأشباح عديمة الملامح، تحدق بي بأعين متخفية، معظم الدروع خفيفة، صفيحة معدنية وقماش سميك، ولكن البعض متين قوي الاحتمال مخصص للمعارك لا التدريبات. واحد منهم له خوذة من المعدن المصقول، وغطاء زجاجي معتم للوجه. تلمع شارة على الكُم، مُخيطة على القماش الرمادي الغامق. التاج الأسود المشتعل والأجنحة الفضية. ما يعنيه ذلك، عرض هذه الأزياء والدروع، ما فعله (كال) بهم، لا أريد التفكير فيه.

ومثل (جوليان)، لدى (كال) أكوام من الكتب في كل مكان، تنسكب في أنهار صغيرة من الحبر والورق، ليست بقدم كتب (جوليان)، معظمها يبدو أنها صُنِعت حديثًا، مكتوبة ومطبوعة على صفحات مبطنة بالبلاستيك للحفاظ على الكلمات، وكلها مكتوبة باللغة المشتركة بين (نورتا) و(اللايكلاند) و(بيدمونت). بينما يختفي (كال) داخل خزانة ملابسه ويتجرد من درعه في الطريق، ألقي نظرة على كتبه. هي غريبة ومليئة بالخرائط والرسوم البيانية ومخططات وإرشادات لفن الحرب المروع، وكل واحد أكثر عنفًا من الذي يسبقه، بها خطط عسكرية مفصلة من الأعوام السابقة، بل وأقدم. انتصارات عظيمة، وهزائم دموية، وأسلحة، ومراوغات، كافية لجعل رأسي تدور، وملاحظات (كال) بالداخل أسوأ. يحدد المناورات التي يفضلها، وأي منهم يستحق التضحية بالحياة. في الصور، مربعات صغيرة تمثل الجنود، ولكني أراهم إخوتي و(كيلورن) وكل من مثلهم.

بعيدًا عن الكتب، بجانب النافذة، هناك طاولة صغيرة ومقعدان، وعلى الطاولة لوحة ألعاب مجهزة للعب، كل القطع في أماكنها. لا أعرفها، ولكني أعرف أنها من أجل (مافين)، يبدو أنهما يتقابلان ليلًا، ليلعبا ويضحكا كما يفعل الإخوة.

«لن يكون لدينا متسعٌ من الوقت للزيارة» يقول (كال) بصوتٍ عالٍ يجعلني أقفز، أنظر تجاه الخزانة، وألمح ظهره الطويل المليء بالعضلات بينما يرتدي قميصه. هناك بعض الكدمات والندبات على ظهره، على الرغم من أني متأكدة من توافر جيش من المعالجين إذا أرادهم، ولسببٍ ما اختار الاحتفاظ بالندبات.

«ما دمت أستطيع رؤية عائلتي» أجيبه، وأتحرك بعيدًا حتى لا أستمر بالتحديق إليه.

يخرج كال، وهذه المرة يرتدي ملابس عادية، وبعد لحظات أدرك أنها نفس الملابس التي ارتداها حينما قابلته، لا أصدق أني لم أره على حقيقته من البداية: ذئب يرتدي كالحملان، والآن أنا حملٌ يتظاهر بكونه ذئبًا.

نترك الطابق السكني سريعًا، ونتحرك إلى أسفل، وأخيرًا ينعطف ويقودنا إلى غرفة أسمنتية، «هنا».

تبدو كمرفقٍ للتخزين مليئة بأرفف من الأشكال الغريبة مغطاة بقماشٍ، بعضها كبير وبعضها صغير، ولكن كلها مغطاة.

«نهاية مسدودة» أعترض، لا يوجد مخرج غير العودة من حيث جئنا.

«نعم يا (ماير)، أحضرتك إلى طريق مسدود» يتنهد، ويمشي في اتجاه أحد الأرفف، وتتموج الأقمشة بينما يمر وألمح معدنًا لامعًا تحتها.

«دروع أخرى؟» أوكز أحد الأشكال، «كنت سأقول لك يجب أن تحصل على المزيد، لا يبدو أن لديك كفاية بالأعلى، في الواقع من المحتمل أن تريد ارتداء الدروع، فإخوتي ضخام ويحبون ضرب الناس»، ولكن بالنظر إلى مجموعة كتب (كال) وعضلاته فيمكنه الدفاع عن نفسه من دون ذكر موضوع التحكم بالنيران هذا.

يهز رأسه فقط: «أظن سأكون بخيرٍ من دونها، ثم أني أبدو كضابط أمن عند ارتدائها، لا نريد أن تخطئ عائلتك بنا الظن، أليس كذلك؟».

«وما الذي تريد أن تعتقده عائلتي؟ لا أظن أنني من المسموح لي تقديمك بطريقة صائبة؟».

«أعمل معك، ولدينا أذن بالخروج هذه الليلة، بسيطة» يقول ويهز كتفيه، يأتي الكذب بسهولة لهؤلاء الناس.

«لذا لماذا جئت معي؟ ما القصة هنا؟».

يبتسم في مكرٍ ويشير إلى الشكل الغريب المغطى: «أنا وسيلة مواصلاتك».

يرمي الغطاء إلى الخلف وتظهر ماكينة معدنية لامعة، طلاؤها أسود، عجلات مستديرة، معدن عاكس، أضواء، مقعد جلدي طويل؛ هذه وسيلة نقل كما لم أرَ مثلها من قبل.

«هذه دراجة» يقول (كال)، ويمرِّر يده على مقودها كالأب الفخور، يعرف ويحب كل بوصة في هذا الوحش المعدني، «سريعة، مرنة، ويمكنها الوصول حيث لا تقدر باقي المواصلات».

«تبدو كفخٍّ مميتٍ» أقول أخيرًا، غير قادرة على إخفاء خوفي.

يأخذ خوذة من على المقعد الخلفي ضاحكًا، من المؤكد أنه لا يتوقع مني ارتداءها، ناهيك بركوبها.

«هذا ما قاله أبي والكولونيل (ماكنثوس)، لا يريدان إنتاجها وتوزيعها على الجيش بعد، ولكنني سأقنعهما، لم تتحطم مرة منذ أن أتقنت صناعة العجلات.

«بنيتها؟» أقول في ارتيابٍ، ولكنه يهز كتفيه كأنه لا شيء، «رائع».

«انتظري حتى تركبيها» يقول ويمد بالخوذة تجاهي، وكما بالإشارة يهتز الجدار البعيد، تأن الماكينة المعدنية في مكان ما، وتبدأ في الانزلاق كاشفة عن الليل المظلم وراءها.

أخطو مبتعدة عن ماكينة الموت ضاحكة: «لن يحدث هذا».

ولكن يبتسم (كال) في غرورٍ ويرمي بساقه حول الدراجة ويغطس على الكرسي، يدوي المحرك أسفله، ويصدر ضجيجًا وهديرًا من الطاقة. أستطيع الشعور بالبطارية في عمق الماكينة، تمدها بالكهرباء، تتوسل لإطلاق سراحها والتهام الطريق من هنا إلى البيت، البيت.

«هي آمنة بالكامل، أعدكِ» يصيح فوق صوت المحرك، ويشتعل لون المصابيح، لإضاءة الليل المظلم أمامها، تقابل أعين (كال) الذهبية عيني ويمد ذراعه تجاهه، «(ماير)؟».

على الرغم من شعور الهبوط الرهيب في معدتي، أضع الخوذة فوق رأسي.

لم أركب طائرة من قبل، ولكني أعرف أن هذا شعور الطيران، مثل الحرية، تلتهم دراجة (كال) الطريق المألوف في انحناءاتٍ رشيقة. هو سائق جيد، سأعترف بذلك. الطريق القديم ممتلئ بالحفر والمطبات، لكنه يتفادى كل واحدة بسهولة، حتى مع صعود قلبي إلى حلقي. فقط عندما نبطئ للتوقف على بُعد نصف ميل من القرية أدرك أنني أتمسك به بقوة إلى درجة أنه اضطر إلى فكي عنه. أشعر فجأة بالبرد بعد الدفء، ولكني أطرد الفكرة بعيدًا.

«ممتع، أليس كذلك؟» يقول، ويغلق المحرك، ساقاي وظهري يؤلمانني بالفعل من المقعد الصغير الغريب، لكنه يهبط قافزًا في خطوة.

بصعوبة أنزلق من فوق الكرسي، تترنح ركبتاي قليلًا من خفق نبضات قلبي الذي يدوي في أذنيَّ، ولكن أظن أنني بخيرٍ.

«لن تكون اختياري الأول للنقل».

«ذكريني أن أخذك في رحلة بالطائرة في يومٍ ما، ستلتصقين بالدراجات بعد ذلك» يجيب بينما يخبئ الدراجة في الغابة بعيدًا عن الطريق. يرمي ببعض فروع الشجر فوقها ثم يقف يتأمل عمله في إعجابٍ، إذا لم أكن أعرف أين أجدها بالضبط، لن ألاحظ الدراجة على الإطلاق.

«تفعل ذلك كثيرًا، كما أرى».

يلتفت (كال) تجاهي ويده في جيبه، «يمكن أن تصبح القصور...خانقة».

«والحانات المزدحمة، حانات (الحمر) المزدحمة، لا تكون خانقة؟» أسأله مصرة على الموضوع، لكنه يبدأ في المشي تجاه القرية في خطوات سريعة هربًا من السؤال.

«لا أخرج للشرب يا (ماير)».

«ماذا إذن؟ تقبض على النشالين وتعطي وظائف لكل من هبَّ ودبَّ».

عندما يتوقف فجأة ويدور، أنقر على صدره، وأشعر للحظة بالوزن الصلب وراء هيئته، ثم أدرك أنه يضحك.

«هل قلتِ كل من هبَّ ودبَّ؟» يقول بين ضحكاته.

يحمر وجهي خجلًا أسفل تبرجي، وأدفعه دفعة صغيرة، «هذا ليس لائقًا» يوبخني عقلي، «فقط أجِب عن السؤال».

تظل ابتسامته على الرغم من توقف ضحكاته: «لا أفعل ذلك من أجلي» يقول، «يجب أن تفهمي يا (ماير)، أنا لا...سأصير ملكًا يومًا ما، ليس لديَّ رفاهية التفكير بأنانية».

«كنت أظن أن الملك هو الشخص الوحيد الذي يتمتع بهذه الرفاهية».

يهز رأسه، وتحزن نظراته بينما تمرُّ بي، «أتمنى إن كان ذلك حقيقيًا».

تشتد قبضة (كال) وتنبسط وأكاد أرى الشعلات على جلده، ساخنة وتشتد مع غضبه، لكنها تمر تاركة جذوة الندم في عينيه، عندما يبدأ في التحرك مرة أخرى، تصير خطواته أبطأ.

«يجب أن يعرف الملك شعبه، لهذا أتسلل خارجًا» يتمتم: «أفعل ذلك في العاصمة أيضًا، وفي جبهة الحرب، أحب أن أرى كيف تكون الأمور حقًّا في المملكة، عوضًا عن السماع عنها من المستشارين والدبلوماسيين؛ هذا ما يجب على الملك فعله».

يتصرف كأنه خجلٌ من كونه يريد أن يكون قائدًا صالحًا، ربما في عين والده وكل هؤلاء الحمقى، هكذا يجب أن يكون. القوة والقدرة هي الكلمات التي نشأ (كال) على معرفتها، ليس الخير، ليس التعاطف، أو الشجاعة، أو المساواة، أو أي شيء آخر يجب على الحاكم أن يسعى من أجله.

«وماذا ترى يا كال؟» أسأله، وأشير إلى القرية التي تظهر أمامنا من بين الأشجار، يقفز قلبي في صدري لمعرفة أنني قريبة.

«أرى عالمًا على حافة نصل، من دون توازن، سوف يسقط» يتنهد ويدرك أنها ليست الإجابة التي أريد أن أسمعها، «لا تعلمين كم هي الأمور

مزعزعة، كم هو قريب هذا العالم من السقوط إلى الخراب، يقوم أبي كل ما في وسعه للحفاظ على أمننا وسأفعل أيضًا».

«عالمي بالفعل في خرابٍ» أقول، وأركل الأرض الترابية أسفلنا. حولنا، تبدو الأشجار كأنها تتفتح لتكشف عن المكان الموحل الذي أدعوه وطني. بالمقارنة مع ساحة الشمس، يبدو كمكانٍ حقيرٍ، كجحيمٍ. لِمَ لا يمكنه رؤية ذلك؟

«يبقي والدك قومه آمنين، ليس قومي».

«تغيير العالم يأتي بثمن يا (ماير)» يقول، «الكثير سيفقد حياته، ومعظمهم من (الحمر)، وفي النهاية، لن يكون هناك نصرٌ ليس لكم، لا ترين الصورة الكبرى».

«قل لي إذن» أقول كارهة كلماته: «أرني الصورة الكبرى».

«(اللايكلاندريون)، هم مثلنا، ملكية، نبلاء، نخبة (الفضيين) تحكم الباقي، وأمراء (بيدمونت)، حلفاؤنا لن يدعموا مملكة بها (الحمر) متساوون معنا، (بيراري) و(تيراكسيس) نفس الأمر، حتى إذا تغيرت (نورتا)، لن تتركها بقية القارة تدوم، سيجتاحوننا، ويفرقوننا ويمزقوننا، حرب أكثر، موت أكثر».

أتذكر خريطة (جوليان)، اتساع العالم الأكبر خارج بلدنا، كلها يتحكم بها (الفضيون) ولا مكان لنا نقصده. «ماذا إذا كنت مخطئًا؟ ماذا إذا كانت (نورتا) هي البداية؟ التغيير الذي يحتاج إليه الباقون؟ لا تعلم إلى أين تقود الحرية».

ليس لدى (كال) إجابة عن هذا، ونسقط في صمت مرير، «ها هو» أتمتم، وأتوقف عند الأطراف المألوفة لمنزلي.

قدماي صامتة على الشرفة، بعيدة كل البعد عن صوت خطوات (كال) الثقيلة التي تحطم الخشب، تخرج منه حرارته المألوفة وللحظة أتخيله يشعل المنزل بالنيران، يشعر بتوتري ويضع يده الدافئة على كتفي، ولكن لا يفيد ذلك في تهدئتي.

«يمكنني الانتظار في الأسفل إذا أردتِ» يهمس، وقد فاجأني: «لا نريد المخاطرة بفرصة تعرفهم عليّ».

«لن يفعلوا، حتى مع خدمة إخوتي العسكرية، ربما لن يتعرَّفوا عليك من مكانهم» عدا (شايد)، فكرت، ولكن (شايد) ذكي كفاية ليبقي فمه مغلقًا. «بجانب أنك قلت إنك تريد أن تعرف ما هو الذي لا يستحق المقاتلة من أجله».

مع هذه الجملة أفتح الباب وأدخل البيت الذي لم يعُد لي، أشعر كأنني أخطو في الماضي.

تدوي أصوات الشخير في المنزل كجوقة، ليس فقط من أبي، ولكن أيضًا من الشكل المتكتل في غرفة الجلوس. يستلقي (بري) على الكرسي المتخم، كومة من العضلات والأغطية الخفيفة، لا يزال شعره الداكن مصففًا على الطريقة العسكرية، وهناك ندبات على ذراعيه ووجهه، براهين على وقته في القتال، يبدو أنه خسر رهانًا مع (ترامي)، الذي يتقلب ويلتف على فراشي. لا أثر لـ(شايد) في أي مكان، ولكنه لا ينام كثيرًا أبدًا، ربما يتسكع في أنحاء القرية باحثًا عن صديقات قدامى له.

«استيقظوا» أضحك وأنزع الغطاء من فوق (بري) في حركة سلسة.

يسقط على الأرض، على الأرجح تأذَّت الأرض أكثر منه، يلتف ويقف عند قدميَّ، ولنصف ثانية يبدو أنه سيعود للنوم.

ثم يرمش بعينيه المتعبة والمليئة بالحيرة، باختصار على طبيعته، «(ماير)؟».

«أغلق فمك يا (بري)، يحاول الناس النوم» يتأوَّه (ترامي) في الظلام.

«اصمتوا جميعًا» يصيح أبي من غرفة نومه، ويجعلنا ننتفض.

لم أدرك كم اشتقت إلى هذا، ينفض (بري) النوم من عينيه ويضمني إليه، ضاحكًا، ويأتي صوت تصادم يعلن عن (ترامي) الذي قفز من الدور العلوي، هابطًا على قدميه الرشيقة.

«إنها (ماير)!» يصرخ، ويرفعني إلى الأعلى من على الأرض وإلى ذراعيه، هو أرفع من (بري)، ولكنه لم يعد فرع الشجرة الذي أتذكره. هناك كتل من العضلات تحت يديَّ، لم تكن الأعوام السابقة الأخيرة سهلة بالنسبة إليه.

«من الجيد رؤيتك يا (ترامي)» أتنفس تجاهه وأشعر أني على وشك الانفجار.

يرتطم باب الغرفة مفتوحًا، كاشفًا عن أمي في ردائها الرث: «أخيرًا جئتِ للزيارة!».

يتبعها أبي، يصدر صريرًا مع أنفاسه ويدفع بكرسيه إلى الغرفة الرئيسية. كانت (جيسا) آخر من يستيقظ، ولكنها تخرج رأسها فقط لتنظر من طرف الدور العلوي. يتركني (ترامي) أخيرًا ويضعني بجانب (كال)، الذي يقوم بعملٍ رائعٍ في الظهور خَجِلًا وفي غير مكانه.

«سمعتُ أنكِ استسلمتِ وحصلتِ على وظيفة» يغيظني (ترامي) ويوكز ضلوعي.

يضحك (بري)، ويعبث بشعري: «لن يريدها الجيش على أي حال، ستسرق كل ما لدى فرقتها وهم كالعمي».

أدفعه مبتسمة: «يبدو أن الجيش لا يريدكم أيضًا، تم تسريحكم؟».

يجيب أبي نيابة عنهما، ويتقدم إلى الأمام: «قرعة ما، هذا ما كان بالرسالة، فزنا بتسريحٍ مشرفٍ لأبناء (بارو)، ومعاش كامل أيضًا».

أعرف أنه لا يصدق أي كلمة من ذلك، ولكن أبي لا يلح في الأمر، ولكن أمي في المقابل تصدقه كاملًا.

«عظيم، أليس كذلك؟ تفعل الحكومة شيئًا من أجلنا أخيرًا»، تقول وتقبِّل (بري) على وجنته، «وأنتِ الآن، لديكِ وظيفة» يشع الفخر من عينيها مثلما لم أرَ من قبل، في العادة كانت تحتفظ به كله من أجل (جيسا)، هي فخورة بكذبة: «حان الوقت لهذه العائلة أن تحظى ببعض الحظ».

تنفر (جيسا) ساخرة من أعلى، لا ألومها، فحظي حطَّم يدها ومستقبلها: «نعم، محظوظون للغاية» تتنهد وتتحرك لتنضم إلينا.

حركتها بطيئة وهي تهبط السلم بيدٍ واحدة، عندما تصل إلى الأرض، أرى جبيرتها ملفوفة بقماشٍ ملونٍ، وفي غصة حزن أدرك أنها قطعة من قماشها المطرز الجميل الذي لن تنهيه أبدًا. أقترب لضمها، ولكنها تبتعد وعيناها على (كال)، يبدو أنها الوحيدة التي تلاحظه.

«من هذا؟».

أدرك في خجل أنني نسيت أمره تمامًا: «هذا (كال)، خادم آخر في القصر معي».

«مرحبًا» تقدر على القول وتقدر على رفع يدها لمنحه ترحيبًا أحمق صغيرًا.

تضحك أمي مثل فتيات المدرسة وتلوح بيدها أيضًا، وتطيل نظرتها على ذراعيه مفتولتي العضلات، ولكن أبي وإخوتي لا يبدو عليهم الانبهار.

«أنتَ لستَ من هذه الأرجاء» يزمجر أبي ويحدق إلى (كال) كأنه حشرة ما، «أقدر على شم هذا من عليك».

«هذا فقط القصر يا أبي...» أعترض، ولكن (كال) يوقفني.

«أنا من خليج (هاربور)» يقول ويحرص على إسقاط حرف الراء كما في لكنة (هاربور) المعتادة، «بدأت الخدمة في تل (أوشن)، في السكن الملكي هناك، والآن أسافر مع البلاط أينما يتنقلون» ينظر إليَّ بطرف عينيه، نظرة معرفة، «الكثير من الخدم يفعلون ذلك».

تأخذ أمي نفسًا مضطربًا وتمد يدها إلى ذراعي: «هل ستفعلين ذلك؟ هل يجب أن ترحلي مع هؤلاء الناس؟».

أريد أن أقول لهم إنني لم أختر ذلك، إنني لن أرحل بإرادتي، ولكن يجب أن أكذب لمصلحتهم. «كانت هذا الوظيفة الوحيدة المتاحة، وبجانب ذلك، مرتبها جيد».

أظن أن لديَّ فكرة عما يحدث حقًّا» يقول (بري) مزمجرًا، ويقف أمام (كال) وجهًا إلى وجه، ويُحسب لـ(كال) أنه لم يطرف عينيه مرة في مواجهته.

«لا شيء يحدث» يقول في هدوء، ويقابل نظرة (بري) بنفس النيران في عينيه. «اختارت (ماير) أن تعمل في القصر، وقعت عقدًا للخدمة لمدة عام، وهذا كل الأمر».

يزمجر (بري) ويبتعد: «أعجبني ابن (وارين) أكثر».

«توقف عن التصرف كالطفل يا (بري)» أقول مندفعة، وتجفل أمي من نبرة صوتي القاسية، كأنها نسيت كيف يبدو صوتي بعد ثلاثة أسابيع فقط. والغريب أن عينيها تمتلئ بالدموع، لقد نستك، لهذا تريدك أن تبقي، حتى لا تنسى.

«لا تبكي يا أمي» أقول وأقترب منها لاحتضانها، تبدو رفيعة بين ذراعيَّ، أرفع مما أتذكر، أو ربما لم ألاحظ كم هي ضعيفة من قبل.

«ليس أنتِ فقط يا عزيزتي. أنه...» تنظر بعيدًا عني وإلى أبي، هناك ألمٌ في عينيها، ألم لا أفهمه، لا يتحمل الآخرون ملاقاة عينيها، حتى أبي يحدق إلى قدميه العاجزتين، ويستقر ثقل قاتم في البيت، ثم أدرك ما يحدث، ما يحاولون حمايتي منه.

يرتجف صوتي بينما أتحدث، أسأل سؤالًا لا أريد معرفة إجابته: «أين (شايد)؟».

تنهار أمي، وبالكاد تصل إلى كرسي طاولة المطبخ قبل أن تتحول إلى نحيبٍ، لا يتحمل (بري) و(ترامي) رؤيتها، ينظر الاثنان بعيدًا، لا تتحرك (جيسا)، تحدق إلى الأرض كأنها تريد أن تغرق بها، لا يتحدث أحد، ويتركون فقط صوت دموع أمي وأنفاس أبي الثقيلة لملء الحفرة التي شغلها أخي يومًا ما، أخي، أخي الأقرب.

أتراجع إلى الخلف، كدت أفقد خطوة من ألمي، ولكن (كال) يثبتني، أتمنى ألا يفعل، أريد السقوط، أريد الشعور بشيء صلب وحقيقي حتى لا يوجعني الألم في رأسي بهذه الدرجة. ترتفع يدي إلى أذني، وألمس الأحجار الثلاثة التي أتمسك بها باعتزازٍ، الثالثة حجر (شايد) تصير باردة على جلدي.

«لم نرِد أن نخبرك في رسالةً» تهمس (جيسا) وتعبث في جبيرتها، «مات قبل أن يصل أمر التسريح».

لم أشعر بالرغبة في استدعاء الكهرباء وصب غضبي وحزني في صاعقة وحيدة من القوة القارصة بهذه الدرجة من قبل، «تحكَّمي به»، أقول لنفسي. لا أصدق أنني كنت خائفة أن يشعل (كال) النيران بالمنزل، يقدر البرق على التدمير بنفس سهولة اللهب.

تحارب (جيسا) دموعها، وتجبر نفسها على قول الكلمات: «حاول الهروب، وتم إعدامه، قطعوا رأسه».

تنهار ساقاي بكل سرعة حتى (كال) لم تسنح له الفرصة للإمساك بي، لا أقدر على السماع، لا أقدر على الرؤية، لا أقدر على الشعور، الحزن والصدمة والألم، كل العالم يدور من حولي. تطن مصابيح الضوء بالكهرباء، تصرخ بي بقوة حتى أشعر برأسي تكاد تنقسم. تطقطق الثلاجة في الزاوية، قديمة، وتنبض البطارية النازفة كقلبٍ يحتضر، يسخرون مني، يغيظونني، يحاولون جعلي أنهار، ولكن لن أفعل، لن أفعل.

«(ماير)» يهمس (كال) في أذني، وذراعاه حولي، ولكنه من الممكن أن يكون يحدثني عبر المحيط، «(ماير)!».

أشهق في ألمٍ محاولِة أن ألتقط أنفاسي، أشعر بوجنتي مبتلة، رغم أني لا أتذكر البكاء، إعدام! تغلي دمائي تحت جلدي، هذه كذبة، لم يهرب، كان من الحرس القرمزي، وأمسكوا به، وأعدموه من أجل فعلته، قتلوه.

لم أعرف غضبًا كهذا قطُّ، ليس عندما رحل الفتيان، ليس عندما جاءني (كيلورن)، ليس حتى عندما حطموا يد (جيسا). يدوي صرير صام للأذان خلال المنزل، بينما اشتعل المبرد ومصابيح الإضاءة والأسلاك في الجدران إلى أقصى درجة. تصدر الكهرباء طنينها، وتجعلني أشعر أنني حية وغاضبة وخطرة، الآن أنا أنتج الطاقة، أدفع بقوتي خلال المنزل مثلما علمني (جوليان).

يصيح (كال) ويهزني محاولًا الوصول إليَّ بأي طريقة، ولكنه لا يقدر. القوة بداخلي ولا أريد التخلي عنها، شعورها أفضل من الألم. تمطرنا شظايا الزجاج عندما تنفجر المصابيح، تفرقع مثل الفُشار في المقلاة، بوب بوب بوب، كادت أن تغرق صراخ أمي، يرفعني شخصٌ ما على قدميَّ بقوة

غاشية، ويداه تتحرك إلى وجهي، يثبتني بينما يتحدث، لا لتهدئتي، لا للتعاطف معي، ولكن لإخراجي من هذا، أعرف هذا الصوت في أي مكان.

«(ماير) تمالكي أعصابك».

أنظر إلى أعلى لأرى عينين خضراوين ووجهًا قلقًا.

«(كيلورن)».

«عرفت أنك ستعودين يومًا ما» يتمتم، «كنت أراقب المكان».

يداه خشنة على بشرتي، ولكنها مهدئة، يعود بي إلى الواقع، إلى عالم مات به أخي. يتأرجح آخر مصباح ناجٍ فوقنا، بالكاد يضيء الغرفة وعائلتي المصدومة. ولكن ليس هذا الشيء الوحيد المضيء في الظلام، شرارات بنفسجية وبيضاء تتراقص حول يديَّ، تضعف مع الوقت، واضحة مثل ضوء الصباح، برقي، لن أستطيع الخروج من هذا الأمر بالكذب.

يسحبني (كيلورن) إلى كرسي، ووجهه عاصفة من الحيرة، يحدق إليَّ الآخرون، وفي غصة من الحزن أدرك أنهم خائفون، ولكن لم يكن (كيلورن) خائفًا على الإطلاق، كان غاضبًا.

«ماذا فعلوا بكِ؟» يصرخ غاضبًا، يداه على بُعد بوصات مني، تنطفئ الشرارة كليًّا، تاركة فقط أصابع مرتجفة.

«لم يفعلوا أي شيء» أتمنى أن كان هذا خطأهم، أتمنى أن ألقي اللوم في ذلك على شخص آخر. أنظر خلف (كيلورن) وأقابل عين (كال)، ينطلق شيء بداخله ويومئ، يتواصل من دون كلمات، لا يجب أن أكذب بشأن هذا.

«هذا ما أنا عليه».

يزداد عبوس (كيلورن): «أنتِ واحدة منهم؟» لم أسمع كل هذا الغضب من قبل، كل هذا التقزز، في جملة واحدة، يجعلني أشعر كأنني أحتضر: «هل أنتِ؟».

تتعافى أمي أولًا وتمسك بيدي من دون ذرة خوف: «(ماير) ابنتي يا (كيلورن)» تقول وتحدق إليه بقوة مخيفة لم أدرك أنها تقدر عليها، «كلنا نعرف ذلك».

تتمتم عائلتي في موافقة، ويتجمعون إلى جانبي، ولكن يظل (كيلورن) غير مقتنعٍ، يحدق إليَّ كأنني غريبة، كأنه لا يعرف أحدنا الآخر طوال حياتنا.

«أعطني سكينة وسأسوي هذا الأمر حالًا» أقول محدقة إليه: «سأريك لون دمائي».

هذا يهدئه قليلًا ويتراجع: «أنا فقط...لا أفهم».

هذا يجعلنا اثنين.

«أظنني أتفق مع (كيلورن) في هذا، نعلم من أنتِ يا (ماير)، ولكن...» يتردد (بري)، باحثًا عن الشيء الصحيح لقوله، لم يكن قط عاجزًا عن الكلام، «كيف؟».

بالكاد أعرف ما أقوله، ولكني أفعل ما في وسعي للشرح، ومجددًا أشعر بوجود (كال) بشكلٍ مؤلم، يستمع دومًا، لذا أترك جزء الحرس واستنتاجات (جوليان)، وأحكي آخر ثلاثة أسابيع بأكثر وضوح ممكن، التظاهر بكوني فضية، وخطبتي للأمير، وتعلم التحكم في نفسي، يبدو الأمر مستحيلًا، ولكنهم يستمعون باهتمامٍ.

«لا نعلم كيف ولِمَ، فقط هكذا هي الأمور» أنهي كلامي، وأمد ذراعي الأخرى، ولا يفوتني جفلة (ترامي) بعيدًا عني. «من الممكن ألا نعرف أبدًا ما يعنيه ذلك».

تشتد قبضة أمي على يدي لإظهار الدعم، يقوم هذا الفعل الصغير المريح بالمعجزات بالنسبة إليَّ. ما زلت غاضبة، ما زلت محطمة، ولكن اختفت الحاجة إلى التدمير، أستعيد نوعًا من أنواع التحكم مجددًا، كافيًا للسيطرة على نفسي.

«أعتقد أن هذه معجزة» تهمس وتجبر وجهها على الابتسام من أجلي، «لقد أردنا دومًا الأفضل لكِ، والآن نحصل عليه، (بري) و(ترامي) آمنان، يجب على (جيسا) ألا تقلق، يمكننا العيش في سعادة وأنتِ...» تقابل عيناها الدامعة عينيَّ، «أنتِ يا عزيزتي أصبحت شخصًا مميزًا، ما الذي تتمناه أي أمٍّ أكثر من ذلك؟».

أتمنى أن تكون كلماتها صحيحة، ولكني أومئ على أي حالٍ، وأبتسم تجاه أمي وعائلتي، أصير أفضل في الكذب، ويبدو أنهم يصدقونني، ولكن ليس (كيلورن)، ما زال مغتاظًا ويحاول كتم انفجارٍ آخر.

«كيف هو؟ الأمير؟» تلكزني أمي،»(مافين)؟».

أرض خطرة، أشعر بـ(كال) يستمع، ينتظر سماع ما لديَّ لقوله عن أخيه الصغير، ما يمكنني أن أقول؟ إنه لطيف؟ إنني بدأت أعجب به؟ إنني ما زلت لا أعلم أن كان في إمكاني الثقة به؟ أو أسوأ، إنني لا أستطيع الثقة بأي شخص مرة أخرى؟

«هو ليس ما توقعت».

تلاحظ (جيسا) انزعاجي وتلتفت تجاه (كال)، «إذن من هو، حارسك الشخصي؟» تقول وتغير الموضوع مع غمزة خفيفة.

«أنا ذلك» يقول (كال) مجيبًا عني، يعلم أنني لا أريد الكذب على عائلتي، ليس أكثر مما اضطررت إليه حتى الآن، «وأنا آسف، لكننا مضطرون إلى الذهاب قريبًا».

تشعرني كلماته كسكين يلتوي داخلي، ولكنني يجب أن أطيعه، «أجل».

تقف أمي معي، وتتمسك أكثر بيدي حتى خشيت أن تنكسر، «لن نقول أي شيء بالطبع».

«لا كلمة واحدة» يوافق أبي، ويومئ إخوتي أيضًا، يقسمون على البقاء صامتين.

ولكن يتحوَّل وجه (كيلورن) إلى عبوسٍ غامضٍ، ولسببٍ ما، يبدو غاضبًا ولا أعرف بحق حياتي لِمَ، ولكني غاضبةٌ أيضًا؛ موت (شايد) ما زال ثقيلًا مثل حجر بشع، «(كيلورن)».

«نعم لن أتحدث» يقول مندفعًا، وقبل أن أوقفه، ينهض ويخرج سريعًا ويسبب عاصفة من الهواء خلفه. يرتطم الباب مغلقًا، ويهز الجدران. اعتدت مشاعر (كيلورن)، لحظاته النادرة من اليأس، لكنَّ غضبه شيء جديد بالنسبة إليَّ ولا أعلم كيف أتعامل معه.

تعيدني لمسة أختي، وتذكرني أن هذه لحظة الوداع: «هذه هبة» تهمس في أذني، «لا تهدريها».

«ستعودين، أليس كذلك؟» يقول (بري) وتتراجع (جيسا)، ولأول مرة منذ أن رحل إلى الحرب أرى الخوف في عينيه، «أنتِ أميرة الآن، يمكنك صنع القواعد».

أتمنى.

نتبادل أنا و(كال) النظرات، يمكنني أن أعرف من ضيق فكه والظلام في عينيه ماذا ستكون إجابته، «سأحاول» أهمس وينكسر صوتي، كذبة أخرى لن تضر.

عندما نصل إلى أطراف (الستيلتز)، وما زال وداع (جيسا) يطاردني، لم يكن هناك لومٌ في عينيها، رغم أنني سلبتها كل شيء، تدوي كلماتها الأخيرة مع الرياح، وتغطي على كل شيء، لا تهدريها.

«أنا آسف بشأن أخيك» يقول (كال). «لم أعرف أنه...».

«كان ميتًا؟» أُعدم بسبب الهروب، كذبة أخرى، يرتفع غضبي إلى السطح مرة أخرى، ولا أريد حتى السيطرة عليه، ولكن ما الذي يمكنني فعله؟ ما الذي يمكنني فعله للانتقام لأخي، أو حتى لأحاول إنقاذ الآخرين؟

لا تهدريها.

«أحتاج إلى أن أتوقف عند محطة أخرى» وقبل أن يعترض (كال)، أضع أفضل ابتساماتي، «لن أستغرق وقتًا طويلًا، أعدك».

ولمفاجأتي، يومئ ببطء في الظلام.

***

«وظيفة في القصر، هذه وظيفة مرموقة للغاية» يقول (ويل) بينما أدخل مقصورته، ما زالت الشمعة الزرقاء القديمة مشتعلة، وتلقي بضوئها حولنا، وكما توقعت، رحلت (فارلي) منذ زمن.

عندما تأكدت أن كلا الباب والنافذة مغلقان، أهمس: «لا أعمل هناك يا (ويل). هم...».

ولدهشتي يلوح (ويل) بيده تجاهي: «أعرف كل ذلك، شايًا؟».

«لا...» تهتز كلماتي من الصدمة: «كيف...؟».

«اختارت القرود الملكية ملكة جديدة الأسبوع السابق، بالتأكيد أذاعوا الخبر في المدن الفضية» يقول صوتٌ من خلف الستارة، ويخرج شخصٌ ما، ليس (فارلي) بل عمودًا على هيئة بشر، تحتك رأسه بالسقف، ويجعله هذا ينبطح في إحراج. شعره الأحمر طويل ويليق مع الوشاح الذي يرتديه من كتفه حتى وسطه، مشبوك به علامة الشمس مثل التي ارتدتها (فارلي) في البث، ولا يفوتني السلاح المربوط حول وسطه، مكدس بطلقات لامعة وزوج من الأسلحة النارية، هو من الحرس القرمزي أيضًا.

«صرتِ موجودة على كل الشاشات الفضية، يا سيدة (تيتانوس)» ينطق بلقبي كأنه لعنة. «أنتِ وفتاة (ساموس)، أخبريني، هل هي بغيضة كما يبدو عليها؟».

«هذا (تريستان)، واحد من ملازمي (فارلي)» يقول (ويل) مقتحمًا، وينظر إليه موبخًا: «كن لطيفًا يا (تريستان)».

«لماذا؟» أقول ساخرة، «(إيفانجلين ساموس) وغدة متعطشة إلى الدماء».

يبتسم (تريستان) ويرمي بنظرة متعجرفة تجاه (ويل).

«ليس جميعهم قرودًا» أضيف في هدوء، وأتذكر كلمات (مافين) اللطيفة هذا الصباح.

«هل تتحدثين عن الأمير خطيبك أم الذي ينتظر في الغابة؟» يسأل (ويل) في هدوء، كأنه يسأل عن سعر الدقيق.

وعلى النقيض تمامًا قام (تريستان) مندفعًا من على كرسيه، أسبقه إلى الباب، وأمد ذراعيَّ، شاكرة الحفاظ على نفسي تحت السيطرة، آخر ما أحتاج إليه أن أصعق عضوًا من الحرس القرمزي.

«أحضرتِ فضيًّا إلى هنا؟» يقول وصوته كفحيح الثعبان، «الأمير؟ هل تعلمين مقدار الضرر الذي يمكننا فعله إذا أخذناه؟ ما يمكننا التفاوض عليه؟».

على الرغم من طوله، لم أتراجع، «اتركه لشأنه».

«بضعة أسابيع في معمل الرفاهية وصارت دماؤك فضية مثلهم» يبصق وينظر تجاهي كأنه يريد قتلي: «هل ستصعقينني أيضًا؟».

هذا يؤلمني وهو يدرك ذلك، أسقط يديَّ، خوفًا من أن تخونني، «لا أحميه، أحميك أنت، أيها الأحمق الغبي، (كال) وُلِد ونشأ جنديًا، ويمكنه حرق القرية بأكملها إذا أراد» لن يفعل، أتمنى ذلك.

تتجه يد (تريستان) إلى سلاحه: «أريد أن أراه يحاول».

ولكن يضع (ويل) يده المجعدة على ذراعه، ولمسته كانت كافية لجعل المتمرد يتراجع، «هذا كافٍ» يهمس، «لماذا جئتِ يا (ماير)؟ (كيلورن) في أمان، وإخوتك أيضًا».

أتنفس الصعداء، وما زلت أحدق إلى (تريستان)، فقد هدَّد للتوِّ بخطف (كال) والمطالبة بفدية، ولسببٍ ما، التفكير في ذلك يوترني حتى الصميم.

«أخي...» كلمة واحدة فقط وبالفعل أعاني، «(شايد) كان جزءًا من الحرس القرمزي» لم يعُد سؤالًا بعد الآن، ولكنها حقيقة. ينظر (ويل) إلى أسفل في أسف، حتى (تريستان) يحني رأسه. «قتلوه من أجل ذلك، قتلوا أخي، ويجب أن أتظاهر كأن ذلك لا يزعجني».

«أنتِ ميتة إذا لم تفعلي».

«أعلم ذلك، سأقول ما يطلبونه مني عندما يأتي الوقت، ولكن...» ينقطع صوتي قليلًا، في الطريق إلى التحوُّل، «أنا في القصر، في مركز عالمهم، أنا سريعة، وهادئة، ويمكنني المساعدة في القضية».

يأخذ (تريستان) نفسًا طويلًا، ويعود لطوله الكامل، وعلى الرغم من غضبه سابقًا، هناك ما يشبه الفخر يلمع في عينيه.

«تريدين الانضمام».

«نعم».

يجز (ويل) على فكه وتخترقني نظرته، «أتمنى أن تدركي ما الذي تلتزمين به، هذه ليست فقط حربي أو حرب (فارلي) أو الحرس القرمزي، هي حربك، حتى النهاية. وليس للانتقام من أجل أخيك، ولكن للانتقام من أجلنا جميعًا، للقتال من أجل من سبقونا ولأجل من سيأتي».

تمتد يده القاسية تجاه يدي، وللمرة الأولى ألاحظ الوشم على معصمه: سوار أحمر، مثل الذي يجعلوننا نرتديه، ولكنه الآن يرتديه إلى الأبد، هو جزء منه مثل الدماء التي تجري في عروقه.

«هل أنتِ معنا يا (ماير بارو)؟» يقول ويغلق يده حول يدي، حرب أكثر، موت أكثر، هذا ما قاله (كال)، ولكن هناك فرصة أنه مخطئ، هناك فرصة أننا نقدر على التغيير.

أضيق قبضتي متمسكة بيد (ويل)، أستطيع الشعور بثقل فعلتي، والأهمية وراءها.

«أنا معك».

«سننهض» يتنفس وبالمزامنة مع (تريستان)، أتذكر الكلمات وأقول معهما، «أحمر مثل الفجر».

وفي انعكاس شعلة الشمعة المرتجفة، تبدو ظلالنا كالوحوش على الجدران.

عندما أعود لـ(كال) عند طرف الغابة، أشعر أنني أخف بشكلٍ ما، جعلني قراري واحتماليات ما سيأتي أكثر قوة، يمشي (كال) بجانبي، ينظر تجاهي من حين إلى آخر، لكنه لا يقول أي شيء. حيثما كنت سأسأل وأتطفل لاستخراج الإجابة من شخص ما. هو المقابل كليًّا، ربما هي مناورة عسكرية تعلَّمها من إحدى كتبه: دع العدو يأتي إليك، لأن هذا ما أنا عليه الآن، عدوته.

يحيرني مثل أخيه تمامًا، الاثنان طيبان، حتى مع علمهما أنني حمراء، حتى مع أنهما لا يجب أن يروني على الإطلاق، ولكن أخذني (كال) إلى بيتي، وكان (مافين) لطيفًا تجاهي، أراد المساعدة، هما ولدان غريبان.

عندما ندخل الغابة مرة أخرى، يتغير سلوكه، يقسو تجاه شيء جاد، «يجب أن أتحدث مع الملكة بشأن تغيير جدولك».

«لِمَ؟».

«كدتِ على وشك الانفجار هناك» يقول في لطفٍ، «يجب أن تتدربي معنا، للحرص على عدم حدوث شيء كهذا مجددًا».

يدربني (جوليان). لكن حتى الصوت الصغير في رأسي يدرك أن (جوليان) ليس ببديلٍ عما يخوضه (كال) و(مافين) و(إيفانجلين)، إذا تعلمت نصف ما يتعلمونه، مَن يعرف ما المساعدة التي يمكنني أن أقدمها إلى الحرس وقتها؟ ولذكرى (شايد)؟

«إذا أخرجتني من دروس البروتوكول، لن أرفض».

فجأة يقفز (كال) من عند دراجته، يداه مشتعلتان ونيران مشابهة تشتعل في عينيه.

«هناك من يراقبنا».

لا أتكبد عناء سؤاله، فحس الجندي الخاص به حاد، ولكن ما الذي يمكن أن يهددنا هنا؟ ما الذي يمكن أن يخشاه في غابة القرية النائمة الفقيرة؟ قرية مزدحمة بالمتمردين، أذكِّر نفسي.

ولكن بدلًا من (فارلي) والثوريين المسلحين، يخرج (كيلورن) من وسط الأشجار، قد نسيت كم هو خجول، وكم يسهل عليه التحرك وسط الظلام.

تنطفئ يدا (كال) في موجة من الدخان، «أنت».

يحرك (كيلورن) نظره من عندي إلى (كال) محدقًا إليه، يحني رأسه في تواضع، «أعذرني يا صاحب السمو».

وبدلًا من أن يحاول (كال) الإنكار، وقف مستقيمًا، وبدا كالملك الذي ولد ليكونه، لا يجيبه ويعود ليحرر دراجته من الفروع، ولكني أشعر بعينيه تراقبني، وتشاهد كل ثانية تمر بي مع (كيلورن).

«ستفعلين ذلك حقًّا؟» يقول (كيلورن)، ويبدو كحيوان مجروح، «سترحلين؟ لتصبحي واحدة منهم؟».

تؤلمني الكلمات أكثر من صفعة، هذا ليس خيارًا، أريد أن أقول له.

«رأيت ما حدث هناك، ما يمكنني فعله، يمكنهم مساعدتي» حتى أنا مندهشة من سهولة خروج الكذبة، يومًا ما ربما سأقدر على الكذب على نفسي، وخداع عقلي ليظن أنني سعيدة، «أنا حيث يجب أن أكون».

يهز رأسه، ويده تمسك بذراعي كأنه يقدر على سحبي إلى الماضي، حيث كانت مشاكلنا بسيطة: «يجب أن تكوني هنا».

«(ماير)» ينتظر (كال) في صبرٍ، ويستند إلى مقعد دراجته النارية، ولكن صوته صارم، محذرًا.

«يجب أن أذهب» أحاول دفع (كيلورن) للمضي، وتركه خلفي، لكنه لا يسمح لي، فقد كان دومًا أقوى مني، وعلى قدر ما أريد تركه يتمسَّك بي، لا يمكن ذلك.

«(ماير)، أرجوكِ...».

تنبض موجة من الحرارة بجانبنا، مثل شعاع شمس قوي.

«اتركها» يقول (كال) في غضبٍ، يقف بجانبي وأطول مني، تنزلق الحرارة منه في موجاتٍ في الهواء، والهدوء الذي يقاوم للحفاظ عليه يقل ويهدد بالانتهاء.

يصدر (كيلورن) صوتًا ساخرًا تجاهه، يترجى القتال، ولكنه مثلي؛ نحن لصوص، فئران، نعلم متى نقاتل ومتى نهرب، يتراجع في ترددٍ، ويترك أصابعه تنزلق على ذراعي، من الممكن أن تكون هذه آخر مرة يرى أحدنا فيها الآخر.

يبرد الهواء، ولكن لا يتراجع (كال)، أنا خطيبة أخيه، يجب أن يحميني.

«تفاوضتِ من أجلي أيضًا، لإنقاذي من التجنيد» يقول (كيلورن) في لطفٍ، ويفهم أخيرًا الثمن الذي دفعته: «لقد صارت محاولة إنقاذي عادة لديك».

بالكاد يمكنني أن أومئ، واضطررت إلى أن أضع الخوذة فوق رأسي لإخفاء الدموع التي تتجمع في عينيَّ، وكالمخدرة أتبع (كال) إلى الدراجة وأصعد على الكرسي خلفه.

يخطو (كيلورن) مبتعدًا، ويجفل عندما تدور الدراجة، يبتسم في سخرية وتتحول ملامحه إلى الوضع الذي أريد أن ألكمه فيه.

«سأقول لـ(فارلي) إنكِ تلقينَ التحية».

تزمجر الدراجة كالوحش وتمزقني بعيدًا عن (كيلورن) و(الستيلتز) وحياتي القديمة. يموج الخوف بداخلي مثل السم، حتى أصير خائفة من رأسي حتى قدمي، ولكن ليس من أجلي، ليس بعد الآن، من أجل (كيلورن)، للفعل الغبي الذي سيقوم به.

سيذهب إلى (فارلي)، وسيقوم بالانضمام إليها.

الفصل الخامس عشر

في الصباح التالي، أفتح عينيَّ وأرى خيالًا مظلمًا يقف بجانب فراشي، هذه النهاية، لقد خرجت، وخرقت القواعد، وسيقتلونني لذلك.

ولكن ليس من دون قتال.

وقبل أن تسنح للخيال الفرصة، أطير من فوق فراشي مستعدة للدفاع عن نفسي، تتوتر عضلاتي بينما يعود الطنين الممتع للحياة داخلي، ولكن عوضًا عن قاتلٍ، أحدق إلى زي أحمر، وأتعرف على المرأة التي ترتديه.

تنظر إليَّ (والش) كما كانت تنظر في السابق، بينما لا أفعل المثل بالتأكيد، تقف بجانب عربة معدنية مليئة بالخبز والشاي وكل ما يمكن أن أريده للفطار. ومثل الخادمة المطيعة تبقي فمها مغلقًا، ولكن عينيها تصرخ بي، تحدق إلى يدي، إلى الشرارات التي صارت مألوفة الآن تتحرك بين أصابعي، أهزهم بعيدًا، وأمسح عروق يدي المشعة حتى تختفي تحت جلدي.

«آسفة» أصيح، وأقفز بعيدًا عنها، وما زالت صامتة، «(والش)...».

ولكنها تبقي نفسها منشغلة بتحضير الطعام، ولدهشتي، تقول خمس كلمات لي، كلمات بدأت أجدها كالدعاء أو اللعنة، أنهض، أحمر مثل الفجر.

قبل أن أجيب وقبل أن أستوعب صدمتي، تضع (والش) كوبًا من الشاي في يدي.

«انتظري» أمد يدي تجاهها، تتفاداها وتنحني انحناءة صغيرة.

«سيدتي» تقول وتضع نهاية لحديثنا.

أتركها تذهب، وأشاهدها تتراجع من الغرفة حتى لم يتبقَّ غير صدى كلماتها غير المنطوقة.

(والش) من الحرس أيضًا.

يصير الشاي باردًا في يدي بشكلٍ غريبٍ، أنظر إليه وأجد أنه ليس شايًا، بل مياهًا، وفي قاع الكوب ورقة تنزف حبرًا، يتموج الحبر بينما أقرأ الرسالة، تأكله المياه، وتمسح كل أثرٍ حتى لم يعُد باقيًا غير السائل الرمادي وورقة بيضاء خالية، لا دليل على أول فعل تمرد لي، ليس من الصعب تذكر الرسالة، فهي مكونة من كلمتين.

منتصف الليل.

معرفة أن لي صلة بجماعة قريبة مني يجب أن تريحني، ولكن لسببٍ ما، أجد نفسي أرتجف، ربما ليس فقط الكاميرات ما يراقبني هنا، وهذه ليست الرسالة الوحيدة في انتظاري، فجدولي الجديد يستقر على الطاولة الجانبية، مكتوب بخط يد الملكة المتقن.

تم تغيير جدولك.

الإفطار: 06:30، التدريب: 07:00، بروتوكول: 10:00

الغداء: 11:30، بروتوكول: 13:00، دروس :14:00

العشاء: 18:00

جلالتها الملكة (إيلارا)

«إذن، لقد ترقيتي إلى التدريبات أخيرًا؟» يبتسم (لوكاس) تجاهي، وتلمع لمحة صغيرة من الفخر في ملامحه بينما يقودني إلى جلستي الأولى، «إما كنتِ جيدة جدًّا وإما كنتِ سيئة جدًّا».

«قليلٌ من الأمرين».

الأكثر سيئة جدًّا، أفكر وأتذكر نوبتي في الليلة الماضية في بيتي، أعلم أن الجدول الجديد من فعل (كال)، ولكن لم أتوقع أن ينجح بهذه السرعة. في الحقيقة، أنا متشوقة إلى التدريبات، وإذا كانت أي شيء مشابهًا لِمَا رأيت (كال) و(مافين) يمرّان به، بالأخص تدريبات القدرات، فسأكون متخلفة عنهم بشكلٍ ميؤوسٍ منه، ولكن على الأقل سيكون لديَّ أحد للتحدث إليه، وإذا كنت محظوظة، ستصبح (إيفانجلين) مريضة للغاية وتلازم الفراش لبقية حياتها البائسة.

يهز (لوكاس) رأسه ضاحكًا: «كوني جاهزة، المدربون مشهورون بقدرتهم على تحطيم حتى أشجع الجنود، لن يتقبّلوا تحذلقك بطريقة حسنة».

«وأنا لا أتقبّل تحطيمي بطريقة حسنة» أقول مندفعة: «كيف كانت تدريباتك؟».

«رحلت إلى الجيش فورًا عندما كنت في التاسعة من عمري، لذا تجربتي كانت مختلفة» يقول وتظلم عيناه عند التذكر.

«التاسعة؟» تبدو الفكرة مستحيلة بالنسبة إليّ، قدرات أو لا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا.

ولكن (لوكاس) يتعامل معها بلامبالاة، «الجبهة هي أفضل مكان للتدريب، حتى الأميران تدربا في الجبهة، لفترة».

«لكنك هنا الآن» أقول، تتعلق عيناي على زي (لوكاس)، اللون الأسود والفضي المخصص للأمن، «لم تعُد جنديًّا».

لأول مرة تختفي ابتسامة (لوكاس) البسيطة بالكامل، «مرهقة» يعترف، أكثر لنفسه عني، «لا يفترض أن يبقى الرجال في الحرب طويلًا».

«وماذا عن (الحمر)؟» أسمع نفسي أسأله، (بري)، (ترامي)، (شايد)، أبي، والد (كيلورن)، وآلاف آخرين، مليون آخرين، «هل يقدرون على تحمُّلها أكثر من (الفضيين)؟».

نصل إلى باب ساحة التدريب قبل أن يجيبني (لوكاس) أخيرًا، ويبدو محرجًا قليلًا، «هكذا يدور العالم، (الحمر) يخدمون، (الحمر) يعملون، (الحمر) يقاتلون، هذا ما هم صالحون فيه، هذا هو المقدر لهم فعله» أعض على لساني لأمنع نفسي من الصراخ به، «ليس الجميع مميزين».

يغلي الغضب بداخلي، ولكني لا أقول كلمة لـ(لوكاس)، ففقدان أعصابي، حتى معه، لن يكون جيدًا، «يمكنني الذهاب من هنا» أقول بحدة.

ويلاحظ انزعاجي، ويكشر قليلًا، عندما يتحدث، صوته هادئ وسريع، كأنه لا يريد أن يسمعه أحد، «ليس لديَّ رفاهية الأسئلة» يهمس، وتحدق عيناه السوداوان إليَّ مليئة بالمعاني، «وأنتِ أيضًا».

ينقبض قلبي فزعًا من كلماته ومعناها الخفي، يدرك (لوكاس) أن هناك المزيد بشأني أكثر مما قيل له، «(لوكاس)...».

«ليس من شأني أن أسأل» يكشر حاجبيه محاولًا أن يجعلني أفهم، محاولًا أن يريحني. «سيدة (تيتانوس)» يبدو اللقب أكثر صرامة من أي وقت آخر، يصير درعي مثلما هو سلاح الملكة.

لن يسأل (لوكاس) أي أسئلة، على الرغم من عينيه القاتمة ودمائه الفضية وعائلة (ساموس)، لن يجذب الخيط الذي يمكنه حل وجودي بأكمله.

«حافظي على جدولك، يا سيدتي» ينسحب بشكلٍ أكثر رسمية مما رأيته عليه من قبل، وبإشارة من رأسه يشير إلى الباب حيث ينتظر الخادم الأحمر، «سأصحبك بعد التدريب».

«شكرًا لك يا (لوكاس)» كان كل ما استطعت قوله، لقد أعطاني أكثر مما يدرك.

يعطيني الخادم زيًّا أسود مطاطيًّا بخطوط بنفسجية وفضية، ويوجهني إلى غرفة صغيرة، حيث أغير ملابسي سريعًا، أخلع ردائي المعتاد وأرتدي بدلة التدريب. تذكرني بملابسي القديمة التي كنت أرتديها في (الستيلتز)، رثة بفعل الزمن والحركة، ولكنها ضيقة ومشذبة بالقدر الكافي حتى لا تعيقني.

أشعر بأعين الجميع تحدق إليَّ إلى حد الألم عندما أدخل ساحة التدريب، دون ذكر دزينة الكاميرات، الأرضية ناعمة ومرنة تحت قدميَّ، تضعف كل خطوة. ترتفع فتحة سقف فوقنا تظهر سماء الصيف الزرقاء فقط لتغيظني. تربط سلالم حلزونية بين عدة مستويات مقتطعة من الجدران، كلٌّ منها بارتفاعٍ مختلفٍ وبه معدات مختلفة. هناك العديد من النوافذ أيضًا، واحدة منها تطل على غرفة تدريس السيدة (بلونوس)، ليس لديَّ فكرة عمَّا تطل عليه النوافذ الأخرى، ولا عمن يمكن أن يراقبنا من خلالها.

يجب أن أكون متوترة عند دخول غرفة مليئة بالمحاربين اليافعين، كلهم مدربون أفضل مني، ولكن عوضًا عن ذلك، أفكر باللوح الثلجي المكون من العظام والمعدن الذي لا يطاق المعروف كـ(إيفانجلين ساموس)، بالكاد

أصل إلى منتصف الغرفة قبل أن تفتح فمها وتقطر سمومًا.

«تخرجتِ من البروتوكول بهذه السرعة؟ هل تمكنتِ من فن الجلوس وساقاكِ متشابكتان؟» تبتسم في سخرية وتقفز من جهاز رفع الأثقال. شعرها الفضي مربوط إلى الخلف في جديلة معقدة أريد بشدة قصها، ولكن توقفني الشفرات المعدنية الحادة المميتة حول خصرها. مثلي ومثل كل من هنا ترتدي بدلة تدريب مزينة بألوان منزلهم، تبدو مميتة باللونين الأسود والفضي. تقف (سونيا) و(إيلاين) على جانبيها وعلى وجهيهما ابتسامات ساخرة مماثلة. والآن حيث إني لم أعد خائفة منهما، يبدو كأنهما يتملقان الملكة المستقبلية.

أفعل ما في وسعي لتجاهلهن جميعًا، وأجد نفسي أبحث عن (مافين)، يجلس في زاوية بعيدًا عن الآخرين، على الأقل يمكننا أن نكون وحدنا معًا. تتبعني الهمسات بينما تراقبني دزينة من الفتيات النبيلات وأنا أتقدم نحوه، بعضهن يحنين رأسهن في محاولة أن يكن مهذبات، ولكن معظمهن يبدو عليهن الحذر، تبدو الفتيات متوترات بالأخص؛ فبعد كل شيء لقد أخذت أحد الأمراء منهن.

«استغرقتِ وقتًا طويلًا» يقول (مافين) ضاحكًا بمجرد جلوسي بجانبه، لا يبدو كأنه جزء من الحشد، ولا يريد أن يكون، «إذا لم أعرف بشكل أفضل كنت سأقول إنكِ تحاولين الابتعاد عنا».

«شخص واحد بالأخص» أجيبه وأنظر تجاه (إيفانجلين). تجذب الانتباه عند جدار تسديد الأهداف، حيث تتفاخر أمام أتباعها في عرضٍ مبهرٍ، تغني شفراتها المعدنية خلال الهواء، ويحفرون منتصف الأهداف بدقة.

يشاهدني (مافين) بينما أراقبها، عيناه مراعية. «عندما تعودين للعاصمة لن تضطري إلى أن تريها كثيرًا» يهمس، «ستكون مشغولة مع (كال) في التجول عبر البلد، يؤديان واجبهما، وسيكون لدينا الواجبات الخاصة بنا».

فكرة الابتعاد عن (إيفانجلين) مشوقة، ولكن تذكرني أيضًا بالوقت الذي يمر ضدي، قريبًا سأجبر على ترك القصر، ووادي النهر وعائلتي.

«هل تعلم متى سوف...؟» أتردد وأصحح نفسي: «أقصد، متى سنذهب إلى العاصمة؟».

«بعد حفلة الوداع، قالوا لكِ عنها».

«نعم، ذكرتها والدتك، والسيدة (بلونوس) تحاول تدريبي على الرقص...» أتشتت وأشعر بالإحراج، حاولت تعليمي بعض الخطوات بالأمس، ولكن انتهى بي الأمر بالسقوط، أقدر على السرقة بمهارة، ولكن يبدو أن الرقص بعيدٌ عن قدراتي، «الكلمة المهمة هنا: حاولت».

«لا تقلقي، فلن تضطري إلى المرور بأسوأ الأمر».

فكرة الرقص تفزعني، ولكني أبتلع ريقي في خوف: «من إذن؟».

«(كال)» يقول مترددًا: «أخي الكبير يجب أن يتحمل العديد من المحادثات السخيفة والرقص مع فتيات مزعجات، أتذكر العام السابق...» يتوقف ليضحك على الذكرى، «تبعته (سونيا إيرال) طوال الوقت في كل مكان، محاولة جذبه للحصول على بعض المرح، كان عليَّ التدخل والمعاناة لمدة أغنيتين بالرقص معها لإعطاء (كال) بعض الراحة».

تجعلني فكرة الأخوين المتحدين ضد جيش من الفتيات اليائسات أضحك، أفكر في الحدود التي وصلا إليها في محاولة أحدهما إنقاذ الآخر، ولكن بينما تتسع ابتسامتي، تختفي ابتسامة (مافين).

«على الأقل هذه المرة سيكون لديه (ساموس) متعلقة بذراعه، لن تجرؤ الفتيات على إغضابها».

أضحك متذكرة قبضتها الحادة المؤلمة على ذراعي: «مسكين (كال)».

«وكيف كانت زيارتك بالأمس؟» يقول مشيرًا إلى رحلتي القصيرة لمنزلي، إذن لم يقل له (كال) شيئًا.

«صعبة» هذه الطريقة الوحيدة التي أعرف كيف أصف بها الأمر، تعلم عائلتي الآن من أنا، وقد رمى (كيلورن) بنفسه للذئاب، وبالطبع، مات (شايد)، «أُعدم واحد من إخوتي، قبل وصول أمر التسريح».

يتململ بجانبي، وأتوقع منه أن يشعر بعدم الارتياح، بعد كل شيء، قومه من فعلوا ذلك، بدلًا من ذلك يضع يده فوق يدي.

«أنا آسف يا (ماير)، أنا متأكد أنه لم يستحق ذلك».

«لا، لم يستحق هذا» أهمس وأتذكر لِمَ مات أخي، وأنا الآن على نفس الطريق.

يحدق إليَّ (مافين) باهتمامٍ كأنه يحاول قراءة أسرار عيني، ولمرة واحدة أنا شاكرة لدروس (بلونوس)، وإلا كنت سأظن أن (مافين) يمكنه قراءة العقول مثل الملكة، ولكن لا، هو حارق (برنر) وهو ذلك فقط. قليل من (الفضيين) يرثون قدرات من أمهاتهم، ولم يحصل أحدٌ قطُّ على أكثر من قدرة واحدة، لذا سري، انضمامي الحديث إلى الحرس القرمزي، لي وحدي.

عندما يمد يده ليساعدني على النهوض، أمسك بها، يقوم الجميع حولنا بالإحماء، في الأغلب بعض التمديدات والركض حول الغرفة، ولكن البعض يقوم بأشياء أكثر إبهارًا. تختفي (إيلاين) وتظهر في محيط نظري بينما تحني الضوء حول نفسها حتى تختفي كليًّا. يقوم متحكم بالرياح (ويندويفر) -(أوليفر) من منزل (لاريس)- بتكوين زوبعة صغيرة بين يديه، محركًا بعض ذرات من الغبار. تتبادل (سونيا) اللكمات مع (أندروز إيجيري)، شاب قصير، ولكن مفتول العضلات في الثامنة عشرة من عمره. وكحريرية (سيلك)، (سونيا) ماهرة وسريعة بطريقة شرسة ومن المفترض أن تتغلب عليه، ولكن يماثلها (أندروز) ضربة مقابل ضربة في رقصة عنيفة. فضيو منزل (إيجيري) هم أعين (آيز) بمعنى أن لديهم القدرة على رؤية المستقبل القريب، ويستخدم (أندروز) قدرته إلى أقصى حدٍّ، ليس لدى أحد منهما اليد العليا، يمارسان لعبة توازن أكثر منها قوة.

أتخيل ما يمكنهم فعله حقًّا، أقوياء للغاية، بارعون للغاية، وهؤلاء مجرد أطفال، وبكل سهولة يتبخر أملي ويتحول إلى خوفٍ.

«اصطفوا» يقول صوت بالكاد همسًا.

يدخل مدربي الجديد من دون صوت، وبجانبه (كال) وخلفهما (تيلكي) من منزل (بروفوز). وكجندي صالح يمشي (كال) بمحاذاة معلمه، الذي يبدو ضئيلًا ومتواضعًا بجانب كتلة (كال). هناك تجاعيد في بشرته الشاحبة وشعره أبيض كزيه، دليل على عمره الحقيقي ومنزله. منزل (أرفين)، المنزل

الصامت، أتذكر وأفكر في دروسي السابقة. منزل عظيم، مليء بالقوة والقدرة وكل الأشياء التي يضع بها (الفضيون) إيمانهم. أتذكره حتى من قبل أن أصبح (مارينا تيتانوس)، عندما كنت طفلة. كان يشرف على أحكام الإعدام المذاعة في العاصمة، سيدٌ على (الحمر) وحتى (الفضيين) المحكوم عليهم بالإعدام، والآن أدرك لما انتقوه لذلك.

تعود فتاة منزل (هافين) للوجود، فجأة مرئية مجددًا، وتموت الزوبعة بين يد (أوليفر)، وتسقط سكاكين (إيفانجلين) من الهواء، وحتى أنا أشعر بغطاء من السكون واللاشيء يحجب حاستي الكهربائية.

هو (راين أرفين)، المدرب، الجلاد، الصامت، يقدر على تحويل الفضي إلى أكثر ما يكرهه: أحمر، يمكنه غلق قدراتهم، وجعلهم طبيعيين.

بينما أحدق إليه، يسحبني (مافين) إلى مكاني بجانبه. (كال) في مقدمة الصف، تقود (إيفانجلين) الصف بجانبنا، ولمرة لا تبدي أي اهتمام بي. تبقي عينيها على (كال) بينما يستقر، يبدو في مكانه الطبيعي في وضعه المرموق، لا يضيع (أرفين) وقتًا في تقديمي، في الواقع لا يبدو أنه يلاحظ أنني انضممت إلى الحصة.

«دورات» يقول بصوتٍ خشن ومنخفض.

جيد، شيء أستطيع فعله، ننطلق في صفوفنا، وندور حول الغرفة في تقدم هادئ وسكون هانئ. أدفع نفسي إلى الركض أسرع، وأستمتع بالتمرينات التي أفتقدها كثيرًا، حتى أتخطى (إيفانجلين) ثم يصير (كال) بجانبي، ويحدد سرعة التقدم للآخرين. يبتسم تجاهي، ويراقبني بينما أركض، هذا شيء يمكنني فعله، ويمكنني الاستمتاع به. تشعر قدماي بغرابة على الأرض المبطنة، تدفع بكل خطوة، ولكن الدماء التي تنبض في أذنيَّ، والعرق والركض كل ذلك مألوف، إذا أغلقت عينيَّ، يمكنني التظاهر أنني في القرية، مع (كيلورن) وإخوتي أو بمفردي، حرة.

هذا حتى يندفع جزء من الجدار إلى الخارج ويضربني في معدتي، يسقطني أرضًا مترامية الأطراف، ولكن كبريائي هو ما يؤلمني حقًا. تبتعد مجموعة الراكضين وتبتسم (إيفانجلين) خلف كتفها، وتشاهدني أتخلف عنهم، فقط (مافين) من يبطئ تقدمه وينتظرني لألحق به.

«مرحبًا بكِ في التدريبات» يقول ضاحكًا، ويشاهدني أحاول تخطي العقبة.

في جميع أنحاء الغرفة، تتحرك أجزاء أخرى من الجدران وتكون عقبات للراكضين، يتغلبون عليها في تقدم؛ فهم معتادون وجودها. يقود (كال) و(إيفانجلين) المجموعة، يقفزان أو ينبطحان لتخطي العقبات أمامهما. بطرف عينيَّ ألاحظ (التيلكي) (بروفوز) يوجه أجزاء الجدار ويجعلها تتحرك، ويبدو أنه يبتسم في سخرية مني. أقاوم الرغبة في الهجوم على (التيلكي) وأدفع بنفسي إلى الركض. يركض (مافين) بجانبي، ولا يسبقني بأكثر من خطوة، وهذا يغضبني بشكلٍ غريبٍ. تزداد سرعتي، وأتقدم وأعدو إلى أقصى قدرتي، ولكن (مافين) ليس كضباط الأمن في قريتي، من الصعب تركه في التراب خلفي.

بحلول الوقت الذي ننتهي فيه من الركض، يظل (كال) الوحيد الذي لم يتصبب عرقًا، حتى (إيفانجلين) تبدو مرهقة، رغم أنها تحاول أن تخفي ذلك بأقصى مقدرتها. تتحول أنفاسي إلى لهاثٍ ثقيلٍ، ولكني فخورة بنفسي. على الرغم من البداية العثرة، تمكنت من الاستمرار. يتفحصنا المدرب (أرفين) لبعض الوقت، ويبقي عينيه عليَّ قليلًا قبل أن يلتفت إلى (تيلكي).

«الأهداف من فضلك يا (ثيو)» يقول ومجددًا بالكاد همسًا، ومثل دفع الستائر للسماح بأشعة الشمس بالدخول، تعود قدرتي سريعًا. يقوم المساعد (التيلكي) بتحريك يده فينزلق جزء من الأرض كاشفًا عن مسدس غريب رأيته من قبل من نافذة السيدة (بلونوس). أدرك أنه ليس مسدسًا على الإطلاق، بل هو أسطوانة، فقط قدرة (التيلكي) تجعله يتحرك، ليس تكنولوجيا متطورة ما، قدراتهم هي كل ما يمتلكون.

«سيدة (تيتانوس)» يتمتم (أرفين)، ويجعلني أرتعد، «أعلم أن لديك قدرة مثيرة للاهتمام».

يقصد البرق، صواعق التدمير البنفسجية والبيضاء، ولكن يشرد ذهني لما قاله (جوليان)، أنا لا أتحكم فقط، أقدر على خلقها، أنا مميزة.

تلتفت كل عين تجاهي، ولكني أضغط فكي، وأحاول أن أدفع نفسي لأصير قوية، «مثيرة، ولكن ليست غير مسموع بها من قبل» أقول، «أنا متشوقة إلى تعلم المزيد عنها يا سيدي».

«يمكنك البدء الآن» يقول المدرب ويتوتر (التيلكي) خلفه.

بإشارة منه، تنطلق كرة من كرات الأهداف في الهواء من الأسطوانة، أسرع مما ظننت ممكنًا، التحكم، أقول لنفسي وأردد كلمات (جوليان)، ركزي.

هذه المرة، أشعر بقوة جذب بينما أمتص الكهرباء من الهواء ومن مكان ما بداخلي، تتجسد على يدي، وتلمع للحياة كشراراتٍ صغيرة، ولكن ترتطم الكرة بالأرض قبل أن أصعقها، وتنزف الشرارات على الأرض وتختفي. تبتسم (إيفانجلين) في سخرية خلفي، ألتفت لأحدق إليها، ولكن تجد عيناي (مافين) بدلًا منها، بالكاد يومئ، يحثني على المحاولة مرة أخرى، وبجانبه يعقد (كال) ذراعيه ووجهه مظلم بالمشاعر التي لا أفهمها.

تندفع كرة أخرى إلى أعلى، وتدور في الهواء، تأتي الشرارة أسرع هذه المرة، حية ومشرقة بينما تصل الكرة إلى أعلى نقطة ممكنة لها. ومثل ما حدث في غرفة دروس (جوليان)، أقبض كفيّ وأشعر بالقوة تندفع داخلي وأقذف بها. تتحرك في قوس من الضوء المدمر، وتقص طرفًا من الهدف الهابط، يتحطم تحت قدرتي، يصدر دخانًا وشرارًا بينما يرتطم بالأرض، لا أقدر على منع نفسي من الابتسام مسرورة بنفسي، وخلفي يصفق (مافين) و(كال)، ويفعل مثلهما بضعة فتيان آخرين، لا تصفق (إيفانجلين) وأصدقاؤها بالتأكيد، يبدو كأن نصري أهانهم، ولكن لا يقول المدرب (أرفين) أي شيء، ولا يعبأ بتهنئتي، وينظر خلفي إلى البقية، ويقول «التالي».

يقوم بتدريب الصف بخشونة ويجبرنا على دروة تدريبات تلو الأخرى لصقل قدراتنا، وبالطبع أتخلف عن الباقي في جميعها، ولكن أستطيع الشعور بنفسي أتحسن، ومع وقت انتهاء الحصة، يتساقط مني العرق ويؤلمني كل شيء. حصة (جوليان) كانت نعمة فسمح لي بالجلوس لاستعادة قوتي، ولكن حتى حصة هذا الصباح لم تقدر على تصفية ذهني؛

منتصف الليل قادم، وكلما مرَّ الوقت اقتربتُ من منتصف الليل، واقتربت من الخطوة التالية لأستعيد السيطرة على قدري.

لا يلاحظ (جوليان) عدم ارتياحي، ربما لأنه غارق حتى مرفقيه في كتب جديدة، كل واحد منها سمكه بوصة واحدة ومكتوب عليه العام ولا شيء آخر، ماذا يمكن أن تكون، لا أعرف.

«ما هذه؟» أسأله، وأمسك بواحدٍ، يوجد داخله قوائم عديدة: أسماء، تواريخ، مواقع وسبب الوفاة، معظمهم فقدان دماء، ولكن هناك أيضًا أمراض، خنق، غرق، وبعض التفاصيل الدقيقة والبشعة. تتجمد الدماء في عروقي عندما أدرك ما الذي أقرؤه، «سجل وفيات».

يومئ (جوليان): «كل شخص مات خلال القتال في حرب (اللايكلاندريين)».

(شايد)، أفكر وأشعر بالطعام يتقلب في معدتي، شيء ما يخبرني أنه لن يحصل على اسمه في قائمة من هذه، لا يستحق المرتدون شرف خط واحد من الحبر. غاضبة، أترك عقلي يصل إلى مصباح المكتب الذي يضيء قراءتي، تدعوني الكهرباء بداخلها، مألوفة مثل نبضات قلبي، وبلا شيء غير قدرتي العقلية، أقوم بإطفائها وإشعالها بالتزامن مع نبضات قلبي المتسارعة.

يلاحظ (جوليان) الضوء المتقطع، ويضغط شفتيه، «هل هناك شيء ما خاطئ يا (ماير)؟» يسأل بأسلوبٍ جافٍّ.

كل شيء خاطئ.

«لست معجبة بتغيير الجدول» أقول عوضًا عن ذلك، وأترك المصباح لشأنه، هذه ليست كذبة، ولكنها ليست الحقيقة أيضًا، «لن يكون في إمكاننا التدريب».

يهز كتفيه فقط ويتحرك زيه الملون بلون المخطوطات معه، يبدو أكثر اتساخًا بطريقة ما كأنه يتحول إلى صفحات كتبه، «مما سمعت، تحتاجين إلى إرشاد أكثر مما أقدر على منحه لكِ».

تصطك أسناني ببعضها، مضغًا للكلمات قبل أن أبصقها، «هل قال لك (كال) ما حدث؟».

«فعل ذلك» يجيب (جوليان) في توازنٍ، «وهو محقٌّ، لا تحمِّليه الخطأ».

«أستطيع أن أحمِّله خطأ ما أريد» أقول مندفعة وأتذكر كتب الحرب وارشادات الفناء في كل مكان في غرفته، «هو مثل الآخرين».

يفتح (جوليان) فمه ليقول شيئًا، ولكنه يفكر بشكلٍ أفضل في اللحظة الأخيرة ويعود لكتبه. «(ماير)، لا يمكنني أن أدعو ما نفعله هنا بالتدريبات، وبجانب ذلك، كنتِ جيدة للغاية في حصة اليوم».

«رأيت ذلك؟ كيف؟».

«طلبت المشاهدة».

«ماذا...».

«لا يهم» يقول وينظر خلالي، ويتحول صوته فجأة إلى نغمة، ويهمهم بذبذباتٍ عميقة ومريحة، يتنهد وأدرك أنه محقٌّ.

«لا يهم» أردد، حتى مع صمته يتعلق صوت (جوليان) في الهواء مثل النسمة المهدئة، «إذن ما الذي سنعمل عليه اليوم؟».

يبتسم (جوليان)، مسرور بنفسه: «(ماير)».

صوته طبيعي مجددًا، بسيط ومألوف، يكسر الأصداء، ويمسحهم بعيدًا عني في سحابة مرتفعة: «ماذا...ماذا كان هذا؟».

«أعتقد أن السيدة (بلونوس) لم تتحدث عن قدرات منزل (جاكوس) في دروسها؟» يقول وما زال يبتسم في فخرٍ، «أنا مندهش أنكِ لم تسألي قطُّ».

في الواقع لم أتساءل أبدًا عن قدرات (جوليان)، لطالما ظننت أنها شيء ضعيف، لأنه لا يبدو متعاليًا كالآخرين، ولكن يبدو أن هذا ليس الوضع على الإطلاق، هو أقوى وأكثر خطرًا مما توقعت.

«يمكنك التحكم بالناس؛ أنت مثلها» فكرة أن (جوليان)، المتعاطف، الشخص الجيد، يكون مثل الملكة تجعلني أرتجف، يتقبل الإهانة بصدرٍ رحبٍ، ويعيد انتباهه إلى الكتب: «لا، لست مثلها، أنا لست قريبًا من قدراتها، أو قسوتها»، يتنهد ويشرح: «نُدعى بالمغنيين (سينجرز)، أو على الأقل كنا سندعو بذلك إذا كان هناك المزيد منَّا، أنا آخر فرد من منزلي، وآخر، حسنًا، فرد من نوعي، لا أقرأ العقول، لا أتحكم بالأفكار، لا أتحدث داخل رأسك، ولكني أستطيع الغناء، وما دام يقدر الشخص على سماعي،

أقدر على النظر في عينيه؛ ويمكنني أن أجعله يفعل ما أريد».

يسري الرعب داخلي، حتى (جوليان).

ببطء، أستند إلى الخلف، أريد أن أزيد المسافة بيننا، يلاحظ ذلك بالطبع، ولكنه لا يبدو غاضبًا.

«أنتِ محقة في عدم الثقة بي» يتمتم، لا يفعل أحدٌ، هناك سبب أن أصدقائي الوحيدين هم الكلمات المكتوبة، ولكني لا أستخدم قدراتي إلا عندما أكون مضطرًا، ولم أستخدمها قطُّ في الأذى» ثم يضحك في غموضٍ، «إذا أردت حقًّا، يمكنني أن أصل إلى العرش».

«ولكنك لم تفعل».

«لا، ولم تفعل أختي أيضًا، مهما ظن الجميع».

والدة (كال)، «لا يتحدث عنها أي أحد، ليس معي، على أي حالٍ».

«لا يحب الناس التحدث عن الملكات الميتة» يندفع ويلتفت بعيدًا عني في حركة سلسة، «ولكنهم تحدثوا عندما كانت حية، (كوريان جاكوس)، الملكة المغنية» لم أرَ (جوليان) بهذا الشكل من قبل، ولا مرة. في العادة هو هادئ ومتزن، ربما مهووس قليلًا، ولكن ليس غاضبًا أبدًا. ليس متألمًا إلى هذه الدرجة، «لم تمر باختبارات الملكة، أتعرفين، ليس مثل (إيلارا) و(إيفانجلين) أو أنت حتى، لا، تزوج (تيبي) أختي لأنه أحبها وأحبته».

(تيبي)، تسمية (تايبرياس كالور) السادس، ملك (نورتا)، شعلة الشمال، أي شيء بأقل من ثمانية مقاطع يبدو منافيًا للعقل، ولكنه كان شابًّا مرة أيضًا، كان مثل (كال)، فتى وُلِد ليصير الملك.

«كرهوها لأننا كنَّا من منزلٍ متدنٍّ، لأننا لم نمتلك القوة أو القدرة أو أي شيء آخر سخيف يعتزون به» يواصل (جوليان) الحديث وما زال ينظر بعيدًا، تهبط كتفاه مع كل نفس. «وعندما أصبحت أختي الملكة، هددت بتغيير كل ذلك، كانت طيبة، عطوفة، أمًّا تقدر على تربية (كال) ليصبح الملك الذي يمكنه توحيدنا جميعًا، ملكًا لا يخشى التغيير، ولكن لم يحدث ذلك».

«أعرف معنى خسارة أخ» أتمتم وأتذكر (شايد)، لا يبدو هذا حقيقيًا، كأن الجميع يكذبون وهو في البيت الآن، سعيد وآمن. ولكنني أدرك أن هذه ليست الحقيقة، وفي مكان ما، جثة أخي مقطوعة الرأس دليل على ذلك. «عرفت بالأمس فقط أن أخي مات في الجبهة».

يلتفت (جوليان) أخيرًا، وعيناه كالزجاج، «أنا آسف يا (ماير)، لم أعرف».

«لم تكن لتعرف، فالجيش لا يدرج الإعدامات في سجلاتهم الصغيرة».

«إعدام؟».

«هروب من الخدمة» مذاق هذه الكلمات مثل الدماء، مثل الكذب، «رغم أنه لم يكن ليفعل ذلك أبدًا».

بعد لحظة طويلة من الصمت، يضع (جوليان) يده على كتفي، «يبدو أنه لدينا الكثير من الأمور المشتركة أكثر مما ظننتِ يا (ماير)».

«قتلوا أختي أيضًا، وقفتْ في الطريق، وتم إزالتها، و...» انخفض صوته، «وسيفعلونها مرة أخرى مع أي شخص يضطرهم إلى ذلك، حتى (كال)، وحتى (مافين)، وبالأخص أنتِ».

بالأخص أنتِ يا فتاة البرق الصغيرة.

«ظننتك أردت تغيير الأوضاع يا (جوليان)».

«أريد بالفعل، ولكن هذه الأشياء تأخذ وقتًا، التخطيط والكثير من الحظ للاعتماد عليه» يحدق إليَّ من أعلى إلى أسفل كأنه يعلم بطريقة ما أنني قد اتخذت الخطوة الأولى في طريقٍ مظلمٍ، «لا أريدك أن تتورطي فيما أكبر منك».

متأخر كثيرًا.

الفصل السادس عشر

بعد أسبوع من التحديق إلى ساعتي، في انتظار منتصف الليل، أبدأ في الشعور باليأس، بالطبع لا تستطيع (فارلي) الوصول إلينا هنا؛ حتى هي ليست بهذه المهارة. ولكن الليلة عندما تدق الساعة، لا أشعر بأي شيء منذ اختبارات الملكة، لا كاميرات، لا كهرباء، لا شيء؛ انقطعت الكهرباء تمامًا، مررت بهذه الانقطاعات من قبل، أكثر مما يمكنني إحصاؤها، ولكن هذه مختلفة، هذه ليست حادثة، هذا من أجلي.

أتحرك سريعًا وأنزلق في حذائي المهترئ من ارتدائه لأسابيع وأتجه إلى الباب، بالكاد أصل إلى الممر عندما أسمع صوت (والش) في أذني، تتحدث بلطفٍ وسرعة بينما تسحبني عبر الظلام القسري.

«ليس لدينا الكثير من الوقت» تهمس وتسرع بي إلى سلّم الخدم. الظلام محدق، ولكنها تعرف أين نذهب، وأثق بها أن توصلني إلى هناك، «سيعيدون الكهرباء خلال خمس عشرة دقيقة إذا كنّا محظوظين».

«وإذا لم نكن ذلك؟» أهمس في الظلام.

تسرع بي إلى الأسفل، وتفتح الباب بكتفها: «إذن أتمنى أنكِ ليست متعلقة برأسك كثيرًا».

تصدمني رائحة التربة والغبار والمياه أولًا، وتسير بداخلي كل ذكريات الحياة في الغابات. ولكن على الرغم من أنها تبدو كغابة، بالأشجار القديمة الملتوية والمئات من النباتات الملونة بالأزرق والأسود في ضوء القمر، يعلو فوقها سقف زجاجي، غرفة النباتات. تمتد خيالات ملتوية على الأرض، كل واحد فيها أسوأ من الآخر. أرى ضباط أمن وحراس (السينتنال) خلف كل زاوية مظلمة، ينتظرون للقبض علينا وقتلنا كما فعلوا بأخي، ولكن بدلًا من الزي الأسود البشع أو زي الشعلة، لا يوجد غير الورد المتفتح تحت السقف الزجاجي الذي تظهر من خلاله النجوم.

«اعذريني لعدم الانحناء» يقول صوتٌ، منبعثٌ من مجموعة من أشجار الماجنوليا اللامعة باللون الأبيض، تعكس عيناها الزرقاوان القمر، وتبرق في الظلام بنيران باردة؛ لدى (فارلي) موهبة حقيقية للأجواء المسرحية.

مثلما في بثها الإذاعي، ترتدي وشاحًا أحمر عبر وجهها، يخفي ملامحها، ولكنه لا يخفي الندبة المدمرة التي تمر بعنقها، وتختفي تحت ياقة قميصها. تبدو جديدة، بالكاد تبدأ في الشفاء، كانت مشغولة منذ رأيتها آخر مرة، ولكن، أنا أيضًا.

«(فارلي)» أقول وأميل رأسي للترحيب.

لا تفعل المثل، ولكني لم أتوقع منها ذلك، فقط العمل، «والآخر؟» تهمس. الآخر؟

«سيأتي به (هولاند)، في أي لحظة الآن» تبدو (والش) منقطعة الأنفاس، حتى متحمسة، بشأن من ننتظره، حتى (فارلي) تلمع عيناها.

«ما هذا؟» من سينضم أيضًا؟» لا يجيبانني، وتتبادلان النظرات بدلًا من ذلك، بعض الأسماء تمر بعقلي، خدم وفتيان المطبخ يدعمون القضية.

ولكن الشخص الذي انضم إلينا لم يكن من الخدم، هو ليس أحمر حتى. «(مافين)».

لا أعلم ما إذا كان عليَّ الصراخ أم الهرب عندما أرى خطيبي يظهر من بين الظلال، هو أمير، هو فضي، هو العدو ومع ذلك ها هو هنا، يقف مع واحدة من قادة الحرس القرمزي، مرافقه (هولاند)، خادم أحمر كبير في السن وخلفه أعوام من الخدمة، يبدو منتفخًا من الفخر.

«قلت لكِ أنتِ لست وحيدة يا (ماير)» يقول (مافين) لكنه لا يبتسم، يده ترتجف بجانبه، هو متوتر، (فارلي) تخيفه، وأدرك لماذا. تتقدم ناحيتنا وفي يدها مسدس، ولكنها متوترة بنفس القدر، ومع ذلك لا يهتز صوتها. «أريد سماعها من شفتيك أيها الأمير الصغير، قل لي ما قلته له» تقول وتميل برأسها ناحية (هولاند).

يكشر (مافين) عند جملة «الأمير الصغير» وتلتوي شفتاه في نفورٍ، لكنه لا يصيح بها: «أريد الانضمام إلى الحرس» يقول وصوته مليء بالإصرار.

تتحرك بسرعة، تصوب مسدسها وتتخذ هدفًا في نفس الحركة، كان قلبي على وشك التوقف عندما صوبت المسدس إلى جبهته، ولكن (مافين) لم يجفل، «لماذا؟» تقول وصوتها كالفحيح.

«لأن هذا العالم فاسدٌ، ما فعله أبي، ما سيفعله أخي، خطأ» حتى ومع المسدس الموجه إلى رأسه، تمكَّن من التحدث بهدوء، ولكن انزلقت قطرات عرق على رقبته. (فارلي) لا تتراجع، وتنتظر إجابة أفضل، وأجد نفسي في انتظارها أيضًا.

تتحرك عيناه وتجدني ويبتلع ريقه، «عندما كنت في الثانية عشرة من عمري، أرسلني أبي إلى جبهة الحرب، لتقويتي وجعلي مثل أخي، (كال) ممتاز، أترين، لذا لِمَ لا يمكنني أن أصير مثله؟».

لم أقدر منع نفسي من الجفول من كلماته، وأتعرف على الألم بها، عشتُ في ظل (جيسا) وهو عاش في ظل (كال)، أعرف كيف تكون هذه الحياة.

تأخذ (فارلي) نفسًا وتكاد تضحك: «ليس لديَّ استخدام لفتيان غيورة صغيرة».

«أتمنى أن تكون الغيرة هي ما قادتني إلى هنا» يتمتم (مافين): «قضيت ثلاثة أعوام في المعسكرات، أتبع (كال) والضباط والجنرالات، أشاهد الجنود تقاتل وتموت من أجل حربٍ لا يؤمن بها أحدٌ، أينما رأى (كال) الشرف والولاء، رأيتُ الحماقة، رأيتُ إهدارًا. الدماء على كلا الطرفين من الخط الفاصل، وقد أعطى قومك أكثر بكثيرٍ».

أتذكر الكتب في غرفة (كال)، الخطط والمناورات موضوعة كأنها لعبة، تجعلني الذكرى أنكمش، ولكن ما يقوله (مافين) يجمد دمائي.

«كان هناك فتى، في السابعة عشرة فقط. أحمر من الشمال المتجمد، لم يتعرف عليَّ من أول نظرة، ليس مثل الجميع، ولكنه عاملني بطريقة جيدة، عاملني كشخصٍ عادي، أظن أنه كان أول صديق حقيقي لي» ربما هي خدعة من ضوء القمر، ولكن هناك ما يلمع مثل الدموع في عينيه. «كان اسمه (توماس)، وشاهدته يموت، كان في إمكاني إنقاذه، ولكن أوقفني حراسي؛ لم تكن حياته تستحق حياتي، قالوا لي» ثم اختفت الدموع، بدلتها

قبضة كفيه وإرادة حديدية. «يطلق (كال) على ذلك التوازن، الفضي فوق الأحمر، هو شخص جيد، وسيكون حاكمًا عادلًا، لكنه لا يؤمن أن التغيير يستحق الثمن». يقول: «أنا أحاول أن أقول لكِ إنني لست مثل بقيتهم، أؤمن أن حياتي تستحق حياتك، وسأوهبها في سرور، إذا كان يعني ذلك التغيير».

هو الأمير والأسوأ من ذلك، هو ابن الملكة، لم أرد أن أثق به من قبل لهذا السبب بالتحديد، من أجل الأسرار التي يخفيها، ربما هذا ما كان يخفيه طوال هذا الوقت...قلبه.

ومع أنه يحاول بكل قدرته أن يبدو متجهمًا، أن يبقي ظهره مستقيمًا ويمنع شفتيه من الارتجاف، أستطيع أن أرى الفتى خلف القناع. يريد جزء مني أن يحتضنه وأن يهدئه، ولكن ستوقفني (فارلي) قبل أن أستطيع. عندما تخفض مسدسها ببطء، ولكن بيقين، أترك نفسًا -لم أكن أعرف أنني أبقيه- يخرج.

«يتحدث الفتى بالحقيقة» قال الخادم (هولاند)، ويتحرك ليقف بجانب (مافين)، يحمي أميره بشكلٍ غريبٍ. «لقد شعر بهذا لأشهر، منذ عاد من الجبهة».

«وقلت له عنًا بعد قليل من الليالي المليئة بالدموع؟» تقول (فارلي) في استنكارٍ، وتحرك نظرتها المفزعة تجاه (هولاند)، ولكن يصمد الرجل بقوة.

«عرفتُ الأمير منذ كان فتى صغيرًا، أي شخص قريب منه يستطيع أن يرى تغير قلبه» ينظر (هولاند) إلى (مافين) بطرف عينه، كأنه يتذكر الفتى الصغير الذي كان عليه. «فكري في الحليف الذي يمكن أن يكونه، في التغيير القادر عليه».

(مافين) مختلف، أعرف هذا بالتعامل المباشر، ولكن شيئًا ما يخبرني أن كلماتي لن تقنع (فارلي)، (مافين) وحده من يقدر على ذلك الآن.

«اقسم بألوانك» تقول في تهديدٍ.

قسم قديم، طبقًا للسيدة (بلونوس)، كالقسم بحياتك، بعائلتك، وبأطفالك المستقبليين كلهم مرة واحدة، ولا يتردد (مافين) في ذلك.

«أقسم بألواني» يقول ويميل برأسه إلى الأسفل، «أتعهد بنفسي للحرس القرمزي» يبدو كطلبه للزواج، ولكن هذا أهم وأكثر هلاكًا.

«مرحبًا بكَ في الحرس القرمزي» تقول أخيرًا وتسحب وشاحها.

أتحرك في هدوءٍ على الأرض الرخامية حتى أشعر بيدي في يده، تشتعل بالحرارة المألوفة الآن، «شكرًا يا (مافين)» أهمس، «لا تعلم ما يعني لنا هذا» ولي.

أي شخص آخر كان ليبتسم أمام فرصة تجنيد فضي، ومن العائلة الملكية على ذلك، ولكن لا تُظهِر (فارلي) أي ردة فعل مطلقًا. «ما الذي يمكنك أن تقدمه لنا؟».

«يمكنني أن أزيدكم بالمعلومات، الاستخبارات، وأي شيء تحتاجون إليه للمضي إلى الأمام في عمليتكم، أجلس في مجالس ضريبية مع والدي...».

«لا نهتم بشأن الضرائب» تقول (فارلي) في اندفاعٍ، وتنظر تجاهي نظرة غضب، كأنه خطئي أنه لا يعجبها ما يعرضه. «ما نحتاج إليه هو الأسماء، المواقع، الأهداف، ما يمكنها ضربه وما سيسبِّب أكبر ضرر، هل يمكنك منحي ذلك؟».

يتحرك (مافين) في ترددٍ، منزعجًا: «أفضل طريق أقل عدوانية» يتمتم، «أساليبكم العنيفة لا تكسبكم الأصدقاء».

تنفخ (فارلي) في سخرية، وتدع الصوت يتردد في الغرفة: «قومك أكثر عنفًا وقسوة ألف مرة من قومي، أمضينا آخر بضعة قرون تحت حذاء فضي، ولن نخرج من ذلك بكوننا لطفاء».

«أظن ذلك» يهمس (مافين)، يمكنني أن أقول إنه يفكر بـ(توماس)، وكل من رآه يموت، تلمس كتفه كتفي بينما يتراجع للحماية. (فارلي) لا يفوتها هذا وتكاد تضحك بصوتٍ عالٍ.

«الأمير الصغير وفتاة البرق الصغيرة» تضحك: «تليقان ببعضكما، أحدكما جبان والآخر...» تلتفت تجاهي وتلمع عيناها الزرقاوان الصلبة: «آخر مرة تقابلنا، كنتِ تحفرين في الطين بحثًا عن معجزة».

«وجدتها» أقول لها، ولأثبت وجهة نظري، تشتعل يدي بالشرارات، وتلقي بضوء بنفسجي حولنا.

يبدو الظلام متحركًا ويكشف أفراد من الحرس القرمزي عن أنفسهم في تهديد مرتب، يخرجون من بين الأشجار والأعشاب، وجوههم مختبئة تحت أوشحة وعصابات رأس، ولكنهم لا يخفون كل شيء. يبدو أن أطولهم (تريستان)، بساقيه الطويلتين. أقدر على تمييزه من طريقة وقوفه، متوتر ومستعد للقتال، هم خائفون، ولكن لا تتغير ملامح (فارلي)، تعلم أن الأشخاص المفترض منهم حمايتها لا يقدرون على فعل الكثير في مواجهة (مافين)، أو أنا، ولكنها لا تبدو خائفة. ولدهشتي الكبرى، تبتسم أخيرًا، ابتسامتها مروعة، كاشفة عن أسنان وجوع وحشي.

«يمكننا تفجير وإشعال كل بوصة من بلدك» تهمس وتنظر إلينا في شيء من الفخر. «ولكن لن يسبِّب هذا الضرر الذي تقدران عليه أنتما الاثنان، أمير فضي ينقلب على تاجه، وفتاة حمراء ذات قدرات، ماذا سيقول الناس، عندما يرونكما تقفان معنا؟».

«ظننت أنكِ تريدين...» يقول (مافين) ولكن تلوح (فارلي) بيدها متجاهلة الكلام.

«التفجيرات هي مجرد وسيلة للفت الانتباه، بمجرد أن حظينا به، وكل فضي في البلد يشاهدنا، نحتاج إلى شيء نعرضه عليهم» تحول نظرها وتقوم بحسابات بينما تقيسنا وتزنا مقابل ما في رأسها. «أظنكما مناسبين للغاية».

يرتجف صوتي خوفًا مما يمكن أن تقوله: «مناسبين من أجل ماذا؟».

«وجه ثورتنا العظيمة» تقول في فخرٍ، وتميل برأسها إلى الخلف، فيعكس شعرها الذهبي ضوء القمر. للحظة، تبدو كأنها ترتدي تاجًا لامعًا: «قطرة الماء التي تحطم السد».

يومئ (مافين) في حماس.

«إذن متى نبدأ؟».

«حسنًا، أظنه حان الوقت للاستعانة بصفحة من كتاب (ماير) لإساءة التصرف».

«ما الذي يعنيه ذلك؟» لا أفهم، ولكن يتبع (مافين) أفكار (فارلي) بسهولة.

«يخفي أبي هجمات أخرى للحرس القرمزي» يهمس ويشرح خطتها.

يعود عقلي للكولونيل (ماكنثوس) وانفجارها وقت الغداء: «المطار، (ديلفي)، خليج (هاربور)».

يومئ (مافين): «قال عنهم حوادث، تدريبات، أكاذيب، ولكن عندما ظهرت في اختبارات الملكة، حتى والدتي لم تقدر على إخفائك بالكلام، نحتاج إلى شيء كهذا، شيء لا يقدر أحد على إخفائه ليرى العالم كم هو خطر وحقيقي الحرس القرمزي».

«لكن ألن يكون لهذا عواقب؟» تعود أفكاري للشغب، للأبرياء الذين قُتلوا وعُذبوا في أثناء الحشد الأهوج، «سينقلب (الفضيون) علينا، وستسوء الأوضاع».

تنظر (فارلي) بعيدًا، غير قادرة على ملاقاة نظرتي: «وسينضم المزيد إلينا، سيدرك المزيد أن الحياة التي نعيشها خاطئة ويجب أن نفعل شيئًا لتغييرها. لقد وقفنا صامتين لفترة طويلة؛ حان الوقت للقيام بالتضحيات والتقدم إلى الأمام».

«هل كان أخي تضحية؟» أقول في اندفاعٍ وأشعر بغضبٍ يشتعل داخلي، «هل كان موته يستحق ذلك بالنسبة إليكِ؟».

ويُحسب لها أنها لم تحاول الكذب: «عَلم (شايد) فيما يدخل نفسه».

«وماذا عن الآخرين؟ ماذا عن الأطفال والشيوخ وكل من لم ينضم إلى ثورتك العظيمة؟ ماذا يحدث عندما يبدأ حراس (السينتنال) في تجميعهم للعقاب عندما لا يستطيعون إيجادك؟».

صوت (مافين) هادئ ودافئ في أذني: «فكري في تاريخكم يا (ماير)، ماذا علمكِ (جوليان)؟».

علّمني عن الموت، الماضي، الحروب، ولكن بعد ذلك، في الوقت الذي كان به التغيير ممكنًا، كانت هناك الثورات. انتفض الناس، وسقطت الإمبراطوريات، وتغيرت الأوضاع. تحركت الحرية في أقواس تنهض وتسقط مع مرور الزمان.

«تحتاج الثورات إلى شرارة» أتمتم وأعيد ما يقوله لي (جوليان) في الدروس: «وحتى الشرارات تحرق».

تبتسم (فارلي): «يجب أن تعرفي ذلك أفضل من أي شخص».

ولكني ما زلت غير مقتنعة، ألم فقدان (شايد)، ومعرفة أن والديّ قد فقدا ابنًا، سيتضاعف إذا فعلنا ذلك، كم (شايد) آخر سيموت؟

للغرابة (مافين) -وليس (فارلي)- من يحاول إقناعي.

«يؤمن (كال) أن التغيير لا يستحق الثمن» يقول ويرتجف صوته، يهتز بالعصبية والإصرار، «وسوف يحكم في يومٍ ما، هل تريدينه أن يصبح المستقبل؟».

لمرة، الرد يسير: «لا».

تومئ (فارلي) في سرورٍ: « (والش) و(هولاند)» تلتفت ناحيتهما، «قالا لي إنه سيُقام احتفال صغير هنا».

«الحفلة الراقصة» يقول (مافين).

«هذا هدف مستحيل» أقول مندفعة، «الجميع سيكون لديه حراس؛ وستعرف الملكة إذا صار شيء خاطئ».

«لن تعرف» يقاطعني (مافين)، بالكاد يسخر من الفكرة: «والدتي ليست مطلقة القوى، كما تريدكم أن تدركوا، حتى هي لديها حدود».

حدود! الملكة! مجرد الفكرة تجعل عقلي يركض في طيش، «كيف يمكنك أن تقول ذلك؟ تعلم ما يمكنها فعله...».

«أعلم أنه في منتصف الحفل ومع كل هذه الأصوات والأفكار الدائرة حولها، ستكون بلا فائدة. وما دمنا ابتعدنا عن طريقها، ولا نعطيها سببًا للتدخل، لن تعلم شيئًا. ونفس الشيء يسري على أعين الـ(إيجيري)، لن يستسبقوا المشاكل، ولن يرونا» يعود إلى (فارلي) وظهره مستقيم كالسهم.

«ربما يكون (الفضيون) أقوياء ولكننا ليس منيعين، يمكن القيام بذلك».

تومئ (فارلي) بسلاسة، وتبتسم كاشفة أسنانها: «سنتواصل مجددًا، فور الشروع في التنفيذ».

«هل يمكنني أن أطلب شيئًا في المقابل؟» أقول دون تفكير، وأمد ذراعي لأمسك بذراعها، «صديقي، الذي طلبت منك مساعدته من قبل، يريد الانضمام إلى الحرس، ولكن لا يمكنك تركه يفعل ذلك، لا تتركيه يتورط في أي من هذا».

بلطفٍ تبعد أصابعي من على ذراعها ويملأ الندم عينيها.

«أتمنى أنك لا تقصدينني بهذا الكلام».

لفزعي، يتقدم أحد الحرس المظللين إلى الأمام، لا تخفي العصابة الحمراء على وجهه كتفيه العريضتين أو قميصه الوضيع الذي رأيته آلاف المرات. ولكن النظرة الجديدة في عينيه، إصرار رجل ضعف عمره، غير مألوفة لي على الإطلاق. يبدو (كيلورن) على بُعد أعوام بالفعل، حارسًا قرمزيًا حتى النخاع، مستعدًّا للحياة والموت من أجل القضية، هو أحمر مثل الفجر.

«لا» أهمس، وأبتعد عن (فارلي). الآن كل ما أراه هو (كيلورن) راكضًا بأقصى سرعة نحو هلاكه، «تعلم ما حدث لـ(شايد) لا يمكنك فعل ذلك».

يزيح العصابة ويقترب ليحتضني، ولكني أتراجع، لمسته كأنها خيانة. «(ماير)، لا يجب عليك مواصلة محاولات إنقاذي».

«سأفعل ما دمت لا تفعل أنت» كيف يتوقع مني أن أكون أي شيء عدا درع حماية بشريًّا؟ كيف يمكنه فعل ذلك؟ من بعيد، يهمهم شيء ما، ويعلو مع كل لحظة تمضي، ولكني بالكاد ألاحظه، أركز في منع دموعي من السقوط أمام (فارلي) والحرس و(مافين).

«(كيلورن)، أرجوك».

تظلم ملامحه من رجائي كأنه إهانة بدلًا من توسل فتاة.

«لقد قمتي باختيارك وقمت أنا باختياري».

«قمت بهذا الخيار من أجلك، لحمايتك» أجيب في غضبٍ. من المدهش كيف عدنا بسهولة لإيقاعنا القديم، الشجار كالمعتاد، ولكن هناك الكثير على المحك الآن، لا يمكنني أن أدفعه في الوحل وأبتعد. «لقد عقدت صفقة من أجلك».

«تقومين بما تظنينه سيحميني يا (ماير)» يتمتم بصوتٍ منخفضٍ غاضبٍ، «إذن اتركيني أفعل ما أظنه سيحميكِ».

أغلق عينيَّ وأترك الألم يتولى السيطرة. قمت بحماية (كيلورن) منذ رحيل والدته، منذ اقترابه من الموت جوعًا على عتبة منزلي، والآن لا يسمح لي بذلك، مهما صار المستقبل خطرًا، أفتح عيني ببطء.

«افعل ما تريد يا (كيلورن)» صوتي بارد وميكانيكي، مثل الأسلاك والدوائر الكهربائية التي تحاول العودة، «ستعود الكهرباء قريبًا، يجب أن نتحرك».

ينطلق الآخرون ويختفون من الغرفة، وتمسك (والش) بذراعي، يتراجع (كيلورن)، ويتبع الآخرين للظلال، ولكن تظل عيناه عليَّ.

«(ماير)» يناديني، «على الأقل قولي وداعًا».

ولكني بالفعل أبتعد، و(مافين) بجانبي، تقودنا (والش) معًا، لا أنظر إلى الخلف، ليس بعد الآن وقد خان كل شيء فعلته من أجله.

يتحرك الوقت ببطء عندما تكون في انتظار شيء جيد، لذا من الطبيعي أن يطير الوقت بينما تقترب الحفلة. يمر أسبوع من دون أي تواصل، تركونا أنا و(مافين) في الظلام بينما تمر الساعات، تدريب أكثر، بروتوكول أكثر، وجبات غداء حمقاء تتركني وأنا دامعة العينين. كل مرة أضطر إلى الكذب، أن أمدح (الفضيين) وأمزق مَن مِني. فقط الحرس من يبقوننا أقوياء. توبخني السيدة (بلونوس) لأنني كنت غير منتبهة في درس البروتوكول، لا أقوى على مصارحتها سواء كنت منتبهة أم لا، لن أتعلم أبدًا خطوات الرقص التي تحاول تعليمها لي لحفلة الوداع. بقدر ما أنا لائقة للتسلل، أنا بشعة في الحركات التزامنية، وفي نفس الوقت التدريب الذي رهبته سابقًا، صار مخرجًا لكل غضبي وتوتري، يسمح لي بالركض وإخراج كل الشرر الذي أحاول أن أبقيه داخلي.

ولكن أخيراً عندما بدأت في فهم كيفية سير الأمور، تتغير حالة التدريب، لا تهاجمني (إيفانجلين) وأتباعها، بدلًا من ذلك يركزون في تدريبات الإحماء، حتى (مافين) يقوم بالتمديدات بحرصٍ أكثر، كأنه يستعد لشيء ما.

«ماذا يحدث؟» أسأله، مشيرة إلى باقي الصف، وتتعلق عيني بـ(كال)، بينما يقوم بتدريبات ضغط في قوام مثالي.

«سترين خلال دقيقة» يجيبني (مافين)، وصوته باردٌ بشكلٍ غريبٍ.

عندما يدخل (أرفين) ومعه (بروفوز)، حتى هو يتقدم بخطواتٍ غريبة سريعة، لا يصيح بالأوامر للركض عوضًا عن ذلك يقترب من الصف.

«(تيرانا)» يهمهم المدرب (أرفين).

تتقدم فتاة ترتدي زيًّا أزرق مخططًا، الـ(نيمف) من منزل (أوسانوس)، تتقدم لتقف في منتصف الغرفة، في انتظار شيء. تبدو متحمسة وخائفة بنفس القدر. يلتقي (أرفين) ويبحث بيننا. وللحظة تتعلق عيناه بي، ولكنها تتحرك إلى (مافين).

«الأمير (مافين) إذا تفضَّلت» يشير إلى حيث تقف (تيرانا).

يومئ (مافين) ويتحرك ليقف بجانبها، وكلاهما متوتر، أصابعهما ترتجف بينما ينتظران، وفجأة تتحرك أرضية التدريب حولهما، تدفع بجدران لتكون شيئًا ما. ومجددًا، يرفع (بروفوز) ذراعه، مستخدمًا قدراته لتحويل غرفة التدريب، يدق قلبي كالمطرقة بينما يتخذ البناء شكله النهائي وأدرك ما هو.

حلبة قتال.

يقف (كال) بجانبي حيث كان يقف (مافين)، حركته سريعة وصامتة، «لن يؤذي أحدهما الآخر» يشرح لي، «يوقفنا (أرفين) قبل التسبب في أي ضرر حقيقي، وهناك معالجون على الاستعداد».

«مريح» أقول وصوتي مختنق.

يستعد كلا من (مافين) و(تيرانا) للقتال في وسط الساحة التي تتكوَّن سريعًا، يشتعل سوار (مافين)، وتظهر نيران بين يده، وتمتد إلى ذراعه، بينما تتجمع قطرات مياه من الهواء وتدور حول (تيرانا) في مشهد شبحي، وكلاهما يبدو متأهبًا للمعركة.

يدفع قلقي (كال) إلى حافة التوتر، «هل (مافين) هو كل ما تقلقين عليه؟».

لم تقترب حتى، «البروتوكول ليس سهلًا في هذا الوقت» لا أكذب، هو على قائمة مشكلاتي، وفي أسفل اللائحة تدريب الرقص، «يبدو أنني أسوأ في الرقص من تعلُّم آداب البلاط».

يضحك (كال) بصوتٍ عالٍ، لدهشتي: «يجب أن تكوني رهيبة».

«حسنًا، من الصعب التعلُّم من دون شريك» أقول سريعًا بطريقة دفاعية.

«بالتأكيد».

تتصل آخر قطعتين إحداهما بالأخرى وتكتمل حلبة القتال، ويحيط سور بـ(مافين) وخصمه. يفصلهما الآن عن الباقي زجاجٌ سميكٌ، محصوران داخل نسخة مصغرة من حلبة قتال. آخر مرة رأيت بها قتال فضيين، كاد يموت أحدهم.

«من لديه الأفضلية؟» يسأل (أرفين) الصف، كل يدٍ عدا يدي ترتفع في الهواء. «(إيلاين)؟».

ترفع فتاة منزل (هافين) ذقنها إلى الأمام، وتتحدث بفخر: «(تيرانا) لديها الأفضلية، هي أكبر سنًّا وأكثر خبرة» تقول (إيلاين) ذلك كأنه الأمر الأكثر وضوحًا في العالم. وتتحوَّل وجنتا (مافين) إلى اللون الأبيض، رغم محاولته إخفاء ذلك، «والمياه تغلب النيران».

«جيد جدًّا» يحوِّل (أرفين) نظره ناحية (مافين)، متحديًا إياه ليجادل، ولكن يظل (مافين) في صمتٍ، ويترك نيرانه المتزايدة تتحدث عنه، «أبهرني».

يتصادمان، دافعين بالنيران والمياه في معركة بين العناصر. تستخدم (تيرانا) مياهًا كدرع حماية، وبالنسبة إلى هجوم (مافين) الناري هو

منيع، كلما اقترب منها، ملوحًا بقبضاتٍ نارية، لا يعود إلا بالبخار. تبدو المعركة متعادلة، ولكن بطريقة ما تميل الكفة ناحيته، يسيطر على الجانب الهجومي ويدفعها إلى الجدار. يهتف الصف من حولنا، محفزين المحاربين. كنت أشعر بالتقزز من مثل هذه المشاهد، ولكني الآن أواجه صعوبة في الحفاظ على صمتي، وفي كل مرة يهاجم (مافين) ويقترب من هزيمة (تيرانا)، أحاول بكل مقدرتي منع نفسي من التشجيع مع الآخرين.

«هذا فخ يا (مافي)» يهمس (كال) لنفسه عوضًا عن أي شخص آخر.

«ما الأمر؟ ماذا ستفعل؟».

يهز (كال) رأسه: «فقط شاهدي، ستغلبه».

ولكن لا تبدو (تيرانا) منتصرة، تقف بمحاذاة الجدار وتقاتل من خلف درعها المائي، تحجب ضربة بعد الأخرى، ولا أفوت اللحظة السريعة كالبرق التي حوَّلت فيها (تيرانا) التيار تجاه (مافين)، تمسك بيده وتسحب، تدور به ويتبادلان المواقع خلال نبضة قلب. والآن (مافين) هو من خلف درعها، محصور بين المياه والجدار، ولكنه لا يقدر على التحكم في الماء، وتضغط عليه، فتعيقه عن محاولات إحراقها، فقط تغلي المياه فوق جلده المشتعل، تتراجع (تيرانا) وتشاهده يعاني وعلى وجهها ابتسامة: «تستسلم؟».

تهرب سيل من الفقاعات من بين شفتي (مافين)، استسلم.

تسقط المياه من حوله، وتتبخر في الهواء وسط أصوات التصفيق. يلوح (بروفوز) بيده مجددًا ويتراجع أحد جدران الحلبة. تنحني (تيرانا) قليلًا في تحية بينما يخرج (مافين) من الدائرة، كفوضى عابسة مبتلة.

«أتحدى (إيلاين هافين)» تقول (سوني إيرال) في حدة، محاولة أن تخرج الكلمات قبل أن يواجهها المدرب بشخصٍ آخر، يومئ (أرفين) ويسمح بالتحدي، قبل أن يوجه نظره تجاه (إيلاين)، ولدهشتي تبتسم وتتبختر في اتجاه الحلبة، ويتمايل شعرها الطويل مع حركتها.

«أقبل التحدي» تجيب (إيلاين) وتتخذ موضعها في منتصف الحلبة: «أتمنى أن تكوني قد تعلمتِ خدعًا جديدة».

تتبعها (سونيا) وتتراقص عيناها، وتضحك: «هل تظنين أنني سأقول لكِ إذا فعلت».

بطريقة ما يتمكنون من الضحك والابتسام حتى تختفي (إيلاين هافين) كليًّا وتقبض على عنق (سونيا)، تختنق، وتشهق من أجل الهواء، قبل أن تلوي ذراع الفتاة الخفية وتهرب من قبضتها. يتحوَّل قتالهما سريعًا إلى لعبة مميتة عنيفة من القطة والفأر الخفي.

لا يهتم (مافين) بالمشاهدة، غاضبًا من نفسه بسبب أدائه: «نعم؟» يقول لـ(كال) ويندفع أخوه للبدء في محاضرة هادئة، أشعر بأن هذا الطبيعي.

«لا تحاصر شخصًا أفضل منك، ذلك يجعلهم أكثر خطورة» يقول، ويضع ذراعه على كتف أخيه، «لا يمكنك هزيمتها بقدرتك، فاهزمها بعقلك».

«سأضع ذلك في اعتباري» يتمتم (مافين) حاقدًا على النصيحة، لكنه يأخذها أيضًا.

«ومع ذلك تصير أكثر براعة» يهمس (كال)، ويربت على كتف (مافين). مقصده جيد، ولكنه يبدو متعاليًا، أنا متفاجئة أن (مافين) لم يغضب، ولكنه اعتاد هذا، كما اعتدتُ (جيسا).

«شكرًا، يا (كال)، أظنه فهمك» أقول نيابة عن (مافين).

أخوه الأكبر ليس غبيًّا ويفهم التلميح في عبوسٍ، وبلا شيء أكثر من لمحة جانبية تجاهي، يتركنا (كال) ليقف مع (إيفانجلين). كنت أتمنى ألا يفعل ذلك، حتى لا أضطر إلى رؤية ابتسامتها الساخرة وتباهيها، لا داعي لذكر أنني أشعر بقرصة غريبة في معدتي كلما نظر إليها.

بمجرد ابتعاده عن مجال السمع أنكز (مافين) بكتفي: «هو محق، أتعرف، يجب أن تغلب مثل هؤلاء بالذكاء». أمامنا تمسك (سونيا) شيئًا بالهواء وتدفعه تجاه الجدار، يتناثر سائلٌ فضي، وتعود (إيلاين) إلى الظهور، ويتدفق سيل من الدماء من أنفها.

«هو دومًا محقٌّ بكل شؤون الحلبة» يقول ساخطًا: «انتظري وسوف ترين».

تبتسم (إيفانجلين) من العرض المميت بيننا عبر الحلبة، لا أعرف كيف يمكنها رؤية أصدقائها ينزفون على الأرض. (الفضيون) مختلفون، أذكِّر نفسي، لا تدوم جراحهم، لا يتذكرون الألم. مع المعالجين الذين ينتظرون على الأطراف، صار العنف ذا معنى جديد بالنسبة إليهم. عمود فقري مكسور، بطن مفتوحة، لا يهم، سيأتي شخصٌ ما ويعالجك. لا يعرفون معنى الخطر أو الخوف أو الألم، كبرياؤهم فقط ما يمكنه أن يؤلمهم حقًّا.

أنتِ فضية، أنتِ (مارينا تيتانوس)، تستمتعين بما يحدث.

تتحرك أعين (كال) بين الفتاتين، يدرسهما ككتابٍ أو لوحة فنية عوضًا عن كتلٍ متحركة من الدماء والعظام. أسفل زيه الأسود تتوتر عضلاته، مستعدًّا لدوره، وعندما يأتي، أفهم ما يعنيه (مافين). يواجه المدرب (كال) باثنين آخرين، (ويندويفر) المتحكم بالرياح (أوليفر) و(سايرين ماكنثوس)، فتاة يمكنها تحويل جلدها إلى الحجارة، هذا تطابق بالاسم فقط. على الرغم من أنهم يفوقونه عددًا، يتلاعب بهم (كال)، يغلبهما واحدًا تلو الآخر، يقوم بحصار (أوليفر) في دوامة من النيران بينما يتبادل الهجمات مع (سايرين). تبدو كتمثالٍ حيٍّ، مصنوعة من الحجارة الصلبة بدلًا من اللحم، ولكن (كال) أقوى. تحطم ضرباته بشرتها الحجرية، وتسبِّب كسورًا متشعبة عبر جسدها مع كل ضربة. هذا مجرد تمرين بالنسبة إليه؛ يكاد يبدو ضجرًا. ينهي المباراة بانفجار في الحلبة من اللهيب حتى (مافين) يتراجع إلى الخلف، ومع انقشاع الدخان والنار، انسحب كلا من (سايرين) و(أوليفر)، تتساقط بشرتهما في قطع ملتهبة، ولكن لا يبكي أي منهما.

يتركهما (كال) خلفه، ولا يهتم بانتظار معالج يأتي ليقوم بشفائهم، أنقذني وأعادني إلى بيتي، كسر القواعد من أجلي، وهو جندي بلا رحمة، وريث عرش دموي، ربما تكون دماء (كال) فضية، ولكن قلبه أسود كالجلد المحترق.

عندما تلتفت عيناه تجاهي، أجبر نفسي على النظر بعيدًا، بدلًا من ترك دفئه وطيبته تحيرني، أدخل الجحيم لذاكرتي. (كال) أخطر منهم جميعًا معًا، لا يمكنني أن أنسى ذلك.

«(إيفانجلين)،(أندروز)» يقول (أرفين)، ويومئ تجاههما. ينكمش (أندروز) منزعجًا من فكرة المحاربة والخسارة أمام (إيفانجلين)، ولكنه يتحرك مطيعًا إلى الحلبة، ولدهشتي، لا تتحرك (إيفانجلين).

«لا» تقول في جرأة، وتثبت قدمها.

عندما يلتفت تجاهها (أرفين)، يرتفع صوته عن همسه الطبيعي، ويقول في حدة: «ما عذرك يا سيدة (ساموس)؟».

تنظر بعينيها السوداوين تجاهي، ونظرتها حادة مثل السكين.

«أتحدى (مارينا تيتانوس)».

الفصل السابع عشر

«لا بالتأكيد» يقول (مافين) في غضبٍ، «تتدرب فقط منذ أسبوعين؛ ستقطعينها إربًا».

تهز كتفيها ردًّا عليه، وتدع ابتسامة سخرية تظهر على ملامحها، تتراقص أصابعها على ساقها وأكاد أشعر بهم كمخالب على جلدي.

«وماذا إذا كانت؟» تقاطع (سونيا)، وأعتقد أنني أرى بريق جدتها في عينيها، «المعالجون هنا، لن يقع ضرر، ثم إذا كانت ستتدرب معنا، يجب أن تتدرب بطريقة صحيحة، أليس كذلك؟».

لن يقع ضررٌ، أهزأ من الكلام في رأسي، لا ضرر عدا انفجار دمائي الحمراء ليراها الجميع. ينبض قلبي في رأسي، ويزداد سرعة مع كل ثانية، وفوقي تشع الأضواء أكثر وتنير الحلبة؛ من الصعب إخفاء دمائي، وسيرونني على حقيقتي، حمراء، كاذبة، لصة.

«أريد المزيد من الوقت لمراقبة الحلبة قبل المشاركة إذا لم تعارض» أجيب، وأحاول أن أبدو فضية، ولكن يرتجف صوتي، وتلاحظ (إيفانجلين).

«تخافين من القتال؟» تستفزني، وتقوم ببسط كفِّها، تظهر إحدى شفراتها، يدور سكين صغير مثل سِن فضي ببطء حول معصمها في تهديد: «فتاة البرق المسكينة».

نعم، أريد الصراخ، نعم، أنا خائفة، ولكن (الفضيين) لا يعترفون بشيء كهذا، (الفضيون) لديهم كبرياؤهم، وقوتهم ولا شيء آخر: «عندما أقاتل، أنوي الفوز» أقول في المقابل، وأرمي بكلماتها في وجهها: «لست حمقاء يا (إيفانجلين) ولا أقدر على الفوز بعد».

«التدريب خارج الحلبة يمكنه إيصالك إلى حدٍّ معين يا (مارينا)» تقول (سونيا)، وتلتصق بكذبتي في سعادة: «ألا توافق أيها المدرب؟ كيف يمكنها أن تفوز إذا لم تجرب؟».

يعلم (أرفين) أن هناك شيئًا مختلفًا بي، سببًا لقدراتي وقوتي، ولكن ما هو، لا يمكنه الفهم، وهناك لمعة فضولية في عينيه، يريد أن يراني في الحلبة أيضًا. ويتبادل حليفاي الوحيدان النظرات في قلقٍ، يتساءلان عن كيفية المواصلة على هذه الأرض غير المستقرة، ألم يتوقعا ذلك؟ ألم يتوقعا الوصول إلى هذا الوضع؟ أو ربما هذا ما كنت أمضي تجاهه طوال الوقت، موت في حادثة في أثناء التدريب، كذبة أخرى لتقولها الملكة، موت ملائم للفتاة التي لا تنتمي، هذا فخٌّ دخلت فيه بإرادتي.

ستنتهي اللعبة وكل من أحبه سيخسر.

«السيدة النبيلة (تيتانوس) هي ابنة بطل حرب مُتوفى، ولا يمكنك فعل شيء غير إغاظتها» يصيح (كال) في غضبٍ، ويرمي بنظراتٍ حادة تجاه الفتاة، بالكاد يلاحظون ويضحكون على محاولته الدفاعية الضعيفة. ربما هو محارب بالفطرة، ولكنه في حيرة عندما يصل الأمر إلى الكلام. تصير (سونيا) أكثر سخطًا، وتسيطر عليها فطرتها الخبيثة، بينما (كال) محارب في الحلبة، هي جندية في الحديث، تتلاعب بكلماته في سهولة مخيفة: «ابنة جنرال يجب أن تكون جيدة في الحلبة، (إيفانجلين) هي من يجب أن تكون خائفة».

«لم تتربَّ كابنة جنرال، لا تكوني حمقاء» يقول (مافين) في سخرية، هو أفضل بكثيرٍ في مثل هذه الأشياء، ولكن لا يمكنني تركه يفوز في معاركي خاصة مع هذه الفتيات.

«لن أقاتل» أقول مرة أخرى: «تحدَّي شخصًا آخر».

عندما تبتسم (إيفانجلين)، وأسنانها بيضاء وحادة، تدق غرائزي القديمة مثل الجرس في رأسي، بالكاد أقدر على الانبطاح بينما يطير سكينها عبر الهواء، ويقطع المكان الذي كان به عنقي منذ ثوانٍ قليلة.

«أتحداكِ أنتِ» تصيح وتطير سكينًا آخر نحو وجهي، ترتفع شفرات أخرى من حزامها في استعدادٍ لتقطيعي شرائح.

«توقفي يا (إيفانجلين)» يصرخ (مافين) ويساعدني (كال) على النهوض، والقلق حي في عينيه. تغلي دمائي، وتتدفق بالأدرينالين، ودقات قلبي صاخبة إلى درجة أنني أكاد لا أسمع كلماته.

«أنتِ أسرع، لا تجعليها تتوقف عن الركض، لا تخافي» يهاجمني سكينٌ آخر، وهذه المرة يحفر في الأرض بجانب قدمي، «لا تتركيها تراكِ تنزفين».

خلفه، تجوب (إيفانجلين) المكان كقطة مفترسة، وعاصفة من الشفرات اللامعة تحت قبضتها، وفي هذه اللحظة أعلم أنه لا شيء ولا أحد سيوقفها، حتى الأمراء، ولا يمكنني إعطاؤها فرصة الفوز، لا يمكنني الخسارة.

تهرب مني صاعقة من البرق، تندفع خلال الهواء بأمري، تضربها في الصدر وتجعلها تتراجع إلى الخلف، لتصطدم بالجدار الخارجي للحلبة، لكن بدلًا من الغضب، تنظر تجاهي (إيفانجلين) في سعادة.

«سيكون هذا سريعًا يا فتاة البرق الصغيرة» تزمجر وتمسح قطرات دماء الفضية.

يتراجع باقي التلاميذ حولنا إلى الخلف، ويتبادلون النظرات بيننا، ربما هذه ستكون آخر مرة يرونني فيها حية. لا، أفكر مجددًا، لا يمكنني الخسارة، يتضاعف تركيزي، ويتعمق شعوري بالقوة حتى تصير قوية إلى درجة أنني لم ألاحظ حركة الجدران حولنا. في نقرة، يعيد (بروفوز) تشكيل الحلبة ويحبسنا معًا، فتاة حمراء ووحش فضي مبتسم. تبتسم وتنخلع أجزاء معدنية في حدة الشفرات من الأرض، وتتشكَّل بإرادتها، تتلوَّى وتهتز وتحتد وتتحوَّل إلى كابوسٍ حي، تختفي شفراتها المعتادة، ترميها جانبًا لتحل مكانها خطة جديدة، الأشياء المعدنية، المخلوقات التي كوَّنتها بعقلها، تركض على الأرض وتتوقف أسفل قدميها.

كل منها لديه ثماني أرجل معدنية حادة وقاسية، يرتجفون في انتظار إطلاق سراحهم، لتقطيعي إربًا، عناكب، ينتابني شعورٌ رهيبٌ بالزحف على جلدي، كأنهم فوقي بالفعل. تشتعل للحياة شرارات بين يديَّ، وتتراقص

عبري، تقودها قوتي الخاصة وحاجتي، لن أموت هنا. يبتسم (مافين) على الجانب الآخر من الجدار، ولكن وجهه شاحبٌ، خائفٌ، وبجانبه، يقف (كال) ساكنًا، لا يرمش الجندي حتى الفوز في المعركة.

«من لديه الأفضلية؟» يسأل المدرب (أرفين): «(مارينا) أم (إيفانجلين)؟».

لا يرفع أحد يده، حتى أصدقاء (إيفانجلين)، يحدقون إلينا في المقابل يراقبون قدراتنا تتزايد. تتحول ابتسامة (إيفانجلين) إلى زمجرة؛ اعتادت أن تكون الأفضل، أن تكون مَن يخافها الجميع، والآن هي أكثر غضبًا من قبل. يرتجف الضوء مجددًا بينما يصدر جسدي طنينًا كسلكٍ محمَّلٍ بالكهرباء. في لحظة ظلام تزحف عناكبها على الأرض وتصدر أرجلها صريرًا بشعًا متزامنًا، ثم كل ما أشعر به هو الخوف والقدرة ودفقة الطاقة في عروقي.

ينفجر الضوء والظلام في تبادل، ويغرق الجميع في معركة من الألوان المرتجفة. ينفجر برقي في الظلام، يندفع أبيض وبنفسجيًا بينما يصطدم بكل عنكبوت في كل ناحية. تتردد نصيحة (كال) في رأسي وأتحرك باستمرارٍ، لا أظل في نقطة واحدة على الأرض كفاية حتى تهاجمني (إيفانجلين)، تحيك من خلال عناكبها وتتفادى هجماتي إلى أقصى ما تستطيع.

تمزق شظية معدنية ذراعي، ولكن تظل البدلة صامدة. هي سريعة، ولكني أسرع، حتى مع العناكب التي تزحف حول قدميَّ. وللحظة، ضفيرتها الفضية المزعجة تمر بين أطراف أصابعي حتى تصير بعيدة المنال مجددًا، ولكني جعلتها تركض، أنا أفوز.

أسمع (مافين) خلال صرير المعادن وتشجيع التلاميذ، يشجعني للقضاء عليها، يهتز الضوء، ويجعلها صعبة الرؤية، ولكن للحظة قصيرة، أعرف كيف هو شعور كوني منهم، شعور القدرة والقوة المطلقة، إدراك أنني قادرة على فعل ما لا يقدر عليه الملايين، تشعر (إيفانجلين) هكذا كل يوم، والآن هذا دوري، سأعلمك كيف هو الشعور بالخوف.

تضربني قبضة في مؤخرة ظهري، وتدفع بألم عبر جسدي، تضعف ركبتاي من الألم وتسقطني أرضًا، تقف (إيفانجلين) فوقي وترسم ابتسامة عبر فوضى شعرها الفضي.

«كما قلت» تزمجر: «سريعًا».

تتحرك ساقي وحدها، تسحبني في مراوغة استخدمتها في حارات (الستيلتز) مئات المرات، حتى مع (كيلورن) مرة أو اثنتين، تتصل قدمي بساقها، وتدفعها من تحتها، فتسقط أرضًا بجانبي، أصير فوقها خلال ثانية، رغم الألم المتفجر في ظهري. تفرقع يدي بطاقة ساخنة بينما تصطدم بوجهها، يحرقني ألمٌ خلال مفاصل يدي، ولكني أستمر رغبة في رؤية الدماء الفضية الحلوة.

«ستتمنين أن يكون سريعًا» أصرخ، منقضَّة عليها.

بشكلٍ ما، رغم شفتيها المتورمتين، تتمكَّن (إيفانجلين) من الضحك، يذوب الصوت ويبدله صرير معدني، وحولنا كل العناكب المعدنية المهزومة تعود للحياة، تتشكل أجسادها المعدنية مجددًا، وتتصل عند الأطراف لتكون وحشًا مدمرًا مدخنًا، يزحف في سرعة مفاجئة، ويسقطني من فوقها. الآن أنا المثبتة أرضًا، أشاهد الشظايا المعدنية الملتوية المرتجفة، تموت الشرارات في يدي من التعب والخوف، حتى المعالجون لن يتمكنوا من إنقاذي بعد ذلك، تمر شفرة حادة عبر وجهي، وتسحب دماء حمراء ساخنة، أسمع صراخي، ليس من الألم، بل الخسارة، هذه هي النهاية.

ثم تصطدم يدٌ مشتعلة بالوحش المعدني وتسقطه من فوقي، وتحرقه حتى يصير كومة من الرماد الأسود المتفحم، تسحبني يدٌ قوية ثم تحرك شعري عبر وجهي ليغطي العلامة الحمراء التي يمكنها خيانتي. ألتفت تجاه (مافين) وأتركه يقودني عبر غرفة التدريب، يرتجف كل جزء مني، ولكنه يبقيني مستقرة ومتحركة، يتقدم معالجٌ تجاهي، ولكن يبعده (كال) ويخفي عنه وجهي، وقبل أن يغلق الباب أسمع صياح (إيفانجلين) وصوت (كال) الهادئ في العادة يصرخ بها ويعلو كالعاصفة.

يتقطع صوتي عندما أتحدث ثانية: «الكاميرات، تستطيع الرؤية».

«حراس (السينتنال) المسؤولون عن مراقبة الكاميرات أولياء لأمي، ثقي بي، ليس هذا ما يجب أن نقلق بشأنه» يقول (مافين)، متلعثمًا في الكلمات. يمسك بذراعي بقبضة قوية، كأنه خائفٌ من إفلاتي منه، تقترب يده من وجهي ليمسح الدماء بكمِّه، إذا رآه أحد...

«خذني إلى (جوليان)».

«(جوليان) أحمق» يتمتم.

تظهر خيالاتٌ في آخر الممر، زوج من النبلاء يتجولان، فيدفعنا تجاه ممر الخدم لنتفاداهما.

«يعلم (جوليان) من أنا» أجيبه هامسة، وأمسك به، وكلما اشتدت قبضته، اشتدت قبضتي أيضًا، «سيعلم (جوليان) كيف نتصرف».

ينظر (مافين) إلى الأسفل تجاهي، في حيرة، ولكنه يومئ أخيرًا، وبمجرد وصولنا غرفة (جوليان) يتوقف النزيف، ولكن لا يزال وجهي في حالة فوضى. يُفتح الباب مع الطرقة الأولى، ويبدو في حالته العشوائية المعتادة، ولدهشتي، يتجهم عند رؤية (مافين).

«الأمير (مافين)» يقول وينحني بطريقة متصلبة وتقريبًا مهينة لتحيته، لا يرد عليه (مافين)، فقط يقودني إلى غرفة المعيشة خلفه.

لدى (جوليان) مجموعة صغيرة من الغرف، جعلها الظلام والهواء العطن تبدو أصغر. الستائر مغلقة وتحجب شمس الظهيرة، الأرض مليئة بأكوامٍ من الورق جعلتها زلقة. يغلي أبريقًا في ركن الغرفة على قطعة معدنيةٍ كهربائية تحل محل الموقد، لا عجب أنني لا أراه أبدًا خارج الدروس؛ فيبدو أن لديه كل ما يحتاج إليه هنا.

«ماذا يحدث؟» يسأل، ويشير تجاه كرسيين مغبَّرين لنجلس عليهما، من الواضح أنه لا يستضيف أحدًا كثيرًا، أجلس ويرفض (مافين) ويظل واقفًا.

أزيح خصلات شعري كاشفة عن شعار هويتي الأحمر: «كان حماس (إيفانجلين) زائدًا».

يتلوى (جوليان) في عدم ارتياح على قدميه، ولكن ليس أنا من يجعله منزعجًا، بل (مافين)، يحدق الاثنان أحدهما إلى الآخر، في خلاف على شيء ما لا أفهمه، وأخيرًا، يلتفت تجاهي مجددًا: «لست معالجًا يا (ماير)، أقصى ما يمكنني فعله هو تنظيفك».

«قلت لكِ» يقول (مافين): «لا يمكنه فعل أي شيء».

يتحوَّل فم (جوليان) إلى زمجرة: «ابحث عن (سارة سكونوس)» يقول مندفعًا، ويضيق فكُّه بينما ينتظر رحيل (مافين). لم أرَ (مافين) بهذا القدر من الغضب من قبل، ليس حتى مع (كال)، ومع ذلك ليس الغضب هو ما يتدفق بين (مافين) و(جوليان)، بل الكراهية، يبغض أحدهما الآخر للغاية.

«افعلها يا أميري» يبدو اللقب كلعنة خارجًا من فم (جوليان).

يتنازل (مافين) أخيرًا ويخرج من الغرفة.

«لِمَ كل ذلك؟» أهمس وأشير بين (جوليان) والباب.

«ليس الآن» يقول، ويرمي تجاهي بقطعة قماش بيضاء لتنظيف نفسي، يلطخها دمائي بلون أحمر قانٍ ويفسد القماش.

«من هي (سارة سكونوس)؟».

يتردد (جوليان) ثانية: «هي معالجة جلدية، سوف تعتني بكِ» يتنهد: «وهي صديقة، صديقة كتومة».

لم أعلم أن (جوليان) لديه أصدقاء عدا كتبه، لكني لم أسأله، عندما يتسلل (مافين) إلى الغرفة بعد بضع دقائق، كنت قد تمكَّنت من تنظيف وجهي جيدًا، رغم أني أشعر به لزجًا ومتورمًا. سوف أحظى ببضع كدمات يجب إخفاؤها غدًا، ولا أريد أن أعرف حتى كيف يبدو ظهري الآن، ألمس الورم المتزايد مكان ضربة (إيفانجلين) بحذرٍ شديدٍ.

«(سارة) ليست...» توقف (مافين) يفكر مليًّا في كلماته: «هي ليست من كنت سأختار لهذا».

قبل أن أسأل لماذا، يُفتح الباب، كاشفًا عن امرأة افترضتُ أنها (سارة). تدخل في هدوء وبالكاد ترفع نظرها. عكس الآخرين، معالِجي الدماء من منزل (بلونوس)، يظهر سنها على وجهها، في كل تجعيدة في وجنتيها الغائرتين المجوفتين، تبدو في مثل سن (جوليان)، ولكن تهبط كتفاها بطريقة تدل على أن حياتها قد شعرت بها أطول من حياته.

«مسرورة بلقائك يا سيدة (سكونوس)» صوتي هادئ، كأني أتحدث عن الطقس، يبدو أن دروس البروتوكول أثرت بي على كل حالٍ.

ولكن لا تجيبني (سارة)، بدلًا من ذلك، تهبط على ركبتيها أمام كرسي وتأخذ وجهي بين يديها الخشنة. لمستها باردة مثل المياه على حرق من الشمس، وتمر أصابعها على الجرح في وجنتي في لطفٍ مدهشٍ. تعمل بمثابرة، وتشفي كل الكدمات في وجهي، وقبل أن أذكر ظهري، تنزلق يدها نحو الإصابة، وشيء مثل الثلج الملطف يزيح الألم بعيدًا، ينتهي كل شيء في غضون بضع دقائق، وأشعر كما شعرت عندما جئت هنا أول مرة، أفضل في الواقع، كل آلامي وكدماتي القديمة اختفت كليًا.

«شكرًا» أقول، ومجددًا لا أحصل على ردٍّ.

«شكرًا يا (سارة)» يتنهد (جوليان)، وتلاقي عيناها عينيه في لحظة من اللون الرمادي. تحني رأسها قليلًا، في إيماءة بسيطة، يمد ذراعه إلى الأمام ويلمس ذراعيها ليساعدها على النهوض على قدميها، يتحرك الاثنان كما الزوجين في رقصة ما، يستمعان لموسيقى لا يستطيع سماعها غيرهما.

يكسر صوت (مافين) الصمت: «هذا كل شيء يا (سكونوس)».

يذوب هدوء (سارة) الساكن لغضبٍ بالكاد مخفي بينما تبتعد عن قبضة (جوليان) وتتجه إلى الباب مسرعةً كالحيوان المجروح. تغلق الباب خلفها بقوة تهز الإطارات المعلقة للخرائط المسجونة خلف الزجاج. حتى يد (جوليان) ترتجف، وتظل ترتجف بعد رحيلها بفترة، كأنه لا يزال يشعر بها. يحاول إخفاء ذلك، ولكن ليس جيدًا. كان (جوليان) واقعًا في حبها في وقتٍ ما، وربما لا يزال يحبها، ينظر إلى الباب كرجلٍ مسكونٍ، وينتظر عودتها.

«(جوليان)؟».

«كلما أطلت الغياب تحدث الناس» يتمتم مشيرًا إلينا بالرحيل.

«أوافق» يتحرك (مافين) تجاه الباب، مستعدًا لفتحه ودفعي إلى الخروج.

«أنت متأكد أنه لم يرنا أحد؟» تتحرك يدي تجاه وجنتي، ناعمة ونظيفة الآن.

يتوقف (مافين) ويفكر: «لن يقول أحدٌ شيئًا».

«لا تبقى الأسرار أسرارًا هنا» يتمتم (جوليان)، ويرتجف صوته في غضبٍ نادرٍ، «تعلم ذلك يا صاحب السمو».

«يجب أن تعرف الفرق بين الأسرار وبين...» يندفع (مافين) غاضبًا، «والأكاذيب».

تغلق يده على معصمي، ويسحبني عائدين إلى الممر قبل أن أقدر على السؤال عما يحدث، لا نبتعد قبل أن يوقفنا شخصٌ مألوفٌ.

«هل هناك مشكلة يا عزيزي؟».

الملكة (إيلارا)، مشهد من الحرير، توجه كلامها إلى (مافين)، هي وحدها لغرابة الأمر، لا يوجد حراس (سينتنال) لحمايتها. تعلق عيناها بيده التي ما زالت في يدي، ولمرة، لا أشعر بها تحاول الضغط داخل رأسي للوصول إلى أفكاري؛ هي في رأس (مافين) الآن، ليس رأسي.

«لا شيء لا أقدر التعامل معه» يقول (مافين)، ويشد قبضته عليَّ، كأنني مرساة ما.

ترفع حاجبها، ولا تصدق أي كلمة يقولها، ولكنها لا تستجوبه، أشك في أنها تستجوب أي أحد؛ فهي تعلم كل الإجابات.

«من الأفضل الإسراع يا سيدة (مارينا) وإلا ستتأخرين على ميعاد الغداء»، تقول وترفع أخيرًا عينيها الشبحية من عليه. وصار دوري في التمسك بـ(مافين)، «وكوني أكثر حرصًا في تدريباتك، فالدماء الحمراء صعبة التنظيف».

«أنتِ أكثر من يعلم ذلك» أقول مندفعة وأتذكر (شايد)، «لأن مهما حاولتِ إخفاءها، ما زلت أراها على يديكِ».

تتسع عيناه في دهشة من اندفاعي، لا أظن أن أي أحد على الإطلاق قد تحدث إليها بهذه الطريقة، ويجعلني هذا أشعر كالمنتصرة، ولكن لا يطول ذلك، فجأة يلتوي جسدي إلى الخلف، ويرمي بنفسه إلى جدار الممر ويصطدم به في صوتٍ مدوٍ، تجعلني أرقص مثل الدمية المعلقة بخيوط عنيفة، كل عظمة تهتز وتلتوي عنقي فترتطم رأسي حتى صرت أرى نجومًا زرقاء.

لا، ليست نجومًا، أعين، أعينها.

«أمي» يصيح (مافين) ولكن يبدو صوته بعيدًا، «توقفي يا أمي».
تقبض يد على عنقي، وتثبتني في مكاني بينما تنحسر السيطرة على جسدي، أنفاسها حلوة في وجهي، حلوة إلى درجة لا أطيقها.
«لن تتكلمي معي هكذا مجددًا» تقول (إيلارا)، غاضبة إلى درجة توقفها من الهمس في عقلي. تشتد قبضتها، ولا أقدر على الموافقة حتى إذا أردت.
لِمَ لا تقتلينني؟ أتساءل بينما ألهث، إذا كنتُ عبئًا، ومشكلة، لِمَ لا تقتلينني؟
«كفى» يصيح (مافين)، وتنبعث حرارة غضبه عبر الممر، وحتى مع الظلام المشوش الذي يـأكل نظري، أراه يدفعها عني في قوة وجرأة مثيرة للدهشة.
تنكسر سيطرة قدرتها عليَّ، وتتركني أميل على الجدار. تكاد (إيلارا) أن تسقط أيضًا من الصدمة، تتحول نظرتها الغاضبة الآن نحو (مافين)، نحو ابنها الواقف ضدها.
«عودي إلى جدولك يا (ماير)» يقول في غيظ، ولا يقطع تواصل عينيه مع والدته، لا أشك أنها تصرخ داخل رأسه، توبخه لحمايتي، «اذهبي».
تنتشر الحرارة حولنا، متدفقة من جلده، وللحظة يذكرني بعصبية (كال) الحذرة. يبدو أن (مافين) يخبئ نارًا أيضًا، نارًا أقوى، ولا أريد أن أكون حوله عندما ينفجر. بينما أركض متعثرة، أحاول أن أبتعد بقدر الإمكان عن الملكة، لا أقدر على منع نفسي من النظر تجاههما، يحدق أحدهما إلى الآخر، جزآن في مواجهة في لعبة لا أفهمها.
في غرفتي، تنتظرني الخادمات في صمتٍ، وبين أيديهن فستان مذهب، بينما تضع عليَّ واحدة الزي المذهل الحريري المرصع بالأحجار الكريمة البنفسجية، تصلح الأخرى شعري وزينتي، وكالعادة، لا يتفوهن بكلمة، رغم أنني أبدو خائفة ومنزعجة بعد ذلك الصباح.
دار الغداء حول شؤون متعددة، عادة تأكل السيدات مع بعضهن لمناقشة حفلات الزفاف القادمة وكل الأمور السخيفة التي تتحدث عنها السيدات الثريات، ولكن اليوم مختلف. عدنا إلى الشرفة المطلة على النهر، يتجول الخادمون ذوو الأزياء الحمراء خلال الحشد، ولكن هناك أزياء

عسكرية أكثر مما ذي قبل؛ يبدو كأننا نتناول الطعام مع فيلق كامل. (كال) و(مافين) حاضران أيضًا، كلا منهما يبرق بالميداليات ويبتسمان خلال محادثات لطيفة بينما يصافح الملك أيادي الجنود. كل الجنود صغار السن، يرتدون أزياء رمادية يقطعها وشاحٌ فضي، لا تشبه الأزياء الحمراء الرخيصة التي يحصل عليها أخي وأي مجند أحمر في شيء. هؤلاء (الفضيون) سيذهبون إلى الحرب، نعم، ولكن ليس حيث القتال الحقيقي. هم أبناء وبنات أشخاص مهمين، وبالنسبة إليهم، الحرب هي مكان آخر سيزورونه، خطوة أخرى في تدريبهم، وبالنسبة إلينا، وإليَّ في وقت من الأوقات، هي طريق مسدود، هي الهلاك.

ولكن ما زال عليَّ القيام بواجبي، الابتسام ومصافحة أياديهم وشكرهم على خدمتهم. كل كلمة مرة المذاق، حتى اضطررتُ إلى الانبطاح بعيدًا عن الحشد في تجويف مخفي بالنباتات، ما زالت ضوضاء الحشد تعلو مع شمس الظهيرة، ولكني أقدر على التنفس مجددًا، للحظة على الأقل.

«هل كل شيء جيد؟».

يقف (كال) فوقي ويبدو عليه القلق، ولكنه هادئ بطريقة غريبة، يحب التواجد حول الجنود؛ أظنه مكانه الطبيعي، حتى وأنا أريد الاختباء، يستقيم ظهري: «لستُ معجبة بمسابقات الجمال».

يعبس: «(ماير)، هم ذاهبون إلى الجبهة، كنت أظن أنك من بين الجميع ستريدين إعطاءهم التحية الملائمة».

تندفع مني الضحكة مثل طلقة الرصاص، «وما الجزء في حياتي الذي أقنعك أنني سأهتم بهؤلاء الحمقى المدللين الذاهبين إلى الحرب كأنها إجازة؟».

«لا يعني اختيارهم الذهاب أنهم أقل شجاعة».

«إذن، أتمنى أن يستمتعوا بمخيماتهم ومواردهم ووسائل الراحة التي لم يحصل عليها إخوتي قطُّ» أشك في أن هؤلاء الجنود سيحتاجون إلى أي شيء أكبر من زر.

ورغم أنه يبدو عليه الرغبة في الصياح بي، فإنه يبتلع الحافز، والآن وأنا أعرف ما يقدر عليه غضبه، مندهشة من قدرته على السيطرة عليه.

«هذا الفيلق الأول الفضي بالكامل الذي سيذهب إلى الخنادق» يقول في رزانة، «سيحاربون مع (الحمر)، وسيرتدون مثل (الحمر)، وسيخدمون مثل (الحمر)، لن يتعرف عليهم (اللايكلاندريون) عندما يذهبون إلى منطقة الاختناق، وعندما تسقط القنابل، عندما يحاول العدو أن يكسر الخط، سيحصلون على أكثر مما يتوقعون، سيقضي عليهم فيلق الظلال».

أشعر فجأة بحرارة وبرودة في نفس الوقت: «مبتكر».

ولكن لا يتباهى (كال) ويبدو حزينًا عوضًا عن ذلك: «لقد أوحيتِ إليَّ بالفكرة».

«ماذا؟».

«عندما سقطتِ في اختبارات الملكة، لم يعلم أحدٌ ما يمكنك فعله، أنا متأكد أن (اللايكلاندريين) سيشعرون بالمثل».

على الرغم من محاولتي التحدث لا يخرج مني أي صوت، لم أكن قطُّ مصدر إلهام لأي شيء، ناهيك بالخطط القتالية. يحدق إليَّ (كال) كأنه يريد قول المزيد، ولكنه يظل صامتًا، كلانا لا يعرف ما يقول. يضرب فتى من التدريبات -(أوليفر) المتحكم في الرياح (ويندويفر)- (كال) على كتفه وتمسك يده الأخرى كوبًا ممتلئًا بمشروبٍ ما، يرتدي الزي أيضًا، سيرحل للقتال.

«لماذا الاختباء يا (كال)؟» يقول ضاحكًا، مشيرًا إلى الحشد حولنا، «بالمقارنة بـ(اللايكلاندريين) هؤلاء الجماعة يصيرون سلسين!».

ينظر (كال) إليَّ، وتتلوَّن وجنته بصبغة فضية حرجًا، «سأختار (اللايكلاندريين) في أي يومٍ» يجيبه وينظر بعيدًا.

«ستذهب معهم؟».

يجيب (أوليفر) بدلًا من (كال) ويبتسم بشدة لا تناسب شخصًا ذاهبًا إلى الحرب، «يذهب؟» يقول: «سوف يقودنا! فيلقه الخاص، طوال الطريق إلى الجبهة».

يتراجع (كال) عن قبضة (أوليفر) ببطء، ولا يلاحظ (الويندويفر) الثمل ويكمل ثرثرته: «سيكون أصغر جنرال في التاريخ، وأول أمير يقاتل على الحدود».

وأول مَن يموت، يهمس صوتٌ كئيبٌ في رأسي، وضد كل غرائزي، أمد يدي تجاه (كال)، لا يبتعد عني، ويتركني أمسك بذراعه، الآن لا يبدو كأميرٍ أو جنرال أو حتى فضي، ولكن هذا الشاب من الحانة، الذي أراد إنقاذي.

صوتي صغير، ولكن قوي: «متى؟».

«عندما نرحل إلى العاصمة، بعد الحفل، ستذهبون إلى الجنوب» يتمتم، «وسأذهب إلى الشمال».

تنتابني موجة باردة من الصدمة، مثلما قال لي (كيلورن) إنه سيرحل للقتال، ولكن (كيلورن) مجرد صياد، لص، شخص يعلم كيف ينجو، كيف يتسلل بين الشقوق؛ ليس مثل (كال)، هو جندي، وسيموت إذا تتطلب الأمر. سينزف من أجل هذه الحرب، ولماذا يفزعني ذلك، لا أعلم، لِمَ أهتم؟ لا أقدر على القول.

«بوجود (كال) على الحدود، ستنتهي هذه الحرب أخيرًا، مع (كال) يمكننا الفوز» يقول (أوليفر) ويبتسم كالأحمق، ويمسك بكتف (كال) مرة أخرى، وهذه المرة يقوده عائدًا إلى الحفلة، ويتركني خلفه. يعطيني أحدٌ ما كوبًا باردًا في يدي وأشربه في جرعة واحدة.

«ببطءٍ» يهمس (مافين): «ما زلت تفكرين بما حدث صباحًا؟ لم يرَ أحدٌ وجهك، وتأكدت من (السينتنال)».

ولكن هذا أبعد شيء عن عقلي الآن بينما أشاهد (كال) يصافح يد والده، يرسم ابتسامة رائعة على وجهه، يرتدي قناعًا، أنا الوحيدة القادرة على الرؤية خلاله.

يتبع (مافين) نظرتي وأفكاري: «أراد فعل ذلك، هذا خياره».

«لا يعني ذلك أن علينا الإعجاب به».

«ابني الجنرال!» يقول الملك (تايبرياس) بصوتٍ مدوٍ، أكاد أفهم حاجة (كال) إلى إرضائه.

ما الذي لن أضحي به لأرى أمي تنظر إليّ بنفس الطريقة، سابقًا عندما كنت لا شيء غير لصة؟ ما الذي سأضحي به الآن؟

هذا العالم فضي، ولكنه أيضًا رمادي، لا يوجد أبيض أو أسود.

عندما يطرق أحدهم بابي هذه الليلة، بعد العشاء بوقتٍ طويلٍ، أتوقع (والش) أو كوبًا آخر من شاي الرسائل السرية، ولكن يقف (كال) أمامي، من دون زيه أو درعه، يبدو كالفتى الذي هو عليه، بالكاد في التاسعة عشرة، على طرف الهلاك أو العظمة أو الاثنين.

أنكمش في رداء النوم متمنية وجود معطف: «(كال)؟ إلى ماذا تحتاج؟».

يهز كتفه ويبتسم قليلًا: «كادت (إيفانجلين) تقتلك في الحلبة اليوم».

«إذن؟».

«إذن لا أريدها أن تقتلك على ساحة الرقص».

«هل غاب عني شيء ما؟ هل سنتقاتل في ساحة الرقص؟».

يضحك، ويميل إلى إطار الباب، ولكن لا تخطو قدمه داخل غرفتي، كأنه لا يستطيع، أو لا يفترض منه، سوف تصيرين زوجة أخيه، وسيرحل هو إلى الحرب.

«إذا تعلمتِ كيفية الرقص بطريقة صحيحة، لن تضطري».

تذكرت قولي إنني لا أستطيع الرقص، وناهيك بتعليمات (بلونوس)، ولكن كيف يمكن لـ(كال) مساعدتي؟ ولِمَ يريد ذلك؟

«أنا معلمٌ جيدٌ للغاية» يضيف ويبتسم في غرور، وعندما يمد يده تجاهي، يرتجف جسدي، أعلم أنه لا يفترض أن أفعل ذلك، أعلم أنه يجب عليَّ غلق الباب وألا أسير في هذا الطريق.

ولكنه سيرحل للقتال، وربما الموت.

مرتجفة، أضع يدي بين يده، وأتركه يجذبني خارج غرفتي.

الفصل الثامن عشر

يسقط ضوء القمر على الأرض، مشع كفاية لنرى. في هذا الضوء الفضي، تكاد تكون حمرة الخجل على بشرتي مرئية، أبدو مثل (الفضيين). تصدر الكراسي صريرًا بينما يعيد ترتيب (كال) غرفة الجلوس، ليخلق مساحة نتدرب فيها. الغرفة معزولة، ولكن همهمة الكاميرات ليس ببعيدٍ أبدًا. يراقبنا رجال (إيلارا) ولكن لا يأتي أحدٌ ليمنعنا، أو بالأحرى، لمنع (كال). يسحب جهازًا غريبًا، صندوقًا صغيرًا، من معطفه ويضعه في منتصف الغرفة، ويحدق إليه في ترقبٍ، ينتظر شيئًا.

«هل يقدر هذا الشيء على تدريبنا على الرقص؟».

يهز رأسه ولا يزال يبتسم: «لا، لكنه سيساعد».

فجأة، ينفجر لحنٌ نابضٌ من الصندوق، وأدرك أنه مكبر صوت مثل الذي في الحلبة في قريتي، ولكنه للموسيقى، لا للقتال، للحياة لا للموت، اللحن خفيف وسريع، مثل نبضات قلب. تتسع ابتسامة (كال) مقابلي، وينقر بقدميه مع اللحن، لا أقدر على المقاومة، وتتراقص أصابعي مع الموسيقى. حيوي ومبهج، ليس مثل الموسيقى المعدنية الباردة في حجرة (بلونوس) ولا موسيقى الوطن الحزينة، تنزلق قدماي محاولة تذكر الخطوات التي علّمتني إياها السيدة (بلونوس).

«لا تقلقي بشأن ذلك، فقط تحركي» يضحك (كال). يقرع صوت طبول فوق اللحن، ويدور (كال) ويهمهم معه. ولأول مرة، يبدو كأنه لا يحمل ثقل العرش على كتفيه.

أشعر به أيضًا بينما ترتفع عني مخاوفي وقلقي، ولو لدقائق قليلة. هذا نوعٌ آخر من الحرية، مثل الطيران في مدار (كال)، هو أفضل مني بكثيرٍ في ذلك، ولكنه لا يزال يبدو أحمق؛ فلا أتخيل مدى الحماقة التي أبدو

أنا عليها. وعلى الرغم من ذلك، أحزن عند انتهاء الأغنية، بينما تختفي النغمات في الهواء أشعر كأنني أسقط عائدة داخل الواقع. يتسلل داخلي إدراكٌ باردٌ؛ لا يجب أن أكون هنا.

«ربما هذه ليست أفضل فكرة يا (كال)».

يميل رأسه، محتار في سرور: «لماذا؟».

سيجعلني أقولها حقًا: «أنا ممنوعة حتى من البقاء وحيدة مع (مافين)» أقول متعثرة في الكلمات، وأشعر بالحرج: «لا أعلم إذا كان الرقص معك في غرفة مظلمة شيئًا مقبولًا».

بدلًا من المجادلة، يضحك (كال) ويهز كتفيه، تملأ الغرفة أغنية أخرى، هذه ذات لحن مميز: «ما أراه هو أنني أقوم بمعروفٍ من أجل أخي» ثم يبتسم نصف ابتسامة: «إلا إذا أردتِ أن تخطي على قدميه طوال الليل؟».

«لديَّ خطوات ممتازة، شكرًا» أقول وأربط ذراعيَّ أمام صدري.

ببطءٍ وبلطفٍ يأخذ يدي: «ربما في الحلبة» يقول: «في ساحة الرقص ليس كثيرًا» أنظر إلى أسفل تجاه قدميه تتحرك بالتزامن مع الموسيقى، يسحبني تجاهه ويجبرني على اتِّباعه وعلى الرغم من أفضل جهودي، أتعثر به.

يضحك في سرور لإثبات خطأ ادعائي، هو جندي في قلبه والجنود تحب الفوز: «هذه لها نفس توقيتات معظم الأغاني التي ستسمعينها في الحفل، رقصة بسيطة، سهلة التعلم».

«سأجد طريقة لإفسادها» أزمجر، وأتركه يحركني عبر المكان، ترسم خطواتنا مربعًا تقريبًا، وأحاول ألا أفكر في مدى قربه، أو تجاعيد يده التي تبدو مثل يدي، خشنة من أعوام من العمل.

«ربما ستفعلين» يهمس وتختفي ضحكته.

اعتدت أن يفوقني (كال) طولًا، ولكنه يبدو أصغر هذه الليلة، ربما بسبب الظلام أو هذه الرقصة. يبدو مثلما رأيته أول مرة؛ ليس أميرًا، بل شخصًا عاديًا. تتعلق نظرته على وجهي، متتبعة مكان جرحي السابق: «لقد أصلحك (مافين) جيدًا» هناك مرارة غريبة في صوته.

«كان (جوليان)، (جوليان) و(سارة سكونوس)» على الرغم أن (كال) لا يصدر نفس ردة فعل (مافين)، ومع ذلك يضيق فكه، «لِمَ لا تحبانها أنتما الاثنان؟».

«لدى (مافين) أسبابه، أسباب جيدة» يتمتم، «ولكنها ليست قصتي لأحكيها، ولا أكره (سارة)، فقط لا...لا أحب التفكير فيها».

«لماذا؟ ماذا فعلت لك؟».

«ليس لي» يتنهد، «نشأت مع (جوليان) وأمي» ينخفض صوته عندما يذكر والدته، «كانت صديقتها المفضلة، وعندما ماتت، لم تعرف (سارة) كيف تحزن، كان (جوليان) محطمًا، ولكن (سارة)...» يسرح بعيدًا، محتار في كيفية الاستمرار، تتباطأ خطواتنا حتى نتوقف، مجمدين بينما تتردد الموسيقى حولنا.

«لا أتذكر أمي» يقول في حدة ويحاول الشرح لنفسه: «لم أتم العام الأول عندما ماتت، أعلم فقط ما قاله أبي عنها و(جوليان)، ولا يحب كلاهما التحدث عنها».

«أنا متأكدة من أن (سارة) يمكنها التحدث عنها معك، إذا كانتا صديقتين».

«لا تستطيع (سارة سكونوس) الكلام يا (ماير)».

«نهائيًّا؟».

يكمل (كال) ببطء بالصوت المتوازن الهادئ الذي يستخدمه أبوه، «قالت أشياء لم يكن عليها قولها، أكاذيب بشعة، وعُوقِبت على ذلك».

يتسلل الرعب داخلي، لا تستطيع الكلام: «ماذا قالت؟».

وفي لحظة يصير (كال) باردًا تحت أصابعي، يتراجع ويترك ذراعي وتموت الموسيقى أخيرًا، وسريعًا يمسك بمكبر الصوت، ولا شيء غير دقات قلوبنا لملء الغرفة.

«لا أريد التحدث عنها بعد الآن» يتنفس بثقلٍ، وتبدو عيناه مشعة بطريقة غريبة، تتحرك بيني وبين النوافذ المليئة بضوء القمر، يلتوي شيء ما داخل قلبي؛ يوجعني الألم في صوته: «حسنًا».

يتجه إلى الباب في خطواتٍ سريعة مدروسة كأنه يحاول بقوة ألا يركض، ولكن عندما يلتفت وينظر تجاهي عبر الغرفة، يبدو طبيعيًا، هادئًا ورصينًا ومنفصلًا.

«تدربي على خطواتك» يقول، ويبدو مثل السيدة (بلونوس): «نفس الوقت غدًا» ويرحل، ويتركني وحيدة في غرفة ممتلئة بالأصداء.

«ماذا أفعل بحق الجحيم؟» أهمس لنفسي.

وصلت إلى نصف المسافة لفراشي عندما لاحظت أن شيئًا ما خاطئًا في غرفتي: الكاميرات مغلقة، لا تصدر أي منها همهمة واحدة تجاهي وتراقبني بأعين كهربائية، وتسجل كل ما أفعله، ولكنه غير انقطاع الكهرباء السابق، كل ما حولي لا يزال يصدر طنينًا، ولا تزال الكهرباء تنبض عبر الجدران، في كل غرفة عدا غرفتي، (فارلي).

ولكن بدلًا من الثورية، يخرج (مافين) من وسط الظلام، يفتح الستائر ليدع ضوء قمر كافيًا لنرى خلاله.

«نزهة آخر الليل؟» يقول بابتسامة مريرة.

يسقط فكي مفتوحًا وأعاني مع الكلمات: «تعلم أنه لا يجب أن تكون هنا» أجبر نفسي على الابتسام، في محاولة لتهدئة نفسي، «ستشعر السيدة (بلونوس) بالعار، ستعاقبنا معًا».

«رجال أمي مدينون لي بمعروفٍ أو اثنين» يقول ويشير تجاه أماكن الكاميرات المخفية، «ليس لدى (بلونوس) دليلٌ لإدانتنا».

لا يريحني ذلك، بالأحرى، أشعر بقشعريرة تجري أسفل جلدي، ليس في خوف، ولكن في ترقبٍ، تتعمق الرعشات وتصعق أعصابي مثل البرق بينما يأخذ (مافين) خطوات محسوبة نحوي.

يشاهدني أحمرُ حرجًا فيما يبدو كرضا: «أنسى في بعض الأحيان» يهمس ويلمس وجنتي بيده، ويبقيها كأنه يشعر باللون الذي ينبض في عروقي: «أتمنى ألا يضطروا إلى طلائك كل يوم».

ترتجف بشرتي تحت لمسته، وأحاول تجاهل ذلك: «هذا يجعلنا اثنين».

تتلوى شفتاه في محاولة للابتسام، ولكنها لا تأتي.

«ما الأمر؟».

«تواصلت معي (فارلي) مجددًا»، يتراجع ويضع يديه في جيوبه ليخفي أصابعه المرتجفة: «لم تكوني هنا».

هذا من حظي: «ماذا قالت؟».

يهز (مافين) كتفيه، يتحرك إلى النافذة، ويحدق إلى سماء الليل، «قضت معظم وقتها في الأسئلة».

أهداف، يبدو أنها ضغطت عليه مرة أخرى، في سؤال عن معلومات لم يرغب (مافين) في قولها، أدرك من هبوط كتفيه، وارتجاف صوته، وأنه قال أكثر مما يرغب، أكثر بكثيرٍ.

«من؟» يطير عقلي إلى (الفضيين) الذين قابلتهم هنا، الذين كانوا لطفاء معي، بطريقتهم الخاصة، هل سيصير أي منهم تضحية من أجل ثورتها؟ من صار هدفًا؟

«(مافين) بمن وشيت؟».

يلتفت وتشع من عينيه ضراوة لم أرها من قبل، وأخاف للحظة أن يشتعل بالنيران: «لم أرد أن أفعلها، ولكنها محقة، لا يمكن أن نجلس ساكنين؛ يجب أن نتصرف، وإذا كان يعني ذلك أنني سأعطيها أشخاصًا، سأفعل، لن يعجبني، ولكني سأفعل، وهذا ما فعلت».

مثل (كال) يأخذ نفسًا مرتجفًا في محاولة تهدئة حاله: «أحضر المجالس مع أبي، من أجل الضرائب والأمن والدفاع، وأعلم من سيفتقده قومي... (الفضيون)، وأعطيتها أربعة أسماء».

«من؟».

«(رينالد إيرال)، (بتوليموس ساموس)، (إيلين ماكنتوس)، (بيليكوس ليرولان)».

تخرج مني تنهيدة غير مقصودة، قبل أن أومئ، لن تكون هذه الوفيات مخفية، أخو (إيفانجلين)، والكولونيل، سيفتقدونهم بالتأكيد.

«تعلم الكولونيل (ماكنتوس) أن أمي تكذب، وتعلم بشأن الهجمات الأخرى... وتقود نصف فيلق وترأس مجلس الحرب، من دونها، ستقع الجبهة في فوضى لعدة أشهر».

«الجبهة؟» (كال) وفيلقه، إذن سينقذ موتها (كال) وسيساعد الحرس القرمزي، مات (شايد) من أجل ذلك، وقضيته صارت لي الآن.

«عصفوران بحجرٍ واحدٍ» أتنهد، وأشعر بدموعٍ ساخنة تهدد بالسقوط. مع صعوبة الأمر، سأقايض حياتها بحياة (كال) وسأفعلها آلاف المرات.

«صديقك جزء من هذا أيضًا».

ترتعش ركبتاي، ولكني أتمكن من تثبيت نفسي، تتبدل مشاعري بين الغضب والخوف بينما يشرح (مافين) الخطة بقلبٍ ثقيلٍ وقوي.

«وماذا إذا فشلنا؟» أسأله عندما ينتهي، أخيرًا أنطق بالكلمات التي كان يتفاداها.

بالكاد يهز رأسه: «لن يحدث ذلك».

«وإذا حدث؟» لست أميرًا، ولم تكن حياتي مبهرة، أعلم أن أتوقع الأسوأ من كل شيء وكل شخص، «ماذا سيحدث حينها يا (مافين)؟».

ترتعش أنفاسه في صدره بينما يسحبها، ويحاول أن يبقى هادئًا: «سوف نصير خونة، كلانا، وسنتحاكم وسيدينوننا ويقتلوننا».

***

لا أقدر على التركيز، خلال درسي التالي مع (جوليان)، لا أقدر على التركيز في أي شيء غير ما سيحدث. الكثير يمكن أن يسير بشكلٍ خاطئ، والكثير على المحك، حياتي وحياة (كيلورن) وحياة (مافين)، كلنا نخاطر بأعناقنا لأجل هذا.

«هذا ليس من شأني...» يبدأ (جوليان) وأجفل من صوته: «ولكنك تبدين، حسنًا، متعلقة بالأمير (مافين)».

أكاد أضحك في ارتياحٍ، ولكني لا أقدر على تجاهل الوخزة التي أشعر بها في نفس الوقت. (مافين) هو آخر شخص يجب أن أقلق منه في جحر الثعابين هذا، مجرد التلميح بهذا يزعجني. «أنا خطيبته» أجاوبه، وأحاول

ألا أغضب.

ولكن بدلًا من ترك الأمر، يميل إلى الأمام، في العادة يهدئني أسلوبه الوديع، ولكن اليوم يصيبني بإحباطٍ، «أنا فقط أحاول مساعدتك، (مافين) هو ابن والدته».

هذه المرة أجيب في غضبٍ: «لا تعلم أي شيء عنه» هو صديقي، ويخاطر بأكثر مني، «الحكم عليه بسبب والديه هو بالضبط مثل الحكم عليَّ بسبب دمائي، لا يعني كرهك للملك أن تكرهه هو أيضًا».

يحدق (جوليان) إليَّ، ونظرته ثابتة ومليئة بالنار، وعندما يتحدث يصير صوته مثل الهدير: «أكره الملك لأنه لم يستطع إنقاذ أختي، ولأنه بدَّل بها تلك الحية، أكره الملكة لأنها دمرت (سارة سكونوس)، لأنها أخذت الفتاة التي أحببتها وحطمتها، لأنها اقتلعت لسانها» ثم انخفض مستوى صوته وصار رثاءً: «كان لديها صوتٌ جميلٌ».

انتابتني موجة من الغثيان، وفجأة يصير سكوت (سارة) ووجنتاها الغائرتان منطقيين، لا عجب أنه جعلها تعالجني، فلن تقدر على قول الحقيقة لأحدٍ.

«ولكن...» تبدو كلماتي صغيرة وخشنة، كأن صوتي الذي يختفي: «هي معالِجة».

«معالِجو الجلد لا يمكنهم شفاء أنفسهم، ولن يجرؤ أحدٌ على معارضة عقاب الملكة، لذلك فُرض على (سارة) أن تعيش هكذا، في عارٍ إلى الأبد».

تثقل الذكريات صوته، كل واحدة أسوأ من سابقتها: «لا يمانع (الفضيون) الشعور بالألم، ولكننا فخورون، كبرياؤنا وكرامتنا وشرفنا، هذه الأشياء التي لا يمكن أن تبدلها أي قدرة».

وبقدر السوء الذي أشعر به تجاه (سارة)، لا أقدر على التوقف عن الخوف على نفسي، قطعوا لسانها بسبب شيء قالته، فمَا الذي يمكنهم أن يفعلوه بي؟

«تنسين نفسك يا فتاة البرق الصغيرة».

أشعر بهذا الاسم كصفعة على وجهي ويعيدني إلى الواقع.

«هذا العالم ليس عالمك، لم يغير هذا دراسة آداب الانحناء للتحية، لا تفهمين اللعبة التي نلعبها».

«لأن هذه ليست لعبة يا (جوليان)» أدفع بكتاب السجلات تجاهه، ملقية بقائمة الوفيات في حجره: «هذه حياة أو موت، لا ألعب من أجل العرش أو التاج أو الأمير، لا ألعب على الإطلاق، أنا مختلفة».

«أنتِ ذلك» يتمتم ويمرر إصبعه فوق الصفحات: «ولهذا أنتِ في خطرٍ من الجميع، حتى (مافين) وحتى أنا؛ أي شخص يمكنه خيانة أي شخصٍ».

يسرح عقله وتغيم عيناه، في الضوء يبدو كبيرًا في السن ورماديًّا. رجل مرير يثقله موت أخته، وواقعٌ في حب امرأة محطمة، محكوم عليه بتعليم فتاة لا تفعل شيئًا غير الكذب، ألمح من خلف كتفه خريطة العالم السابق وما كان عليه، هذا العالم بأكمله مسكون.

ثم جاءتني أسوأ فكرة ممكنة، (شايد) الشبح الخاص بي، من سينضم إليه؟

«لا تخطئي يا فتاتي» يقول أخيرًا: «تلعبين اللعبة كبيدق أحدهم».

ليس لديَّ القدرة على المجادلة، اعتقد كما تريد يا (جوليان)، أنا لست حمقاء لأي أحد.

***

(بتوليموس ساموس)، كولونيل (ماكنتوس)، ترقص وجوههم في رأسي بينما ندور أنا و(كال) في غرفة الجلوس. تقلص القمر اليوم، يختفي، ولكن لم يكن أملي أقوى قطُّ، الحفلة غدًا وبعدها، لست متأكدة أين سيتجه الطريق، ولكنه سيكون طريقًا مختلفًا، طريقًا جديدًا سيقودنا إلى مستقبل أفضل. سيكون هناك ضحايا جانبية، وإصابات ووفيات لا نستطيع تفاديها، كما قال (مافين)، ولكننا نعلم المخاطر. إذا مضى كل شيء تبعًا للخطة، سيرفع الحرس القرمزي رايتهم ليراها الجميع، ستذيع (فارلي) بثًّا آخر بعد الهجوم، وتحدد مطالبنا، المساواة، التحرر والحرية. مقارنة بتمردٍ كاملٍ، يبدو ذلك كاتفاقٍ جيدٍ. يسقط جسدي ويتحرك تجاه الأرض في تقوس بطيء جعلني أصرخ، يقبض (كال) ذراعين قويتين حولي، ويسحبني إليه

في لحظة بسهولة.

«آسف»، يقول في نصف إحراج: «كنتُ أظنكِ مستعدة لهذه الحركة».

لست مستعدة، أنا خائفة، أجبر نفسي على الضحك، لإخفاء ما لا أريده أن يكشفه: «لا، هذا خطئي، سرحت بأفكاري مجددًا».

هو ليس سهل التلاعب ويميل رأسه قليلًا وينظر في عينيَّ: «ما زلت قلقة بشأن الحفلة؟».

«أكثر مما تعلم».

«كل خطوة في وقتها، هذا أفضل ما يمكنك فعله» ثم يضحك على كلامه، ويحركنا إلى الخلف في خطوات أبسط، «أعلم أنه صعب التصديق، لكنني لم أكن دومًا راقصًا جيدًا».

«يا لها من صدمة» أجيبه وأبتسم مثله: «اعتقدت أن الأمراء يولدون بقدرتهم على الرقص والمشاركة في محادثات تافهة».

يضحك مجددًا، ويسرع خطواتنا مع الحركة: «ليس أنا، إذا كان الأمر متروكًا لي، فسأكون في الجراج أو مخيمات الجنود، أبني وأتدرب، ليس مثل (مافين)، فهو ضعف الأمير الذي يمكن أن أكونه».

أفكر في (مافين)، في كلماته الطيبة، وآدابه الممتازة ومعرفته التامة بالبلاط، وكل الأشياء التي يتظاهر بها لإخفاء حقيقته، ضعف الأمير بالتأكيد، «ولكنه سيظل دائمًا أميرًا» أتمتم في رثاء: «وستكون أنت الملك».

ينخفض صوته إلى مستوى صوتي، ويظهر شيء مظلم في نظرته، هناك حزن بداخله، يكبر كل يوم، ربما لا يحب الحرب كما أعتقد، «في بعض الأحيان أتمنى ألا تكون الأمور هكذا».

يتحدث بلطفٍ، ويملأ صوته رأسي، ومع أن الحفل تقترب مع أفق الغد، أجد نفسي أفكر به وبيديه وبرائحة الخشب المدخن التي تتبعه أينما ذهب أكثر، تجعلني أفكر بالدفء والخريف والبيت. ألوم نبضات قلبي المتسارعة مع اللحن، الموسيقى التي تمتلئ بالحياة. بشكلٍ ما تذكرني هذه الليلة بدروس (جوليان)، وتاريخ العالم السابق. كان عالمًا من الإمبراطوريات والفساد والحرب وحرية أكبر مما عرفت أبدًا، ولكن رحل الناس من هذا

العالم، وصارت أحلامهم أنقاضًا، تتواجد فقط على هيئة دخان ورماد، هذه طبيعتنا، كان (جوليان) ليقول، التدمير، هذا ثابتٌ في فصيلتنا. لا يهم لون الدماء، سيسقط الإنسان دومًا، لم أفهم هذا الدرس منذ بضعة أيام، ولكن الآن ويد (كال) في يدي، تقودني بأخف اللمسات، بدأت في رؤية الأمر، أشعر بنفسي أسقط.

«هل حقًا سترحل مع الفيلق؟» حتى مجرد الكلمات تجعلني خائفة.

يومئ قليلًا: «مكان الجنرال مع رجاله».

«ومكان الأمير مع أميرته، مع (إيفانجلين)» أُضيف في ترددٍ، أحسنتِ يا (ماير)، يصرخ عقلي.

يمتلئ الهواء حولنا بالحرارة على الرغم من ثبات (كال): «ستكون بخيرٍ، أظن، هي ليست متعلقة بي، ولن أفتقدها أيضًا».

أركز على ما أمامي، غير قادرة على ملاقاة نظرته. لسوء الحظ، ما أمامي هو صدره وقميصه الشفاف، يتنهد من أعلى، ثم تتحرك أصابعه إلى ذقني ويرفع رأسي لأقابل نظرته، تلمع شعلات ذهبية في عينيه، تعكس الحرارة بالداخل: «سأفتقدك يا (ماير)».

بقدر ما أريد أن أظل ثابتة، وأوقف الزمن لتدوم هذه اللحظة إلى الأبد، أعلم أنه مستحيلٌ، مهما شعرت أو اعتقدت، (كال) ليس الأمير الموعودة له، وأهم من ذلك، هو في الجانب الخاطئ، هو العدو، (كال) محظور، لذلك بخطواتٍ مترددة أتراجع، وأبتعد عن قبضته، وعن دائرة الدفء التي اعتدتها.

«لا أستطيع» هو كل ما أقدر على قوله، رغم علمي بخيانة عيني، حتى الآن أشعر بدموع الغضب والندم، دموع أقسمت ألا أبكيها.

ولكن ربما فكرة الرحيل للحرب جعلت (كال) جريئًا ومتهورًا، صفات لم يكن عليها من قبل قطُّ، يمسك بيدي ويسحبني تجاهه، هو يخون أخاه الوحيد، وأخون أنا القضية، و(مافين) ونفسي، ولكني لا أريد التوقف.

أي شخص يمكنه خيانة أي شخص.

شفتاه فوق شفتيّ، صلبة ودافئة وملحة، اللمسة تثير الكهرباء، ولكن

ليس كما اعتدت، هذه ليست شرارة تدمير، بل شرارة حياة، وبقدر ما أريد الابتعاد، لا أستطيع. (كال) منحدر، وأرمي بنفسي من حافته، ولا أزعج نفسي بالتفكير فيما يمكن أن يسبِّبه ذلك لنا، في يوم ما سيدرك أنني عدوته، وستصير هذه ذكرى بعيدة، ولكن ليس بعد.

الفصل التاسع عشر

يتطلَّب طلائي وتلميعي لأصير الفتاة التي يجب أن أكونها ساعات، ولكن تمرُّ كأنها بضع دقائق فقط. عندما توقفني الخادمات أمام المرآة ويطلبن موافقتي في صمتٍ، يمكنني فقط الإيماء للخادمة التي تحدق إليَّ عبر الزجاج. تبدو جميلة وخائفة مما سيأتي، ملفوفة في سلاسل من الحرير اللامع، يجب أن أخبئها، الفتاة الخائفة؛ يجب أن أبتسم وأرقص وأبدو كواحدة منهم. بمجهودٍ كبيرٍ، أدفع خوفي بعيدًا، سيعرضني الخوف للقتل.

ينتظرني (مافين) في نهاية الممر، ظل في زيه الرسمي، يبرز اللون الأسود الفحمي عينيه، زرقاء مشرقة وسط بشرته الشاحبة. لا يبدو خائفًا على الإطلاق، ولكن هو أمير، هو فضي، لن يجفل. يمد ذراعه تجاهي وأمسك بها في سرورٍ، أتوقع منه أن يجعلني أشعر بالأمان أو القوة أو الاثنين، ولكن تذكِّرني لمسته بـ(كال) وخيانتنا. تصبح الليلة السابقة تحت تركيزٍ حادٍّ، حتى أشعر بكل نفس بارزٍ داخل عقلي، ولأول مرة لا يلاحظ (مافين) انزعاجي، فلديه أمورٌ أهم يفكر بها.

«تبدين جميلة» يقول في هدوءٍ، ويشير إلى فستاني.

لا أوافقه الرأي، فستاني سخيفٌ ومبالغٌ فيه، شبكة من الجواهر البنفسجية التي تلمع في كل اتجاه آخذه، تجعلني أبدو كحشرة لامعة. وما زال عليَّ أن أكون سيدة نبيلة هذه الليلة، أميرة مستقبلية، لذا أومئ وأبتسم في شكرٍ، ولا أقدر على منع نفسي من تذكُّر أن شفتيَّ التي تبتسم لـ(مافين) الآن قبَّلت أخاه بالأمس.

«أريد فقط أن ينتهي الأمر».

«لن ينتهي الليلة يا (ماير)، لن ينتهي قبل وقتٍ طويلٍ، تعلمين هذا، أليس كذلك؟» يتحدث كشخصٍ أكبر عمرًا وأكثر حكمة، ليس كالفتى ذي السبعة عشر عامًا. عندما أتردد، لا أعرف كيف أشعر حقًا، يضيق فكَّاه: «(ماير)؟» يحثني وأشعر بالرجفة في صوته.

«هل أنت خائف؟» كلماتي ضعيفة، همسة: «أنا خائفة».

تحتد نظرته، وتتحوَّل إلى أزرق معدني، «أخاف الفشل، أخاف ترك الفرصة تفوتنا، أخاف مما سيحدث إذا لم يتغير شيء في هذا العالم» تزداد حرارته تحت لمستي، يقوده عزمٌ داخلي، «يخيفني هذا أكثر من الموت».

من الصعب ألا أتأثر بكلماته، وأومئ معه، كيف يمكنني التراجع؟ لن أجفل.

«انهضي» يتمتم فبالكاد أسمعه، أحمر مثل الفجر.

تشتد قبضته بينما نصل إلى القاعة أمام المصعد. يحرس مجموعة من حراس (السينتنال) الملك والملكة، والاثنان ينتظراننا، ولا أجد (كال) أو (إيفانجلين) في أي مكان، وأتمنى أن يبقيا بعيدين، فكلما طال الوقت الذي لا أراهما فيه معًا، أصير سعيدة. ترتدي الملكة (إيلارا) فستانًا وحشيًّا لامعًا من الأحمر والأسود والأزرق، يعرض ألوان منزلها ومنزل زوجها، تجبر نفسها على الابتسام وتنظر عبري ثم إلى ابنها.

«ها نحن ذا» يقول (مافين)، ويترك يدي ليقف بجانب والدته، أشعر ببرودة غريبة في جلدي من دونه.

«كم من الوقت يجب عليَّ فيه البقاء هنا؟» يجبر صوته على نبرة انزعاج، يلعب دوره جيدًا، كلما استطاع إبقاءها مشغولة تحسَّنت فرصنا، فتسلل واحد داخل العقل الخاطئ وسيتحول كل شيء إلى رماد، وسيعرضنا الجميع للقتل في أحسن حال.

«(مافين)، لا يمكنك فقط المجيء والرحيل كيفما تريد، لديك واجبات، وستبقى ما دمتَ مطلوبًا» تقول في استياء منه، وتعدل من ياقته وميدالياته وأكمامه، وللحظة يأخذني ذلك على حين غرة. هذه المرأة التي اقتحمت أفكاري التي خطفتني من حياتي، التي أكرهها، ما زال هناك شيء جيد بها، هي تحب ابنها ومع كل عيوبها، يحبها (مافين).

الملك (تايبرياس) على الجانب الآخر، لا يهتم بــ(مافين) على الإطلاق، بالكاد ينظر تجاهه. «الفتى يشعر بالملل، لا يوجد إثارة كافية في يومه، ليس مثل من في الجبهة» يقول ويمرِّر يده فوق لحيته المشذبة: «تحتاج إلى قضية يا (مافي)».

وللحظة يسقط قناع الانزعاج عن (مافين)، لديَّ واحدة، تصرخ عيناه، ولكنه يظل صامتًا.

«لدى (كال) فيلقه، ويعلم ماذا يفعل وماذا يريد، يجب أن تكتشف ماذا ستفعل بنفسك، ها؟».

«نعم يا أبي» يقول (مافين)، ورغم محاولة إخفائه يمرُّ ظلٌّ عبر ملامحه.

أعلم هذه النظرة جيدًا، اعتدت أن أضعها، عندما يُلمِّح أبواي إلى أن أكون مثل (جيسا)، رغم استحالة ذلك، كنت أذهب إلى النوم كارهة نفسي ومتمنية أن أتغير، أن أكون هادئة وموهوبة وجميلة مثلها، لا شيء يؤلم أكثر من هذا الشعور، لكن لا يلاحظ الملك ألم (مافين)، مثلما لم يلاحظ أبواي ألمي.

«أتمنى أن تكون مساعدتي على التكيُّف هنا قضية كافية لـ(مافين)» أقول متمنية أن أدفع بنظرة عدم الرضا بعيدًا، عندما يلتفت تجاهي (تايبرياس)، يتنهد (مافين) ويبتسم في امتنان.

«ويا له من عملٍ قام به» يجيب الملك ويلقي نظرة عليَّ، أعلم أنه يتذكر الفتاة الحمراء التي رفضت الانحناء أمامه. «مما أسمعه اقتربتِ من كونكِ سيدة نبيلة لائقة الآن».

ولكن ابتسامته المجبرة لا تصل إلى عينيه، ولا شك في ريبته هنا، أراد قتلي سابقًا في غرفة العرش، لحماية تاجه واتزان مملكته، ولا أظن أن هذه الرغبة سترحل أبدًا. أنا تهديدٌ، ولكنني أيضًا استثمار، سيستغلني عندما يريد ويقتلني عندما يضطر.

«أحصل على مساعدة جيدة يا ملكي» أنحني وأتظاهر بالإطراء، على الرغم من عدم اهتمامي برأيه، لا يساوي رأيه الصدأ على كرسي أبي المتحرك.

«هل أنتم مستعدون بعد؟» يقول صوت (كال)، ويحطم كل أفكاري.

يبدي جسدي ردة فعلٍ ويدور لأراه يدخل القاعة، تتقلص معدتي، ولكن ليس من الحماس أو التوتر أو أي من هذه الأشياء السخيفة التي تتحدث عنها الفتيات، أشعر بالمرض مما تركته يحدث، مما أردت حدوثه. رغم أنه يحاول أن تتلاقى نظراتنا، أبعد عينيّ عنه، وتجاه (إيفانجلين) التي تتعلق بذراعه. ترتدي المعدن مجددًا، وتبتسم في سخرية من دون أن تحرك شفتيها.

«مولاي ومولاتي» تهمس، وتنحني في تحية بشكلٍ ممتاز.

يبتسم تجاهها (تايبرياس)، عروسة ابنه قبل أن يربت بيده على كتف (كال)، «ننتظرك فقط يا بني» ويضحك.

عندما يقفان أحدهما بجانب الآخر، لا يمكن إنكار الشبه العائلي، نفس الشعر، نفس العين البنية الحمراء، حتى نفس الوقفة. يراقب (مافين) وعيناه الزرقاوان رقيقة ومستغرقة في التفكير، بينما تبقي والدته قبضتها على ذراعه. مع (إيفانجلين) في ناحية ووالده في الناحية الأخرى لا يفعل (كال) غير ملاقاة عينيّ، ويومئ في هدوءٍ، وأعلم أنها التحية الوحيدة التي أستحقها.

على الرغم من الزينة، تبدو قاعة الحفلات مثلما كانت منذ شهر، عندما سحبتني الملكة إلى هذا العالم الغريب، عندما جرّدوني من اسمي وهويتي رسميًّا، سدّدوا ضربة تجاهي هنا والآن حان دوري لأردّها.

ستراق الدماء هنا الليلة.

لا يمكنني التفكير هكذا الآن، يجب أن أقف مع الآخرين، وأتحدث مع مئات الأعضاء من البلاط الذين تراصوا لتبادل الكلمات مع العائلة الملكية والكاذبة الحمراء التي ارتفعت في المكانة. تتحرك عيناي عبر الصف، باحثة عن الأهداف التي أعطاها (مافين) للحرس، الشرار الذي سيشعل النيران، (رينالد)، الكولونيل، (بيليكوس)، و(بتوليموس)، أخو (إيفانجلين) ذو الشعر الفضي والعين القاتمة، هو من أول من قام بتحيتنا، يقف خلف والده القاسي، الذي يسرع مع ابنته. عندما يقترب مني (بتوليموس)، أقاوم الرغبة في القيء، لم أفعل أي شيء أصعب من النظر في عيني رجل في عداد الموتى.

«تهانيّ» يقول وصوته قاسيًا كالصخر، ويده التي مدَّها بنفس القساوة، لا يرتدي زيًّا عسكريًّا، لكن زيًّا من المعدن الأسود المتداخل معًا في حراشيف لامعة وناعمة. هو محارب، ولكنه ليس جنديًّا. مثل والده من قبله، يقود (بتوليموس) حرس مدينة (أركيون)، يحمي العاصمة مع الجيش الخاص به من الضباط. رأس الثعبان، هكذا أطلق عليه (مافين) مرة. أقطع رأس الثعبان وسيموت الباقي. عيناه المتشددة على أخته حتى وهو يمسك بيدي، يتركني سريعًا ويمر بـ(مافين) و(كال) على عجلة قبل أن يحتضن (إيفانجلين) في عرضٍ نادرٍ للعاطفة. أتعجب عدم تشابك أزيائهما السخيفة مع بعضها. إذا سار كل شيء حسب الخطة، فلن يحتضن أخته مجددًا، ستفقد (إيفانجلين) أخًا مثلي. على الرغم من معرفتي لهذا الألم عن تجربة، لا أقدر على الشعور بالأسف تجاهها، وخاصة ليس مع الطريقة التي تتعلق بها بـ(كال). يبدوان متضادين بالكامل، زيه بسيطٌ بينما تبرق هي كالنجم في فستانها من الشفرات الحادة. أريد أن أقتلها، أريد أن أكون مكانها، ولكن ليس هناك ما يمكن فعله بشأن ذلك. (إيفانجلين) و(كال) ليسا مشكلتي الليلة.

يصير نسياني نفسي أسهل، بينما يختفي (بتوليموس) ويمرُّ بنا أفرادٌ ذوو ابتسامات باردة وكلمات حادة. يحيينا منزل (إيرال) تاليًا، وتقوده النحيفة (آرا) بحركاتها الواهنة، الفهد. ولدهشتي، تنحني في تحية لي، وتبتسم في أثناء ذلك. ولكن هناك شيئًا غريبًا بها، أشعر بأنها تعرف أكثر من الظاهر. تمر من دون كلام وتعفيني من استجواب آخر. تتبع (سونيا) جدتها، ويدها متشابكة مع هدفٍ آخر: (رينالد إيرال)، ابن عمها. قال لي (مافين) إنه مستشار مالي، عبقري يحافظ على تمويل الجيش عن طريق الضرائب وخطط التجارة، إذا مات، سيموت معه المال، ومثلهما الحرب. أنا على استعدادٍ لمقايضة جامع الضرائب من أجل ذلك. عندما يمسك بيدي، لا أفوت نظرته المتجمدة ويده الناعمة، هاتان اليدان لن تلمسا يدي مجددًا.

ليس من السهل صرف الكولونيل (ماكنثوس) عندما تقترب، تبرز الندبة على وجهها بشدة، وخاصة الليلة حيث يبدو الجميع لامعين. ربما لا تهتم

بالحرس القرمزي، ولكنها لم تصدق الملكة أيضًا. لم أكن مستعدة لابتلاع الأكاذيب التي قُدمت للبقية. قبضتها قوية بينما تصافحني؛ ولمرة لا يخاف شخص من أني سوف أتحطم كالزجاج.

«أتمنى كل السعادة لكِ أيتها النبيلة (مارينا)، أرى أنه يناسبك» تشير إلى (مافين) برأسها، «ليس مثل (ساموس) الأنيقة» تضيف بنبرة مرحة. «ستصير ملكة حزينة، وأنتِ أميرة سعيدة، تذكري كلماتي».

«سأتذكرها» أتنهد، وأتمكَّن من الابتسام، حتى مع اقتراب موعد انتهاء حياتها، ولا يهم كم هي لطيفة كلماتها، فدقائقها معدودة.

عندما تتحرك إلى (مافين) وتصافح يده وتدعوه إلى مراقبة الجنود معها في خلال أسبوع، يمكنني أن أشعر بتأثره قدر تأثري. عندما ترحل، تمسك يده بيدي ويضغطها ليطمئنني. أعلم أنه يندم على اقتراحها، ولكن مثل (رينالد) و(بتوليموس) سيخدم موتها هدفًا، وستستحق حياتها كل هذا العناء في النهاية. يأتي الهدف التالي من آخر الصف، من منزل أقل مكانة، (بيليكوس ليرولان) لديه ابتسامة مرحة، وشعر بلون الكستناء وملابس بألوان غروب الشمس تتماشى مع ألوان منزله. غير الآخرين الذين رحبت بهم الليلة، يبدو دافئًا ولطيفًا، والابتسامة خلف عينيه حقيقية بينما ترتجف يداه.

«من دواعي سروري مقابلتك يا سيدة (مارينا)» يحني رأسه في تحية، مهذب إلى أبعد الحدود. «أتطلع إلى أعوام عديدة في خدمتك» أبتسم وأتظاهر أنه سيكون هناك العديد من الأعوام القادمة، ولكن يصبح التظاهر صعبًا مع مرور الوقت. عندما تظهر زوجته ومعها طفلان توأمان، أريد الصراخ، بالكاد أربعة أعوام ويصيحان كالجراء، يتسلقان ساقي والدهما. يبتسم في عطفٍ، ابتسامة خاصة لولديه، دبلوماسي، هذا ما قاله (مافين)، سفير لحلفائهما في (بيدمونت)، بعيدًا في الجنوب، من دونه، ستنقطع صلتنا بالبلد وجيشها، فتجبر (نورتا) على الوقوف وحدها أمام الفجر الأحمر. هو تضحية أخرى يجب علينا القيام بها، اسم آخر لرميه، وهو أب، هو أب وسنقتله.

«شكرًا لك يا (بيليكوس)» يقول (مافين) ويمد ذراعه ليصافحه، محاولًا إبعادهم عني قبل أن أنهار.

أحاول التحدث، ولكني أفكر فقط في الأب الذي سأسرقه من طفليه الصغيرين، وفي مؤخرة عقلي أتذكر (كيلورن) وهو يبكي على والده، كان صغيرًا أيضًا.

«اعذروني قليلًا، من فضلكم؟» يبدو صوت (مافين) بعيدًا عندما يتحدث، «ما زالت (مارينا) تعتاد حماس البلاط».

قبل أن ألقي نظرة على الأب الهالك، يبعدني (مافين)، يحملق بعض الناس تجاهنا وأشعر بعيني (كال) تتابعنا. أكاد أتعثر، ولكن يبقيني (مافين) مستقيمة بينما يدفعني تجاه الشرفة، عادة، يسعدني الهواء الطلق، ولكن أشك في أن أي شيء يمكنه مساعدتي الآن.

«أطفال» تندفع مني الكلمات: «هو أب».

يتركني (مافين)، وأستند إلى سور الشرفة، ولكنه لا يبتعد. تبدو عيناه في ضوء القمر كالثلج، تلمع وتحدق إليَّ. يضع يداه على كتفيَّ، ويثبتني لأسمعه.

«(رينالد) أب أيضًا، ولدى الكولونيل أبناء، (بتوليموس) مخطوب لفتاة منزل (هافين)، جميعهم لديهم أهل، لديهم من سيحزن عليهم» يجبر الكلمات على الخروج؛ هو محطم ممزق مثلي. «لا يمكننا اختيار كيف نساعد القضية يا (ماير)، يجب أن نفعل ما نستطيع مهما كان الثمن».

«لا أقدر على فعل ذلك بهم».

«أتظنين أنني أريد ذلك؟» يتنهد، ووجهه على بُعد بوصات من وجهي: «أعرفهم جميعًا، وتؤلمني خيانتهم، ولكن يجب التنفيذ، فكري في الحيوات التي سيبتاعها وما سيحققه موتهم، كم من قومك سينجون؟ ظننتك فهمتِ ذلك!».

يوقف نفسه، ويغلق عينيه للحظة. عندما يستعيد شتات نفسه، يرفع يده إلى وجهي ويمرِّرها على حدود وجنتي بأصابع مرتجفة: «أنا آسف، فقط...» يهتز صوته، «ربما لا تستطيعين رؤية إلى أين تقود أحداث هذه

الليلة، ولكنني أستطيع، وأعلم أنها ستغير الأمور».

«أصدقك» أهمس وأمد يدي لأمسك بيده: «فقط أتمنى ألا تكون الأمور بهذه الطريقة».

خلف كتفه أرى الصف يتقلص، انتهت الترحيبات والمصافحات، وبدأت الليلة بالفعل.

«ولكن يجب ذلك يا (ماير)، أعدك، هذا ما يجب علينا فعله».

ورغم الألم، ورغم التواء قلبي ونزيفه، أومئ: «حسنًا».

«هل أنتما بخيرٍ؟».

للحظة، يبدو صوت (كال) غريبًا ومرتفعًا، ولكنه يسعل بينما ينظر إلينا من خارج الشرفة، تتعلق عيناه بوجهي: «أنتِ مستعدة يا (ماير)؟».

يجيب (مافين) بدلًا مني: «هي مستعدة».

نبتعد معًا عن السور والليل وربما آخر لحظات هدوء نحظى بها، بينما نمرُّ عبر البوابة أشعر بلمسة خفيفة على كتفي: (كال). أنظر تجاهه وأجده يحدق، وأصابعه ممدودة، عيناه أكثر ظلامًا من أي وقتٍ، تغلي بعاطفة لا أقدر على فهمها، قبل أن نتحدث، تظهر (إيفانجلين) بجانبه، وأضطر إلى النظر بعيدًا عندما يأخذ يدها.

يقودنا (مافين) إلى منتصف قاعة الرقص: «هذا أصعب جزء»، يقول ويحاول تهدئتي.

ينجح قليلًا، وتنحسر الرجفة داخلي، نرقص أولًا، الأميران والعروسان، أمام الجميع، عرض آخر للقوة والقدرة، يعرضان الفتاتين الفائزتين أمام عائلات الخاسرات، الآن هذا آخر ما أريد فعله، ولكنه من أجل القضية. عندما تبدأ الموسيقى الإلكترونية في العمل، أدرك أنها على الأقل رقصة أعرفها.

يندهش (مافين) عندما يجدني أضع قدمي في موضعها الصحيح: «كنتِ تتدربين؟».

مع أخيك: «قليلًا».

«أنتِ مليئة بالمفاجآت» يضحك ويتمكّن من الابتسام.

بجانبنا، يدور (كال) بـ(إيفانجلين) في مكانها، يبدوان كما يجب أن يكون الملك والملكة، جميلين وباردين وملكيين. عندما تقابل عينا (كال) عيني في نفس اللحظة التي يغلق فيها يده على أصابعها، أشعر بألف شيء معًا، ولا يوجد بينهم شعورٌ جيدٌ، ولكن بدلًا من التعمق في الحزن أقترب أكثر من (مافين)، ينظر إليَّ وعيناه الزرقاوان متسعتان، بينما تسيطر الموسيقى علينا. على بُعد بضعة أقدام منا، يتقدم (كال) بخطواته ويقود (إيفانجلين) في نفس الرقصة التي علَّمها لي، هي أفضل مني بكثيرٍ، كلها رشاقة وجمال حاد، أشعر بأنني أسقط مجددًا.

ندور حول القاعة بالتزامن مع الموسيقى، يحيط المتفرجون الباردون بنا، أتعرف على الوجوه الآن. أعرف المنازل، الألوان، القدرات، والتواريخ، من أخافه ومن أشفق عليه. يراقبونا بأعين جائعة، وأعلم لماذا. يعتقدون أننا المستقبل، (كال) و(مافين) و(إيفانجلين) وحتى أنا. يعتقدون أنهم يشاهدون ملكًا وملكة، أميرًا وأميرة، ولكن هذا المستقبل الذي لا أنوي تحقيقه. في عالمي الكامل، لا يضطر (مافين) إلى إخفاء ما في قلبه، ولا أضطر إلى إخفاء حقيقتي، لن يكون لـ(كال) تاج ليرتديه، ولا عرش ليحميه، ولن توجد جدران ليختبئ خلفها هؤلاء القوم.

سيأتي الفجر من أجلكم جميعًا.

نرقص لمدة أغنيتين، وينضم إلينا الأزواج على أرضية الرقص، تحجب دوامات الألوان (كال) و(إيفانجلين) عني، حتى أشعر أننا ندور وحدنا (مافين) وأنا، وللحظة، يطوف وجه (كال) أمامي، يبدِّل وجه أخيه، وأفكر أنني عدت لغرفة مليئة بضوء القمر، ولكن (مافين) ليس (كال)، مهما أراد والده ذلك، هو ليس جنديًا ولن يكون ملكًا، ولكنه أكثر شجاعة، ومستعد للقيام بما هو صحيح.

«شكرًا يا (مافين)» أهمس، بالكاد مسموعة مع الموسيقى البشعة.

لا يضطر إلى السؤال عمَّ أعنيه بكلامي: «لستِ مضطرة إلى شكري أبدًا». نبرته عميقة يكاد صوته يتقطع بينما تظلم عيناه، «ليس من أجل أي شيء».

هذا أقرب ما أكون إليه، أنفي على بُعد بوصات من رقبته، وأشعر بقلبه أسفل يدي، ينبض بالتزامن مع قلبي، (مافين) ابن والدته، قال لي (جوليان) ذلك مرة، ولكنه أبعد ما يكون عن الحقيقة.

يتحرك بنا (مافين) إلى طرف أرضية الرقص المزدحمة بدوامات اللوردات والسيدات، لن يلاحظ أحدٌ انسحابنا.

«مشروبات منعشة؟» يهمس خادم يحمل صينية مليئة بكؤوس ذهبية لامعة، أبدأ في رفع يدي لصرفه قبل أن ألاحظ عينيه الخضراوين. أضطر إلى عض لساني لأمنع نفسي من الصياح باسمه، كيلورن، للغرابة، يناسبه الزي الأحمر، وتمكَّن لمرة من إزالة كل الوحل من على وجهه، يبدو أن الصياد الذي أعرفه رحل بالكامل.

«هذا الشيء يشعرني بالحكة» يزمجر بصوتٍ منخفضٍ، ربما ليس بالكامل.

«لن تبقى به طويلًا» يقول (مافين): «هل كل شيء في وضعه؟».

يومئ (كيلورن)، وتتحرك عيناه بين الحضور: «هم مستعدون بالأعلى».

فوقنا، يتجمع حراس (السينتنال) حول أطراف القاعة ويحاوطون الجدران، ولكن فوقهم عند النوافذ والفتحات والشرفات الصغيرة قرب السقف، هذه الخيالات ليست منهم على الإطلاق.

«يجب فقط أن تعطينا الإشارة» يحمل الصينية والكوب الذهبي البريء. يستقيم (مافين) بجانبي، وكتفه ملازق لكتفي للدعم: «(ماير)؟».

حان دوري: «أنا مستعدة» أهمس، وأتذكر الخطة التي أخبرني بها (مافين) في الخفاء منذ بضع ليالٍ. أرتجف وأدع طنين الكهرباء المألوف يتدفق داخلي، حتى أقدر على الشعور بكل إضاءة وكل كاميرا تشتعل في عقلي، أرفع الكأس وأشرب بعمقٍ.

يأخذ (كيلورن) الكأس بسرعة: «دقيقة واحدة» يقول وصوته حتمي.

يختفي في خفة ويتحرك عبر الحضور حتى لا أقدر على رؤيته، أركض، أدعو، وأتمنى أن يكون بالسرعة الكافية. يرحل (مافين) أيضًا ويتركني لأقوم بمهامه بجانب والدته. أتجه إلى منتصف الحضور حتى مع تهديد سيطرة الكهرباء عليَّ، ولكن لا يمكنني إطلاق سراحها بعد، ليس قبل أن يبدؤوا، ثلاثون ثانية.

يظهر الملك (تايبرياس) أمامي، يضحك مع ابنه المفضَّل، يبدو أنه يشرب ثالث كأس من النبيذ، وتحولت وجنتاه إلى الفضي، بينما يرتشف (كال) الماء بلباقة. وفي مكان ما إلى يساري، أسمع ضحكة (إيفانجلين) الحادة، ربما مع أخيها. حول هذه الغرفة، يتنفس أربعة أشخاص أنفاسهم الأخيرة. أترك قلبي ليقوم بعد هذه الثواني الأخيرة، وأتنفس مع اللحظات الفائتة. يراني (كال) وسط الحضور، ويبتسم هذه الابتسامة التي أحبها، ثم يبدأ في التحرك تجاهي، ولكنه لن يصل، ليس قبل أن ينتهي الأمر. يتباطأ العالم حتى يصير كل ما أدركه هو القوة الصادمة داخل هذه الجدران. مثل في التدريبات، ومع (جوليان)، أتعلم السيطرة عليها.

تنطلق أربع طلقات مع شرارات من أسلحة بالأعلى.

وتأتي الصرخات بعدها.

الفصل العشرون

أصرخ معهم، وترتجف الأضواء ثم تنطفئ، لحظة واحدة من الظلام، هذا كل ما يحتاجون إليه مني.

تكاد الصرخات، الصياح، وأصوات تدافع الجموع أن تكسر تركيزي، ولكني أجبر نفسي على التركيز. يترجف الضوء بطريقة بشعة ثم يموت، مما يجعل الحركة مستحيلة. «هم يهربون!» تنضم أصواتٌ أخرى إلى المناداة، ولا يوجد منهم صوتٌ مألوفٌ، ولكن في هذه الظروف يبدو الجميع مختلفين.

«جدوهم!».

«أوقفوهم!».

«اقتلوهم!».

يصوب (السينتنال) عند مدخل القاعة أسلحتهم ويتحوّل المزيد إلى ضباب، بالكاد خيالات بينما يركضون. (والش) معهم، أُذكِّر نفسي. إذا استطاعت (والش) والخدم إدخال (فارلي) و(كيلورن) خلسة من قبل، إذن يقدرون على إخراجهم، يمكنهم الاختباء، يمكنهم الهروب، سيكونون بخيرٍ.

سينقذهم ظلامي.

ينفجر وهجٌ من اللهيب من وسط الجموع، ويدور في الهواء مثل ثعبان مشتعل يتلوّى. يزأر فوقنا ويضيء ظلام القاعة. تنعكس الخيالات المرتجفة على الجدران والوجوه المقلوبة وتحول قاعة الرقص إلى كابوس من الضوء الأحمر ومسحوق البارود. تصرخ (سونيا) بالقرب، وتميل إلى جثة (رينالد)، تصارعها العجوز الرشيقة (آرا) لتبعدها عن الجثة والفوضى. تحدق عينا (رينالد) الزجاجية تجاه السقف وتعكس الضوء الأحمر، وما زلت أتماسك، كل عضلة داخلي مشدودة وصلبة.

بالقرب من النيران، أتعرف على حراس الملك يسرعون به خارج القاعة، يحاول مقاومتهم، يصيح ويصرخ ليبقى، لكنهم لا يتبعون أوامره لأول مرة. (إيلارا) خلفه، يدفعها (مافين) ليهربوا من الخطر، يتبعهم المزيد، في رغبة ملحة للتحرر من هذا المكان.

يركض ضباط الأمن عكس التيار، يملؤون القاعة بالصياح وخطوات أحذيتهم الثقيلة. يدفعني اللوردات والسيدات بينما يهربون، ولكني أقدر على الصمود مكاني، أتماسك على قدر استطاعتي. لا يحاول أحدٌ أن يخرجني؛ لا يلاحظني أحدٌ على الإطلاق، هم خائفون، مع كل قوتهم وكل قدراتهم، يعلمون معنى الخوف، وقليل من الطلقات كافية لإدخال الفزع داخلهم.

تدفعني امرأة باكية وتسقطني، أسقط ووجهي مقابل وجه جثة، أحدق بندبة الكولونيل (ماكنثوس)، تتدفق دماء فضية على وجهها من جبهتها وإلى الأرض. ثقب الرصاصة غريب، يحيط به لحم رمادي صخري. كانت ذات جلد متحجر (ستونسكن)، كانت حية لفترة ما لتحاول إيقافها، لحماية نفسها، ولكن لا يمكن إيقاف الرصاصة؛ وماتت.

أدفع نفسي بعيدًا عن السيدة المقتولة، ولكن تنزلق يدي إلى خليط الدماء الفضية والنبيذ، تخرج مني صرخة من اجتماع اليأس والحزن، تلتصق الدماء بيدي، كأنها تعلم ما فعلته، باردة ولزجة وفي كل مكان، تحاول إغراقي.

«(ماير)!».

تحملني أذرع قوية من الأرض وتبعدني عن جثة المرأة التي تركتها تموت. «(ماير)، أرجوكِ...» يتوسل الصوت، ولكن من أجل ماذا، لا أعرف.

وفي صرخة يأسٍ، أخسر المعركة، يعود الضوء، ويكشف عن منطقة حرب من الحرير والموت، عندما أحاول النهوض لإنهاء المهمة، تدفعني يدٌ إلى الأسفل.

أقول الكلمات التي يجب أن أقولها، وألعب دوري الخاص في كل هذا، «آسفة...الأضواء...لم أقدر...» فوقي، ترتجف الأضواء مجددًا.

بالكاد يستمع (كال) ويجلس أمامي على ركبتيه، «أين إصابتك؟» يصيح، ويفحصني كما تدرب، تتحسس أصابعه ذراعيَّ وساقيَّ، باحثة عن جروح، عن مصدر الدماء.

يبدو صوتي غريبًا، رقيقًا ومكسورًا: «أنا بخيرٍ» لا يسمعني مجددًا، «(كال)، أنا بخيرٍ».

تتدفق الراحة على ملامحه، وللحظة أظنه على وشك تقبيلي مرة أخرى، ولكن يعود إلى صوابه أسرع مني: «أنتِ متأكدة؟».

أرفع ذراعي الملطخ بالدماء بسلاسة: «كيف تكون هذه دمائي؟».

دمائي ليست بهذا اللون: تعلم ذلك.

يومئ: «طبعًا» يهمس: «أنا فقط...رأيتك على الأرض وفكرت...» يتوقف حديثه ويبدِّله حزنًا في عينيه، ولكنه يختفي سريعًا، ويتحوَّل إلى إصرارٍ. «(لوكاس)! أبعدها عن هنا» يصيح ويرفعني لأنهض، يندفع حارسي الشخصي خلال الحشد، وسلاحه مستعد. رغم أنه يبدو كذاته في زيه وحذائه، إلا أنه ليس (لوكاس) الذي أعرفه. عيناه السوداوان، أعين منزل (ساموس)، مظلمة كالليل: «سآخذها إلى الآخرين» يزمجر ويحملني.

رغم أنني أعلم أكثر من أي شخص أن الخطر قد زال، لا أقدر على منع نفسي من الوصول إلى (كال): «ماذا عنك؟».

يبعد قبضتي عنه في سهولة صادمة: «لن أهرب» ثم يلتفت وكتفاه موازية لمجموعة من (السينتنال). يمرُّ فوق الجثث، ويميل برأسه تجاه السقف، يرمي له أحد (السينتنال) سلاحًا ناريًّا ويمسك به بمهارة، ويضع إصبعه على الزناد، ويده الأخرى تشتعل بنيران قاتمة ومميتة. يجعله خياله المعكوس على (السينتنال) والجثث على الأرض يبدو كشخص آخر كليًّا.

«فلنذهب إلى الصيد» يزمجر، وينطلق نحو السلالم، يتبعه ضباط الأمن وحراس (السينتنال) كموجة من الدخان الأحمر والأسود تتبع النيران. يتركون قاعة رقص ملطخة بالدماء، وضبابية بالغبار والصرخات، وفي منتصفها جثة (بيليكوس ليرولان)، لم تكن رصاصة التي قتلته، بل سهم فضي، أُطلق عليه من قاذف سهام، مثل الذي نستخدمه لصيد السمك.

يسقط وشاح قرمزي مهترئ من الرمح، بالكاد يتحرك مع الرياح، وعليه رمز مطبوع: الشمس الممزقة.

ثم تختفي قاعة الرقص، ابتلعتها جدران ممرات الخدم المظلمة. تهتز الأرض من أسفل أقدامنا ويدفعني (لوكاس) ناحية الجدار، ويحميني. يدوي صوتٌ مثل الرعد ويرتجف السقف، وتسقط قطع من الأحجار علينا، ينفجر الباب خلفنا وتدمره النيران، وراءه، قاعة الرقص كلها سواد ورماد، انفجار.

«(كال)...» أحاول الإفلات من (لوكاس) لأركض عائدة إلى الطريق الذي جئنا منه، ولكنه يدفعني إلى الخلف، «(لوكاس) يجب أن نساعده!».

«ثقي بي، لن تزعج قنبلة ما الأمير» يزمجر ويدفعني إلى الأمام.

«قنبلة؟» لم يكن هذا جزءًا من الخطة، «أكانت هذه قنبلة؟».

يبتعد عني (لوكاس) يرتجف غضبًا، «رأيتِ الوشاح الأحمر الملعون، هذا فعل الحرس القرمزي و...» يشير ناحية قاعة الرقص التي ما زالت مظلمة ومشتعلة، «هذه ماهيتهم».

«هذا ليس منطقيًّا» أهمس لنفسي، وأحاول تذكر كل جانب من الخطة. لم يقل لي (مافين) أي شيء عن قنبلة قطُّ، ولن يدعني (كيلورن) أفعل هذا إذا علم أن ذلك سيعرض حياتي للخطر، لن يفعلوا ذلك بي.

يضع (لوكاس) سلاحه في حافظته، وصوته زمجرة: «لا يجب على القتلة أن يكونوا منطقيين».

يختنق نفسي في حلقي، كم من الناس ظلوا بالخلف؟ كم طفلًا، كم موتًا غير مبرر؟ يفهم (لوكاس) صمتي أنه صدمة، ولكنه مخطئ، ما أشعر به الآن هو الغضب.

أي شخص يمكنه خيانة أي شخص.

يقودني (لوكاس) تحت الأرض، عبر ما لا يقل عن ثلاثة أبواب، وكلٌّ منهم سمكه قدمٌ ومصنوع من الصلب، لا يوجد عليهم أقفال، ولكنه يفتحهم بحركة من يده. يذكِّرني بأول مرة قابلته فيها، عندما قام بثني قضبان زنزانتي لفتحها. أسمع الآخرون قبل أن أراهم، تصدر أصواتهم أصداء عبر

الجدران المعدنية بينما يتحدث بعضهم إلى بعض. يصيح الملك، وترسل كلماته رجفة خلالي، يملأ وجوده المخبأ بينما يتحرك ذهابًا وإيابًا، وترفرف عباءته خلفه.

«أريد إيجادهم، أريدهم أمامي والخناجر في ظهورهم، أريدهم أن يغنوا مثل الطيور الجبانة التي هم مثلها!» يوجه كلامه إلى أحد حراس (السينتنال) ولكن المرأة الملثمة لم تجفل حتى: «أريد أن أعرف ماذا يحدث!».

تجلس (إيلارا) على كرسي، ويدها فوق قلبها.

يبدأ (مافين) في القول عندما يراني: «هل أنتِ بخيرٍ؟» يهمس ويجذبني ليضمني سريعًا.

«مصدومة فقط» أتمكَّن من القول، وأحاول أن أتواصل على قدر استطاعتي، ولكن (إيلارا) قريبة، وبالكاد أسمح لنفسي بالتفكير، ما بالك الحديث: «كان هناك انفجار بعد إطلاق النيران، قنبلة».

يضيق (مافين) حاجبيه في حيرة، ولكنه يخفيها سريعًا بالغضب: «الحِقار»

«متوحشون» يقول الملك (تايبرياس) في غيظٍ: «وماذا عن ابني؟».

ينتقل نظري تجاه (مافين)، قبل أن أدرك أن الملك لا يقصد (مافين) بسؤاله على الإطلاق، يأخذ (مافين) الموقف بصدرٍ رحبٍ، فقد اعتاد التغاضي عنه.

«ذهب (كال) خلف مطلقي النار، وأخذ فرقة من (السينتنال) معه» يخيفني تذكره بهذا الشكل، مظلم وغاضب مثل اللهيب، «ثم انفجرت قاعة الرقص، لا أعلم كم من الناس كانوا هناك».

«هل هناك أي شيء آخر يا عزيزتي؟» تقولها (إيلارا)، لفظ التحبب يشعرني بصدمة كهربائية، تبدو شاحبة أكثر من أي وقتٍ، وأنفاسها سطحية قصيرة، هي خائفة، «أي شيء تتذكرينه؟».

«كان هناك لافتة متصلة بسهمٍ، الحرس القرمزي فعل هذا».

«فعلًا؟» تقول وترفع حاجبها، أقاوم الرغبة في التراجع والهرب منها ومن همساتها، وفي أي لحظة أتوقع أن أشعر بها تتسلل إلى عقلي، لتسحب الحقيقة، ولكن عوضًا عن ذلك، تبعد (إيلارا) نظرها عني وتنظر تجاه الملك: «أرأيت ماذا فعلوا؟» تلتوي شفاها تحت أسنانها، في الضوء تبدو كأنياب لامعة.

«أنا؟ أنت من قلتِ عليهم أنهم ضعفاء وصغار، كذبتِ على الناس» يصيح (تايبرياس) ردًّا عليها: «أفعالك أضعفتنا أمام الخطر، ليس أنا».

«وإذا كنت توليت أمرهم عندما سنحت لك الفرصة، عندما كانوا ضعفاء وصغارًا، لم يكن ليحدث أي من هذا!».

يهاجمان بعضهما ككلاب متوحشة، كلا منهما يحاول أن يقضم الجزء الأكبر.

«(إيلارا) لم يكونوا إرهابين وقتها، لم أقدر على إهدار جنودي وضباطي في مطاردة بعض (الحمر) حاملي الشعارات، لم يسبِّبوا أي ضرر».

ببطء تشير (إيلارا) إلى السقف: «هل يبدو ذلك لك كـ(لا ضرر) ليس لديه إجابة، تبتسم في سعادة لفوزها المجادلة. «في يومٍ ما، أنتم الرجال ستتعلمون أن تهتموا وكل العالم سيرتجف، هم مرض، تركته يفرض سيطرته، وحان الوقت لقتل المرض حيث يبدأ».

تنهض من على كرسيها، وتستجمع شتاتها: «هم شياطين حُمر، ولا بد أن يكون لهم أعوان داخل جدراننا» أقوم بكل ما في وسعي لأبقى صامدة، وعيني موجهة إلى الأرض. «أظنني سأجري حديثًا مع الخدم، حضرة الضابط (ساموس)، من فضلك؟».

يقفز في انتباه، ويفتح لها باب المخبأ، تخرج وخلفها اثنان من (السينتنال)، مثل عاصفة من الغضب، يذهب معها (لوكاس) ويفتح بابًا بعد بابٍ، ويصدر كلٌّ منهم ضجيجًا أبعد من الآخر. لا أعلم ماذا ستفعل الملكة بالخدم، ولكني أعلم أنها ستؤلمهم، وأعلم أنها لن تجد شيئًا. هربت (والش) و(هولاند) مع (فارلي)، تبعًا للخطة، أدركا أن بقاءهما بعد الحفلة سيكون خطرًا وكانا محقين. يُغلق الباب المعدني السميك لعدة لحظات

قبل أن يفتحه مجددًا (ماجنترون) آخر: (إيفانجلين). تبدو كالجحيم مرتديًا ثوب حفلات، جواهرها متشابكة وتكشر عن أنيابها، والأسوأ هي عيناها، متوحشة ومبتلة ويتدفق منها طلاء الوجه الأسود. (بتوليموس)، هي تبكي من أجل أخيها المقتول، حتى عندما أقنع نفسي بأنني لا أهتم، أقاوم الرغبة في الاقتراب منها وتهدئتها، ولكنها تختفي بمجرد دخول مرافقيها الملجأ خلفها.

هناك دخان وسخام على جلده، يوسخان زيه الذي كان نظيفًا، في العادة تقلقني نظرة الكراهية الخشنة في عيني (كال)، لكن شيئًا آخر يضرب بالخوف حتى عظامي، بقع دماء على زيه الأسود وتسيل على يديه، ليست فضية، حمراء، الدماء حمراء.

«(ماير)» يقول، وكل دفئه قد اختفى: «تعاليْ معي».

كلماته موجهة إليّ، ولكن يتبعه الجميع، يتدافعون عبر الممرات بينما يقودني إلى الزنازين. يطرق قلبي داخل صدري، يهدد بالانفجار خارجًا مني، ليس (كيلورن)، أي شخص عداه. يبقي (مافين) يده على كتفي، يبقيني قريبة، في البداية اعتقدته يطمئنني، ولكنه يجذبني إلى الخلف: يحاول أن يمنعني من الركض إلى الأمام.

«كان يجب أن تقتله حيثما يقف» قالت (إيفانجلين) لـ(كال)، تمسح بإصبعها الدماء على قميصه: «لم أكن لأترك الشيطان الأحمر حيًّا».

هو، تعض أسناني على شفتيّ، وتغلق فمي كي لا أتفوّه بشيء أحمق، تضيق قبضة (مافين) كالمخالب على كتفي وأشعر بنبضات قلبه تتسارع. إلى حد علمنا، ربما تكون هذه نهاية لعبتنا، ستعود (إيلارا) وتحطم أدمغتهم، وتبحث خلال الحطام لتكتشف كم هي عميقة مؤامرتنا.

الدرجات المتجهة إلى الزنازين هي ذاتها، ولكنها تبدو أطول، ممتدة إلى أعمق أجزاء القصر. تعلو الزنزانة أمامنا لتحيينا، ولا أقل من ستة من (السينتنال) يقفون للحراسة. تجري رجفة باردة عبر عظامي، ولكني لا أهتز، فبالكاد أقدر على الحركة. يقف أربعة أشخاص في الزنزانة، كلٌّ منهم مدمى ومكدوم. رغم الإضاءة الخافتة، أعرفهم جميعًا. عينا (والش)

مغلقتان من التورم، ولكنها تبدو بخيرٍ، ليس مثل (تريستان) الذي يستند إلى الجدار ليزيل الضغط عن ساقه الغارقة في الدماء. هناك ضمادة وضعت على عجلة حول جرحه، يبدو أنها مقطوعة من قميص (كيلورن). وبالنسبة إليه، يبدو (كيلورن) سليمًا، مما أراحني بشكلٍ كبيرٍ، يسند (فارلي) بذراعه ويتركها تستند إليه، كتفها مخلوعة، ذراعها معلقة بزاوية غريبة، ولكن لا يمنعها هذا من النظر تجاهنا في سخرية، وتبصق عبر القضبان أيضًا، مزيج من الدماء واللعاب يسقط على قدم (إيفانجلين).

«اقطع لسانها لهذا» تزمجر (إيفانجلين) وتسرع إلى القضبان، تتوقف فجأة، إحدى يديها تضرب المعدن. رغم قدرتها على تحطيمه بسهولة، وتمزق الزنزانة بمن بها، تسيطر على أعصابها.

تستمر (فارلي) بالتحديق إليها، بالكاد ترمش أمام انفجارها، إذا كانت هذه نهايتها، فبالتأكيد سترحل مرفوعة الرأس: «هذا عنف أكبر مما يليق بالأميرة».

وقبل أن تفقد (إيفانجلين) أعصابها، يجذبها (كال) بعيدًا عن القضبان، وببطء يرفع يده مشيرًا: «أنتَ».

أجفل في فزعٍ عندما أدرك أنه يقصد (كيلورن)، تنتفض عضلة في وجنته، لكنه يبقي نظره على الأرض.

يتذكره (كال) من الليلة التي أخذني إلى البيت.

«(ماير)، اشرحي ذلك».

أفتح فمي، وأتمنى أن تسقط منه كذبة رائعة، ولكن لا يحدث شيء.

تصير نظرة (كال) أكثر ظلامًا: «هو صديقك، اشرحي ذلك».

تشهق (إيفانجلين) وتحوّل غضبها تجاهي: «جلبتِه إلى هنا!» تصرخ وتندفع تجاهي: «أنتِ فعلتِ هذا؟».

«لم أفعل شيئًا» أتلعثم، وأشعر بكل الأعين موجهة ناحيتي، «أقصد، أعطيته وظيفة هنا، كان يعمل بساحة تقطيع الخشب وهذا عمل شاق، مميت...» تخرج الكذبة مني أسرع من سابقتها. «هو...كان صديقي في القرية، أردت أن يكون بخيرٍ فأعطيته وظيفة خادم، مثل...» تتحرك عيناي

تجاه (كال)، ونتذكر كلانا ما حدث في الليلة التي تقابلنا فيها لأول مرة، وما حدث في اليوم التالي، «ظننت أنني أساعده».

يأخذ (مافين) خطوة تجاه الزنزانة، ويحدق إلى أصدقائنا كأنه يراهم لأول مرة، ويشير إلى زيهم الأحمر: «يبدو أنهم مجرد خدمٍ».

«كنت سأقول نفس الشيء لولا أننا وجدناهم يحاولون الهرب عبر مواسير الصرف» يغضب (كال): «استغرقنا بعض الوقت لإخراجهم».

«هل هؤلاء جميعهم؟» يقول الملك (تايبرياس) محدقًا عبر قضبان الزنزانة.

يهز (كال) رأسه: «كان هناك المزيد بالمقدمة، ولكنهم وصلوا إلى النهر، كم كانوا، لا أعلم».

«إذن فلنكتشف ذلك» قالت (إيفانجلين) ورفعت حاجبيها: «استدع الملكة، وخلال هذا الوقت...» تواجه الملك، ويبتسم قليلًا أسفل لحيته ثم يومئ.

لا أضطر إلى التفكير لأعلم ما يقصدون، التعذيب.

يقف المساجين الأربعة في كبرياء، لا يجفلون. يتحرك فك (مافين) بقوة محاولًا التفكير في طريقة للحلول دون ذلك، ولكن لا يوجد واحدة، ورغم ذلك، ربما هذا يكون أفضل ما يمكن أن نتمناه، إذا تمكنوا من الكذب، ولكن كيف يمكننا طلب ذلك منهم؟ كيف يمكننا مشاهدتهم يصرخون بينما نقف بلا حراك؟

يبدو أن لدى (كيلورن) إجابة لي، حتى في هذا المكان الرهيب، تلمع عيناه الخضراوان، سأكذب من أجلك.

« (كال) أترك الشرف لك» يقول الملك ويضع يده على كتف ابنه، يمكنني فقط التحديق، والتوسل بأعين متسعة، والدعاء ألا ينفذ (كال) ما طلبه منه والده.

ينظر تجاهي مرة واحدة، كأن ذلك اعتذار، ثم يلتفت إلى (سينتنال)، أقصر من الآخرين، عيناها تلمع لونًا أبيض فضيًا خلف قناعها.

«(سينتنال جلياكون) أجد نفسي في حاجة إلى بعض الثلج».

ما يعنيه بذلك، لا أعلم، ولكن تضحك (إيفانجلين): «اختيار جيد».

«لا يجب أن تري هذا» يتمتم (مافين)، ويحاول جذبي بعيدًا، ولكني لا أقدر على ترك (كيلورن)، ليس الآن، أدفعه عني في غضبٍ، وعيناي معلقتان على صديقي.

«دعها تبقى» تصيح (إيفانجلين) وتستمتع بانزعاجي: «هذا سيعلّمها ألّا تعامل الحُمر كأصدقاء» تلتفت عائدة إلى الزنزانة، وتفتح القضبان بتلويح من يدها، وبأصبعٍ وحيدٍ تشير: «ابدأ بها، تحتاج إلى أن تنكسر».

تومئ (السينتنال)، وتقبض على (فارلي) من معصمها، وتجذبها خارج الزنزانة. تعود القضبان لوضعها الأصلي خلفها، لتحجز الباقي بالداخل، يندفع (كيلورن) و(والش) إلى القضبان، كلاهما صورة للفزع.

تجبر (السينتنال) (فارلي) على السقوط على ركبتيها في انتظار الأمر التالي: «سيدي؟».

يقف (كال) فوقها، ويتنفس بقوة، يتردد قبل الكلام، وصوته شديد: «كم عددكم؟».

تغلق (فارلي) فكيها، وأسنانها تغلق على بعضها، ستموت قبل أن تتكلم.

«ابدأ بالذراع».

لم تكن (السينتنال) هينة، وتنزع ذراع (فارلي) المصاب للخارج، تصرخ (فارلي) في ألم ولا تقول شيئًا، أستخدم كل قوتي لأمنع نفسي من الهجوم على (السينتنال).

«وتدعوننا بالمتوحشين» يقول (كيلورن) ورأسه مقابل القضبان.

ببطء تزيح (السينتنال) كم (فارلي) الدامي وتضع يدًا شاحبة قاسية على جلدها، تصرخ (فارلي) عند لمستها، ولكن لا أعرف لماذا.

«أين الآخرون؟» يستجوبها (كال) وينحني لينظر إلى عينيها، للحظة تصمت، وتسحب نفسًا شاقًا، يميل ناحيتها في صبرٍ، منتظرًا استسلامها.

ولكن بدلًا من ذلك، تندفع (فارلي) إلى الأمام وتضربه برأسها بكل قوتها، «نحن في كل مكان» تضحك ثم تصرخ مجددًا عندما تعود (السينتنال) لتعذيبها. يستعيد (كال) نفسه في لباقة ويضع يده على أنفه المكسور الآن.

شخص آخر كان ليضربها في المقابل، لكنه لا يفعل ذلك، تظهر نقاط صغيرة على ذراع (فارلي) حول يد (السينتنال)، تكبر مع كل لحظة تمرُّ، نقاط حادة ولامعة تخرج من جلدها المائل إلى الزرقة الآن.

(سينتنال جلياكون)، منزل (جلياكون)، يعود عقلي لدروس البروتوكول، لدروس المنازل، راجفون (شيفرز)، أجفل عندما أدرك ما يحدث وأنظر بعيدًا.

«هذه دماء» أهمس غير قادرة على النظر مجددًا: «تجمِّد دماءها».

يومئ (مافين) فقط وعيناه خطرة ومليئة بالأسى.

خلفنا تتابع (السينتنال) عملها، تتحرك عبر ذراع (فارلي)، تخرج رقاقات ثلجية حمراء حادة كالشفرة مخترقة جلدها، تقطع كل عصب في ألم لا أقدر على تخيله، تصدر أنفاسها صريرًا عبر أسنانها المغلقة على بعضها، وما زالت لا تقول شيئًا، يتسارع قلبي مع دقات الثواني وأتساءل متى تعود الملكة، ومتى ستنتهي لعبتنا حقًّا.

وأخيرًا، يقفز (كال) على قدميه: «كفى».

(سينتنال) آخر، معالج من منزل (سكونوس) يهبط بجانب (فارلي). تنهار على الأرض وتحدق في نظرة فارغة تجاه ذراعها، مهترئة بشفرات من الدماء المجمدة، يشفيها سريعًا، تتحرك يداه في خبرة ممارسة.

تضحك (فارلي) بينما يعود الدفء إلى ذراعها: «كل هذا لتفعلها مجددًا، أليس كذلك؟».

يثني (كال) ذراعيه خلف ظهره، ويتبادل مع والده النظرات، الذي يومئ، «بالتأكيد» يقول (كال) وينظر تجاه الراجف (الشيفر)، ولكن لا تسنح له الفرصة للاستكمال.

«أين هي؟» يصرخ صوتٌ رهيبٌ، ويدوي عبر الدرجات إلينا بالأسفل.

تلتفت (إيفانجلين) تجاه الصوت وتركض تجاه الدرجات: «أنا هنا» تصرخ مجيبة.

أضطر إلى حفر يديَّ بأظفاري حتى أمنع نفسي من الانفعال، عندما يهبط (بتوليموس ساموس) الدرجات ليحتضن شقيقته، هناك يقف حيًّا

ويتنفس وغاضبًا بشدة، وعلى الأرض، تلعن (فارلي) نفسها.

يبقى وقتًا قليلًا ثم يبتعد عن (إيفانجلين)، وبعينيه غضبٌ مخيفٌ، درعه المعدني مشوَّه عند كتفه، سحقته الرصاصة، ولكن جلده أسفل الدرع سليم، شُفي. يطوف تجاه القضبان، يثني قبضتيه، ترتجف القضبان الحديدية في مكانها، وتصدر صريرًا لاحتكاكها بالأسمنت.

«(بتوليموس)، ليس بعد...» يصيح (كال)، ويمسك به، ولكن (بتوليموس) يدفع بالأمير بعيدًا. رغم حجم وقوة (كال)، يتعثَّر إلى الخلف. تركض (إيفانجلين) إلى أخيها وتسحب يده: «لا، نحتاج إليهم إلى أن يتكلموا!» يبعد قبضتها بحركة واحدة بذراعه، حتى هي لا تقدر على إيقافه.

تنكسر القضبان وتأن تحت قوته بينما يفتح الزنزانة، ولا حتى (السينتنال) يمكنهم إيقاف تقدمه إلى الأمام، يتحرك بسرعة وبدقة. يتعثر (كيلورن) و(والش) ويقفزان إلى الخلف مقابل الجدران الحجرية، ولكن (بتوليموس) حيوان مفترس، والمفترسون يهاجمون الضعفاء، وبقدمه المصابة بالكاد يتحرك، لا يملك (تريستان) فرصة أمامه.

«لن تهدد أختي مجددًا» يصرخ (بتوليموس)، ويوجه القضبان المعدنية للزنزانة، تخترق أحد القضبان صدر (تريستان)، يشهق ويختنق بدمائه، يموت، ويبتسم (بتوليموس). عندما يلتفت تجاه (كيلورن) والقتل في عينيه، أفقد أعصابي، يشتعل الشرار في جلدي، وعندما تقبض يدي على عنق (بتوليموس) مفتولة العضلات، أتركها تنطلق. يصدمه الشرار الكهربائي ويتراقص الرعد في عروقه، يهتز تحت لمستي. ومعدن زيه يرتجف ويدخن، تقريبًا يطهيه حيًّا، ثم يسقط على الأرض الأسمنتية، وجسده لا يزال يرتجف من الكهرباء.

«(بتوليموس)!» تركض (إيفانجلين) إلى جانبه، وتلمس وجهه، يصدمها الشرار في أصابعها ويدفعها إلى الخلف في تجهم، تلتفت تجاهي في عاصفة من الغضب.

«سيكون بخيرٍ» لم أضربه بما يكفي للتسبب في ضرر حقيقي، «كما قلتِ، نحتاج إليهم حتى يتكلموا، لن يقدروا على ذلك إذا كانوا موتى».

يحدق إليَّ الآخرون في خليط من المشاعر، أعينهم متسعة وخائفون، (كال) -الفتى الذي قبَّلته، الجندي، القاسي، لا يقدر على النظر إليَّ على الإطلاق- أتعرف على الشعور على وجهه: الخزي، ولكن هل بسبب إيذائه لـ(فارلي) أم بسبب عدم استطاعته إجبارها على الكلام، لا أعرف. على الأقل (مافين) لديه الحس الصائب ليبدو حزينًا، وتعلق نظره بجسد (تريستان) المستمر في النزيف.

«يمكن لأمي التعامل مع المساجين لاحقًا» يقول موجهًا كلامه إلى الملك، «لكن الناس في الأعلى سيريدون رؤية ملكهم ومعرفة أنه بأمان، لقد مات الكثير، يجب أن تعزيهم يا أبي، وأنت أيضًا يا (كال)».

هو يتلاعب بهم، يحاول (مافين) العبقري أن يعطينا فرصة، وحتى مع رجفة جلدي أمد يدي لألمس كتف (كال)، قبَّلني مرة، وربما سيستمع إليَّ عندما أتحدث: «هو محق يا (كال)، يمكن لهذا الانتظار».

تكشف (إيفانجلين) أسنانها وهي ما زالت على الأرض، «سيريد البلاط إجابات ليس أحضانًا! يجب أن نقوم بذلك الآن! جلالتك، انزع الحقيقة منهم...».

ولكن حتى (تايبرياس) يرى الحكمة في كلام (مافين)، «سيبقون» يردد الملك، «وغدًا سنعرف الحقيقة».

تشتد قبضتي على ذراع (كال) وأشعر بالعضلات المشدودة تحت يدي، يهدأ مع لمستي كأن ثقلًا عظيمًا سقط من عليه. ينتبه حراس (السينتنال) ويجرجرون (فارلي) إلى زنزانتها المحطمة، تبقي نظرها ناحيتي، تتساءل عما أخطط له، أتمنى لو كنت أعرف. تسحب (إيفانجلين) (بتوليموس) إلى الخارج وتدع القضبان تغلق على بعضها من خلفها، «أنت ضعيف يا أميري» تهمس في أذن (كال)، أقاوم الرغبة في النظر تجاه (كيلورن) بينما تتردد كلماته في رأسي، توقفي عن محاولة مساعدتي.

لن أفعل.

تتساقط قطرات الدماء من كمي، تاركة أثرًا فضيًّا في طريقي إلى غرفة العرش، يحرس ضباط الأمن وحراس (السينتنال) الغرفة العظيمة،

أسلحتهم مرفوعة وموجهة تجاه الممرات، لا يتحركون بينما نمرُّ، مجمدون في أماكنهم، أوامرهم هي القتل عند الحاجة. خلفهم تتردد أصوات الغضب والحزن في الغرفة، أريد أن أشعر بذرة من النصر، ولكن ذكرى (كيلورن) خلف القضبان تثبط أي سعادة يمكن الشعور بها، حتى عينا الكولونيل الزجاجية تطاردني.

أتحرك إلى جانب (كال) وبالكاد يلاحظني، عيناه تحرق الأرض: «كم عدد الموتى؟».

«عشرة حتى الآن» يتمتم، «ثلاثة في أثناء إطلاق النيران، وثمانية في الانفجار، خمسة عشر مصابًا» يبدو كأنه يملي قائمة مشترياتٍ لا أشخاصٍ، «ولكنهم سيُشفون».

يحرك إبهامه ويشير إلى المعالِجين الراكضين بين المصابين، أعد طفلين بينهم. وخلف المصابين توجد جثث الموتى، مستلقية أمام عرش الملك. توأما (بيليكوس ليرولان) مستلقيان بجانب والدهما بينما تقف أمهما الباكية في رثاء أمام الجثث. اضطررت إلى وضع يدي على فمي لمنعي من الشهيق، لم أرد ذلك قطُّ. تمسك يد (مافين) الدافئة بيدي، لتبعدني عن المشهد المروع ويسحبني إلى مكاننا بجانب العرش، يقف (كال) بالقرب يحاول مسح الدماء الحمراء من على يديه بلا فائدة.

«انتهى وقت الدموع» يصيح (تايبرياس) وقبضتاه مشدودة إلى جانبيه، في وحدة تامة يتوقف البكاء والنحيب في الغرفة. «الآن نُكرِّم الموتى، ونعالج المصابين، وننتقم لمن سقطوا، أنا الملك، لا أنسى، ولا أسامح. كنت ليِّنًا في الماضي، وسمحت لإخوتنا الحُمر بحياة جيدة مليئة بالرخاء والكرامة، ولكنهم يبصقون علينا، ويرفضون رحمتنا، وقد جلبوا لأنفسهم أسوأ أنواع الهلاك».

في زمجرة يرمي بالرمح الفضي والخرقة الحمراء، يرتطم بالأرض ويصدر صوتًا كجرس الجنازة، تحدق إلينا الشمس الممزقة.

«هؤلاء الحمقى، هؤلاء الإرهابيون، هؤلاء القتلة، سيمثلون للعدالة، وسيموتون. أقسم بتاجي، بعرشي، بأولادي، سيموتون جميعهم».

يعبر صوتٌ هادرٌ خلال الحشد بينما يتحرك كل فضي، يقفون في وحدة، سواء مصابون أم لا؛ رائحة الدماء المعدنية طاغية.

«القوة» يصرخ البلاط: «القدرة! الموت!».

ينظر (مافين) تجاهي بأعين متسعة، خائفًا وأعلم ما يفكر به لأنني أفكر به أيضًا.

ماذا فعلنا؟

الفصل الواحد والعشرون

في غرفتي، أخلع الفستان الممزق وأترك الحرير يسقط على الأرض. تتردد كلمات الملك في رأسي، يتخللها لقطات من الليلة المروعة، تبرز عينا (كيلورن) خلال كل شيء، نيران خضراء تحرقني، يجب أن أحميه، ولكن كيف؟ فقط إذا استطعت تبديل نفسي به، حريتي مقابل حريته، يا ليت كانت الأمور بنفس البساطة الآن. لم أشعر بدروس (جوليان) بتلك الحدة في عقلي من قبل: الماضي أكبر بكثيرٍ من هذا المستقبل.

(جوليان)، (جوليان).

تكتظ ممرات الطابق السكني بحراس (السينتنال) والأمن، واحد عند كل طرفٍ، لكني أتقنت فن التسلل من دون أن يلاحظني أحد، وباب (جوليان) ليس ببعيدٍ. رغم الوقت، هو مستيقظ، يبحث بالكتب، كل شيء يبدو كما هو، كأن شيئًا لم يكن، ربما لا يعلم، ولكن وقتها ألاحظ زجاجة الخمر البنية على الطاولة، تحتل مكانًا محفوظًا عادة للشاي؛ بالطبع يعلم.

«في ضوء الأحداث الأخيرة، أريد أن أطلعك أن الدروس قد ألغيت في الوقت الحالي» يقول من فوق صفحات كتابه، ولكنه يغلقه على أي حال، ويوجه انتباهه الكامل إليَّ.

«أحتاج إليك يا (جوليان)».

«هل هذا له أي علاقة بحادثة إطلاق النيران الشمسية؟ نعم، لقد فكروا باسم ذكي بالفعل» يشير إلى شاشة العرض الفيديو المظلمة في الزاوية، «كان في الأخبار لعدة ساعات الآن، سيخاطب الملك الدولة في الصباح».

أتذكر المذيعة الشقراء وهي تذيع تفجيرات العاصمة منذ شهر مضى، كان هناك بعض الإصابات حينها، ومع ذلك اندلع الشغب في السوق، ماذا سيفعلون الآن؟ كم من الحُمر سيدفعون الثمن؟

«أم هذا يتعلق بالأربعة الإرهابين المقيدين في الزنازين بالأسفل؟» يضغط (جوليان) ويقيس ردة فعلي، «اعذريني، أقصد ثلاثة، يترقى (بتوليموس ساموس) إلى مستوى سمعته بالفعل».

«ليسوا بإرهابيين» أجيبه في هدوء، وأحاول السيطرة على أعصابي.

«هل أريكِ تعريف الإرهاب يا (ماير)؟» تؤلمني نبرته، «ربما يكون هدفهم عادلًا، ولكن طرقهم...بجانب أن ما تقولينه لا يهم» يشير إلى الشاشة مرة أخرى، «لديهم نسختهم الخاصة من الحقيقة، وهذا كل ما سيسمعه الناس».

تضغط أسناني بعضها بعضًا في ألم، عظام على عظام، «هل ستساعدني أم لا؟».

«أنا معلم ومنبوذ إلى حدٍّ ما، إذا لم تلاحظي، ما يمكنني أن أفعل؟».

«(جوليان)، أرجوك» أشعر بفرصتي تنسل بين أصابعي، «أنت (سينجر) يمكنك أن تقول للحراس...وتجعلهم يفعلون كل ما تريد، يمكنك إطلاق سراحهم».

لكنه يظل ساكنًا، يشرب بسلامٍ مشروبه، لا يكشر مثلما يفعل الرجال؛ فعضة الكحول مألوفة له.

«سيستجوبونهم غدًا، ولا يهم كم هم أقوياء، وكم من الوقت سيصمدون، سيكتشفون الحقيقة» ببطء آخذ يد (جوليان)، أمسك أصابع صارت خشنة من الأوراق: «هذه خطتي، أنا واحدة منهم» لا يحتاج إلى أن يعرف بأمر (مافين) فذلك سيجعله أكثر غضبًا.

تقوم نصف الكذبة بعملٍ جيدٍ، أرى تأثيرها في عين (جوليان).

«أنتِ؟» فعلتِ ذلك؟» يتلعثم، «إطلاق النيران، التفجير...».

يضيق عينيه، وأرى التروس تدور في عقله، ثم يغضب بالكامل: «قلت لكِ، قلت ألا تتورطي فيما أكبر منكِ!» يضرب الطاولة بقبضته، ويبدو غاضبًا أكثر مما رأيته من قبل، «والآن» يطلق نفسًا، ويحدق إليّ في حزن يجعل قلبي يؤلمني، «يجب أن أراكِ تغرقين».

«إذا هربوا...».

يتجرع باقي مشروبه مرة واحدة، ثم بحركة من معصمه يرمي الكوب على الأرض، يجعلني أجفل، «وماذا عني؟ إذا أبعدت الكاميرات وذاكرة الحراس وكل شيء يمكنه أن يورطنا، ستعلم الملكة» يهز رأسه ويهمس: «ستأخذ عيني لأجل ذلك».

ولن يقدر (جوليان) على القراءة بعد الآن، كيف يمكنني أن أطلب ذلك منه؟

«اتركني أموت إذن» تلتصق الكلمات بحلقي: «أستحق هذا مثلهم».

لا يمكنه تركي أموت، لن يفعل، أنا فتاة البرق الصغيرة، وسأغير هذا العالم.

عندما يتحدث مجددًا، يبدو أجوف.

«قالوا على موت أختي انتحارًا» ببطء يمرر يده على معصمه، ويسكن في ذكرى قديمة، «كانت كذبة، وعلمت ذلك. كانت حزينة، ولكنها لم تكن لتفعل شيئًا كهذا، ليس ومعها (كال) و(تيبي). قُتلت، ولم أقل كلمة، كنت خائفًا، وتركتها تموت في عار. ومنذ هذا اليوم، كنت أعمل لتصحيح ذلك، أنتظر في ظلال هذا العالم الوحشي، أنتظر الوقت الذي سأنتقم لها فيه»، يرفع عينيه تجاهي، تلمع بالدموع، «أظن أن هذه ستكون نقطة بداية جيدة».

لا يأخذ (جوليان) وقتًا طويلًا في ابتكار خطة، كل ما نحتاج إليه هو (ماجنترون) وبعض الكاميرات العمياء، ولحسن الحظ يمكنني توفير الأمرين. يطرق (لوكاس) بابي بعد دقيقتين من استدعائي له.

«كيف يمكنني مساعدتك يا (ماير)؟» يقول، متوترًا أكثر من الطبيعي، وأدرك أن الوقت الذي قضاه مع الملكة في أثناء استجواب الخدم لم يكن هينًا، على الأقل سيكون مشتتًا ليلاحظ ارتجافي.

«أنا جائعة» جاءت الكلمات التي تدربت عليها بسهولة غير متوقعة، «تعلم، لم تتم حفلة العشاء، لذا كنت أتساءل...».

«هل أبدو كطباخ؟ يجب أن تتحدثي إلى المطبخ، هذا عملهم».

«أنا فقط، لا أظن أنه وقتٌ مناسبٌ للخدم أن يتجولوا في المكان، الناس هنا على الحافة، ولا أريد أن يتأذى أحدٌ لأنني لم أحصل على العشاء، عليك فقط مصاحبتي، هذا كل شيء، ومن يعلم، ربما تحصل على بسكويت في النهاية».

يمد (لوكاس) ذراعه ويتنهد كمراهقٍ منزعجٍ، أمسك بها وأنظر إلى الكاميرات في الممر، وأجعلهم يتوقفون، ها نحن نبدأ. يجب أن أشعر بالذنب تجاه استغلال (لوكاس)، فأعلم من تجربة مباشرة شعور التلاعب بالعقل، ولكن هذه من أجل حياة (كيلورن). كان (لوكاس) لا يزال يثرثر عندما قابلنا (جوليان) عند الاستدارة عند زاوية الممر.

«لورد (جاكوس)...» يبدأ (لوكاس) ويقوم بتحريك رأسه لينحني في تحية، ولكن يمسك (جوليان) بذقنه، ويتحرك بسرعة لم أظنها ممكنة، قبل أن يرد (لوكاس) يحدق (جوليان) إلى عينيه وتموت المقاومة قبل أن تبدأ.

كلماته المعسولة ناعمة مثل الزبد، وقوية مثل الحديد، تقع على آذان صاغية: «خذنا إلى الزنازين، استخدم ممر الخدم، أبعدنا عن دوريات الحراسة، ولا تتذكر هذا».

(لوكاس) الذي في العادة يبتسم ويمزح، يسقط في حالة غريبة، نصف منوم مغناطيسيًّا. تتحول عيناه كأنها زجاج، ولا يلاحظ (جوليان) وهو يمد يده ليأخذ سلاحه، ولكنه يتحرك على أي حال، ويقودنا خلال متاهة القصر. عند كل زاوية أتمهل لأشعر بالأعين الكهربائية، وأغلق كل شيء في طريقنا. يفعل (جوليان) نفس الشيء للحراس، يجبرهم على نسياننا بعد ما نمرُّ. معًا، نكوّن فريقًا لا يهزم، ولا يمر وقت طويل قبل أن نجد أنفسنا فوق درجات الزنازين، سيكون هناك (السينتنال) بالأسفل، أكثر مما يقدر (جوليان) على غلبهم.

«لا تقل كلمة» يهمس (جوليان) إلى (لوكاس) الذي يومئ في فهمٍ.

حان دوري لأقودهم، أتوقع أن أكون خائفة، ولكن الضوء الخافت والوقت المتأخر يشعرني بالألفة، هنا حيث أنتمي، أتسلل وأكذب وأسرق.

«من أنت؟ اذكر اسمك وشأنك!» يصيح أحد حراس (السينتنال) تجاهنا. أتعرف على صوتها، (جلياكون) الراجفة (الشيفر) التي عذبت (فارلي)، ربما أقدر على إقناع (جوليان) أن يؤثر بها بغنائه ويجعلها تقفز من فوق حافة مرتفعة.

أفرد ظهري إلى آخره، رغم أن صوتي ونبرتي هما ما يهمان أكثر شيء، «أنا السيدة النبيلة (مارينا تيتانوس) خطيبة الأمير (مافين)» أقول في غضب وأهبط الدرجات بأكثر كياسة أقدر عليها. صوتي بارد وحاد، أقلد (إيلارا) و(إيفانجلين)، لديَّ القدرة والقوة أيضًا: «ولا أشارك شؤوني مع الحراس».

عند رؤيتي يتبادل الحراس النظرات في تساؤلٍ، أحدهم رجل ضخم بعين تشبه عين الخنزير، ينظر إليَّ من رأسي إلى قدمي بطريقة فظة. يقفز (كيلورن) و(والش) في انتباه خلف القضبان، لا تتحرك (فارلي) من مكانها، ذراعاها ملفوفتان حول ركبتيها، للحظة ظننتها نائمة، حتى تتحرك وتعكس عيناها الزرقاوان الضوء.

«أحتاج إلى أن أعرف يا سيدتي» تقول (جلياكون) في أسف، تومئ إلى (جوليان) و(لوكاس) اللذين يتبعانني، «ونفس الأمر بالنسبة إليكما أيضًا».

«أريد مقابلة فردية مع هؤلاء...» أضع كمية كبيرة من التقزز في نبرتي؛ ولم يكن هذا صعبًا مع صاحب العين الخنزيرية بالقرب مني، «المخلوقات، لدينا أسئلة نريد إجابتها وأخطاء يجب دفع ثمنها، أليس كذلك يا (جوليان)؟».

يبتسم (جوليان) في سخرية، يقوم بتمثيلية رائعة: «سيكون من اليسير جعلهم يغنون».

«هذا ليس ممكنًا يا سيدتي» يجيب ذو العين الخنزيرية، لكنته صعبة وخشنة، من خليج (هاربور): «أوامرنا هي أن نظل هنا، طوال الليل، وألا نتحرك من أجل أي أحد».

في مرة ما دعاني فتى من (الستيلتز) مداعبة عفنة لأنني حاولت مغازلته لأحصل على زوج من الأحذية الجيدة: «تفهم موقفي أليس كذلك؟ سأكون الأميرة قريبًا، وخدمة للأميرة قيمتها عالية، بجانب يجب تلقين الفئران (الحمر) درسًا مؤلمًا».

يرمش ذو العين الخنزيرية بخمولٍ تجاهي، يفكر بالأمر. يحوم (جوليان) فوق كتفي، مستعد بكلماته المعسولة إذا احتجنا إليها. تمر دقتا قلب قبل أن يومئ، ويلوح للآخرين، «يمكننا منحكما خمس دقائق».

يؤلمني وجهي من الابتسام بهذا الاتساع، ولكني لا أهتم، «شكرًا لكم، أنا مدينة لكم جميعًا».

يخرجون في صفٍّ واحدٍ، وأحذيتهم تخدش الأرض، بمجرد وصولهم إلى أعلى الدرجات أسمح لنفسي بالأمل، خمس دقائق ستكون أكثر من كافية. يكاد (كيلورن) يقفز عبر القضبان، متحمسًا للفرار من الزنزانة، وتساعد (والش) (فارلي) على النهوض على قدميها، ولكني لا أتحرك على الإطلاق، لا أنوي تحريرهم، ليس بعد.

«(ماير)...» يهمس (كيلورن) في حيرة من ترددي، ولكني أسكته بنظرة.

«القنبلة» يغيم الدخان والنيران على أفكاري، وتعيدني للحظة انفجار قاعة الرقص: «أخبرني عن القنبلة».

أتوقع منهم أن يسقطوا معتذرين، وأن يتوسلوا إلى سماحي، ولكن بدلًا من ذلك، يتبادلون النظرات، تستند (فارلي) إلى القضبان وعيناها مشتعلتان.

«لا أعلم أي شيء عنها» تهمس بالكاد مسموعة: «لم أعطِ إذنًا بشيء كهذا، من المفترض أن تكون العملية منظمة ولها أهداف معينة، لا نقتل بعشوائية ومن دون هدف».

«العاصمة والتفجيرات الأخرى...؟».

«تعلمين أن تلك المباني كانت فارغة، لم يمت أحدٌ هناك، ليس بسببنا» تقول في اتزان: «أقسم لكِ يا (ماير) لم نفعل ذلك».

«هل تعتقدين حقًا أننا سنحاول تفجير أكبر أمل لدينا؟» يضيف (كيلورن)، لا أحتاج إلى سؤاله عما يقصده، أخيرًا، أومئ إلى (جوليان).

«افتح الزنزانة في هدوء» يتمتم (جوليان) ويده على وجه (لوكاس).

يطيعه (الماجنترون) ويجبر القضبان على الفتح بشكل دائري متسع كفاية للعبور. تخرج (والش) أولًا، وعيناها متسعة من الدهشة، يتبعها (كيلورن) ويساعد (فارلي) على العبور خلال القضبان؛ لا يزال ذراعها عاجزة متدلية بجانبها قد فات المعالِجة جزءًا.

أشير إلى الجدران، ويتحركون في صمتٍ مثل الفئران على الحجر. تلمح عين (والش) جسد (تريستان)، بلا حياة في الزنزانة، ولكنها تظل بجانب (فارلي). يدفع (جوليان) بـ(لوكاس) إلى جانبهم قبل أن يتخذ مكانه أسفل الدرجات في المقابل للسجناء المحررين. أتخذ الجانب الآخر بجانب (كيلورن)، رغم أنه قضى الليلة في السجن في صحبة جثة ما زالت رائحته مثل البيت.

«كنت أعلم أنك قادمة» يهمس في أذني، «كنت أعلم».

لكن ليس هناك وقتٌ للمجاملات والاحتفالات، ليس حتى يكونوا بعيدًا في أمان، عبر فتحة الدرجات يومئ إليَّ (جوليان)، هو مستعدٌ.

«أيتها (السينتنال جلياكون) هل لي بكلمة؟» أصيح عبر الدرجات، وأضع الطعم لفخِّنا التالي، حركة الأقدام تخبرني أنها ابتلعته.

«ماذا هناك يا سيدتي؟».

عندما تصل إلى الأرض، تقع عيناها على الزنزانة المفتوحة وتشهق أسفل قناعها، ولكن (جوليان) كان سريعًا حتى بالنسبة إلى حراس (السينتنال).

«ذهبتِ إلى المشي، وعدتِ لتجدي هذا، لا تتذكرينا، استدعي واحدًا من الآخرين» يهمس وصوته أغنية مروعة.

«(سينتنال تايروس) نحتاج إليكَ» تقول في هدوءٍ.

«الآن ستنامين».

تسقط قبل أن تخرج الكلمة الأخيرة من فمه، ولكن (جوليان) يسندها من خصرها، ويضعها بلطفٍ على الأرض خلفه. يشهق (كيلورن) في مفاجأة، معجبًا بما يفعله (جوليان) الذي يسمح لنفسه بابتسامة سرور صغيرة. يهبط (تايروس) الدرجات تاليًا في حيرة، ولكنه حريصًا على الخدمة، ويفعل (جوليان) ما يفعله مجددًا، يغني أوامره في همساتٍ

لعدة ثوانٍ، لم أتوقع أن يكون حراس (السينتنال) بهذا الغباء، ولكن هذا منطقي؛ تم تدريبهم منذ صغرهم على فن القتال؛ والمنطق والذكاء ليسا من أولوياتهم العليا، ولكن آخر اثنين: ذو الأعين الخنزيرية والمعالج، ليسا بأحمقين، عندما يناديهما (تايروس) ويأمر (السينتنال) معالج الجلد أن يهبط، يهمس أحدهما إلى الآخر.

«هل اقتربت من الانتهاء يا سيدة (تيتانوس)؟» ينادي ذو الأعين الخنزيرية وصوته قلق.

أفكر سريعًا، وأصيح لهما: «نعم، لقد انتهينا، عاد رفاقكما إلى مراكزهم، أريد أن أحرص أن تفعلوا أيضًا».

«هل فعلوا؟ هل هذا حقيقي يا (تايروس)؟».

يهبط (جوليان) على ركبتيه فوق (تايروس) المغشي عليه في سرعة فائقة، يقوم بفتح عينيه ويمسك بجفنيه: «قل إنك عدت لمركزك، قل إن السيدة قد انتهت».

«عدت لمركزي» يهمهم (تايروس)، أتمنى أن الدرجات الطويلة والجدران الصخرية ستقوم بتشويش صوته، «قد انتهت السيدة».

يزمجر ذو العين الخنزيرية لنفسه «حسنًا».

تحتك أحذيتهما بالدرجات، يهبط الاثنان معنا، اثنان، لا يقدر (جوليان) على التعامل مع اثنين وحده، أشعر بـ(كيلورن) يتوتر خلفي، قبضتاه تشتدان بينما يستعد لأي شيء. بيدٍ واحدة أدفعه مقابل الجدار، بينما تشتعل الأخرى بالشرارات. تتوقف الخطوات، قبل الفتحة، لا أراهما أنا و(جوليان)، ولكن ذو العين الخنزيرية يتنفس كالكلب، المعالج موجود أيضًا، ينتظر على بُعد، في الصمت الكامل، من الصعب عدم سماع صوت نقرة السلاح.

تتسع عينا (جوليان) ولكنه يقف صامدًا، ويده حول السلاح المسروق، لا أريد حتى التنفس، مدركة الحافة التي نقف عندها. يبدو على الجدران كأنها تتقلص، تحاصرنا في تابوتٍ صخري بلا مهرب. أشعر بهدوء تام عندما أتسلل إلى مقدمة الدرجات، ويدي المشتعلة خلف ظهري. أتوقع الشعور

بطلقات النار في أي وقت الآن، ولكن الألم لا يأتي، لا يطلقون النيران، ليس حتى أعطيهم سببًا جيدًا.

«هل هناك مشكلة أيها الحراس؟» أكشر، وأرفع حاجبي كما رأيت (إيفانجلين) تفعل مئات المرات، ببطء أصعد درجة، ويصير الاثنان في مجال نظري، يقفان متجاورين، أصابعهما ترتعش فوق الزناد: «أفضل إذا لم توجها أسلحتكما تجاهي».

يحدق إليَّ ذو العيون الخنزيرية مباشرة، ولكن لا يوترني ذلك، أنتِ سيدة نبيلة، تصرفي مثلها، تصرفي لإنقاذ حياتك: «أين صديقك؟».

«هو قادم، واحدة من المساجين لديها فم ثرثار، تحتاج إلى المزيد من الاهتمام» يأتي الكلام بسهولة، تجلب الممارسة الإتقان حقًّا.

يخفض ذو العين الخنزيرية سلاحه قليلًا، مبتسمًا: «الحقيرة ذات الندبة؟ اضطررت إلى أن أريها ظهر يدي بنفسي» يضحك وأضحك معه وأتخيل ما يقدر على فعله البرق بعينه الشاحبة السمينة.

بينما أقترب أكثر، يضع معالج الجلد يده على السياج المعدني، ويسد طريقي، أفعل المثل، أحسه باردًا وصلبًا تحت يدي، من السهل فعلها، أقول لنفسي، وأدفع بطاقة كافية للشرارات، ليست كافية للحرق، أو كافية لترك ندبة، لكن كافية للتعامل معهما معًا. مثل وضع الخيط في الإبرة ولمرة أنا خبيرة الحياكة. فوقي، لا يضحك المعالج مع صديقه، عيناه فضية لامعة، ومع القناع والعباءة النارية، يبدو كشيطان من الكوابيس.

«ماذا خلف ظهرك؟» يقول من خلف القناع.

أهز كتفي، وأسمح لنفسي بخطوة واحدة. «لا شيء أيها الحارس (سكونوس)».

كلماته التالية قاسية: «تكذبين».

نتحرك في نفس الثانية، نندفع منفجرين، تصيبني الرصاصة في معدتي، ولكن برقي يشتعل في السياج المعدني، وعبر جلده وصولًا إلى رأس المعالج، يصيح ذو العين الخنزيرية ويطلق سلاحه. تحفر الرصاصة في الجدار، وتفوتني ببضع بوصاتٍ، ولكني لا أخطأ الهدف، وأهاجم بكرة من الطاقة

من خلف ظهري. ينزلقان من جانبي، والاثنان يفقدا الوعي، عضلاتهما تنتفض من الصدمة، وبعدها أسقط.

أتساءل لوهلة إذا كانت الأرض الصخرية ستحطم جمجمتي، أعتقد أن هذا أسهل من النزيف حتى الموت، لكن بدلًا من ذلك تلتقطني أذرع طويلة.

«(ماير) ستكونين بخيرٍ» يهمس (كيلورن)، يده تغطي بطني، محاولًا إيقاف النزيف، عيناه خضراء كالعشب، يبرزان في عالم يتحوَّل إلى الظلام، «هذا لا شيء على الإطلاق».

«ارتدوا هذا» يقول (جوليان) في اندفاع للآخرين، تسرع (فارلي) و(والش) بجانبي ليرتدوا العباءات الحمراء النارية والأقنعة: «أنت أيضًا!».

يسحب (كيلورن) بعيدًا عني، يكاد يقذف به عبر الغرفة في سرعة.

«(جوليان)...» أقول في اختناقٍ، وأحاول أن أمسك به، يجب أن أشكره، ولكنه بعيد عني، يجلس على ركبتيه بجانب المعالج، يفتح جفونه ويغني، يأمره بالاستيقاظ. والأمر التالي الذي أعرفه، هو أن المعالج يحدق إليَّ، ويداه فوق الجرح، يتطلب الأمر ثانية قبل أن يعود العالم لطبيعته، في الزاوية، يتنفس (كيلورن) في ارتياح ويضع العباءة فوق رأسه.

«هي أيضًا» أشير إلى (فارلي). يومئ (جوليان) ويوجه المعالج تجاهها، يعود كتفها لمكانه مصدرًا صوت طقطقة.

«ممتنة كثيرًا» تقول وتضع القناع على وجهها.

تقف (والش) أمامنا كلنا، وقناعها منسيًّا في يدها، تحدق إلى الحراس على الأرض، وفكها مفتوحٌ على اتساعه: «هل هم ميتون؟» تسأل هامسة مثل الطفل المرعوب.

ينظر (جوليان) بعيدًا عن ذي العين الخنزيرية، وقد انتهى من الغناء إليه. «بالكاد، سيستيقظ هؤلاء بعد بضع ساعات، وإذا كنتم محظوظين لن يعلم أحدٌ برحيلكم حتى وقتها».

«يمكنني التعامل مع بضع ساعات» تقول (فارلي) لـ(والش) وتعيدها إلى الواقع، «استعيدي عقلك يا فتاة، لدينا الكثير من الركض لنقوم به الليلة».

لا نأخذ وقتًا طويلًا لنتسلل عبر الممرات القليلة الباقية، ومع ذلك، يزداد خوفي مع كل ضربة قلب، حتى نجد أنفسنا في جراج (كال). يقوم (لوكاس) غير الواعي بصنع فتحة في الباب المعدني كأنه يمزق ورقة، ويكشف الليل خلفه.

تحتضنني (والش) وتفاجأني، «لا أعلم كيف» تتمتم: «ولكنني أتمنى أن تصيري الملكة في يوم ما، تخيلي ما يمكنك فعله حينها؟ الملكة الحمراء».

لا يمكنني غير الابتسام من الفكرة المستحيلة، «اذهبي قبل أن يلتصق هراؤكِ بي».

لا تحب (فارلي) الأحضان، فتربت على كتفي: «سنراكِ مجددًا، قريبًا».

«ليس هكذا، أتمنى».

ترسم ابتسامة نادرة تظهر فيها أسنانها، رغم وجود الندبة، أدرك أنها جميلة للغاية.

«ليس هكذا» تردد قبل أن تتسلل عبر الليل مع (والش).

«أعلم أنه لا يمكنني أن أطلب منك أن تأتي معي» يقول (كيلورن) وهو يتحرك ليلحق بهما، يحدق إلى يده ويفحص ندباته التي أعرفها أكثر من عقلي، انظر إليّ يا أحمق.

أتنهد وأجبر نفسي على الدفع به إلى الحرية: «تحتاج إليّ القضية هنا، وأنت تحتاج إليّ هنا أيضًا».

«ما أحتاج إليه وما أريد هما شيئان مختلفان تمامًا».

أحاول أن أضحك، ولكن لا أجد القوة لذلك.

«هذه ليست نهايتنا يا (ماير)» يهمهم (كيلورن) ويحتضنني، يضحك لنفسه، ويهز الصوت صدره: «الملكة الحمراء، لديه تأثير لطيف».

«ارحل يا أحمق» لم أبتسم بهذا الإشراق من قبل وأنا أشعر بهذا الحزن.

ينظر تجاهي مرة أخيرة ويومئ إلى (جوليان)، قبل أن يخرج إلى الظلام. تعود الخيوط المعدنية لمكانها خلفه، وتحجب عني أصدقائي، أين سيذهبون لا أعلم، اضطر (جوليان) إلى سحبي، ولكنه لا يوبخني بسبب الوداع الطويل، أظن (لوكاس) يشغله أكثر، الذي في حالته الذهنية المذهولة، بدأ يسيل لعابه.

الفصل الثاني والعشرون

هذه الليلة أحلم بأخي (شايد) قادم ليزورني في الظلام، رائحته مثل البارود، لكن عندما أغمض عينيَّ وأفتحهما، يختفي ويصرخ عقلي ما أعرفه مسبقًا، (شايد) مات.

عندما يأتي الصباح، توقظني سلسلة من الحركات والصدمات فجأة، أجلس في فراشي، وأتوقع رؤية (السينتنال)، (كال) أو حتى (بتوليموس) القاتل مستعدًا لتمزيقي إربًا لما فعلته، ولكنهن فقط الخادمات يعبثن في خزانتي، يبدون أكثر عجلة من الطبيعي، يسحبن الملابس ويتخلين عنها.

«ماذا يحدث؟».

تتجمد الفتيات في الخزانة، ينحنين، وأيديهن مليئة بالحرائر والكتان، بينما أقترب أدرك أنهم يقفن أمام مجموعة من الصناديق الجلدية: «هل سنذهب إلى مكان ما؟».

«هذه الأوامر يا سيدتي؟» تقول واحدة، ونظرها إلى أسفل: «نفعل فقط ما نؤمر به».

«بالطبع، حسنًا، سأذهب لأرتدي ملابسي» أمد ذراعي لأخذ أقرب زي ولأفعل شيئًا بنفسي لمرة، ولكن الخادمات يسبقنني إليه، وبعد خمس دقائق، كن قد قمن بطلائي وصرت مستعدة، أرتدي سروالًا جلديًّا غريبًا وقميصًا لامعًا. بالنسبة إليَّ، أفضِّل زي التدريب على أي شيء آخر، ولكن من الواضح أنه ليس من اللائق ارتداء هذا الشيء خارج التدريبات.

«(لوكاس)؟» أنادي في الممر الفارغ، وأتوقع منه الظهور فجأة من أي فجوة.

ولكن لا أجده في أي مكان، وأتوجه إلى دروس البروتوكول، وأتوقع منه أن يقطع طريقي، وعندما لا يفعل ذلك، تمر بي رجفة خوف. جعله (جوليان) ينسى ما حدث بالأمس، لكن ربما تسلل شيء آخر عبر الثغرات، ربما يتم استجوابه، معاقبته على الليلة التي لا يقدر على تذكرها وما أُجبر على فعله، لكني لا أظل وحيدة لوقت طويل، يقابلني (مافين) في طريقي، وشفتاه ملتويتان في ابتسامة مرح.

«استيقظتِ مبكرًا» ثم يميل تجاهي، ويهمس: «خاصة بعد هذه الليلة المتأخرة».

«لا أعلم ما تقصد» أحاول أن أبدو بريئة.

«هرب المساجين، ثلاثتهم، اختفوا في الهواء».

أضع يدي فوق قلبي، أبدو مصدومة من أجل الكلمات: «بحق ألواننا! بضع من (الحمر)، يهربون منّا؟ يبدو هذا مستحيلًا».

«فعلًا يبدو كذلك» رغم أن ابتسامته باقية، تظلم عيناه قليلًا: «بالطبع، هذا يجعلنا نتساءل عن كل شيء، انقطاعات الكهرباء، فشل النظام الأمني، ولا داعي لذكر مجموعة حراس (السينتنال) أصحاب الأجزاء الفارغة في ذاكرتهم» يحدق إليَّ بطريقة محددة.

أنظر إليه نفس نظرته الحادة، وأسمح له برؤية انزعاجي، «والدتك... استجوبتهم».

«فعلت ذلك».

«وهل ستتحدث لـ...» أختار كلماتي بعناية: «إلى أي شخص بشأن الهروب؟ ضباط الأمن أو الحراس؟».

يهز (مافين) رأسه نفيًا: «الشخص الذي قام بذلك كان بارعًا، ساعدتها في الاستجواب ووجهتها إلى أي فرد مشتبه فيه» وجهتها، وجهها بعيدًا عني. أتنهد في ارتياحٍ، وأضغط ذراعه، شاكرة لحمايته، «بجانب، ربما لن نعلم أبدًا من فعلها، يقوم الناس بالرحيل منذ الأمس، يعتقدون أن ساحة الشمس لم تعد آمنة».

«بعد الأمس، هم على الأغلب محقون» أضع ذراعي بين ذراعه وأجذبه قريبًا مني: «وما الذي عرفته والدتك بشأن القنبلة؟».

يهبط صوته لهمسة: «لم يكن هناك قنبلة» ماذا؟ «كان انفجارًا، ولكنه كان حادثة، اخترقت رصاصة أنبوبة غاز في الأرض وعندما صدمتها نيران (كال)...» يتوقف عن الكلام ويترك يده تكمل الجملة، «كانت فكرة أمي أن تستخدم ذلك لمنفعتنا».

لا نقتل بلا هدفٍ: «تحوَّل الحرس القرمزي إلى وحوش».

يومئ في قلقٍ: «لن يريد أحدٌ الوقوف بجانبهم، ليس حتى (الحمر)».

يبدو كأن دمي يغلي، كذب أكثر، تنتصر علينا من دون أن تطلق رصاصة واحدة أو تسحب شفرة، الكلمات هي كل ما تحتاج إليه، والآن يتم إرسالي أبعد في عالمها، إلى (أركيون).

لن تري عائلتك مجددًا، ستكبر (جيسا)، حتى لا تستطيعين التعرف عليها بعد ذلك، سيتزوج (بري) و(ترامي)، وسينجبان أطفالًا وينسونك، سيموت أبي ببطء، مختنقًا بجروحه، وعندما يرحل، ستتبعه أمي.

يتركني (مافين) لأفكاري، وعيناه متعاطفة بينما يشاهد مشاعري تظهر على وجهي، يتركني لأفكر دومًا، في بعض الأحيان الصمت أفضل من كلام أي أحد.

«كم لدينا من الوقت هنا؟».

عندما كنت فتاة صغيرة، اعتدت الجلوس على الشرفة ومشاهدة المراكب الجميلة تعبر، باتجاه أسفل النهر إلى العاصمة. كان (شايد) يسخر مني لأنني أريد أن ألمح الملك، لم أدرك أن ذلك كان جزءًا من الاستعراض، عرضًا آخر مثل مباريات الحلبة، لِيُرَونا كم نحن في أدنى خطة العالم الكبرى، الآن سأصير جزءًا من ذلك مجددًا، ولكني أقف على الجانب الآخر.

«على الأقل ستتمكنين من رؤية بيتك مجددًا، حتى ولو لوقتٍ قليلٍ» يضيف محاولًا أن يكون لطيفًا. نعم يا (مافين)، هذا ما أريد، أن أقف وأشاهد بيتي وحياتي القديمة تمرُّ بجانبي.

لكن هذا هو الثمن الذي يجب أن أدفعه، تحرير (كيلورن) والآخرين يعني فقداني لأيامي الأخيرة في الوادي، وهذه مقايضة أنا مسرورة بالقيام بها. يقاطعنا صوت اصطدام في مكان ما في ممرٍّ قريب، الذي يقود إلى غرفة (كال). يتصرف (مافين) أولًا، ويتحرك نحو حافة الممر قبلي، كأنه يحاول حمايتي من شيء ما.

«أحلام سيئة يا أخي؟» ينادي في قلقٍ مما يراه.

ردًّا عليه يخرج (كال) إلى الممر، يضغط قبضتيه كأنه يحاول السيطرة على يديه، رحل الزي الملطخ بالدماء ومكانه ما يشبه زي (بتوليموس) ولكن زي (كال) به ظل أحمر. أريد أن ألطمه، أن أجرحه بمخالبي وأصرخ لما فعله بـ(فارلي) و(تريستان) و(كيلورن) و(والش). يتراقص الشرار بداخلي، ويرجوني لتحريره، ولكن بعد كل شيء، ماذا توقعت؟ أعلم ماهيته ومعتقداته، (الحمر) لا يستحقون الإنقاذ، لذا أتحدث بأكثر طريقة متحضرة أقدر عليها.

«هل ستترك الفيلق؟» أعلم أنه لن يفعل، بالحكم على الغضب في عينيه. في وقتٍ ما خشيت أن يرحل، والآن أتمنى أن يفعل، لا أصدق أنني اهتممت بإنقاذه، لا أصدق أنني فكرت بذلك يومًا.

يأخذ (كال) نفسًا: «لن يذهب فيلق الظلال إلى أي مكان، لن يسمح أبي بذلك، ليس الآن، هذا خطر جدًا، وأنا قيم للغاية».

«هو محق، تعلم ذلك» يضع (مافين) يده على كتف (كال)، يحاول تهدئته. أتذكر (كال) كان يفعل نفس الشيء لـ(مافين)، لكن الآن يقع التاج على رأس مختلفة: «أنت الوريث، لا يمكنه فقدانك أيضًا».

«أنا جندي» يندفع (كال)، ويحرك كتفه ليزيح لمسة أخيه عنه، «لا يمكنني أن أظل ساكنًا وأترك الآخرين يقاتلون من أجلي، لن أفعل ذلك».

يبدو كطفلٍ يتذمر من أجل لعبته، يبدو أنه يستمتع بالقتل، يجعلني أشعر بالغثيان. لا أتحدث، وأترك (مافين) الدبلوماسي يقوم بكل الحديث، يعلم دومًا ما يجب أن يقال.

«ابحث عن قضية أخرى، اصنع عجلة أخرى، ضاعف تدريباتك، مرّن رجالك، وجهّز نفسك حتى يزول الخطر. (كال)، يمكنك فعل ألف شيء آخر، وليس بينهم أن تموت في فخٍّ ما آخر!» يقول محدقًا إلى أخيه، ثم يبتسم محاولًا تلطيف الأجواء، «لا تتغير أبدًا يا (كال)، لا تقدر على البقاء في مكانك».

بعد لحظة من الصمت القاسي، يبتسم (كال) ابتسامة بسيطة: «أبدًا» تلتفت عيناه تجاهي، ولكني لن أعلق بنظرته البرونزية، ليس مجددًا.

أنظر بعيدًا وأتظاهر بفحص لوحة بجانبي: «درع لطيف» أقول ساخرة، «سيناسب مجموعتك».

يبدو متألمًا، وحتى حائرًا، لكنه يتعافى سريعًا. اختفت ابتسامته وبدَّلها تجهمًا وفكًّا مشدودًا. ينقر على الردع، ويصدر صوتًا كالمخالب على الصخر. «هذه هدية من (بتوليموس)، يبدو أنني أشارك شقيق خطيبتي نفس الاهتمام» خطيبتي، كأن من المفترض أن يشعرني ذلك بالغيرة أو ما شابه.

ينظر (مافين) إلى الدرع في قلقٍ: «ماذا تقصد؟».

«يقود (بتوليموس) ضباط الأمن في العاصمة، معًا ومع فيلقي، يمكننا القيام بشيء مفيد، حتى داخل المدينة».

يتسلل خوفٌ باردٌ داخل قلبي مجددًا، ويفجر أي أمل وسعادة جلبها نصر الأمس، «وما هذا بالضبط؟» أسمع نفسي أتنفس.

«هو صياد بارع وقاتل جيد» يخطو (كال) إلى الخلف، مبتعدًا عنا. أستطيع الشعور به ينسل ليس فقط إلى نهاية الممر، بل إلى طريقٍ مظلمٍ ومنحرفٍ، يجعلني خائفة من أجل الفتى الذي علَّمني كيف أرقص، لا، ليس من أجله، منه، وهذا أسوأ من كل الأهوال والكوابيس.

«بيني وبينكما، سنقتلع الحرس القرمزي من جذوره وننهي هذه الثورة إلى الأبد».

لا يوجد جدول اليوم، بينما انشغل الجميع في الرحيل للدراسة أو التدريب، ربما تكون الهروب كلمة أفضل، لأن هذا ما أراه من موقعي في ردهة المدخل. اعتقدت سابقًا أن (الفضيين) مثل الآلهة لا يمكن المساس

بهم ويستحيل تهديدهم، لا يخافون أبدًا. أعلم الآن أن العكس هو الحقيقة، أمضوا وقتًا طويلًا في القمة، معزولين ومحميين، فقد نسوا أنه يمكنهم السقوط، وصارت قوتهم نقطة ضعفهم.

كنت أخاف هذه الجدران في وقتٍ ما، ارتعبت من هذا الجمال، لكنني أرى التشققات الآن. مثل يوم التفجيرات عندما أدركت أن (الفضيين) ليسوا بمحصَّنين. ثم جاء الانفجار، الآن بعض الرصاصات يمكنها تحطيم الزجاج الألماسي، كاشفة عن الخوف والارتياب أسفله. يهرب (الفضيون) من (الحمر)، أسود تهرب من الفئران. يعارض الملك والملكة أحدهما الآخر، والبلاط لديه حلفاؤه، و(كال) الأمير الكامل، الجندي الصالح هو عدو خائن بشع، أي شخص يمكنه خيانة أي شخص.

ودَّع (كال) و(مافين) الجميع، يقومان بواجبهما على الرغم من الفوضى المنظمة. تنتظر المركبات الجوية على مقربة، هدير محركاتها مسموع حتى في الداخل، أريد رؤية المركبات عن قرب، ولكن هذا يتطلَّب المرور عبر الحشد ولا أحتمل نظرات الحزن والخسارة. بالإجمال، مات اثنا عشر شخصًا بالأمس، أرفض معرفة أسمائهم، لا أحتاج إلى أن يثقلوا كاهلي، ليس وأنا في حاجة إلى دهائي أكثر من أي وقتٍ.

تأخذني قدماي حيث تريدان عندما لا أقدر على المشاهدة لفترة أطول، أتنقل عبر ممرات صارت الآن مألوفة. بينما أمرُّ تُغلَق الغرف، يتم غلقها لهذا الموسم، حتى يعود البلاط، لن أعود، أعلم ذلك. يضع الخدم أغطية بيضاء فوق الأثاث اللوحات والتماثيل، حتى يبدو القصر بأكمله مسكونًا بالأشباح.

لا آخذ وقتًا طويًلا حتى أجد نفسي أمام غرفة (جوليان)، ويصدمني المشهد، اختفت أكوام الكتب والمكتب، حتى الخرائط. تبدو الغرفة أوسع، ولكني أحسها أصغر. في وقتٍ ما حملت بداخلها عوالم كاملة، والآن بها غبار وأوراق مفتتة، تتعلق عيني بالبقعة على الجدار حيث كانت الخريطة الكبيرة، لم أفهمها في وقتٍ ما، ولكنها الآن تبدو كصديقٍ قديمٍ.

(نورتا)، (لايكلاند)، (بيدمونت)، (بيراري)، (تيراكسيس)، (مونفورت)، (سايرون)، وكل الأراضي بينها، بلاد أخرى، أقوام أخرى، كلهم ممزقون بحدود الدماء مثلنا، إذا تغيرنا، هل سيفعلون المثل؟ أم سيدمروننا أيضًا؟

«أتمنى أن تتذكري دروسك؟» يخرجني صوت (جوليان) من أفكاري، ويعيدني إلى الغرفة الفارغة. يقف خلفي، ويتبع نظري إلى جدار الخريطة، «أنا آسف لم أقدر أن أعلمك المزيد».

«سوف يكون لدينا الكثير من الوقت للتعلم في (أركيون)».

ابتسامته حلوة ومريرة ويكاد النظر إليها يؤلم، أجفل عندما أدرك أنني أقدر على الشعور بالكاميرات تراقبنا لأول مرة هنا «(جوليان)؟».

«الأرشيفيون في (ديلفي) عرضوا عليَّ منصبًا لاستعادة بعض النصوص القديمة» الكذبة واضحة مثل الأنف على وجهه، «يبدو أنهم قاموا بأعمال حفرٍ في منطقة الجرف ووجدوا بعض مخابئ التخزين، جبال من الأشياء تنتظر الفحص، كما يبدو».

«ستحب ذلك كثيرًا» ينقطع صوتي في حلقي، يعلم أن عليه الرحيل الآن. أجبرته على ذلك بالأمس، عندما وضعت حياته في خطرٍ من أجل (كيلورن): «هل تزورنا عندما تستطيع؟».

«نعم بالطبع» كذبة أخرى، ستكتشف (إيلارا) دوره في ذلك قريبًا، وعندها سيضطر إلى الهروب، فمن المنطقي أن يحصل على أسبقية مبكرًا، «لقد جلبت لكِ شيئًا».

أفضِّل أن أحتفظ بـ(جوليان) من دون أي هدايا، ولكنني أحاول أن أبدو شاكرة على أي حالٍ: «هل هي نصيحة جيدة؟».

يهز رأسه مبتسمًا، «سترين عندما تصلين إلى العاصمة» ثم يمد ذراعيه ويشير إليَّ: «يجب أن أذهب، لذا ودعيني بطريقة صحيحة».

حضنه لي مثل حضن والدي وإخوتي، الذين لن أراهم مجددًا، لا أريد أن أتركه، ولكن الخطر كبيرٌ عليه إذا بقي، وكلانا يعلم ذلك.

«شكرًا يا (ماير)» يهمس في أذني، «تذكِّرينني بها كثيرًا» لا أحتاج إلى السؤال لأعلم أنه يقصد (كوريان)، الأخت التي فقدها منذ زمن. «سأفتقدك يا فتاة البرق الصغيرة».

الآن لا يبدو اللقب سيئًا.

ليس لديَّ القدرة على التعجب من المراكب التي تبحر النهر بقوة المحركات الكهربائية، أعلام سوداء، وفضية وحمراء عند كل عمود، لتوضح أنها سفينة الملك. عندما كنت صغيرة كنت أتساءل لماذا أختار الملك لوننا، كان الأمر أقل من مستواه، الآن أدرك أن الأعلام حمراء كلون نيرانه، مثل الدمار والناس الذين يتحكم بهم.

«تم تغيير تعيينات حراس (السينتنال) من الأمس» يهمس (مافين) ونحن نمشي على سطح المركب.

تغيير تعيينهم مجرد كلمات لطيفة بدلًا من معاقبتهم، وعند تذكر ذي الأعين الخنزيرية والطريقة التي نظر إليَّ بها، لا أشعر بأسف على الإطلاق: «أين ذهبوا؟».

«الجبهة بالطبع، سيتم ربطهم بمجموعة رعاع، ليقودوا جنودًا مصابة أو غير قادرة أو سيئة الطباع، في العادة يُرسلون إلى خندق الضغط» من الظلال في عينيه، أدرك أن (مافين) يعرف ذلك عن تجربة.

«من يموتون أولًا».

يومئ في جدية.

«و(لوكاس)؟ لم أره منذ الأمس...».

«هو بخيرٍ، يسافر مع منزل (ساموس)، مجتمعًا مع عائلته، ترك إطلاق النار الجميع على الحافة، حتى المنازل الراقية».

يغمرني الارتياح والحزن أيضًا، أفتقد (لوكاس) بالفعل، ولكن من الجيد معرفة أنه بأمان وبعيدٌ عن تطفل (إيلارا)، يعض (مافين) على شفتيه، يبدو خاضعًا، «لكن ليس لوقتٍ طويلٍ، ستأتي الأجوبة».

«ماذا تقصد؟».

«وجدوا دماء في الزنازين، دماء حمراء».

اختفت إصابتي، ولكن ذكرى الألم لم تختفِ.

«إذن؟».

«لذا مهما كان صديقك السيئ الحظ الذي أصيب فلن يكون سرًّا لوقت طويل، إذا قامت سجلات الدماء بعملها».

«سجلات الدماء».

«قاعدة سجلات الدماء، أي أحمر يُولَد على بُعد مئات الأميال من الحضارة يتم أخذ عينة من دمائه. بدأ الأمر كمشروع لمعرفة الاختلاف بيننا، ولكن انتهى الأمر بالتحول إلى طريقة أخرى لتقييد قومك. في المدن الكبرى، لا يستخدم (الحمر) بطاقات هوية، عوضًا عنها علامات دماء، يتم أخذ عينة عند كل بوابة، مجيئًا ورحيلًا، يتعقبونهم كالحيوانات».

للحظات أفكر بالوثيقة القديمة التي رماها الملك في وجهي هذا اليوم في غرفة العرش، اسمي، صورتي، وبقعة دماء، دمائي، لديهم دمائي.

«ويمكنهم كشف صاحب الدماء بهذه السهولة؟».

«يأخذ الأمر بعض الوقت، أسبوعًا أو ما يقرب، ولكن نعم، هكذا يكون الأمر» يقع نظره على يديَّ المرتجفتين، ويغطيهما بيديه، ويدع الدفء ينزف داخل يديَّ الباردتين فجأة. «(ماير)؟».

«أطلقوا النار عليَّ» أهمس، «حارس (السينتنال) أطلق النار عليَّ، هذه دمائي التي وجدوها».

صارت يداه باردتين كيديَّ، مع كل أفكاره الذكية، ليس لديه شيء ليقوله ردًّا على هذا، يحدق إليَّ، وأنفاسه نفخات قصيرة خائفة، أعرف النظرة على وجهه، أضعها كل مرة أضطر فيها إلى وداع شخص ما.

«من الأسف أننا لم نقدر على البقاء لوقت أطول» أتمتم بينما أراقب النهر، «كنت أحب أن أموت بالقرب من البيت».

تبعث نسمة هواء أخرى بخصلات من شعري عبر وجهي، لكن (مافين) يبعدها ويقربني منه بقوة مفاجئة، قبلته ليست كأخيه؛ (مافين) أكثر يأسًا، ويفاجئ نفسه كما فاجأني، يعلم أنني أغرق بسرعة، كصخرة تسقط عبر النهر، ويريد أن يغرق معي.

«سأصلح ذلك» يهمهم بالقرب من شفتيَّ، لم أرَ عينيه بمثل هذا الإشراق والحدة من قبل: «لن أتركهم يؤذونكِ، أعدكِ».

جزء مني يريد تصديقه: «(مافين) لا يمكنك إصلاح كل شيء».

«أنتِ محقة، لا يمكنني إصلاح كل شيء» يجيبني وصوته به حدة: «ولكن يمكنني إقناع شخص لديه سلطة أكبر مني».

«من؟».

عندما ترتفع درجات الحرارة حولنا، يبتعد عني (مافين) وفكَّاه مشدودان ومتوتران، والطريقة التي تلمع به عيناه تجعلني شبه أتوقع أنه على وشك مهاجمة من يقاطعنا. لا ألتفت، على الأغلب لأنني لا أستطيع تحريك ساقيَّ، أشعر بالخدر، رغم أن شفتيَّ ما زالت توخزني بالذكرى، ما يعنيه ذلك لا أعرف، ولا أقدر على البدء في فهم ما أشعر به.

«تطلب الملكة حضورك عند سطح المراقبة» صوت (كال) قاسٍ كالحجر، يبدو غاضبًا، لكنَّ عينيه البرونزية تبدو حزينة، مهزومة حتى، «نعبر (الستيلتز) يا (ماير)».

نعم، يبدو الساحل مألوفًا بالفعل، أعرف هذه الشجرة المتشابكة، امتداد الضفة، وأصداء المناشير والأشجار الساقطة لا جدال بها، هذا البيت، في ألم رهيب، أجبر نفسي على مواجهة (كال)، الذي يبدو في خضم محادثة صامتة مع أخيه.

«شكرًا يا (كال)» أهمس وما زلت أحاول استيعاب قبلة (مافين) وبالطبع بجانب هلاكي الوشيك.

يبتعد (كال) وظهره -الذي في العادة مستقيم- محني، وكل خطوة تبعث بالذنب داخلي، تجعلني أتذكر رقصتنا وقبلتنا الخاصة، أسبِّب الألم للجميع، وخاصة لنفسي.

يحدق (مافين) إلى أخيه الهارب: «لا يحب الخسارة، و....» يخفض صوته ويقترب حتى أرى النقاط الفضية الدقيقة في عينيه، «ولا أحبها أيضًا، لن أخسرك يا (ماير)، لن أفعل».

«لن تخسرني أبدًا».

كذبة أخرى وكلانا نعلم ذلك.

يسيطر سطح المراقبة على مقدمة المركب، يحيط بها زجاجٌ ممتدٌ من جانب إلى الآخر. تتخذ أجسام بنية شكلها على ضفاف النهر، وتظهر الحلبة القديمة من خلف الأشجار، نحن على بُعد من الضفة لا يجعلنا قادرين على تمييز الأشخاص بطريقة صحيحة، ولكن أتعرف على منزلي في لحظة. العلم القديم لا يزال يرفرف على الشرفة، مزين بثلاث نجمات حمراء، واحدة منها عليها شريط أسود، تكريمًا لـ(شايد)، أعدموا (شايد)، من المفترض أن تنتزع نجمة بعد ذلك، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، احتفظوا بها في تمرد صغير خاص بهم.

أريد أن أشير إلى منزلي ليراه (مافين)، وأن أحكي له عن القرية، رأيت حياته، والآن أريد أن أريه حياتي. لكن يحل الصمت على سطح المراقبة، جميعنا نحدق إلى القرية بينما نقترب أكثر وأكثر، لا يهتم بكم القرويون، أريد أن أصرخ، فقط الحمقى سيتوقفون ليشاهدوا، فقط الحمقى سيتوقفون ويضيعون لحظة عليكم.

بينما يستمر المركب في الحركة، بدأت أفكر أن كل القرية مكونة من حمقى، تزاحم الألفا فردٍ عند الضفة، بعضهم غارقٌ في النهر حتى كعوبهم. يبدو الجميع من هذا البعد متشابهين، ملابس مهترئة باهتة، وبشرة مبقعة، هم مرهقون وجائعون، كل ما كنت عليه يومًا ما، وغاضبون. حتى من مكاني في المركب أستطيع الشعور بحنقهم، لا يهتفون أو يشجعون، لا يلوح أحد منهم، لا يبتسم أحد منهم.

«ما هذا؟» أتنهد، ولا أتوقع إجابة من أحد.

ولكن تجيبني الملكة، في تلذذ: «يا له من إهدار، استعراض عبر النهر بينما لا يأتي أحد ليشاهد، يبدو أننا أصلحنا ذلك».

شيء ما يخبرني أن هذا حدثٌ إجباري آخر، مثل المباريات والنشرات الإذاعية. نزع ضباط الأمن الشيوخ المرضى من فُرشهم والعاملين المرهقين من الأرض وأجبروهم على المجيء للمشاهدة، يصدر صوت سوط من مكان ما على الضفة، وتبعه صرخة امرأة.

«ابقي في الصف!» يدوي الصوت فوق الحشد، ولا تجفل أعينهم قطُّ،

يحدقون إلى الأمام، حتى لا أقدر على تمييز مصدر الاضطراب.

ماذا حدث لجعلهم بهذا الضعف؟ ما الذي قاموا به؟

تلسع الدموع عينيّ بينما أشاهد، هناك ضربات سياط أخرى وبعض الأطفال تبكي، ولكن لا يعترض أحدٌ على الضفة. فجأة أنا عند حافة السطح، أريد أن أندفع خارجة عبر الزجاج بكل ذرة مني.

«ذاهبة إلى مكان ما، يا (مارينا)؟» تقول (إيلارا) من مكانها بجانب الملك، ترشف مشروبها في هدوء، وتراقبني من فوق حافة كأسها.

«لماذا تفعلين هذا؟».

تراقبني (إيفانجلين) وذراعاها متشابكتان فوق فستانها الفخم وتبتسم في سخرية: «لماذا تهتمين؟» ولكن كلماتها تقع على أذن صماء.

«يعلمون ما حدث في القصر، وربما حتى يوافقون عليه، لذا يجب أن يعرفوا أننا لم نُهزم» يهمس (كال) وعيناه على ضفة النهر، لا يستطيع النظر إليّ، الجبان. «أننا لا ننزف حتى».

صوت ضربة سوط أخرى تجعلني أجفل، أكاد أشعر بالضربة على جلدي.

«هل أمرتَ بضربهم أيضًا؟».

لا يقبل التحدي، وفكّاه مغلقان بشدة، ولكن عندما يصرخ قروي آخر، معترضًا ضد ضباط الأمن، يغلق عينيه.

«قفي بعيدًا يا سيدة (تيتانوس)» يدوي صوت الملك مثل الرعد البعيد، أمر إذا كان هناك قط. أقدر على الشعور بابتسامته المتعجرفة عندما أبتعد وأقترب من (مافين). «هذه قرية حمراء، تعلمين ذلك أكثر منّا، يأوون هؤلاء إرهابيين، ويطعمونهم ويحمونهم ويصيرون منهم. هؤلاء الأطفال أخطأوا، ويجب أن يتعلموا».

أفتح فمي لأجادله، ولكن تكشر الملكة عن أسنانها: «ربما تعلمين بأمر بعض منهم يمكن أن يصيروا عبرة؟» تقول في هدوء، وتشير إلى الساحل.

تموت الكلمات في حلقي، هربًا من تهديدها: «لا جلالتك، لا أعلم».

«إذن، قفي في الخلف واصمتي» تبتسم: «فسيأتي وقتك للحديث».

هذا ما يحتاجون إليّ من أجله، للحظة مثل هذه، عندما تميل كفة الميزان ضدهم، ولكن لا يمكنني أن أعترض، يمكنني فقط فعل ما تأمر به وأراقب بيتي يختفي عن نظري، إلى الأبد. كلما اقتربنا من العاصمة

كلما ازدادت القرى في الحجم، وسرعان ما اختفت مجتمعات الأخشاب والزراعة وبدلتها قرى لائقة. تتمركز حول طاحونة ضخمة، بيوتٌ حجرية ومهاجع لتسكين العمالة (الحمر). مثل القرى الأخرى، يقف السكان في الشوارع ليراقبونا ونحن نعبر، يصيح ضباط الأمن وتضرب الأسواط، لا أعتادها قطُّ، وأجفل.

ثم تُبدَّل بالقرى عزبٌ ممتدة وقصورٌ وسرايات مثل ساحة الشمس، مصنعة من الحجر والزجاج والرخام الدائري، يبدو كل منهم أكثر فخامة مما سبقه. حدائقهم تميل تجاه النهر، مزينة بنباتات مصنعة من قبل (جرين واردين) ونوافير بديعة. تبدو البيوت نفسها من صنع الآلهة، كلٌّ منها مختلفٌ ورائعٌ، ولكن النوافذ مظلمة، والأبواب مغلقة. بينما كانت القرى والبلدات مليئة بالناس، هذه تبدو خالية من الحياة. فقط الأعلام التي ترفرف عاليًا -واحد فوق كل مبنى- تدلني على أن هناك من يسكن هنا. أزرق لمنزل (أوسانوس)، وفضي لـ(ساموس) وبني لـ(رامبوز) وهكذا. الآن أعلم الألوان عن ظهر قلب، وأضع وجوهًا للبيوت الصامتة، قتلت بعض المالكين حتى.

«(ريفر رو)» يشرح (مافين): «المسكن الريفي، إذا أراد لورد أو سيدة نبيلة الهروب من المدينة».

يتعلق نظري عند منزل (إيرال)، مكون من أعمدة رخامية مدهشة، تحرس فهود حجرية الشرفة، تكشر عن أنيابها تجاه السماء، حتى التماثيل تجعلني أرتعد، تجعلني أتذكر (أرا إيرال) وأسئلتها الملحة.

«لا يوجد أحدٌ هنا».

«البيوت خالية معظم العام، ولن يجرؤ أحدٌ على ترك المدينة الآن، ليس مع أمور الحرس القرمزي» يعطيني ابتسامة مريرة صغيرة: «يفضِّلون الاختباء خلف جدرانهم الألماسية ويتركون أخي للقتال من أجلهم».

«فقط لو لم يضطر أحدٌ إلى القتال على الإطلاق».

يهز رأسه: «لا تنفع الأحلام».

نشاهد في صمتٍ بينما تقع (ريفر رو) خلفنا وتظهر غابة أخرى على الضفة. الأشجار غريبة، طويلة للغاية ولحاؤها أسود وأوراقها حمراء قاتمة. هناك صمتٌ تام لا يجب أن تكون عليه أي غابة، ولا حتى صوت غناء

الطيور يكسر الصمت، وفوقنا تظلم السماء، لكن ليس بسبب انحسار ضوء الظهيرة، تتجمع سحب سوداء، وتطوف فوق السماء كغطاء سميك.

«وما هذا؟» حتى صوتي يبدو مكتومًا، وأصير فجأة ممتنة للغطاء الزجاجي للسطح، ولدهشتي رحل الجميع وتركونا وحدنا نشاهد بينما ينكشف المشهد الكئيب.

ينظر (مافين) إلى الغابة، ويبعد وجهه في نفورٍ: «أشجار مانعة، تمنع التلوث من الوصول إلى أعلى النهر، (الجرين واردين) من منزل (ويل) صنعوها منذ أعوام».

يتجمع زبد أمواج بنية سميكة حول المركب، ويترك خطًّا رفيعًا من الأوساخ السوداء. يتخذ العالم ظلًّا غريبًا، كأنني أنظر خلال نظارة متسخة. السحب المنخفضة ليست سحبًا على الإطلاق، ولكن أدخنة متدفقة من ألف مدخنة، تحجب السماء، اختفت الخضرة والأعشاب، هذه أرض الرماد والتعفن.

«البلدة الرمادية» يهمهم (مافين).

تمتد المصانع إلى آخر مرمى بصري، متسخة وضخمة وتطن بالكهرباء، تضربني كلكمة، كادت تسقطني. يحاول قلبي أن يواكب النبضة غير العادية وتوجب عليَّ الجلوس، أشعر بدمائي تتسابق. كنت أعتقد أن العالم خاطئ، وأن حياتي غير عادلة، ولكني لم أحلم يومًا بمكان مثل البلدة الرمادية. تشع محطات الكهرباء وسط الظلمة، وتنبض بزرقة الكهرباء وخضرة السقم للشبكة العنكبوتية من الأسلاك فوقها. تتحرك وسائل نقل محملة بأكوامٍ من البضائع على الطرق المرفوعة، تنقل البضائع من مصنعٍ إلى آخر، يصرخون تجاه بعضهم في فوضى من الضوضاء من الزحام المتشابك، يتحركون مثل دماء سوداء ثقيلة في أوردة رمادية. والأسوأ من كل شيء هو أن هناك بيوتًا صغيرة تحاوط كل مصنع في مربعٍ منظمٍ، واحد فوق الآخر، مع شوارع ضيقة بينهم، الأحياء العشوائية.

تحت السماء المليئة بالدخان، أشك أن العمال يمكنهم رؤية ضوء النهار، يتحركون بين المصانع وبيوتهم، يتزاحمون عبر الشوارع في أثناء تغيير النوبات. لا يوجد ضباط أمن ولا ضربات سياط، ولا نظرات خاوية. لا يجبرهم أحدٌ على مشاهدتنا بينما نعبر، لا يحتاج الملك إلى أن يتفاخر هنا،

أدرك ذلك، هم مكسورون منذ الولادة.

«هؤلاء التقنيون» أهمس بصوتٍ خشن، متذكرة اللقب الذي يرميه (الفضيون) بلا مبالاة، «يصنعون الإضاءات والكاميرات وشاشات عرض الفيديو».

«المسدسات والطلقات النارية والقنابل والمراكب ووسائل التنقل» يضيف (مافين)، «يحافظون على تشغيل الطاقة، ويحافظون على نظافة المياه، يقومون بكل شيء من أجلنا».

ولا يحصلون على أي شيء عدا الدخان في المقابل.

«لماذا لا يرحلون؟».

يهز كتفيه فقط، «هذه الحياة الوحيدة التي يعرفونها، لن يرحل معظم التقنيين عن واديهم أبدًا، حتى التجنيد غير مسموح لهم».

التجنيد غير مسموح، حياتهم رهيبة إلى درجة أن الحرب ستكون بديلًا أكثر لطفًا، وليس مسموحًا لهم بالذهاب. مثل كل شيء على ضفة النهر، تختفي المصانع، ولكن صورتها تبقى معي، لا يجب أن أنسى ذلك، يخبرني شيء ما، لا يجب أن أنساهم.

تنتظرنا نجومٌ على الجانب الآخر من الأشجار المانعة وتحتها: (أركيون). في البداية لا أرى العاصمة على الإطلاق، ظننت خطأ أن الأضواء نجوم مشتعلة، وبينما نبحر أقرب، يسقط فكي مفتوحًا. يقطع جسرٌ مكون من ثلاثة طوابق النهر الواسع ليصل بين المدينتين على جانبيه. طوله آلاف الأقدام، مزدهر وحي بالأضواء والكهرباء. هناك محلات وأسواق مبنية على الجسر نفسه على بعد مئة قدم فوق النهر. يمكنني تخيل (الفضيين) هناك يشربون ويأكلون وينظرون إلى العالم أسفلهم من بنيانهم العالي. تضيء المواصلات في الطابق السفلي للجسر، أضواؤهم الأمامية تشبه الشهب الحمراء والبيضاء التي تقطع سماء الليل، كلا نهايتي الجسر عليها بوابة، والمدن على جانبيه تحاوطها الأسوار.

على الضفة الشرقية، أبراج معدنية عالية تخرج من الأرض كالسيوف لتخترق السماء، يعلوها تيجان على هيئة طيور جارحة بارقة. يتزاحم مزيد من مواصلات النقل والأشخاص عند الشوارع المرصوفة التي تصعد على ضفاف النهر المنحدرة، لتصل بين الجسر والمباني والبوابات الخارجية.

الجدران مصنعة من الزجاج الألماسي مثل قصر ساحة الشمس، لكنها مقامة على أبراج معدنية مضاءة بكشافاتٍ ومبانٍ أخرى. هناك دوريات حراسة على الجدران، ولكن أزياءهم ليستْ مثل الأحمر المشتعل الخاص بـ(السينتنال) أو الأسود القاسي الخاص بضباط الأمن. يرتدون أزياء رسمية ملونة بالفضي والأبيض، تكاد تختلط بالمباني حولها، هم جنود، وليسوا من النوع الذي يرقص مع السيدات، هذه قلعة محصنة.

بُنيت (أركيون) للصمود في أثناء الحرب، لا السلام.

على الضفة الغربية، أتعرَّف على البلاط الملكي ومبنى الخزينة من فيديو التفجيرات، كلاهما مبني من رخام أبيض لامع، وكلاهما تم إصلاحه بالكامل، على الرغم من عدم مضي أكثر من شهر على الهجوم، كأنه عمر كامل. يقفان على جانبي قصر (وايتفاير)، مبنى حتى أنا أعرفه بمجرد رؤيته. كانت معلمتي القديمة تقول إنه حُفِر من جانب التل نفسه، جزء حي من الصخور البيضاء، تنطلق ألسنة من اللهب الذهبي واللؤلؤ فوق الجدران المحيطة.

أحاول استيعاب الموقف، تسرع عيناي بين جانبي الجسر، ولكن عقلي لا يقدر على استيعاب هذا المكان. تتحرك المركبات الجوية فوقنا في سماء الليل، بينما النفاثات الجوية تحلق أعلى، وبسرعة النجوم الرحالة. ظننت ساحة الشمس معجزة، من الواضح أنني لا أعرف معنى الكلمة، ولكني لا أجد أي شيء هنا جميلًا، ليس مع وجود المصانع المظلمة المليئة بالأدخنة على بُعد بضعة أميال خلفنا. الاختلاف بين المدينة الفضية والأحياء الحمراء يجعلني أجزُّ على أسناني. هذا العالم الذي أحاول إسقاطه، العالم الذي يحاول قتلي وكل ما أحبه. أرى الآن حقيقة ما أحارب ضده وكم هو صعب، كم من المستحيل سيكون الانتصار. لم أشعر أبدًا بالصغر كما أشعر الآن مع الجسر الضخم يقترب فوقنا. يبدو كأنه يستعد لابتلاعي بالكامل، ولكن يجب أن أحاول، حتى ولو من أجل البلدة الرمادية، من أجل من لا يرون الشمس أبدًا.

الفصل الثالث والعشرون

مع الوقت الذي يرسو فيه المركب على الضفة الغربية ونعود للأرض، كان الليل قد حلَّ. في البيت يعني ذلك إغلاق الكهرباء والذهاب إلى النوم، لكن ليس في (أركيون). بالعكس بدت المدينة أكثر بريقًا بينما يتحوَّل بقية العالم إلى ظلام. تشتعل المفرقعات النارية في الأعلى وتمطر الأضواء على الجسر، وفوق (وايتفاير)، ترتفع أعلامٌ حمراء وسوداء، عاد الملك لعرشه.

لحسن الحظ لا توجد استعراضات أخرى أعاني خلالها؛ فترحب بنا عربات مصفحة للنقل تأخذنا من المرسى. ولسعادتي، أنا و(مافين) لدينا عربة خاصة بنا، يصحبنا فقط اثنان من (السينتنال). بينما نعبر يشير إلى معالم المدينة، يشرح كل تمثال وكل زاوية شارع، يخبرني حتى بمخبزه المفضل، رغم أن موقعه على الجانب الآخر من النهر.

«الجسر وشرق (أركيون) للمدنيين، وعامة (الفضيين)، رغم أن الكثير منهم أكثر ثراءً من بعض النبلاء».

«عامة (الفضيين)؟» أكاد أضحك: «هل هناك شيء كهذا؟».

يهز (مافين) كتفيه: «بالطبع، هم تجار، رجال أعمال، جنود، ضباط، أصحاب محال، سياسيون، بارونات أراضٍ، فنانون، ومفكرون، العديد منهم يتزوجون من منازل راقية، بعضهم يرتقي من مكانته، لكنهم لا يمتلكون دماء نبيلة، وقدراتهم ليست...حسنًا، قوية».

ليس الجميع مميزين، قال لي (لوكاس) ذلك مرة، لم أعلم أنه كان يقصد (الفضيين) أيضًا.

«بينما غرب (أركيون) من أجل بلاط الملك» يكمل (مافين)، نمرُّ خلال شارع مليء بمنازل من الحجارة البيضاء وأشجار مزهرة مقلمة، «كل المنازل الراقية تتخذ مسكنًا لها هنا، لتكون قريبة من الملك والحكومة، في الواقع الدولة كلها يمكن إدارتها من هذا التل، إذا تطلَّب الأمر ذلك».

هذا يفسر الموقع. الضفة الغربية منحدرة بشدة، ويستقر القصر والمباني الحكومية عند قمة التل مطلة على الجسر. يحيط جدارٌ آخر قمة التل، يكوِّن سورًا حول قلب الدولة، أحاول ألا أحملق بشدة عندما نمرُّ عبر البوابة. ينكشف ميدان مرصوف بالبلاط في حجم حلبة القتال، يدعوه (مافين) بميدان القيصر (سيزر) على اسم أول حاكم من سلالته. ذكر (جوليان) الملك (سيزر) من قبل، ولكن بصورة عابرة؛ لم تتعمق دروسنا أبعد من الانقسام الأول، عندما صار الأحمر والفضي أكثر من مجرد لونين.

يشغل قصر (وايتفاير) الجزء الجنوبي من الميدان، بينما تشغل المحاكم والخزينة والمراكز الإدارية باقي الميدان. يوجد حتى ثكنات عسكرية، نظرًا إلى وجود الجنود يتدربون داخل الجدار المسور. هم فيلق الظل التابع لـ(كال)، الذين سبقونا إلى المدينة. وسيلة لراحة النبلاء، كما أطلق عليهم (مافين)، جنود داخل الأسوار لحمايتنا إذا حدث هجوم آخر.

رغم الوقت، يضج الميدان بالحركة بينما يسرع الناس تجاه بناء حاد الجوانب بجانب الثكنات. معلق على أعمدته أعلام حمراء وسوداء مزخرفة بالسيف، شعار الجيش. أقدر على رؤية منصة مقامة أمام البناء، مع منبر محاط بكشافاتٍ مضيئة وجمهور متزايد. فجأة تقع أعين الكاميرات -أكثر ثقلًا مما أتذكر- على وسائل نقلنا وتتابعنا بينما يمر صف العربات أمام المنصة، لحسن الحظ، نستمر بالحركة، ونعبر خلال قوس إلى ساحة صغيرة، وعندها نتوقف.

«ما هذا؟» أهمس، وأمسك بـ(مافين)، حتى الآن، أبقيت خوفي تحت السيطرة، ولكن بين الأضواء والكاميرات والحشد، تبدأ جدراني في التداعي.

يتنهد (مافين) في ثقلٍ، منزعجًا أكثر من أي شيء، «يبدو أن أبي سيقوم بإلقاء خطبة، مجرد ثرثرة فارغة ليبقي الجموع سعيدة، لا يحب الناس أي شيء أكثر من وعد القائد بالانتصار».

يخرج (مافين) ويسحبني معه، رغم مساحيق التجميل وملابسي، أشعر بالعري فجأة، هذا من أجل بث إذاعي، آلاف، ملايين سيرون هذا.

«لا تقلقي، يجب فقط أن تقف ونبدو حازمين» يهمس في أذني.

«أعتقد أن (كال) قام بالمطلوب» أشير حيث الأمير المتجهم، ما زال ملتصقًا بخصر (إيفانجلين).

يبتسم (مافين) لنفسه، «يعتقد أن الخطب مضيعة للوقت، يحب (كال) الفعل لا الكلمات».

هذا يجعلنا اثنين، لكن لا أريد أن أعترف أن لديَّ أي شيء مشترك مع شقيق (مافين) الأكبر، ربما في وقتٍ ما، اعتقدت ذلك، لكن ليس الآن، وليس مجددًا أبدًا. يشير سكرتير نشط إلينا، ملابسه زرقاء ورمادية، ألوان منزل(ماكنثوس). ربما كان يعرف الكولونيل؛ ربما كان أخاها أو ابن عمها. لا تفعلي هذا يا (ماير)، هذا آخر مكان يمكنك فقدان أعصابك فيه. لا ينظر إلينا عندما نقف في أماكننا خلف (كال) و(إيفانجلين)، والملك والملكة في المقدمة. الغريب أن (إيفانجلين) لا تتصرف كعادتها الباردة الهادئة؛ يمكنني أن أرى يدها ترتجف، هي خائفة، تريد الأضواء، تريد أن تكون عروس (كال)، ومع هذا تهاب الأمر، كيف يمكن ذلك؟

ثم نتحرك، نمشي تجاه البناء مع (سينتنال) وضباط أمن أكثر مما نقدر على عدِّهم. بالداخل، يبدو أنه بني من أجل العملية فقط، مع الخرائط والمكاتب وغرف المجالس بدلًا من اللوح الفنية والصالونات. يبقي أفراد في أزياء رمادية أنفسهم مشغولين في الردهة، رغم أنهم توقفوا ليدعونا نمرُّ. معظم الأبواب مغلقة، ولكني أتمكن من إلقاء نظرة داخل بعضها. يفحص ضباط أمن وجنود خرائط لجبهة الحرب، يتجادلون حول أماكن توزيع الفيالق. يتدفق من غرفة أخرى طاقة هائلة؛ فتحتوي على المئات من شاشات الفيديو، كلٌّ منها يديرها جندي في زي المعركة. يتحدثون عبر سماعات رأس، يصرخون بالأوامر لأفراد وأماكن بعيدة. تختلف الكلمات، ولكن المعنى واحد.

«حافظ على الحدود».

يتباطأ (كال) عند باب غرفة الفيديو، ويمد رقبته ليحصل على نظرة أفضل، ولكنه فجأة يغلق في وجهه، يتجهم، ولكنه لا يعترض ويعود إلى جانب (إيفانجلين). تهمس له في هدوء، ولكنه يتجاهلها، لسعادتي، لكن

تختفي ابتسامتي عندما نخطو داخل الأضواء الساطعة على الدرجات الأمامية للبناء. توجد لافتة برونزية بجانب الباب مكتوب عليها: قيادة الحرب. هذا المكان هو قلب الجيش. كل جندي، كل قوة عسكرية، كل سلاح يحكمون به من الداخل، تنقلب معدتي من القوة بهذا المكان، ولكن لا يمكنني أن أفقد أعصابي، ليس أمام كل هؤلاء. تضيء الكاميرات وتعمي نظري. عندما أجفل أسمع صوتًا داخل رأسي، يضع السكرتير ورقة بين يدي، نظرة واحدة تجاهها وأكاد أصرخ، أعلم الآن لِمَ أنقذوني.

اعملي لتستحقي البقاء، يهمس صوت (إيلارا) داخل رأسي، تنظر تجاهي من جانب (مافين)، وتحاول بكل قدرتها ألّا تبتسم. يتبع (مافين) نظرتها البشعة ويلاحظ الورقة بين يدي المرتجفة. ببطء يشبك أصابعه بين أصابعي، كأنه يستطيع صب قوته داخلي، لا أريد أي شيء عدا تمزيق الورقة، ولكنه يبقيني صامدة.

«يجب أن تفعليها» هذا كل ما يقول، يهمس بصوتٍ منخفضٍ أسمعه بصعوبة: «يجب أن تفعليها».

***

«يحزن قلبي من أجل الحيوات التي فقدناها، لكن اعلموا أننا لم نفقدهم هباءً، ستغذي دماؤهم عزيمتنا وتقودنا لنتغلب على المصاعب القادمة. نحن أمة في حالة حرب، منذ ما يقرب من قرن، ونحن معتادون العقبات في طريق النصر. سيتم العثور على هؤلاء الأفراد، سيتم معاقبة هؤلاء وهذا المرض الذي يطلقون عليه ثورة لن يسيطر على بلدنا».

شاشة العرض في غرفة نومي الجديدة لها نفس فائدة مركب بلا أرضية، يبث خطبة الملك من أمس في حلقة تثير الغثيان. الآن أقدر على سرد الخطبة كاملة كلمة بكلمة، ولكن لا أستطيع التوقف عن المشاهدة، لأني أعلم ما سيأتي تاليًا. يبدو وجهي غريبًا على الشاشة، شاحبة للغاية، باردة للغاية. ما زلت لا أصدق أنني قدرت على الحفاظ على تعبيرات وجهي بينما قرأت الكلمات، عندما أقف على المنبر، متخذة مكان الملك، لا أرتجف.

«تربيت على يد (الحمر)، صدقت أنني واحدة منهم، ورأيت بنفسي فضل جلالة الملك، وطرق اللوردات الفضية العادلة، والميزات العظيمة التي أعطوها إيانا. حق العمل، لخدمة دولتنا، للعيش والحياة الكريمة» في الشاشة يضع (مافين) يده على ذراعي، ويومئ مع كلامي. «أعلم الآن أنني مولودة فضية، سيدة نبيلة من منزل (تيتانوس) ويومًا ما أميرة (نورتا)، فتحت عينيَّ على عالم لم أحلم بوجوده، هو لا يهزم، هو رحيم، وهؤلاء الإرهابيون، قتلة من أكثر الأنواع شرًّا، يحاولون هدم حجر أساس الأمة، وهذا لا يمكن أن نسمح به».

في أمان غرفتي الخاصة، أخذ نفسًا مرهقًا، الأسوأ قادم.

«بحكمته صاغ الملك (تايبرياس) تدابير لنزع داء التمرد، ولحماية مواطني أمتنا الصالحين، وهي كما يلي: من اليوم، يُفرَض حظر تجوال من بعد مغيب الشمس على كل (الحمر). سيضاعف عدد ضباط الأمن في كل قرية وبلدة حمراء، سيتم بناء مراكز أمنية جديدة على الطرق وتزود بكامل قوتها. كل جرائم (الحمر) وضمنها خرق حظر التجوال ستعاقب بالإعدام، و...» هنا يهتز صوتي لأول مرة: «سن التجنيد سينخفض إلى سن خمسة عشر عامًا، أي أحد سيوفر معلومات تقود إلى القبض على عملاء الحرس القرمزي أو منع أفعال الحرس القرمزي سيتم مكافأته بإعفاء من التجنيد وإطلاق سراح خمسة من عائلته من الخدمة العسكرية».

هذه مناورة عبقرية ورهيبة، سيمزق (الحمر) بعضهم من أجل هذا الإعفاء.

«هذه التدابير سيتم الحفاظ عليها مهما كان الثمن حتى يتم القضاء على الداء الذي هو الحرس القرمزي» أحدق إلى عينيَّ على الشاشة، أراقب بينما أمنع نفسي من الاختناق بخطبتي. عيناي متسعتان في أمل أن يعلم قومي ما أحاول قوله، تكذب الكلمات: «يعيش الملك».

يتموج الغضب داخلي، وتظلم الشاشة، مبدلة بوجهي فراغًا أسود، ولكني ما زلت قادرة على رؤية كل أمر جديد في عقلي، دوريات ضباط أمن أكثر، جثث معلقة من المشانق أكثر، أمهات أكثر تبكي على أولادهم

المسروقين. قتلنا دزينة منهم، وسيقتلون آلافًا منا. جزء مني يعلم أن هذه الضربات ستدفع بعض (الحمر) إلى جانب الحرس القرمزي، ولكن العديد منهم سينحاز إلى جانب الملك، من أجل حياتهم وحياة أطفالهم، سيضحون بالحرية القليلة الباقية لهم.

ظننت أن كوني دميتهم سيكون سهلًا مقارنة بكل شيء آخر، كنت مخطئة، ولكن لا يمكنني تركهم يكسرونني، ليس الآن، وليس حتى مع هلاكي الوشيك الذي يقترب في الأفق، يجب أن أفعل كل ما أقدر عليه حتى تتطابق دمائي، وتنتهي اللعبة، حتى يجرجروني بعيدًا ويقتلوني.

على الأقل تواجه نافذتي النهر، تطل على الجنوب تجاه البحر. عندما أحدق إلى المياه، يمكنني تجاهل مستقبلي المتلاشي. يتحرك نظري من التيار السريع إلى البقعة السوداء في الأفق، بينما باقي السماء صافية، تطوف سحب مظلمة في الجنوب، لا تتحرك من فوق الأرض المحرمة على الساحل أبدًا. المدينة الهالكة. أبادت الإشعاعات والنيران المدينة في وقتٍ ما ولم تتركها قطُّ، هي الآن لا شيء غير شبح أسود يجلس بعيدًا عن الوصول، رفات العالم القديم.

جزء مني يتمنى أن يطرق (لوكاس) على بابي، ويأخذني إلى دروسي الجديدة، ولكنه لم يعد بعد. أظنه أفضل حالًا بدون أن أخاطر بحياته.

تستقر هدية (جوليان) مقابل الجدار، تذكرة حازمة بصديقٍ آخر مفقود، هي جزء من خريطة ضخمة وُضِعَت داخل إطار ولامعة خلف الزجاج. عندما أمسكها، يرتطم شيء بالأرض، سقط من ظهر الإطار.

علمت ذلك.

يسرع قلبي، وينبض بشدة بينما أسقط على ركبتي، متمنية أن أجد سرًا ما من (جوليان)، ولكن بدلًا من ذلك، لا أجد أكثر من كتاب. رغم خيبة أملي، لا أقدر على منع نفسي من الابتسام، بالطبع ترك لي (جوليان) قصة أخرى، مجموعة أخرى من الكلمات لتهدئني بينما لا يقدر هو. أفتح الغلاف، متوقعة أن أجد بعض التواريخ الجديدة، ولكني أجد كلمات مكتوبة بخط اليد تحدق إليَّ من صفحة العنوان، أحمر وفضي. خربشة

(جوليان) الملتوية لا خطأ فيها، مجال رؤية الكاميرات في غرفتي تطرق على ظهري، لتذكرني أنني لست وحيدة، علم (جوليان) ذلك، (جوليان) العبقري.

يبدو الكتاب عاديًا، دراسة مملة للآثار التي وجدت في (ديلفي)، ولكن مخبأ بين الكلمات، بنفس نوعها، سرٌ يستحق الإفصاح عنه. يتطلب مني البحث عن كل سطر زائد بعض الدقائق، وأنا شاكرة أنني استيقظت مبكرًا، وأخيرًا جمعتهم ويبدو أنني نسيت كيفية التنفس.

(داين ديفيدسون)، جندي أحمر، فيلق العاصفة، قُتِل في دورية روتينية، لم تسترد جثته. 1 أغسطس، 269 ع.ج. (العصر الجديد)، (جاين باربارو)، جندية حمراء، فيلق العاصفة، قُتلت بنيران صديقة، حُرق جثمانها. 19 نوفمبر، 297 ع.ج. (بايس جاردنر)، جندي أحمر، فيلق العاصفة، أُعدم بسبب العصيان، فُقد موضع جثمانه. 4 يونيو، 300 ع.ج. هناك العديد من الأسماء، خلال عشرين عامًا السابقة، جميعهم أُحرق جثمانهم أو فُقد موضعهم. كيف يمكن أن يفقد موضع رجل تم إعدامه، لا أعلم. يجعل الاسم الأخير في القائمة عينيَّ تدمع، (شايد بارو)، جندي أحمر، فيلق العاصفة، أعدم للهروب من الخدمة، حرق جثمانه. 27يوليو، 320 ع.ج. كلمات (جوليان) الشخصية تتبع اسم أخي، وأشعر أنه بجانبي مجددًا، ببطء وفي هدوء يعلمني درسًا.

طبقًا للقانون العسكري، كل (الحمر) يجب أن يتم دفنهم في مدافن المنطقة المختنقة. الجنود الذين تم إعدامهم لا يتم دفنهم، ويتركون في مقابر جماعية. حرق الجثمان ليس معتادًا، والجثث التي فُقد موضعها غير موجود. ومع ذلك وجدت 27 اسمًا، 27 جنديًا، ومن ضمنهم أخوكِ، عانوا من نفس المصير.

جميعهم ماتوا في الورديات، قتلهم (اللايكلاندريون) أو وحداتهم الخاصة، إذا لم يتم إعدامهم بسبب اتهامات بلا أساس. جميعهم نقلوا إلى فيلق العاصفة قبل أن يموتوا، وكل جثثهم دُمرت أو فُقدت بطريقة ما، لماذا؟ فيلق العاصفة ليست بفرقة موت، خدم مئات من (الحمر) تحت قيادة الجنرال (إيجيري) من دون الموت بطريقة غريبة، لماذا قُتل هؤلاء السبعة والعشرون؟

لأول مرة أكون ممتنًا لسجلات الدماء، حتى وبعد موتهم بفترة طويلة، فعينات دمائهم ما زالت باقية. والآن يجب أن أعتذر يا (ماير) فلم أكن صادقًا معكِ. وثقتِ بي لأدربكِ وأساعدكِ وفعلت ذلك، ولكني كنت أساعد نفسي أيضًا. أنا رجلٌ فضولي، وأنتِ أكثر شيء مثير للفضول رأيته في حياتي، لم أقدر على منع نفسي، قارنت عينة دمائك بعيناتهم، ووجدت علامة مميزة مشتركة، مختلفة عن الجميع.

لستُ متفاجئًا أنه لم يلاحظ أحدٌ شيئًا، لأنهم لم يكونوا يبحثون. والآن مع علمي بالأمر، كان من السهل إيجادها. دماؤك حمراء، ولكنها ليست نفس الشيء، هناك شيء جديد داخلك، شيء لم يره أحدٌ من قبل، وهذا مشترك مع السبعة والعشرين الآخرين، طفرة، تحور يمكن أن يكون مفتاح كل شيء بك.

لستِ الوحيدة يا (ماير)، لستِ وحيدة، أنتِ فقط الأولى التي يحميها آلاف الأعين، الأولى التي لم يقدروا على قتلها أو إخفائها. مثل الآخرين، أنتِ حمراء وفضية، وأقوى منهما معًا.

أعتقد أنكِ المستقبل، أنتِ الفجر الجديد، وإذا سبقكِ سبعة وعشرون، فلا بد أن هناك آخرين، لا بد أن هناك المزيد.

أشعر بالتجمد، أشعر بالخدر، أشعر بكل شيء ولا شيء، آخرون مثلي.

باستخدام الطفرة في دمائك، بحثت في سجلات الدماء ووجدت نفس الشيء في عينات أخرى، أدرجتهم جميعًا هنا، لكي تمرريهم. أعلم أنه لا يجب عليّ أن أخبرك بأهمية هذه القائمة، وما يمكنها أن تعنيه لكِ ولباقي العالم. مرريها إلى شخصٍ تثقين به، ابحثوا عن الآخرين، احموهم، دربوهم، لأنه مجرد وقت حتى يكتشف شخص أقل ودية ما اكتشفته وسيطاردهم.

تنتهي كلماته هنا، وتتبعها قائمة تجعل أصابعي ترتجف، هناك أسماء ومواقع، الكثير منهم، جميعهم ينتظرون إيجادهم، ينتظرون القتال. أشعر بعقلي كأنه يشتعل، آخرون، المزيد، تسبح كلمات (جوليان) أمام عينيّ، وتحترق في روحي.

أقوى منهما معًا.

***

يجلس الكتاب الصغير في معطفي في إحكامٍ، مخبأ بجانب قلبي، ولكن قبل أن أذهب إلى (مافين)، لأريه اكتشاف (جوليان)، يجدني (كال)، ويحاصرني في غرفة معيشة مثل التي رقصنا بها، رغم رحيل القمر والموسيقى منذ زمن طويل. في وقتٍ ما أردت كل ما يمكنه منحه، والآن مجرد رؤيته تقلب معدتي، يمكنه ملاحظة النفور على وجهي بينما أحاول إخفاءه.

«أنتِ غاضبة مني» يقول ولا يسأل.

«لستُ كذلك».

«لا تكذبي»، يزمجر وعيناه مشتعلتان فجأة، كنت أكذب منذ يوم لقائنا. «قبّلتِني منذ ثلاثة أيام ماضية، والآن لا يمكنك حتى النظر إليّ».

«أنا مخطوبة لأخيك» أخبره وأبتعد.

تجاهل الأمر بتلويحة من يده، «لم يمنعك هذا من قبل، فماذا تغير؟».

رأيت حقيقتك، أريد أن أصرخ، لست المحارب اللطيف، الأمير الكامل، أو حتى الفتى المحتار الذي تتظاهر به، على الرغم من محاولاتك لمحاربته، أنت مثلهم.

«هل هذا بسبب الإرهابيين؟».

أجز على أسناني بشدة تؤلمني: «ثوار».

«قتلوا أشخاصًا وأطفالًا أبرياء».

«أنا وأنت نعرف جيدًا أنه ليس خطأهم» أقول في غضبٍ، لا يهمني كم هي قاسية كلماتي، يجفل (كال)، مصدومًا للحظة، يبدو مريضًا عند تذكره حادثة إطلاق النيران في قصر الشمس، والانفجار غير المقصود الذي تبعها، ولكنه يمرُّ سريعًا، ويبدله الغضب.

«لكنهم سبَّبوه رغم ذلك» يزمجر: «ما أمرت (السينتنال) به كان للموتى وللعدالة».

«وماذا جنيت من التعذيب؟ هل تعلم أسماءهم؟ كم كانوا؟ هل تعلم

حتى ماذا يريدون؟ هل تكبدت عناء الإنصات إليهم؟».

يتنهد، يحاول أن ينقذ المحادثة: «أعلم أن لديك أسبابك...للتعاطف معهم، ولكن أساليبهم...».

«أساليبهم هي خطؤكم، تجبروننا على العمل، تجبروننا على النزيف، على الموت في مصانعكم ووسائل الراحة البسيطة التي لا تلاحظونها حتى، كل ذلك لأننا مختلفون، كيف يمكنكم تصور أننا سنترك ذلك يكون؟».

يتململ (كال) وترتجف عضلة في وجنته، يجب أن يجيب عن هذا.

«السبب الوحيد أنني لست جثة في خندق ما هو أنك أشفقت عليَّ، السبب الوحيد لإنصاتك إليَّ الآن هو أنه بمعجزة ما، صادف أنني مختلفة من نوع آخر».

في كسلٍ، تشتعل الشرارة في يدي، لا يمكنني تخيل العودة لحياة لم يكن بها جسدي يطن بهذا النوع من القدرة، ولكنني أقدر على تذكره.

«يمكنكَ إيقافها يا (كال)، ستكون الملك، ويمكنكَ إيقاف الحرب، يمكنكَ إنقاذ الآلاف، الملايين، من أجيال من العبودية الممجدة، إذا قلتَ كفى».

شيء ما يتحطم داخل (كال)، يخمد النار التي يحاول أن يخفيها، يتحرك إلى النافذة، يداه متشابكتان خلف ظهره. مع ضوء الشمس على وجهه وظهره في الظلال، يبدو ممزقًا بين عالمين، في قلبي، أعلم أنه كذلك. الجزء الباقي مني الذي لا يزال يهتم به يريد إغلاق الفجوة بيننا، لكنني لستُ بهذا الحمق، لستُ فتاة مريضة بالحب.

«ظننتُ هذا في وقتٍ ما» يهمس: «ولكن سيسبِّب ذلك ثورة على الجانبين، ولن أكون الملك الذي يدمر البلاد، هذا إرثي وإرث أبي، ولديَّ واجبٌ تجاهه» تدوي منه حرارة ببطء، تسبِّب بخارًا على زجاج النافذة: «هل تقايض مليون موت بما يريدون؟».

مليون موت، يبرق في عقلي صورة جثة (بيليكوس ليرولان)، وأطفاله موتى بجانبه، ثم تنضم وجوه أخرى إلى الموتى: (شايد)، والد (كيلورن)، كل جندي أحمر مات من أجل هذه الحرب.

«لن يتوقف الحرس القرمزي» أقول في لطفٍ، وأعلم أنه بالكاد يستمع

بعد الآن، «وحين أن اللوم عليهم بالتأكيد، فاللوم عليكم أيضًا، هناك دماء على يديك يا أمير» ويد (مافين) ويديَّ.

أتركه واقفًا هناك، أتمنى أن أكون غيَّرت به شيئًا، ولكني أعلم أن فرصتي ضئيلة، هو ابن أبيه.

«اختفى (جوليان) أليس كذلك؟» ينادي ويوقفني من الخروج.

ألتفت ببطء، أفكر فيما يمكن أن أقوله، وقررت أن ألعب دور البلهاء. «اختفى؟».

«ترك الهروب فجوات في ذكريات (السينتنال)، بالإضافة إلى تسجيل الكاميرات، لا يستخدم خالي قدراته كثيرًا، ولكني أعلم آثارها.

«تعتقد أنه ساعدهم على الهرب؟».

«نعم» يقول في ألم، وينظر إلى يديه: «لهذا منحته وقتًا كافيًا ليهرب».

«فعلت ماذا؟» لا أصدق أذنيَّ، (كال) الجندي الذي يتبع الأوامر دومًا، يكسر القواعد من أجل (جوليان).

«هو خالي، فعلتُ ما أقدر عليه من أجله، إلى أي مدى تظنينني متحجرَ القلب؟» يبتسم في سخرية تجاهي، ولا ينتظر إجابة، يؤلمني هذا، «أخرت القبض عليه أطول فترة ممكنة، ولكن الجميع يتركون آثارًا وستجده الملكة»، يتنهد ويضع يده على الزجاج: «وسيُعدم».

«ستفعل ذلك بخالك؟» لا أبالي بإخفاء اشمئزازي، أو الخوف خلفه، إذا قُتِل (جوليان) حتى بعد أن تركه يهرب، فماذا سيفعل بي إذا كُشف أمري؟

يشد (كال) كتفيه بينما يستقيم ليتحول مجددًا إلى جندي، لن يسمع المزيد عن (جوليان) أو الحرس القرمزي.

«لدى (مافين) عرض مثير للانتباه».

هذا غير متوقع، «حقًا؟».

يومئ، ومن الغريب أنه منزعج لذكر أخيه، «كان (مافي) دومًا مفكرًا سريعًا، حصل على ذلك من والدته».

«هل من المفترض أن يخيفني ذلك؟» أعلم أكثر من الجميع أن (مافين) لا يشبه أمه في شيء، أو أي فضي آخر، «ماذا تحاول أن تقول يا (كال)؟».

«أنت في العراء الآن» يقول، «بعد الخطبة، يعلم العالم كله اسمك ووجهك، والمزيد سيتساءل عن من وما أنت».

يمكنني فقط أن أعبس وأهز كتفي، «ربما كان يجب أن تفكر في ذلك قبل إجباري على قراءة تلك الخطبة المقززة».

«أنا جندي ولست سياسيًا، تعلمين أنه لم يكن لي دخل بتلك التدابير الأمنية».

«ولكنك ستتبعهم، ستتبعهم من دون نقاش».

لا يجادلني في ذلك، ومع كل مساوئه لا يكذب (كال) عليَّ، ليس الآن.

«كل الوثائق الخاصة بك تم إزالتها، ضباط أو أرشيفيون لن يقدر أحدٌ على إيجاد دليل على أنكِ ولدتِ حمراء» يتمتم وينظر إلى الأرض: «هذا ما اقترحه (مافين)».

رغم غضبي، أشهق بصوتٍ عالٍ، سجلات الدماء، الوثائق: «ماذا يعني هذا؟» ليس لدي القدرة على منع صوتي من الارتجاف.

«سجلات المدرسة، شهادة الميلاد، بصمة الدماء، حتى بطاقة هويتك، تم تدميرها جميعًا» بالكاد أسمعه من صوت نبضات قلبي العالية.

في وقتٍ ما، كنت سأحتضنه فورًا، ولكن يجب أن أبقى ساكنة، يجب ألا أترك (كال) يعرف أنه أنقذني مجددًا، لا، ليس (كال)، هذا فعل (مافين)، كان هذا الظل المتحكم باللهب.

«يبدو أنه القرار الصحيح» أقول بصوتٍ عالٍ، أحاول أن أبدو غير مبالية.

ولكن تمثيليتي لا يمكنها الصمود إلى الأبد، بعد انحنائة تحية متصلبة تجاه (كال)، أسرع في الخروج من الغرفة، أحاول إخفاء ابتسامتي الجامحة.

الفصل الرابع والعشرون

أقضي معظم اليوم التالي في الاكتشاف، رغم أن عقلي في مكان آخر. قصر (وايتفاير) أقدم من ساحة الشمس، جدرانه مكونة من الأحجار والخشب المحفور عوضًا عن الزجاج الألماسي. أشك أنني سأعرف يومًا خريطة المكان كله، حيث إنه لا يحوي فقط المساكن الملكية، ولكن العديد من المكاتب الإدارية والحجرات وقاعات الاحتفالات، وساحة كاملة للتدريبات، وأشياء أخرى لا أفهمها. أعتقد لهذا يأخذ السكرتير نحو نصف ساعة لإيجادي، أتجول عبر معرض من التماثيل، ولكن ليس لديَّ وقتٌ أطول للاستكشاف، لديَّ واجبات يجب أن أقوم بها.

واجبات، حسب ثرثرة سكرتير الملك، تنطبق على مجموعة كاملة من الأفعال الشريرة تفوق قراءة التدابير الأمنية. كأميرة مستقبلية، يجب أن أقابل الشعب في رحلاتٍ منظمة، أقوم بالخطب وأصافح الأيادي وأقف بجانب (مافين). لا يزعجني آخر جزء، ولكن أن يتم عرضي كعنزة في مزايدة لا يحمسني فعليًا. أنضم إلى (مافين) في وسيلة النقل، لنتجه إلى أول ظهور، أتلهف على إخباره عن القائمة، وأن أشكره على سجلات الدماء، ولكن هناك العديد من الآذان حولنا.

يمرُّ معظم اليوم سريعًا في ضبابٍ من الضوضاء والألوان بينما نتجول من مكان إلى آخر في العاصمة. يذكرني سوق الجسر بالحديقة الكبيرة، رغم أنه يكبرها بثلاثة أضعاف. خلال نصف الساعة التي قضيناها نحيي الأطفال وأصحاب المحال، أرى فضيين يهينون ويعنِّفون دزينة من الخدم (الحمر)، جميعهم يحاولون فقط القيام بعملهم. يمنعهم الأمن من الهجوم الكامل، ولكن الكلمات التي يقذفونها تؤلم بنفس القدر: قتلة الأطفال، حيوانات، شياطين. يُبقي (مافين) يده مشدودة حول يدي، يقبضها كلما يُدفع أحمر

إلى الأرض. عندما نصل إلى المحطة التالية، معرض فني، أكون شاكرة لابتعادنا عن أعين العامة، حتى أرى اللوحات. يستخدم الرسام الفضي لونين: أحمر وفضيًّا، في مجموعة مرعبة تجعلني أشعر بالغثيان. كل لوحة أسوأ من سابقتها، تصور قوة (الفضيين) وضعف (الحمر) في كل ضربة فرشاة. آخر لوحة تصور خيالًا رماديًّا فضيًّا، ساكنًا كالشبح، والتاج على جبينه ينزف أحمر، يجعلني أريد أن أضرب رأسي بالجدار.

الساحة خارج المعرض صاخبة، مزدحمة بحياة المدينة. الكثير يتوقفون ليحدقوا إلينا حينما نتقدم في وسيلة نقلنا. يحييهم (مافين) بابتسامة ممارسة، ويجعل الحشد يهتف باسمه، هو بارع في هذا؛ بعد كل شيء، هؤلاء الناس هم حقه الشرعي. عندما ينحني ليتحدث مع بعض الأطفال، تشرق ابتسامته، ربما وُلِد (كال) ليحكم، ولكن (مافين) قُدِّر له هذا، و(مافين) مستعد لتغيير العالم من أجلنا، من أجل (الحمر) الذين تربى ليبصق عليهم.

ألمس القائمة في جيبي خلسة، أفكر في هؤلاء الذين يقدرون على مساعدتي أنا و(مافين) على تغيير العالم. هل هم مثلي، أم هم متنوعون مثل (الفضيين)؟ كان (شايد) مثلك، علموا بأمر (شايد) وقتلوه، مثلما يمكنهم قتلك، يؤلمني قلبي من أجل أخي الفقيد، من أجل المحادثات التي كان في إمكاننا خوضها، من أجل المستقبل الذي كان في إمكاننا صنعه.

ولكن (شايد) مات، وهناك آخرون يحتاجون إلى مساعدتي.

«نحتاج إلى أن نجد (فارلي)» أهمس في أذن (مافين)، بالكاد أسمع نفسي، ولكنه يسمعني ويرفع حاجبه في تساؤل: «يجب أن أعطيها شيئًا».

«ليس لديَّ شكٌّ أنها ستجدنا» يهمس إجابته: «إذا لم تكن تراقبنا بالفعل».

«كيف؟».

(فارلي) تتجسس علينا؟ داخل مدينة تريد تمزيقها أشلاء؟ يبدو مستحيلًا. ولكني ألاحظ ضغط الجموع الفضية، والخدم (الحمر) خلفهم. بعضهم يتباطأ ليشاهدنا، وأذرعهم عليها سوار أحمر، أي منهم يمكن أن يكون

تابعًا لـ(فارلي)، ويمكن جميعهم، حتى مع (السينتنال) والأمن حولنا، ما زالت معنا.

السؤال الآن هو إيجاد الأحمر الصحيح، وقول الشيء الصحيح، وإيجاد المكان الصحيح، وأن نفعل كل ذلك من دون أن يلاحظ أحدٌ الأمير وأميرته المستقبلية يتواصلان مع إرهابية مطلوب القبض عليها.

هذا ليس كالحشد في الوطن، الذي يمكنني التحرك خلاله بسهولة، الآن أنا مميزة، أميرة مستقبلية يحيط بها الحراس، مع ثورة تجلس فوق كتفيّ، وربما أيضًا شيء أكثر أهمية. أفكر، وأتذكر القائمة في معطفي، عندما يضغط الحشد أكثر، ويتزاحمون للنظر إلينا، أتخذ فرصتي وأتسلل. يحيط (السينتنال) بـ(مافين)، ما زالوا غير معتادين حراستي بنفس القدر، وبعد بعض انعطافات سريعة، أخرج من دائرة الحراس والمتفرجين، ويكملون طريقهم عبر الساحة دوني، إذا لاحظ (مافين) اختفائي فلم يمنعه.

لا يتعرف عليّ الخدم (الحمر)، رؤوسهم تجاه الأرض بينما يتحركون بين المحال، يظلون بالحارات والظلال، يحاولون أن يبتعدوا عن الأنظار، أنا منشغلة بالبحث بين وجوه (الحمر) فلم ألحظ الذي بجانب كوعي.

«سيدتي، سقطت منك هذه» يقول الولد الصغير، ربما هو في العاشرة، ويده بها السوار الأحمر، «سيدتي؟».

ثم ألاحظ القصاصة في يده، لا شيء، مجرد ورقة ملفوفة، لا أتذكر أنها لي، مع ذلك أبتسم للفتى وآخذها منه: «شكرًا لك كثيرًا».

يبتسم كما يفعل الأطفال قبل أن يركض تجاه حارة، يقفز مع كل خطوة، لم تسحبه الحياة إلى الأسفل بعد.

«من هنا يا سيدة (تيتانوس)» يقول (سينتنال) من فوقي، يراقبني بعين ثابتة، وهذه نهاية الخطة، أتركه يقودني إلى وسيلة النقل، أشعر بحزن فجأة، لا يمكنني حتى التسلل مثل السابق، أصير لينة.

«ما كان هذا؟» يتساءل (مافين) بينما أجلس في المركبة.

«لا شيء» أتنهد، وأنظر خارج النافذة بينما نخرج من الساحة: «ظننت أنني رأيت شخصًا ما».

لا أفكر بالنظر إلى الورقة الصغيرة قبل أن ندور حول زاوية الشارع، أفردها بجانب ساقيَّ وأخفيها بين ثنايات كمي، هناك كلمات مكتوبة على الورقة، صغيرة جدًّا بالكاد أقدر على قراءتها. مسرح (هيكسابرين): عرض بعد الظهيرة، أفضل المقاعد. يستغرق مني لحظة قبل أن أدرك أنني أقدر على قراءة فقط نصف هذه الكلمات، ولكن لا يهم ذلك على الإطلاق. أبتسم وأضع الرسالة في يد (مافين)، طلب (مافين) كل ما يتطلبه توصيلنا إلى المسرح.

المسرح صغير، ولكنه فخمًا للغاية، له قبة خضراء تتوجها بجعة سوداء، هذا مكان للتسلية، يعرض مسرحيات أو حفلات موسيقية أو حتى أفلامًا أرشيفية في مناسبات خاصة. المسرحية كما يقول (مافين) هي عندما يقوم الأفراد أو الممثلون بتأدية قصة على المسرح، في البيت لم نجد الوقت لقصص النوم الخيالية، فما بالك المسارح والممثلين والأزياء.

قبل أن أدرك أجدنا نجلس في شرفة مغلقة فوق المسرح، تعج المقاعد الموجودة أسفلنا بالناس، والكثير منهم أطفال، وجميعهم فضيون. يتجول عددٌ قليلٌ من الحُمر بين الصفوف والممرات، ويقدمون المشروبات أو يجمعون التذاكر، لكن لا يجلس أحد منهم؛ هذه ليست رفاهية يمكنهم تحمُّلها. في غضون ذلك، نجلس على كراسٍ مخملية بأفضل رؤية مع السكرتير وحراس (السينتنال) يقفون خلف باب عليه ستائر.

عندما يُظلم المسرح، يضع (مافين) يده حول كتفيَّ، ويسحبني أقرب إليه حتى أشعر بنبضات قلبه. يبتسم في سخرية تجاه السكرتير، الذي يسترق النظر من بين الستائر: «لا تزعجنا»، يقول ويجذب وجهي تجاهه.

يغلق الباب خلفنا، لكن لا أحد منهم يبتعد، تمر دقيقة أو ساعة، لا أعلم أي واحدة، حتى تعيدني الأصوات على المسرح إلى الواقع: «آسفة»، أهمس إلى (مافين)، وأنهض من فوق الكرسي لأضع مسافة بيننا. لا يوجد وقتٌ للتقبيل الآن، ولا يهم كم أريد ذلك، يبتسم فقط ويراقبني بدلًا من المسرحية، أقوم بكل ما في وسعي حتى لا أنظر تجاهه، لكن شيئًا ما يجذب عينيَّ إليه.

«ماذا نفعل الآن؟».

يبتسم لنفسه وعيناه تبرق بسوء التصرف.

«لم أقصد ذلك» لكنني لم أقدر على منع نفسي من الابتسام معه.

«حاصرني (كال) في وقتٍ سابقٍ».

يضغط (مافين) على شفتيه ويضيقهما من الفكرة: «ثم؟».

«يبدو أنني أُنقذت».

أجابني بابتسامة يمكنها إضاءة العالم كله، وتسيطر عليَّ رغبة تقبيله مجددًا.

«قلتُ لكِ إنني سأفعل» يقول وصوته خشن بطريقة غريبة، عندما يمد يده تجاه يدي أمسكها من دون تردد، قبل أن نستكمل، تتحرك فتحة السقف فوقنا، يقفز (مافين) ناهضًا، متفاجئًا أكثر مني، ويحدق إلى الفراغ المظلم فوقنا. لا يصدر منه همسة، ولكن لا يهم فأعلم ما يجب أن أفعل. جعلني التدريب أقوى وأرفع نفسي في سهولة لأختفي في الظلام والبرودة. لا أرى أي شيء أو أي شخص، ولكني لست خائفة، تسيطر عليَّ الحماسة الآن، وبابتسامة أمد يدي لأساعد (مافين). يتعثَّر في طريقه إلى أعلى ويحاول أن يستعيد توازنه. قبل أن تعتاد أعيننا الظلام، تعود فتحة السقف إلى مكانها، لتحجب الضوء والمسرحية والناس خلفها.

«بسرعة وبهدوء، سأخرجكما من هنا».

ليس الصوت هو ما أتعرَّف عليه، بل الرائحة: خليط طاغٍ من الشاي والتوابل وشمعة زرقاء مألوفة.

«(ويل)؟» يكاد صوتي يتقطع: «(ويل ويسل)؟».

ببطء، لكن حتميًا يصير الظلام أسهل في التعامل، وتبرز لحيته البيضاء متشابكة كعادتها في نقطة تركيزي الخافتة، لا شك في الأمر الآن.

«لا وقت للم الشمل يا (بارو) الصغيرة» يقول: «لدينا عمل نقوم به».

لا أعلم كيف وصل (ويل) هنا قاطعًا الطريق من (الستيلتز)، لكن معرفته الوثيقة بالمسرح أكثر عجبًا، يقودنا عبر السقف، وأسفل سلالم ودرجات وفتحات صغيرة في الأرض، وكل هذا وأصوات المسرحية ما زالت

تدوي أعلانا. لا يمر وقتٌ طويلٌ قبل نجد أنفسنا تحت الأرض، تمتد فوقنا في الأعلى دعامات صخرية وأعمدة معدنية.

«أنتم بالتأكيد تحبون الدراميات» يتمتم (مافين) محدقًا إلى المشهد القاتم حولنا، يبدو المكان كالمدفن، مظلمًا ورطبًا، حيث كل ظل يحمل هلعًا.

يضحك (ويل) قليلًا بينما يفتح بابًا معدنيًا أمامه بكتفه: «انتظر قليلًا بعد»، يخطو (ويل) بحذرٍ خلال ممرٍ ضيق، يميل إلى الأسفل أبعد حتى، تنبعث رائحة صرف طفيفة في الهواء. لدهشتي، ينتهي الممر برصيفٍ صغيرٍ، تضيئه فقط شعلة لهب، تلقي بظلالٍ غريبة على جدار متهاوٍ مقام على قرميد محطم. هناك علامات سوداء عليهم، حروف، لكن ليست بلغة أعرفها. قبل أن أسأل عنهم، يهز الجدار صوتٌ صارخٌ حولنا، يأتي من فجوة دائرية في الجدار، يدوي من ظلام أكبر. يمسك (مافين) بيدي، متفاجئًا من الصوت، أنا خائفة بنفس قدر خوفه. معدن يحتك بمعدن، صوت يصم الآذان، تتدفق أضواء ساطعة من النفق وأشعر بشيء قادم، شيء ضخم وكهربائي وقوي.

تظهر دودة معدنية وتبطئ لتقف أمامنا، جوانبها من المعدن الخالص، ملحومة ومثبتة ببعضها، وبها نوافذ رفيعة. ينزلق بابٌ على مسارات صارخة وينسكب شعاع دافئ على المنصة. تبتسم (فارلي) من فوق مقعد خلف الباب، وتلوح بيدها لتشير إلينا بالانضمام إليها: «ليركب الجميع».

«يدعوه التقنيون بالقطار السفلي» تقول ونحن نتخذ مقاعدنا في رجفة. «سريع بشكلٍ مدهشٍ، ويتحرك على قضبان قديمة لم يعبأ (الفضيون) بالبحث عنها».

يغلق (ويل) الباب خلفنا، ويحبسنا فيما لا يبدو أكثر من علبة صفيح طويلة. إذا لم أكن قلقة بشأن تحطم الشيء، كنت لأكون منبهرة، ولكن بدلًا من ذلك أشدد قبضتي على المقعد أسفلي.

«أين بنيتم هذا؟» يتساءل (مافين) بصوتٍ عالٍ، عيناه تفحص القفص البائس: «البلدة الرمادية تحت السيطرة، التقنيون يعملون...».

«لدينا تقنيون ومدن تقنية خاصة بنا أيها الأمير الصغير» تقول (فارلي) وتبدو فخورة بنفسها للغاية: «ما تعلمونه أنتم (الفضيون) عن الحرس القرمزي لا يملأ كوب شايٍ».

يندفع القطار أسفلنا ويكاد يجعلني أسقط من فوق مقعدي، ولكن لا أحد آخر يرمش حتى، ينزلق حتى يصل إلى سرعة يلصق معدتي بظهري. يستكمل الآخرون الحديث، معظمه أسئلة (مافين) عن الحرس والقطار. أنا مسرورة أن لا أحد يطلب مني التحدث، لأنني بالتأكيد سأتقيأ أو يغشى عليَّ إذا فعلت أكثر من الجلوس في ثباتٍ، ولكن لا يفوِّت (مافين) شيئًا، ينظر خارج النافذة، ويستنتج شيئًا من الصخور المشوشة المارة: «نتجه إلى الجنوب».

تستند (فارلي) إلى الخلف وتومئ: «صحيح».

«الجنوب مشع» يصيح محدقًا إليها.

لكنها بالكاد تهز كتفيها في لامبالاة.

«أين تأخذيننا؟» أهمس بعدما وجدت صوتي أخيرًا.

لا يضيع (مافين) الوقت ويتحرك تجاه الباب المغلق، لا يوقفه أحد، لأنه لا يوجد مكان يمكنه الذهاب إليه، لا هروب.

«هل تعلم ماذا تفعل؟ الإشعاعات؟» يبدو خائفًا بحقٍّ.

تبدأ (فارلي) بعدِّ الأعراض على أصابعها وابتسامة مجنونة على وجهها، «غثيان، تقيأ، صداع، نوبات صرع، أمراض سرطانية، و...نعم، موت، موت بشع للغاية».

أشعر بالغثيان فجأة: «لماذا تفعلين ذلك؟ نحن هنا لمساعدتك؟».

«(ماير)، أوقفي القطار، يمكنك إيقاف القطار» يميل (مافين) أمامي ويمسك بكتفي: «أوقفي القطار».

لدهشتي، تصدر العلبة الصفيح صريرًا، ويتوقف فجأة وبحدة، نسقط أنا و(مافين) متشابكي الأطراف ونرتطم بالأرض الصلبة المعدنية في ألمٍ. تسلط الأضواء علينا من الباب المفتوح، وتكشف عن رصيف آخر مضاءً بالشعلات، وأكبر بكثيرٍ ويمتد أبعد من مجال النظر.

تخطو (فارلي) من فوقنا من دون نظرة وتخرج إلى الرصيف: «ألن تأتيا؟».

«لا تتحركي يا (ماير)، هذا المكان سيقتلنا!».

يطن شيء في أذنيَّ ويكاد يغطي على ضحكة (فارلي) الباردة، بينما أنهض أراها تنتظرنا في صبرٍ.

«كيف تعلم أن الجنوب، منطقة الأنقاض، ما زالت مشعة؟» تسأل وعلى وجهها ابتسامة جنونية.

يتعثَّر (مافين) في كلامه، لدينا آلات، أجهزة كشف، يخبروننا...».

تومئ (فارلي): «ومن بنى هذه الآلات؟».

«التقنيون» يقول (مافين): «(الحمر)»، أخيرًا يفهم ما تحاول قوله: «أجهزة الكشف كاذبة».

تومئ (فارلي) وتمد يدها مبتسمة لمساعدته على النهوض، يبقي عينيه عليها، ما زال قلقًا، ولكنه يسمح لها أن تقودنا إلى الرصيف وصعودًا على درجات حديدية. يشع ضوء الشمس من أعلى، ويدور الهواء الطلق ليمتزج بأدخنة تحت الأرض العكرة. ثم نرمش في الهواء المنعش، نحدق إلى الضباب المنخفض. ترتفع جدران من حولنا، تدعم سقفًا لم يعد موجودًا، فقط أجزاء منه باقية، بقايا ضئيلة من الذهب والزبرجد. بينما تعتاد عيناي المشهد، أرى ظلالًا طويلة في السماء، تختفي قممها في الضباب. الشوارع أنهار سوداء عريضة من الأسفلت، متشققة وينبت منها أعشاب رمادية عمرها مئة عامًا. تنمو الأشجار والحشائش فوق الخرسانة، تستعيد السيطرة على جيوب صغيرة وزوايا، ولكن تم إزالة المزيد. تنسحق قطعٌ من الزجاج المحطم تحت قدميَّ وتطير سحبٌ من الغبار في الرياح، ولكن بشكلٍ ما هذا المكان، صورة الإهمال، لا يبدو مهجورًا، أعرف هذا المكان من دروس التاريخ، ومن الكتب والخرائط القديمة.

تضع (فارلي) يدها حول كتفي، وابتسامتها واسعة وبيضاء: «مرحبًا بكِ في مدينة الأنقاض، مدينة (نيارسي)» تقول وتستخدم الاسم القديم المنسي منذ زمن.

تحتوي الجزيرة المدمرة على مؤشرات حول حدودها لتخدع أجهزة الكشف التي يستخدمها (الفضيون) لفحص مواقع المعارك القديمة. هكذا يحمونها، وطن الحرس القرمزي، في (نورتا) على الأقل، هذا ما قالته (فارلي)، تلمح إلى مواقع أخرى عبر البلاد. وقريبًا ستكون ملاذًا لكل أحمر لاجئ هارب من عقوبات الملك الجديدة. كل بناء نمرُّ به يبدو متهالكًا، مغطى بالرماد والأعشاب، آثار أقدام في التراب، ضوء في نافذة، رائحة طهي طعام تفوح من الصرف. ناس، حمر، لديهم مدينة خاصة بهم هنا، يختبئون تحت أنظار الجميع، الكهرباء نادرة هنا، ولكن الابتسامات ليست كذلك.

يبدو البناء نصف المنهار الذي تقودنا إليه (فارلي) أنه كان مقهى في وقتٍ ما، نظرًا إلى الطاولات التي أكلها الصدأ والمقاعد الممزقة. اختفت النوافذ منذ وقتٍ طويلٍ، لكن الأرض نظيفة. تقوم امرأة بمسح التراب وتجميعه خارج الباب في أكوام منسقة فوق الرصيف المحطم. كنت لأحبط من مثل هذه المهمة، علمًا بأن هناك المزيد باقٍ لمسحه، ولكنها تقوم بالعمل مبتسمة، وتدندن لنفسها.

تومئ (فارلي) إلى المرأة؛ فتسرع مبتعدة وتتركنا في سلامٍ، ولسعادتي تحمل الطاولة الأقرب إلينا وجهًا مألوفًا، (كيلورن)، في أمانٍ وبخيرٍ، ولديه حتى الجرأة ليغمز عينيه: «مرَّ وقتٌ طويلٌ منذ رؤيتك».

«ليس لدينا وقتٌ لنكون لطفاء» تزمجر (فارلي) وتجلس بجانبه. تشير إلينا لنتبعها ونفعل ذلك، نجلس على المقاعد وتصدر صريرًا: «أرى أنكِ رأيتِ القرى في أثناء رحلتك عبر النهر؟».

تختفي ابتسامتي سريعًا، وأيضًا (كيلورن): «نعم».

«والقوانين الجديدة؟ أعلم أنكِ سمعتِ بها» تظهر القسوة في عينيها، كأنه خطئي أنهم أجبروني على قراءة التدابير الأمنية.

«هذا ما يحدث عندما تهدد الوحش» يهمس (مافين) مسرعًا للدفاع عني.

«ولكنهم الآن يعلمون باسمنا».

«الآن هم يطاردونكم» يندفع (مافين)، وينزل على الطاولة بقبضته، ويهز طبقة رقيقة من الغبار، ويرسلها طافية في الهواء.

«لوحتِ بعلم أحمر أمام ثور ولم تفعلوا شيئًا أكثر من وغزه».

«هم خائفون مع ذلك» أقول، «تعلموا الخوف منكم، بالتأكيد هذا شيء يمكن أن يحسب لنا».

«لا يحسب شيء إذا تسللتم إلى مدينتكم الخفية وتركتموهم يعيدون تنظيم صفوفهم. تمنحون الملك وجيشه وقتًا، وأخي بالفعل في أثركم، ولن يتطلب الأمر وقتًا طويلًا للعثور عليكم» يحدق (مافين) إلى يده، غاضب بطريقة غريبة، «قريبًا لن يكون التقدم بخطوة واحدة كافيًا، لن يكون حتى ممكنًا».

تلمع عينا (فارلي) في الضوء بينما تتفحصنا، وتفكر، (كيلورن) مسرور برسم دوائر في الغبار، لا يبدو متأثرًا، أقاوم الرغبة في ضربه من أسفل الطاولة لأجعله ينتبه.

«لا أهتم بسلامتي أيها الأمير» تقول (فارلي): «الناس في القرية، العمال، والجنود، هم من أهتم بهم، هم من يُعاقبون الآن، وبقسوة».

يطير عقلي لعائلتي و(الستيلتز)، متذكرة النظرة الباهتة في آلاف الأعين بينما نعبر، «ماذا سمعتِ؟».

«لا شيء جيد».

يرفع (كيلورن) رأسه رغم أن إصبعه ما زالت تدور على الطاولة.

«نوبات عمل مضاعفة، شنق في أيام الأحد، قبور جماعية، الأمر ليس رائعًا للذين لا يقدرون على المواكبة».

يتذكر قريتنا كما أفعل.

«رجالنا عند الجبهة يقولون إن الوضع ليس مختلفًا هناك أيضًا، يتم إلحاق أصحاب خمسة عشر وستة عشر عامًا في فيالق خاصة بهم، لن يبقوا على قيد الحياة طويلًا».

يرسم إصبعه علامة X في الغبار، يعبِّر عن غضبه بالعلامات.

«يمكنني المماطلة في ذلك، ربما» يقول (مافين)، يفكر بصوتٍ عالٍ: «إذا أقنعت مجلس الحرب بتأخيرهم، ووضعهم خلال تدريبات أكثر».

«هذا ليس كافيًا» صوتي صغير، ولكنه صارمًا، كأن القائمة تحرق جلدي، تتوسل إلى إطلاق سراحها، ألتفت تجاه (فارلي): «لديكِ رجال في كل مكان، أليس كذلك؟».

لا تفوتني لمحة رضا تعبر وجهها: «نعم».

«إذن أعطيهم هذه الأسماء» أخرج قائمة (جوليان) من معطفي، أفتح عند البداية، «واعثروا عليهم».

يأخذ (مافين) الكتاب برفقٍ، وعيناه تتفحصه: «يجب أن يكون هناك المئات» يهمس من دون أن يبعد نظره عن القائمة: «ما هذا؟».

«هم مثلي، أحمر وفضي، وأقوى من كليهما».

حان وقتي لأشعر بالتباهي، حتى فك (مافين) يسقط، تفرقع (فارلي) أصابعها ويعطيها لها من دون تفكير، وما زال يحدق إلى الكتاب الصغير الذي يحمل هذا السر العظيم.

«لن يمر طويلًا حتى يكتشف الأمر الشخص الخطأ، مع ذلك»، أضيف. «(فارلي) يجب أن تجديهم أولًا».

يحملق (كيلورن) إلى الأسماء كأنهم يقدمون إليه نوعًا من الإهانة، «يمكن أن يتطلب ذلك شهورًا، أعوامًا».

يتنهد (مافين): «ليس لدينا مثل هذا الوقت».

«بالضبط» يوافق (كيلورن): «نحتاج إلى أن نتصرف الآن».

أهز رأسي، لا يمكن استعجال الثورات، «لكن إذا انتظرتِ، إذا عثرتِ على أكبر عدد ممكن يمكنك تكوين جيش».

فجأة يضرب (مافين) الطاولة، يجعلنا جميعًا نقفز: «ولكننا لدينا واحد».

«لديَّ العديد تحت قيادتي، ولكن ليس بالكثير» تجادل (فارلي)، وتنظر إلى (مافين) كأنه جن جنونه.

ولكنه يبتسم، تُخْبِيه بعض النيران الخفية: «إذا استطعت الحصول على جيش، فيلق في (أركيون)، ما الذي يمكنك فعله؟».

تهز كتفيها فقط، «القليل جدًّا، في الواقع، الفيالق الأخرى ستسحقهم في الميدان».

تصدمني كالصاعقة، ولكني أدرك ما يحاول (مافين) قوله: «لكنهم لن يقاتلوا في الميدان» أتنفس، يلتفت تجاهي ويبتسم مثل المجنون، «تتحدث عن انقلاب».

تكشر (فارلي): «انقلاب؟».

«انقلاب، قلب نظام الحكم، هذا أمرٌ تاريخي، أمرٌ سابق» أشرح لها، محاولة أن أقلِّل من حيرتهم: «هي عندما يقوم مجموعة صغيرة بالإطاحة بحكومة كبيرة، هل هذا مألوف؟».

يتبادل (كيلورن) و(فارلي) النظرات، تضيق أعينهم: «استمري» تقول.

«تعلمين الطريقة التي بنيت بها (أركيون)، مع الجسر، الجانب الشرقي والجانب الغربي» تتسارع أصابعي مع كلماتي، ترسم خريطة تقريبية للمدينة في الغبار، «الآن، القصر في الجانب الغربي، القيادة والخزانة والمحاكم، الحكومة بأكملها، وإذا بطريقة ما يمكننا الوصول هناك، وفصلها، أن نصل إلى الملك ونجبره على الموافقة على شروطنا، سينتهي كل شيء. كما قلت يا (مافين) يمكنكَ إدارة البلد كلها من ميدان القيصر، كل ما يجب أن نفعله هو الاستيلاء عليه».

تحت الطاولة، يربت (مافين) على ركبتي، يطن بالفخر. رحلت نظرة (فارلي) المتشككة، وبدَّلها الأمل الحقيقي، تمرر يدها على شفتيها، تتفوَّه بكلماتٍ إلى نفسها في حين تحملق إلى الخريطة المرسومة وسط الغبار.

«ربما هذا أنا فقط» يبدأ (كيلورن) عائدًا لنبرته الساخرة المعتادة: «ولكن لست متأكدًا كيف تخططين لجلب حمر كافيين هناك لمقاتلة (الفضيين)، تحتاجين إلى عشرة منَّا للتغلب على واحد منهم، ولا داعي لذكر الخمسة آلاف جندي المخلصين لأخيك» ينظر إلى (مافين): «جميعهم مدربون على القتل، جميعهم يحاولون مطاردتنا بينما نتحدث».

أنكمش وأتراجع في مقعدي: «سيكون هذا صعبًا».

مستحيلًا.

يحرك (مافين) يده فوق خريطتي الترابية، ويمسح غرب (أركيون) ببعض الحركات من أصابعه: «الفيالق مخلصة للجنرالات، ويصدف أنني أعرف فتاة تعرف جنرالًا جيدًا».

عندما تقابل عيناه عينيَّ، تختفي كل نيرانه، ويبدلها بردًا مريرًا، يبتسم ابتسامة ضيقة.

«تتحدث عن (كال)» الجندي، الجنرال، الأمير، ابن أبيه، مجددًا أفكر بـ(جوليان)، الخال الذي سيقتله (كال) من أجل حسِّه للعدالة الملتوي، لن يخون (كال) بلده أبدًا، ليس من أجل أي شيء.

عندما يجيب (مافين)، هو أمر واقع: «نقدم له اختيارًا صعبًا» يمكنني أن أشعر بأعين (كيلورن) على وجهي، تقيس ردة فعلي، وهذا ضغط كبير بالكاد أتحمله: «لن يتخلى (كال) عن التاج، وأبيك».

«أعرف أخي، وإذا تطلب الأمر، إنقاذ حياتك أو إنقاذ تاجه، نعلم كلانا من سيختار» يقول (مافين) مندفعًا.

«لن يختارني أبدًا».

يحترق جلدي تحت نظرة (مافين)، مع ذكرى القبلة المسروقة الوحيدة، كان هو من أنقذني من (إيفانجلين). (كال) من أنقذني من الهروب وجَلَب آلامًا أكثر لنفسي، (كال) أنقذني من التجنيد، كنت مشغولة في محاولة إنقاذ الآخرين لألاحظ كم من المرات أنقذني (كال)، كم يحبني.

يهز (مافين) رأسه: «سوف يختاركِ دومًا».

تسخر (فارلي): «تريد أن تعلق العملية بأكملها، الثورة كلها، بقصة حب مراهقة؟ لا أصدق هذا».

عبر الطاولة، تعتلي نظرة غريبة وجه (كيلورن)، عندما تلتفت (فارلي) تجاهه، تبحث عن نوع من الدعم، لا تجدها.

«أنا أستطيع» يهمس، وعيناه لا تبتعد مطلقًا عن وجهي.

الفصل الخامس والعشرون

بينما نعبر أنا و(مافين) الجسر في المركبة، للعودة للقصر بعد يومنا الطويل من المصافحات والخطط السرية، أتمنى أن يبدأ الفجر الآن عوضًا عن صباح الغد. أنا واعية بشدة بالصخب حولنا بقوة بينما نمرُّ عبر المدينة. كل شيء ينبض بالطاقة، من وسائل النقل في الطرق إلى الأضواء المنسوجة داخل الحديد والأسمنت، يذكّرني بتلك اللحظة في الحديقة الكبيرة منذ وقت طويل، عندما شاهدت (النيمف) يتلاعبون بالنافورة و(الجريني) يعتنون بأزهارهم، في هذا اللحظة، وجدت عالمهم جميلًا. أفهم الآن لِمَ يريدون الحفاظ عليه، والحفاظ على حكمهم على البقية، ولكن لا يعني ذلك أنني سأدعهم.

يقام عادة احتفالٌ بمناسبة عودة الملك لمدينته، ولكن في ضوء الأحداث الأخيرة، يبدو أن ميدان القيصر أكثر هدوءًا مما يجب، يتظاهر (مافين) بأنه حزينٌ لقلة مشاهد الاحتفال، ولو لملء الصمت فقط.

«قاعة الاحتفالات أكبر ضعفين من التي بقصر الشمس» يقول ونحن ندخل البوابات الضخمة. أرى فيلق (كال) يتدرب في المعسكرات، مسيرة متزامنة لألف منهم، خطواتهم تضرب الأرض مثل الطبول. «كنا نرقص حتى الفجر، على الأقل، هذا ما فعله (كال)، لم تطلب مني الفتيات الرقص كثيرًا، ليس إذا جعلهم (كال)».

«كنت سأطلب منك الرقص» أتمتم له، وعيناي ما زالت معلقة على المعسكرات، هل سيكونون لنا غدًا؟

لا يجيبني (مافين)، ويتململ في مقعده بينما نتوقف، سوف يختارك دومًا.

«ليس لديَّ مشاعر تجاه (كال)» أهمس في أذنه بينما نخرج من المركبة.

يبتسم ويغلق يده حول يدي، وأخبر نفسي أنها ليست كذبة. عندما تفتح أبواب القصر لنا، تدوي صرخة بائسة عبر الممرات الرخامية الطويلة. نتبادل أنا و(مافين) النظرات، متفاجئين. يتأهب حراسنا، أياديهم على أسلحتهم، ولكنهم غير كافين لإيقافي من الاندفاع إلى الأمام. يحاول (مافين) أن يواكب على قدر استطاعته، وأن يطابق خطوتي. تدوي الصرخة مجددًا، مصحوبة بدزينة من الخطوات وصرير الدروع المألوف. أبدأ في العدو بأقصى سرعة أقدر عليها، و(مافين) خلفي، نندفع دخولًا إلى غرفة دائرية، قاعة مجلس من الخشب الداكن والرخام. هناك بالفعل حشد وأكاد أصطدم باللورد (ساموس) نفسه، ولكن توقفني قدماي في الوقت المناسب، يصطدم (مافين) بظهري، ونكاد نسقط معًا، يكشر (ساموس) تجاهنا معًا، عيناه السوداء باردة وقاسية.

«سيدتي، الأمير (مافين)» يقول، بالكاد يحني رأسه لأي منا: «هل أتيتما لتشاهدا العرض؟».

العرض، هناك المزيد من اللوردات والسيدات النبيلات حولنا، بجانب الملك والملكة، جميعهم يحدقون إلى الأمام، أدفع بنفسي بينهم، لا أعلم ماذا سأجد في الجانب الآخر، ولكني أعلم أنه لن يكون جيدًا. يتبعني (مافين)، ويده لم تترك مرفقي أبدًا. عندما نصل إلى مقدمة الجموع، أكون مسرورة ليده الدافئة، وسيلة مريحة لتهدئتي ولأتراجع. لا أقل من ستة عشر جنديًا يقفون في منتصف الغرفة، وأحذيتهم العسكرية تترك آثارًا من التراب فوق ختم التاج العظيم، دروعهم متماثلة، مدرجة بقطع من المعدن الأسود، ما عدا واحدًا به بريق أحمر، (كال)، تقف (إيفانجلين) معه، وشعرها مصفف إلى الخلف في ضفيرة، تتنفس بصعوبة، مرهقة، ولكنها تبدو فخورة بنفسها. وأينما تكون (إيفانجلين)، يكون أخوها قريبًا. يظهر (بتوليموس) من الخلف ويجر جسدًا صارخًا من شعرها، يلتفت (كال) ويقابل عينيَّ في اللحظة التي أتعرف فيها عليها، أرى ندمًا، ولكنه لا يفعل شيئًا لإنقاذها.

يرمي (بتوليموس) بـ(والش) على الأرض اللامعة، ويرتطم وجهها بالحجر، بالكاد تنظر تجاهي قبل أن تحول نظرتها المتألمة تجاه الملك، أتذكر الخادمة المرحة المبتسمة التي قدمتني إلى هذا العالم أول مرة؛ هذا الشخص قد رحل.

«تزحف هذه الفئران في الأنفاق القديمة» يزمجر (بتوليموس)، ويدفعها بقدمه، تزحف بعيدًا عن لمسته، سريعة بشكل مفاجئ نظرًا إلى جروحها المتعددة: «وجدنا هذه تتبعنا قرب فجوات النهر».

تتبعهم؟ كيف تكون بهذا الغباء؟ ولكن (والش) ليست بحمقاء، لا، هذا كان أمرًا. أدرك في فزعٍ متزايدٍ، كانت تراقب أنفاق القطار، لتتأكد من خلو الطريق حتى نعود من (نايرسي)، وبينما وصلنا في أمان، لم تفعل هي.

تشتد قبضة (مافين) على ذراعي، ويجذبني إليه حتى يلمس صدره ظهري، يعلم أنني أريد الركض تجاهها، أن أنقذها، أساعدها، وأعلم أننا لن نقدر على فعل أي شيء على الإطلاق.

«ذهبنا إلى أبعد ما تسمح به أجهزة الكشف عن الإشعاعات» يضيف (كال)، محاولًا تجاهل (والش) وهي تسعل دماء. «شبكة الأنفاق ضخمة، أكبر مما ظننا في البداية، يجب أن يكون هناك دزينات من الأميال في هذه المنطقة والحرس القرمزي يعرفهم أكثر من أي أحد فينا».

يعبس الملك (تايبريوس) تحت لحيته. يشير إلى (والش)، ويلوح للأمام. يمسك (كال) بذراعها، ويجذبها تجاه الملك، ألف وسيلة عذاب تمرُّ برأسي، كل واحدة أسوأ من سابقتها، نيران، مياه، حتى البرق الخاص بي، يمكن استخدامه في إجبارها على الكلام.

«لن أقوم بنفس الخطأ مرة أخرى» يزمجر الملك بوجهها.

«(إيلارا) اجعليها تغني، الآن».

«بكل سرور» تجيب الملكة، وتحرر يديها من أكمامها الطويلة.

هذا أسوأ، ستتكلم (والش)، ستورطنا جميعًا، ستدمرنا، وبعدها سيقتلونها ببطء، سيقتلوننا جميعًا ببطء. فجأة يقفز إلى الأمام أحد الجنود (الإيجيري)، لديه قدرة رؤية المستقبل، «أوقفوها! أمسكوا بذراعيها!».

ولكن (والش) أسرع من رؤيته: «من أجل (تريستان)» تقول قبل أن تضع يدها على فمها، تقضم شيئًا وتبتلعه، وترمي برأسها إلى الخلف.

«معالِجًا!» يصيح (كال)، ويمسك بحلقها، محاولًا إيقافها، لكن يمتلئ فمها برغوة بيضاء وترتعش أطرافها، تختنق: «معالجًا! الآن!».

تنتابها رجفة عنيفة، وتلتوي وتتحرر من قبضته بآخر قوتها، عندما ترتطم بالأرض، تكون عيناها مفتوحتين على اتساعهما، تحملق دون أن ترى.

ماتت.

من أجل (تريستان).

لا يمكنني أن أحزن عليها.

***

«كبسولة انتحار» صوت (كال) لطيف، كأنه يشرح الأمر لطفل، أظنني طفلة فيما يتعلق بالحرب والموت، «نعطيها للضباط على الجبهة، ولجواسيسنا، إذا تم القبض عليهم...».

«لن يتحدثوا» أقول مندفعة.

بحرص، أحذر نفسي، على الرغم من أن وجوده يجعل جلدي يقشعر، يجب أن أتحمله. بعد كل شيء، تركته يجدني هنا على الشرفة، يجب أن أعطيه الأمل، يجب أن أتركه يعتقد أن لديه فرصة معي، هذا الجزء كان فكرة (مافين)، بقدر ما يؤذيه قول ذلك. وبالنسبة إليَّ، من الصعب الحراك في الخط الرفيع بين الكذبة والحقيقة، خاصة مع (كال). أكرهه، أعلم ذلك، ولكن شيئًا ما في عينيه وصوته يذكّرني بأن مشاعري ليست بهذه البساطة.

يبقي بيننا مسافة، يقف على بعد طول ذراع: «هي ميتة أفضل من التي كانت ستحظى بها عن طريقنا».

«هل كانت ستتجمد؟ أو ربما ستحترق من باب التغيير؟».

«لا» يهز رأسه، «كانت ستذهب إلى وعاء العظام» يرفع عينيه عن المعسكرات وينظر عبر النهر. على الجانب الآخر البعيد، وتحتضنها المباني العالية، ساحة بيضاوية ضخمة وحول أطرافها أشواك كتاجٍ عنيفٍ، وعاء العظام، «كانت ستُعدم في بثٍّ مباشرٍ، كرسالة إلى الآخرين».

«ظننتُ أنكم لا تفعلون ذلك الآن، لم أرَ واحدة منذ عقدٍ» بالكاد أتذكر هذا البث حينما كنت صغيرة منذ أعوامٍ».

«يمكن القيام باستثناءات، لم توقف مباريات الساحات الحرس القرمزي من السيطرة، ربما سيفعل شيء آخر».

«كنت تعرفها» أهمس، محاولة إيجاد هذه الشظية من الندم داخله.

«أرسلتّها إليَّ بعدما التقينا».

يشبك ذراعيه، كأن ذلك يمكنه حمايته من الذكرى: «كنت أعلم أنها جاءت من قريتك، ظننت أنها يمكنها مساعدتك في التأقلم قليلًا».

«ما زلت لا أعلم لِمَ اهتممت؟ لم تكن تعرف أنني مختلفة حتى».

تمر لحظة في صمتٍ، يكسرها فقط صياح الملازمين من على بُعدٍ أسفلنا، ما زالوا يتدربون حتى مع غياب الشمس.

«كنتِ مختلفة بالنسبة إليَّ» يهمس أخيرًا.

«أتساءل ما كان سيحدث إذا لم...» أشير إلى القصر والميدان بعده، «لم يكن هذا بيننا».

اتركيه يفكر في هذا.

يضع يده على ذراعي، وأصابعه ساخنة عبر قماش كمي.

«ولكن هذا لا يمكن أن يحدث يا (كال)».

أجبر أكبر قدر من الشوق في عيني، معتمدة على ذكرى عائلتي، (مافين)، (كيلورن)، كل الأشياء التي نحاول أن نفعلها، ربما سيخطئ (كال) في فهم مشاعري، أعطيه أملًا حيث لا يوجد أي منه، هذا أقسى شيء يمكنني فعله، ولكن من أجل القضية ومن أجل أصدقائي ومن أجل حياتي، سأفعل.

«(ماير)»، يتنهد، ويميل رأسه ناحيتي.

ألتفت بعيدًا، وأتركه على الشرفة ليفكر في كلماتي وآمل أن يغرق فيها.

«أتمنى لو كانت الأوضاع مختلفة» يهمس، ولكني استطعت سماعه.

تأخذني الكلمات عائدة لبيتي وأبي عندما قال نفس الشيء منذ وقتٍ طويلٍ. فكرة أن (كال) وأبي -رجل أحمر محطم- يتشاركان نفس الأفكار تجعلني أتوقف. لا أقدر على منع نفسي من النظر إلى الخلف، ورؤية

الشمس تغيب خلف ظله، يحدق إلى جيشه يتدرب قبل أن ينظر تجاهي، ممزق بين واجبه وما يشعر به تجاه فتاة البرق الصغيرة.

«يقول (جوليان) إنكِ مثلها» يقول في هدوء، وعيناه غارقة في التفكير. «مثلما كانت».

(كوريان)، والدته، فكرة الملكة الراحلة، شخص لم أعرفه، تجعلني حزينة. أُخذت مبكرًا من الذين تحبهم، وتركت حفرة يحاولون جعلي أملأها. وعلى الرغم من كرهي لذلك، فلا يمكنني ألا أعترف أنني لا ألوم (كال) على شعوره بهذه الطريقة، ممزق بين عالمين، فبعد كل شيء، أنا كذلك. كنت متوترة قبل الحفلة، كومة من الأعصاب تخشى الليلة القادمة، الآن لا أطيق انتظار حلول الفجر. إذا انتصرنا في الصباح، ستشرق الشمس على عالم جديد، سيرمي الملك تاجه، ويسلم السلطة لي ولـ(مافين) و(فارلي)، سيكون التحول بلا دماء، نقلًا سلميًا من حكومة إلى أخرى، إذا فشلنا، فوعاء العظام هو كل ما أتمناه، ولكننا لن نفشل، لن يتركني (كال) أموت، وكذلك (مافين)، هما درعي.

عندما أستلقي على فراشي، أجد نفسي أحدق إلى خريطة (جوليان)، هي شيء قديم، بلا فائدة فعلية، ولكنها ما زالت مريحة لي، هي دليل على أن العالم يمكنه التغيير. مع هذه الفكرة في رأسي، أنجرف في نومٍ قلقٍ خفيفٍ، يزورني أخي في أحلامي، يقف بجانب النافذة، يراقب المدينة في حزن غريب، قبل أن يلتفت ناحيتي، «هناك آخرون» يقول: «يجب أن تجديهم».

«سأفعل» أهمس ردًا عليه، وصوتي ثقيل من النوم.

ثم تصير الساعة الرابعة صباحًا ولم يعُد هناك وقتٌ للأحلام. تسقط الكاميرات كالأشجار أمام الفأس، كل عين صغيرة تغلق بينما أتجه إلى غرفة (مافين). أجفل مع كل ظلٍّ، أتوقع ضابط أمن أو حارس (سينتنال) يقفز في الممر، ولكن لا يأتي أحد. يحمون (كال) والملك، ليس أنا وليس الأمير الثاني؛ لا نهم، ولكننا سنكون مهمين. يفتح (مافين) الباب بعد ثانية من تحريكي للمقبض، وجهه شاحب في الظلام، هناك دوائر أسفل جفونه، كأنه لم ينم

على الإطلاق، لكنه يبدو حادًا كالمعتاد، أتوقع أن يمسك بذراعي ويضمني في دفئه، ولكن لا يوجد غير البرد يتقطر منه، هو خائف، أدرك هذا.

نحن في الخارج بعد بضع دقائق مؤلمة، نتحرك عبر الظلال خلف قيادة الحرب لننتظر في مكاننا بين البناء والجدار الخارجي. موقعنا ممتاز؛ يمكننا رؤية الجسر والميدان، بجانب أن معظم سقف قيادة الحرب يحجبنا من دوريات الحرس، لا أحتاج إلى ساعة لأعلم أننا في الميعاد المضبوط.

فوقنا، يختفي الليل، ويمهد الطريق للأزرق الغامق، سيأتي الفجر، في هذه الساعة، المدينة أهدأ مما ظننته ممكنًا، حتى دوريات الحرس نعسة، يتحركون ببطء من موقع إلى آخر. يغرد الحماس داخلي، ويجعل ساقي ترتجف. بطريقة ما، يظل (مافين) ساكنًا، بالكاد حتى يرمش، يحدق عبر جدار الزجاج الألماسي، يراقب الجسر دومًا، تركيزه مذهل.

«تأخروا» يهمس، من دون حركة.

«ليس أنا».

إذا لم أعرف أفضل، كنت سأظن أن (فارلي) ظلالية (شادو)، قادرة على الحركة داخل وخارج مجال الرؤية، يبدو أنها تذوب خارج شبه الظلام، وتسحب نفسها من فتحة الصرف، أمد يدي إليها، ولكنها تدفع بنفسها على قدميها وحدها من دون مساعدة.

«أين الباقي؟».

«ينتظرون» تشير إلى الأرض أسفلنا.

إذا ركزت نظري، يمكنني أن أراهم، يتزاحمون في شبكة الصرف، على وشك أن يستردوا السطح. أريد أن أهبط إلى النفق معهم، أن أقف مع (كيلورن) وقومي، ولكن مكاني هنا بجانب (مافين).

«هل هم مسلحون؟» شفتا (مافين) بالكاد تتحرك: «هل هم مستعدون للقتال؟».

تومئ (فارلي): «دائمًا، ولكني لن أستدعيهم إلا عندما يصير الميدان لنا، لا أملك إيمانًا كبيرًا بقدرة السيدة (بارو) في السحر».

ولا أنا أيضًا، ولكن لا يمكنني قول ذلك بصوتٍ عالٍ، سيختارك دومًا، لم أرد أي شيء أن يكون صحيحًا وخاطئًا في نفس الوقت أبدًا.

«أراد (كيلورن) أن تحصلي على هذا» تضيف، وتمد يدها، بداخلها حجر أخضر صغير، لون عينيه، قرط. «قال إنكِ ستعرفين معنى ذلك».

أختنق بكلماتي، وأشعر بتدفق في المشاعر، أومئ، وآخذ الحلق منها وأرفعه إلى جانب الآخرين، (بري)، (ترامي)، (شايد). أعرف كل حجر وما يعنيه. (كيلورن) محارب الآن، ويريدني أن أتذكره كما كان، يضحك، يغيظني، يشم الهواء مثل جرو مفقود، لن أنسى ذلك قطُّ. يؤلمني المعدن الحاد، ويُخرج دماء. عندما أبعد يدي عن أذني، أرى النقطة الحمراء على أصابعي، هذه هويتنا. أنظر إلى النفق، وأتمنى رؤية عينيه الخضراوين، ولكن يبدو أن الظلام يبتلع النفق بأكمله، ويخفيه مع الآخرين.

«مستعدان لهذا؟» تتنهد (فارلي)، تنظر بيننا.

يجيب (مافين) عني، صوته صارم: «مستعدان».

لكن (فارلي) ليست راضية، «(ماير)؟».

«مستعدة».

تأخذ الثورية نفسًا هادئًا قبل أن تنقر قدمها على جانب فتحة الصرف، مرة، مرتين، ثلاث مرات. معًا، نلتفت إلى الجسر، وننتظر العالم أن يتغير. لا يوجد زحام في مثل هذا الوقت، ولا حتى همس وسائل المواصلات، المتاجر مغلقة، الساحات العامة فارغة. مع بعض الحظ، الشيء الوحيد المفقود الليلة سيكون المعدن والأسمنت. آخر جزء في الجسر، الذي يصل غرب (أركيون) بباقي المدينة، يبدو هادئًا. ثم ينفجر في سحب من البرتقالي والأحمر، شمس تشق الظلام الفضي. تتدفق حرارة، ولكن ليس من القنابل، بل من (مافين)، يشعل الانفجار شيئًا بداخله، ويضيء نيرانه.

يدوي الصوت، ويكاد يسقطني أرضًا، ويموج النهر أسفله بينما تنهار مؤخرة الجسر. يتأوَّه ويرتجف مثل الوحش المحتضر، يتداعى فوق نفسه بينما ينفصل عن الضفة وباقي الهيكل. تتحطم الأعمدة الأسمنتية وتنقطع الأسلاك المعدنية، ويرتطم بالمياه أو بجانب الضفة. ترتفع سحبٌ من الغبار

والأدخنة، وتحجب باقي (أركيون) عن مجال النظر، وقبل أن يصطدم الجسر بالمياه، تدوي أصوات أجهزة الإنذار في الميدان. فوقنا، تركض دوريات الأمن على طول الجدار، حريصون على إلقاء نظرة جيدة على الدمار، يصرخ بعضهم إلى بعض، لا يعرفون ماذا يستنتجون من ذلك، معظمهم يحدق فقط. في الثكنات، تضاء الأنوار ويتحرك الجنود، يقفز خمسة الآلاف من فوق سرائرهم، جنود (كال)، فيلق (كال)، ومع أي حظ، لنا.

لا يمكنني أن أنظر بعيدًا عن اللهب والدخان، ولكن (مافين) يفعل ذلك بدلًا عني: «ها هو» يهمس، ويشير إلى بعض الأشكال التي تركض خارج القصر. لديه حرسه الخاص، ولكن (كال) يسبقهم جميعًا، يركض تجاه الثكنات. ما زال يرتدي زي النوم، ولكنه لم يبد يومًا أكثر مهابة، بينما يتدفق الجنود والضباط إلى الميدان، يصيح بالأوامر، يجعل نفسه مسموعًا فوق الحشد المتزايد.

«الأسلحة إلى البوابة! ضع (النيمفيين) على الجانب الآخر، لا نريد هذه النيران أن تنتشر!».

يتبع رجاله الأوامر على عجلة، يقفزون مع كل كلمة، تطيع الفيالق الجنرال. خلفنا تستند (فارلي) إلى الجدار، وتقترب ببطء إلى فتحة الصرف، ستلتفت وتهرب مع أول إشارة للمشكلات، تختفي لتقاتل يومًا آخر، لن يحدث هذا، هذا سينجح. يتحرك (مافين) أولًا ليلوح لأخيه لإيقافه، ولكني أدفعه إلى الخلف.

«يجب أن أفعل ذلك» أهمس، أشعر بهدوء غريب يسيطر عليَّ.

سيختاركِ أنتِ دومًا، أتجاوز نقطة اللاعودة عندما أخطو داخل الميدان، لمجال رؤية الفيلق والدوريات و(كال). تشتعل أضواء كاشفة من قمة الجدران، بعضها موجه إلى الجسر، وأخرى إلينا، يمرُّ واحدٌ منهم عبري، وأضطر إلى رفع يدي لأحمي عيني.

«(كال)!» أصرخ فوق الأصوات المدوية للخمسة آلاف جندي. وبطريقة ما، يسمعني وتتحرك رأسه تجاهي، ينظر أحدنا إلى الآخر خلال كتلة الجنود التي تصطف في صفوف ومجموعات منظمة. عندما يتحرك

تجاهي، مندفعًا عبر البحر، أعتقد أنني سأفقد الوعي. فجأة كل ما أسمعه هي ضربات قلبي تخفق في أذني، تغرق أصوات الإنذار والصرخات، أنا خائفة، خائفة للغاية، هذا مجرد (كال)، أقول لنفسي، الفتى الذي يحب الموسيقى والدراجات، لا الجندي، ولا الجنرال ولا الأمير.

«عودي للداخل، الآن!» يقف أطول مني، ويستخدم صوته الصارم الملكي الذي يمكنه جعل الجبال تنحني: «(ماير)، هذا ليس آمنًا...!».

بقوة لم أعرف أنني أمتلكها، أمسك بياقة قميصه وبطريقة ما يبقيه هذا ثابتًا، «ماذا إذا كان هذا الثمن؟» أنظر تجاه الجسر المحطم، مغطى الآن بالدخان والرماد، «لا شيء غير بعض الأطنان من الأسمنت، ماذا إذا قلت لك هنا والآن، يمكنك إصلاح كل شيء، يمكنك إنقاذنا».

من بريق عينيه، يمكنني أن أرى أنني حظيت بانتباهه: «لا تفعلي» يعترض في ضعفٍ، ويده تمسك بيدي، هناك خوف في عينيه، خوف أكبر مما رأيت من قبل.

«قلت إنك آمنت بنا مرة، بالحرية، والمساواة، يمكنك جعل هذا حقيقيًا، بكلمة واحدة، لن تكون هناك حرب، لن يموت أحد» يبدو مجمدًا من كلماتي، لا يجرؤ على التنفس. لا أقدر على معرفة ما يفكر به، ولكني أستمر بالضغط، يجب أن أجعله يفهم، «لديك القدرة الآن، هذا الجيش ملكك، المكان كله لك لتأخذه و...ولتحرره! سِر تجاه القصر، واجعل والدك يركع، وافعل ما تعرف أنه الصواب، أرجوك يا (كال)!».

يمكنني أشعر به بين يديَّ، أنفاسه سريعة متلاحقة، لم أشعر بأي شيء أكثر أهمية أو واقعية قطُّ. أعلم بما يفكر، مملكته وواجبه ووالده، وأنا، فتاة البرق الصغيرة، تطلب منه أن يرمي بكل هذا بعيدًا، وشيء عميق بداخلي يخبرني أنه سيفعل ذلك. مرتجفة، أضغط بقبلة على شفتيه، سيختارك، بشرته باردة تحت لمستي، مثل الجثة.

«اخترني» أتنفس مقابل جسده: «اختر عالمًا جديدًا، اصنع عالمًا أفضل، جنودك سيطيعونك، والدك سيطيعك» ينقبض قلبي، وتشتد كل عضلة، في انتظار الإجابة. يرتعش ضوء الكشاف المسلط علينا تحت وطأة قدرتي،

يغلق ويفتح مع كل نبضة لقلبي. «كانت دمائي في الزنزانة، ساعدت الحرس القرمزي على الهروب، وقريبًا سيعلم الجميع... ويقتلونني، لا تدعهم، أنقذني».

تحركه كلماتي، وتشتد قبضته على معصمي.

«كانت أنتِ دومًا».

سيختاركِ دومًا.

«رحِّب بالفجر الجديد يا (كال)، معي، معنا».

تنتقل عيناه إلى (مافين) الآن، يتجه ناحيتنا، يتبادل الأخوان النظرات، يتحدثان بطريقة لا أفهمها، سيختارنا.

«كانت أنتِ دومًا» يقول مجددًا، رثٌّ ومحطمٌ هذه المرة، يحمل صوته ألم مئات الميتات، آلاف الخيانات، يمكن لأي شخص خيانة أي شخص، أتذكر، «الهروب، حادثة إطلاق النيران، انقطاعات الكهرباء، كل شيء بدأ معك»أحاول أن أشرح ولا أزال أبتعد، ولكنه ليس لديه أي نية في تركي.

«كم من الناس قتلتِ بسبب فَجْرِك كم من الأطفال؟ كم من الأبرياء؟» تزداد حرارة يده، بدرجة كافية للحرق: «كم من الناس خنتِ؟».

تنهار ركبتاي، وتسقط أسفل مني، ولكن لا يتركني (كال)، بشكلٍ خافتٍ، أسمع (مافين) يصيح في مكان ما، يندفع الأمير إلى إنقاذ الأميرة، ولكنني لست أميرة، لست الفتاة التي تنجو. بينما ترتفع نيران (كال)، لهيب خلف عينيه، يضرب البرق خلالي، يغذيه الغضب، يصعقنا ويقذفني بعيدًا عن (كال). يطن عقلي، مغيم بالحزن والغضب والكهرباء، يصيح (مافين) خلفي، ألتفت في الوقت المناسب لأراه يصيح بـ(فارلي)، ويشير بطريقة شديدة بيديه: «اركضي! اركضي!».

يقفز (كال) على قدميه أسرع مني، يصرخ بشيء إلى جنوده، وتتبع عيناه نداء (مافين)، يربط النقاط ببعضها كما يقدر فقط الجنرال على ذلك.

«فتحات الصرف!» يصيح، وما زال يحدق إليَّ: «هم في فتحات الصرف».

يختفي ظل (فارلي)، تحاول الهرب بينما تتبعها طلقات النيران، يندفع الجنود عبر الميدان، يحطمون القضبان والبالوعات والمواسير، ليكشفوا

الشبكة في الأسفل، ويتدفقون عبر الأنفاق مثل فيضان عنيف، أريد تغطية أذني، لأحجب الصرخات والطلقات والدماء.

(كيلورن)، يرفرف اسمه بضعفٍ في أفكاري، لا أكثر من همسة، لا يمكنني التفكير به طويلًا؛ ما زال (كال) يقف فوقي، جسده بأكمله يرتجف، ولكنه لا يخيفني. لا أظن أن هناك ما يقدر على إخافتي الآن، لقد حدث الأسوأ بالفعل؛ خسرنا.

«كم؟» أصرخ تجاهه، وأجد القدرة على مواجهته: «كم من الناس ماتت من جوع؟ كم قتلوا؟ كم من الأطفال أخذوا إلى الموت؟ كم يا أميري؟».

ظننت أنني عرفت الكره قبل اليوم، كنت مخطئة، بشأني وبشأن (كال) وبشأن كل شيء. يجعل الألم رأسي تدور، ولكن بطريقة ما أنهض على قدمي، بطريقة ما أمنع نفسي من السقوط، لن يختارني أبدًا.

«أخي، والد (كيلورن)، (تريستان)، (والش)!» ما يبدو كمئة اسم ينفجرون مني، أردد أسماء كل من فقدوا، لا يعنون شيئًا لـ(كال) ولكن كل شيء بالنسبة إليّ، وأعلم أن هناك آلافًا، ملايين أكثر، مليون خطأ منسي.

لا يجيبني (كال)، وأتوقع أن أرى الغضب الذي أشعر به منعكسًا في عينيه، بدلًا من ذلك، لا أرى شيئًا غير الحزن، يهمس مجددًا، والكلمات تجعلني أريد أن أسقط وألا أنهض مجددًا.

«أتمنى لو كانت الأمور مختلفة».

أتوقع الشرار، وأتوقع البرق، ولكنه لا يأتي، عندما أشعر بأيدٍ باردة على عنقي وسلاسل معدنية على معصمي، أعلم لماذا. المدرب (أرفين)، الصمت، الذي يجعلنا بشرًا، يقف خلفي، ويضغط كل قدرتي حتى لا أصير شيئًا عدا فتاة باكية مجددًا. سلبها كلها، كل القوة وكل القدرة التي ظننت أنني أمتلكها، فقدتها. عندما تستسلم ركبتاي هذه المرة، لا يوجد من يسندني، بالكاد أسمع صوت (مافين) يصرخ قبل أن يسقط أرضًا أيضًا.

«أخي» يصرخ، يحاول أن يجعل (كال) يرى ما يفعله: «سيقتلونها! سيقتلونني!» ولكن لم يعُد (كال) يستمع لنا، يتحدث مع أحد نقبائه، ولا أهتم بسماع كلماته، لم أقدر حتى إذا أردت.

ترتجف الأرض تحتي مع كل دورة من الطلقات عميقًا في الأسفل، كم من الدماء ستلطخ الأنفاق الليلة؟ رأسي ثقيلة، وجسدي ضعيف، وأترك نفسي أستلقي على الأرض المرصوفة، أشعر ببرودة تحت وجنتي، لطيفة وناعمة. يتقدم (مافين) ناحيتي وتسقط رأسه بجانبي، أتذكر لحظة كهذه، صرخة (جيسا) وصوت صدى ضعيف لتحطم العظام، شبح داخل رأسي.

«خذوهم إلى الداخل، للملك، سيحكم عليهما».

لا أتعرف على صوت (كال) بعد الآن، حوَّلته إلى وحش، أجبرته على هذا، جعلته يختار، كنت متلهفة، كنت غبية، تركت نفسي آمل.

أنا حمقاء.

تبدأ الشمس في الشروق خلف رأس (كال)، تبرزه مقابل الفجر، الضوء ساطع للغاية، حاد بشدة، وقريب، اضطررت إلى غلق عينيَّ.

الفصل السادس والعشرون

بالكاد أستطيع المواكبة مع تقدمهم، لكن الجندي خلفي الذي يمسك ذراعيَّ المقيدتين، يستمر في دفعي، ويفعل آخر نفس الشيء لـ(مافين) ويجبره على التقدم معي. يتبعنا (أرفين) للتأكد من عدم فرارنا، وجوده يشكل ثقلًا مظلمًا، يخمد حواسي. ما زلت أرى الممر حولنا، فارغًا وبعيدًا عن أعين البلاط الفضولية، ولكن ليس لديَّ القدرة لأهتم، يقود (كال) المجموعة، كتفاه متوترتان ومشدودتان بينما يحارب الرغبة في النظر إلى الخلف.

تدوي أصوات إطلاق النيران والصرخات والدماء في الأنفاق في عقلي، هم موتى، نحن موتى، انتهى الأمر. أتوقع أن نهبط، ونسير ناحية أظلم زنزانة في العالم، بدلًا من ذلك، يقودنا (كال) إلى أعلى، إلى غرفة من دون نوافذ أو حراس (سينتنال). لا تصدر حتى خطانا صدى في أثناء دخولنا، عازلة للصوت، لا يمكن لأحد سماعنا، ويخيفني هذا أكثر من المسدسات أو النيران أو الغضب الصافي. يقف في منتصف الغرفة، يرتدي درعه المصقول والتاج على رأسه، وسيفه الرسمي معلق على جانبه مجددًا، مع مسدس على الأرجح لن يستخدمه قطُّ، كله جزء من الاستعراض، على الأقل يليق به الدور.

الملكة هنا أيضًا، تنتظرنا ولا ترتدي أكثر من ثوب أبيض رقيق. في اللحظة التي ندخل بها، تقابلني عيناها وتقتحم الطريق لأفكاري مثل السكينة داخل اللحم. أصرخ، وأحاول أن أمسك برأسي، ولكن تبقيني القيود في مكاني. يومض كل شيء في عينيَّ مجددًا، من البداية إلى النهاية، مقطورة (ويل)، الحرس القرمزي، (كيلورن)، الشغب، المقابلات، الرسائل السرية. يدور وجه (مافين) في الذكريات، يبرز وسط المعارك، ولكن (إيلارا) تبعده. لا تريد أن ترى ما أتذكره عنه. يصرخ رأسي ضد الهجوم، يقفز بين فكرة وأخرى، تتعرى حياتي كلها، كل قبلة وكل سر أمامها. عندما تتوقف، أشعر بالموت، أريد أن أموت، على الأقل لن أنتظر طويلًا.

«أتركونا» تقول (إيلارا) وصوتها حادٌّ وصارمٌ. ينتظر الجنود، ينظرون إلى (كال)، عندما يومئ، يأخذون أمر الخروج ويغادرون في صخبٍ من طرقات الأحذية، ولكن يبقى (أرفين)، وتأثيره لا يزال ضاغطًا عليَّ، عندما يختفي صوت مسيرة الأحذية، يسمح الملك لنفسه أن يتنفس.

«بني؟» ينظر إلى (كال)، وأرى رجفة صغيرة في أصابعه، ولكن ما الذي يمكن أن يخيفه، لا أعلم: «أريد أن أسمعها منك».

«كانا جزءًا من هذا منذ وقتٍ طويلٍ» يتمتم (كال)، بالكاد يقدر على النطق بالكلمات: «منذ جاءت هنا».

«كلاهما؟» يحيد (تايبرياس) نظره عن (كال) ويوجهه إلى ابنه المنسي، يبدو شبه حزين، ويتحول وجهه إلى تجهم مؤلم. تتردد عيناه، ترفض أن تحافظ على النظرة، ولكن (مافين) يحدق مباشرة تجاهه، لن يجفل: «هل علمت بشأن هذا يا ولدي؟».

يومئ (مافين): «ساعدت في التخطيط له».

يتعثر (تايبرياس)، كأن كلماته ضربة جسدية، «وإطلاق النيران؟».

«اخترت الأهداف».

يغلق (كال) عينيه، كأنه يقدر على حجب كل شيء. تنتقل عينا (مافين) من والده إلى (إيلارا)، التي تقف بالقرب. يحدق أحدهما بالآخر، وللحظة، أعتقد أنها تنظر داخل أفكاره، ثم أدرك فجأة أنها لن تفعل هذا، لن تدع نفسها تنظر.

«قلت لي أن أجد هدفًا يا أبي، ففعلت، هل أنت فخور؟».

لكن (تايبرياس) يهاجمني بدلًا منه، يزمجر مثل الدب: «أنتِ فعلتِ هذا! سممتِه، سممتِ ابني!» عندما تظهر الدموع في عينيه، أعلم أن قلب الملك، لا يهم إذا كان كبيرًا أو صغيرًا، قد تحطم، يحب (مافين)، بطريقته الخاصة، لكن فات الأوان لذلك: «أخذتِ ابني مني!».

«فعلتَ ذلك بنفسكَ» أقول له وأجز على أسناني: «(مافين) لديه قلبه، ويؤمن بعالمٍ مختلفٍ بقدر ما أؤمن أنا، إذا كان أي شيء، فقد غيَّرني ابنك».

«لا أصدقكِ، خدعتِه بطريقة ما».

«لا تكذب».

سماع (إيلارا) تتفق معي يقطع أنفاسي.

«طالما تعطش ابننا إلى التغيير» تظل عيناها على ابنها، تبدو خائفة: «هو مجرد فتى يا (تايبرياس)».

أنقذيه، أصرخ داخل عقلي، لا بد أنها تسمعني، لا بد. بجانبي، يأخذ (مافين) نفسًا، وينظر تجاه ما يمكن أن يكون هلاكنا. ينظر (تايبرياس) إلى قدمه، يعلم القواعد أكثر من أي أحد، ولكن (كال) قوي كفاية ليقابل عيني (مافين). أراه يتذكر حياتهما معًا، لهب وظل، لا يقدر أحدهما على النجاة من دون الآخر. بعد لحظة طويلة من الصمت الساخن الخانق، يضع الملك يده على كتف (كال)، يهز رأسه إلى الخلف وإلى الأمام وتسقط الدموع على وجنتيه ولحيته.

«فتى أم لا، لقد قتل (مافين)، مع تلك...تلك الأفعى» يشير بأصبع مرتجفة تجاهي، «ارتكب جرائم خطيرة ضد قومه، وضدي، وضدك، ضد عرشنا».

«أبي...» يتحرك (كال) سريعًا، ويضع نفسه بيننا وبين الملك، «هو ابنك، لا بد أن هناك طريقة أخرى».

يظل (تايبرياس) ساكنًا، يضع الأب جانبًا ليصير الملك مجددًا، يمسح دموعه بيده: «عندما ترتدي تاجي، ستفهم».

تضيق الملكة عينيها حتى تصير فتحات زرقاء رفيعة. عيناها، مثل أعين (مافين).

«لحسن الحظ لن يحدث ذلك أبدًا» تقول في برودٍ.

«ماذا؟» يلتفت (تايبرياس) ليتجه إليها، ولكنه يتوقف في المنتصف، جسده متجمد.

رأيت هذا من قبل في حلبة مباريات القتال، منذ وقتٍ طويلٍ، عندما هزم (الويسبر) (السترونج أرم)، فعلت (إيلارا) هذا بي، حوَّلتني إلى دمية، ومجددًا بيدها الأحبال.

«(إيلارا) ماذا تفعلين؟» يهمس من خلف أسنانه المطبقة.

تجيبه بكلماتٍ لا أقدر على سماعها، تتحدث داخل رأسه، لا تعجبه الإجابة على الإطلاق: «لا!» يصرخ بينما تجبره على السقوط على ركبتيه بهمساتها، يغضب (كال) وتنفجر قبضتاه بالنيران، ولكن تسيطر (إيلارا) على الوضع وتوقفه مكانه، تسيطر على كليهما، يقاوم (تايبرياس)، ويجز على أسنانه، ولكنه لا يقدر على التحرك بوصة، بالكاد يمكنه التحدث: «(إيلارا)، (أرفين)...».

لكن مدربي القديم لا يتحرك، بدلًا من ذلك، يقف في هدوء، مسرورًا للمشاهدة، يبدو أن ولاءه لا يقع مع الملك، لكن مع الملكة، هي تنقذنا، من أجل حياة ابنها. راهنًا على حب (كال) لي لتغيير العالم؛ كان يجب أن ننظر إلى الملكة عوضًا عن ذلك، أريد أن أضحك، أن أبتسم، ولكن شيئًا في وجه (كال) يمنعني من الراحة.

«حذَّرني (جوليان)» يزمجر (كال)، ما زال يحاول أن يتحرر من سيطرتها، «ظننته كان يكذب بشأنكِ، بشأن أمي، وما فعلتِه بها».

يصرخ الملك وهو على ركبتيه بصوتٍ بائسٍ، لا أريد أن أسمعه مجددًا قطُّ. «(كوريان)» يتأوه، ويحدق إلى الأرض» علم (جوليان)، وعلمت (سارة)، وعاقبتها على الحقيقة».

تتكون حبات عرق على جبهتها، لا تقدر على السيطرة على الملك والأمير معًا لوقتٍ طويلٍ.

«(إيلارا) يجب أن تخرجي (مافين) من هنا» أقول لها: «لا تقلقي بشأني، فقط أبقيه آمنًا».

«لا تنزعجي يا فتاة البرق الصغيرة» تسخر: «لا أفكر بكِ نهائيًا، رغم أن ولاءك لابني مبهر حقًّا، أليس كذلك يا (مافين)؟» تنظر إلى ابنها خلف كتفها، ما زال مقيدًا، ردًّا عليها، يدفع ذراعيه ويحطم السلاسل بسهولة صادمة. تنصهر من فوق معصمه لكرات من المعدن الساخن، وتحرق فجوات في الأرض. عندما ينهض على قدميه، أتوقع منه أن يدافع عني، أن ينقذني مثلما أحاول إنقاذه. ثم أدرك أن (أرفين) ما زال يسيطر عليَّ، لم يعد شعور الشرارات المألوف والكهرباء، لا يزال يمنعني، رغم أنه ترك (مافين).

عندما تقابلني عين (كال)، أعلم أنه يفهم الأمر أفضل مني، أي شخص يمكنه خيانة أي شخص، تتردد بصوتٍ أقوى وأقوى، حتى تصرخ في أذني كرياح الأعاصير.

«(مافين)؟» يجب أن أنظر إلى أعلى لأرى وجهه، وللحظة، لا أتعرف عليه. ما زال نفس الفتى، الذي طمأنني، قبّلني، أبقاني قوية، صديقي، أكثر من صديقي، لكن هناك شيئًا خاطئًا به، تغير شيء ما، «(مافين)، ساعدني».

يدير كتفيه، ويطقطق عظامه ليبعد الألم، حركاته بطيئة وغريبة، وعندما يستقر على قدميه، يداه على خصره، أشعر كأنني أراه لأول مرة، عيناه باردتان للغاية.

«لا، لا أظن ذلك».

«ماذا؟» أسمع صوتي كأنه يصدر من شخص آخر، أبدو كفتاة صغيرة، أنا مجرد فتاة صغيرة.

لا يجيبني (مافين) لكنه يحدق إليّ، الفتى الذي أعرفه ما زال هنا، يختبئ، يتحرك خلف عينيه، إذا قدرت على الوصول إليه، ولكن يتحرك (مافين) أسرع مني ويدفعني عنه عندما أحاول الوصول إليه.

«كابتن (تايروس)!» يصرخ (كال)، ما زال يقدر على الكلام، لم تأخذ منه (إيلارا) ذلك بعد، ولكن لا يأتي أحد راكضًا، لا يمكن أن يسمعنا أحد.

« كابتن (تايروس)!» يصيح مجددًا، متوسلًا إلى اللاأحد.

«(إيفانجلين)! (بتوليموس)، أي أحد، المساعدة!».

(إيلارا) مسرورة بتركه يصرخ، تستمتع بالصوت، ولكن (مافين) يجفل.

«هل يجب أن نستمع لهذا؟» يسأل.

«لا، أظن لا» تتنهد، وتميل رأسها، يتحرك جسد (كال) بأفكارها، ويلتفت ليواجه والده.

يفزع (كال)، وتتسع عيناه: «ماذا تفعلين؟».

أسفله يظلم وجه الملك: «أليس هذا واضحًا؟».

لا أفهم على الإطلاق، لا أنتمي إلى هنا، كان (جوليان) محقًّا، هذه لعبة لا أفهمها، لعبة لا أعرف كيف ألعبها. أتمنى لو كان (جوليان) هنا الآن، ليشرح لي، ليساعدني، لينقذني، ولكن لن يأتي أحدٌ.

«(مافين) أرجوك» أتوسل وأحاول أن أجعله ينظر إليَّ، ولكنه يدير ظهره، ويركز على والدته ودمائه التي خانها، هو ابن والدته. لم تهتم أنه كان في ذكرياتي، لم تهتم أنه كان جزءًا من كل ذلك، الإجابة بسيطة بطريقة مفزعة، لأنها علمت بالفعل، لأنه ابنها، وكانت هذه خطتها منذ البداية. تؤلمني الفكرة مثل شفرات تجري خلال بشرتي، لكن الألم يجعل الأمر حقيقيًا.

«قمت باستغلالي».

أخيرًا، يتنازل (مافين) وينظر تجاهي: «بدأتِ في الفهم، أليس كذلك؟» .

«اخترت الأهداف، الكولونيل، (رينالد)، (بيليكوس)، حتى (بتوليموس)، لم يكونوا أعداء الحرس، كانوا أعداءك» أريد أن أمزقه، بالبرق أو من دونه، أريد أن أجعله يتألم.

أخيرًا بدأت في تعلم الدرس، أي شخص يمكنه خيانة أي شخص: «وهذه... هذه مجرد خطة أخرى، دفعتني إلى ذلك، حتى مع استحالته، حتى مع علمك أن (كال) لن يخون والده أبدًا! جعلتني أصدق، جعلتنا نصدق جميعنا».

«ليس خطئي أنكم حمقى بالدرجة الكافية للاستمرار في اللعب» يجيبني.

«الآن، انتهى أمر الحرس».

شعرت بالكلمات كأنها ضربة في الأسنان: «كانوا أصدقاءك، وثقوا بك».

«كانوا تهديدًا لمملكتي، وكانوا أغبياء» يقول مندفعًا، ينحني فوقي بابتسامة ملتوية: «كانوا».

تضحك (إيلارا) على مزحته القاسية: «كان من السهل تركك تتسللين وسطهم، كل ما تطلَّبه الأمر هو خادمة عاطفية واحدة، كيف صار هؤلاء الحمقى خطرًا، لن أعرف أبدًا».

«جعلتني أصدق» أهمس مجدداً، وأتذكر كل كذبة قالها لي، «ظننتُ أنك أردت مساعدتنا» تخرج كلماتي كالأنين، ولثانية قصيرة، تلين ملامحه الشاحبة، ولكنها لا تدوم.

«فتاة حمقاء» تقول (إيلارا): «كاد يجلب غباؤك دمارنا، استخدام حارسك الشخصي للهروب، التسبب في كل هذه الانقطاعات، هل تظنين حقًّا أنني كنت بهذا الغباء فأفوت كل آثارك؟».

أهز رأسي وأنا أشعر بالغدر: «تركتني أفعل ذلك، علمتِ بأمر كل شيء».

«بالطبع علمت، كيف تظنين أنكِ وصلتِ إلى هذا الحد؟ اضطررت إلى أن أغطي آثارك، أن أحميكِ من أي شخص بحسٍّ كافٍ ليرى العلامات» تزمجر مثل الوحش، «لا تعرفين المدى الذي وصلت إليه، لحمايتك من الخطر».

تتحمس من البهجة، وتستمتع بكل ثانية من هذا: «لكنك حمراء، ومثل الآخرين، محكوم عليكِ بالفشل».

تصطدم بي وتقع الذكريات في أماكنها. كان يجب أن أعرف، عميقًا بداخلي، ألا أثق بـ(مافين)، كان كماله زائدًا عن الطبيعي، وشجاعته ولطفه، أدار ظهره إلى قومه ليلتحق بالحرس، دفعني تجاه (كال)، منحني بالضبط ما أحتاج إليه، وجعلني هذا عمياء.

أريد الصراخ، أريد النحيب، أترك نفسي أتتبع (إيلارا): «قلتِ له ما يقول بالضبط» أهمس ولا تحتاج إلى الموافقة، أعلم أنني محقة، «تعلمين من أنا هنا، وتعلمين...» تؤلمني رأسي، متذكرة كيف عبثت بداخل عقلي، «علمتِ كيف تكسبينني».

لا يؤلم شيء أقوى من النظرة الخاوية على وجه (مافين).

«هل كان أي شيء حقيقيًّا؟».

عندما يهز رأسه، أعلم أن هذه أيضًا كذبة.

«حتى (توماس)؟» الفتى في جبهة الحرب، الذي مات يقاتل حرب شخص آخر، كان يُدعى (توماس) وشاهدته يموت. يضرب الاسم عبر قناعه، ويحطم واجهة عدم المبالاة الباردة، ولكن ليس هذا كافيًا. يبعد الاسم والألم الذي يسببه.

«فتى ميت آخر، لا يشكل فارقًا».

«يشكل كل الفرق» أهمس إلى نفسي.

«أظن قد حان الوقت للوداع يا (مافين)» تقاطعنا (إيلارا) وتضع يدها البيضاء على كتف ابنها، لقد أصبته بالقرب من نقطة ضعفه، ولن تتركني أضغط أكثر.

«ليس لديَّ» يهمس، ويلتفت إلى والده. عيناه الزرقاء تتردد، ناظرًا إلى التاج، السيف، الدرع، أي مكان غير وجه والده، «لم تنظر إليَّ أبدًا، لم تراني أبدًا، ليس عندما كان هو لديك» يحرك رأسه مشيرًا إلى (كال).

«تعلم أن هذا ليس صائبًا يا (مافين)، أنت ابني، لن يغير شيء هذا، ليس حتى هي» يقول (تايبرياس)، ويلقى نظرة على (إيلارا)، «ليس حتى ما توشك هي على فعله».

«عزيزي، لن أفعل أي شيء» تقول مغردة: «ولكن ابنك الحبيب...» تصفع (كال) على وجهه: «شعره الرائع...» تصفعه مجددًا، أكثر قوة هذه المرة، «ابن (كوريان)...» صفعة أخرى تجلب دماء، وتشق شفته، «لا يمكنني أن أتحدث عنه».

تقطر دماء فضية سميكة على ذقنه، تبطئ عينا (مافين) عند الدماء، ويجذب ملامحه عبوس بسيط.

«لدينا ابن آخر، يا (تيبي)» تهمس (إيلارا)، وصوتها خشن من الغضب عندما تلتفت إلى الملك: «لا يهم كيف شعرت تجاهي، كان من المفترض أن تحبه».

«أحببته!» يصرخ، ويقاوم قيده العقلي: «أُحبه».

أعرف معنى أن يتم تجاهلك، أن تقف في ظل شخص آخر، ولكن هذا النوع من الغضب، هذا المشهد المميت، المدمر، البشع بعيد عن استيعابي. يحب (مافين) أباه، أخاه، كيف يمكنه تركها تفعل ذلك؟ كيف يكون هذا ما يريد؟ ولكنه يقف ساكنًا، يراقب ولا أقدر على إيجاد الكلمات التي يمكنها تحريكه.

لا شيء يجعلني مستعدة لما سيأتي تاليًا، لما تجبر (إيلارا) دميتها على فعله. ترتجف يد (كال)، وهو يمدها إلى الأمام، تدفعه إرادتها إلى الأمام، يحاول المقاومة، يقاتل بكل ذرة قوة لديه، ولكن من دون فائدة. هذه معركة لا يعرف كيف يحارب فيها. عندما تقبض يده على السيف اللامع، ويسحبه من غمده على جانب خصر أبيه، تسقط آخر قطعة أحجية في مكانها، تتدفق الدموع على وجهه، تصير بخارًا على بشرته الساخنة.

«هذا ليس أنت» يقول (تايبرياس)، وعيناه على وجه (كال) البائس، لا يهتم بالتوسل من أجل حياته، «أعلم أنه ليس أنت يا بني، ليس هذا خطأك».

لا يستحق أحدٌ ذلك، لا أحد، في عقلي، أحاول الوصول إلى البرق، ويأتي، أهجم به على (إيلارا) و(مافين)، وأنقذ الأمير والملك. ولكن حتى خيالاتي ملوثة، ماتت (فارلي) ومات (كيلورن)، انتهت الثورة. حتى في تخيلي، لا يمكنني إصلاح ذلك، يرتفع السيف إلى أعلى، يهتز بين أصابع (كال) المرتجفة. السيف شرفي في أفضل حالاته، ولكن الطرف يلمع وحاد كالشفرة. يتحول لون المعدن إلى الأحمر، يشتعل تحت لمسة (كال) النارية، وتنصهر قطع من المقبض بين أصابعه. ذهب، وفضة وفولاذ، تتساقط من يده مثل الدموع، يراقب (مافين) النصل عن قربٍ وبحذرٍ، لأنه يخاف أن يشاهد أباه في آخر لحظات، ظننتك شجاعًا، كنتُ مخطئةً للغاية.

«أرجوك» هذا كل ما يقوله (كال)، يجبر الكلمة على الخروج: «أرجوك».

لا يوجد ندم في عين (إيلارا) ولا ألم الضمير، هذه اللحظة كانت قادمة منذ وقت طويل. عندما يبرق السيف، ينحني خلال الهواء واللحم والعظام، لا ترمش. ترتطم جثة الملك بالأرض، وتتدحرج رأسه لتتوقف على بُعد بعض الأقدام، تتناثر الدماء الفضية عبر الأرض وتتجمع في بركة عاكسة، وتحيط بقدمي (كال). يسقط السيف المنصهر، ويدعه يصطدم بالحجر، قبل أن يسقط على ركبتيه، ويضع رأسه بين يديه. يسقط التاج على الأرض، ويدور فوق الدماء، حتى يتوقف عند قدم (مافين)، أطرافه لامعة بالسائل الفضي. عندما تصرخ (إيلارا)، في عويل وتخبط فوق جسد

الملك، أكاد أضحك بصوتٍ عالٍ على سخافة الأمر كله، هل غيرت رأيها؟ هل فقدت عقلها كليًا؟ ثم أسمع صوت الكاميرات تعود للحياة، تبرز خارج الجدران، وتشير ناحية جسد الملك وما يبدو كالملكة ترثو زوجها الفقيد، يصرخ (مافين) بجانبها، ويده على كتف والدته.

«قتلته! قتلت الملك! قتلت أباك!» يصرخ في وجه (كال)، فقط لمحة صغيرة من السخرية تبقى، وبطريقة ما يقاوم (كال) رغبة فصل رأس أخيه، هو في صدمة، لا يفهم، لا يريد أن يفهم، ولكن لمرة، أنا أفهم بالتأكيد.

لا تهم الحقيقة، كل ما يهم هو ما يصدقه الشعب. حاول (جوليان) تعليمي هذا الدرس من قبل، والآن أفهمه. سيصدقون هذا المشهد القصير، هذا العرض البارع للممثلين والكذب، لا جيش ولا دولة ستتبع رجلًا قتل والده من أجل التاج.

«اركض، (كال)» أصيح وأحاول أن أرجعه إلى الحياة، «يجب أن تهرب!».

تركني (أرفين)، وعادت النبضة الكهربائية، تتدفق خلال عروقي مثل النيران عبر الثلج. من السهل صدم المعدن، وحرقه بالشرار حتى تسقط السلاسل من على معصمي. أعرف هذا الشعور، أعرف الغريزة التي تتصاعد داخلي، اركضي، اركضي، اركضي. أمسك بكتف (كال)، أحاول جذبه إلى أعلى، لكن الأخرق الضخم لا يتحرك، أصدمه صدمة صغيرة بالقدر الكافي لأحظى بانتباهه، قبل أن أصرخ: «اركض!».

كان كافيًا، ينهض على قدميه بصعوبة، ويكاد ينزلق فوق بركة الدماء. أتوقع أن تقاتلني (إيلارا)، تجعلني أقتل نفسي أو (كال)، ولكنها تستمر في الصراخ، تؤدي من أجل الكاميرات. يقف (مافين) فوقها، وذراعاه مشتعلان، مستعد لحماية والدته، لا يحاول حتى إيقافنا.

«لا يوجد مكانٌ للهرب!» يصيح، ولكني أركض بالفعل، وأجرجر (كال) خلفي: «قتلة، خونة، وستواجهان العدالة!».

صوته، الصوت الذي كنت أعرفه جيدًا، يبدو أنه يطاردني عبر الأبواب وهبوطًا إلى الردهة. تصرخ الأصوات في رأسي معه، فتاة غبية، فتاة حمقاء، انظري إلى ما سبَّبه أملك. ثم صار (كال) من يسحبني معه، ويجبرني على

التقدم. تغرق عينيَّ دموعٌ من الغضب والحزن، حتى لا أقدر على رؤية أي شيء غير يدي بين يده. لا أعرف أين يقودنا، يمكنني فقط أن أتبعه. تضرب أقدام الأرض خلفنا، الصوت المألوف للأحذية العالية. ضباط، حراس (سينتنال)، جنود، كلهم يطاردونا، قادمون من أجلنا. تتغير الأرض أسفلنا من الخشب اللامع للممرات الخلفية للرخام الدائري لقاعة الحفلات. تقف طاولات طويلة عليها الأطقم الصينية في طريقنا، ولكن (كال) يقذفها جانبًا بضربة نارية. يثير الدخان كاشفات الحريق، وتمطرنا بالمياه، لمحاربة اللهيب. تتحول المياه إلى بخار على بشرة (كال)، وتحيطه بسحابه بيضاء غاضبة. يبدو كشبحٍ، تطارده حياة تم تمزيقها على غفلة، ولا أعرف كيف أواسيه. يبطئ العالم بالنسبة إليَّ عندما تظلم نهاية القاعة من تجمع الأزياء الرمادية والأسلحة السوداء. لا يوجد مكانٌ للهرب بعد الآن، يجب أن أقاتل، يشتعل البرق في جلدي، متوسلًا من أجل الحرية.

«لا» صوت (كال) خاوٍ، محطمٌ، يخفض يديه ويترك نيرانه تخبو، «لا يمكننا الفوز في هذا».

هو محقٌّ.

يقتربون من الأبواب العديدة والمداخل المقوسة وحتى النوافذ تزدحم بالأزياء الرسمية، مئات (الفضيين)، مسلحون حتى أسنانهم، مستعدون للقتل. نحن محاصرون. يبحث (كال) بين الوجوه، نظره معلق بالجنود، رجاله، بالطريقة التي يحدقون بها إليه، أعلم أنهم قد رأوا بالفعل الهول الذي صنعته (إيلارا). تحطم ولاؤهم، مثل الجنرال الخاص بهم. يرتجف واحدٌ منهم، كابتن، عند رؤية (كال)، لمفاجأتي، يبقي المسدس بجانبه ويتقدم إلى الأمام.

«استسلم للاعتقال» يقول ويده ترتعش.

ينظر (كال) إلى صديقه القديم ويومئ: «نستسلم للاعتقال يا كابتن (تايروس)».

اركضي، تصرخ كل ذرة داخلي، ولكن لمرة، لا أقدر. بجانبي، يبدو (كال) متأثرًا، عيناه تعكس ألمًا لا يمكنني تخيله، تصل جروحه إلى أعماق روحه، لقد تعلم درسه أيضًا.

الفصل السابع والعشرون

لقد خدعني (مافين)، لا، لم يكن في صفي أبدًا. تتكيف عيناي، وترى القضبان في الضوء الخافت، السقف منخفض وثقيل، مثل هواء تحت الأرض، لم أرَ هذا المكان من قبل، مع ذلك أعرفه.

«وعاء العظام» أهمس بصوتٍ عالٍ، لا أتوقع أن يسمعني أحدٌ، لكن شخصًا ما يضحك.

يستمر الظلام في الانقشاع، ليكشف أكثر عن الزنزانة، تجلس كتلة جسدية مقابل القضبان وظهري، يهتز مع كل جلجلة ضحك.

«كنت في الرابعة عندما جئت هنا أول مرة، وكان (مافين) بالثانية، اختبأ خلف تنورة أمه، مرتعبًا من الظلام والزنزانة الفارغة» يضحك (كال)، كل كلمة حادة كالشفرة: «أظنه لم يعد خائفًا من الظلام».

«لا، لم يعد هكذا».

أنا ظل اللهيب، صدقت (مافين) عندما قال تلك الكلمات، عندما قال لي كم يكره هذا العالم. أعلم الآن أنها خدعة، خدعة متقنة. كل كلمة، كل لمسة، كل نظرة كانت كذبة، وظننتني أنا الكاذبة. أحاول الوصول إلى قدراتي غريزيًّا، أحاول الشعور بنبضة الكهرباء، شيء ليعطيني شرار الطاقة، ولكن لا يوجد شيء، لا شيء غير الغياب الفارغ الثابت، يجعلني شعورٌ خاوٍ أرتجف.

«هل (أرفين) على قرب؟» أتساءل، وأتذكر كيف أغلق قدراتي، وأجبرني على مشاهدة (مافين) ووالدته يدمران عائلتهما، «لا أشعر بأي شيء».

«إنها الزنزانة» يقول (كال) في لامبالاة، ترسم يده شكلًا على الأرض المتسخة، لهبًا، «مصنعة من الحجر الصامت، لا تسأليني عن تفسير، فلا أعلم، ولا أريد المحاولة».

ينظر إلى أعلى وعيناه تحملقان عبر الظلام إلى الصف اللانهائي من الزنازين، يجب أن أكون خائفة، ولكن لا أخاف شيئًا، فقد حدث الأسوأ.

«قبل المباريات، عندما اضطررنا إلى إعدام من منا، استضاف وعاء العظام كل الكوابيس. (الجريكو) العظيم، الذي اعتاد أن يمزق الضحايا نصفين ويأكل كبدهم. العروس السامة، كانت (أنيموس) من منزل (فايبر) وأرسلت ثعابين إلى فراش عمي الأكبر في ليلة زفافه. يقولون إن دماءه تحوّلت إلى سمٍّ، آثار عضات متعددة» يقوم (كال) بسردهم، مجرمي عالمه، كأنهم قصص أُبتكرت لإخافة الأطفال. «والآن، نحن، الأمير الخائن، سوف يدعونني، قتل أباه من أجل التاج، لم يقدر على الانتظار».

لم أقدر على منع نفسي من الإضافة: «أقنعته الحقيرة بفعل ذلك، سوف يثرثرون إلى بعضهم» يمكنني أن أرى ذلك في رأسي، يتحدثون به عند كل زاوية شارع وكل شاشة فيديو. «سوف يلومونني، فتاة البرق الصغيرة، ملأت أفكارك بالسم، أفسدتك، جعلتك تقوم بكل هذا».

«كدت تفعلين» يهمس: «كدت أختارك هذا الصباح».

هل كان ذلك هذا الصباح؟ لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا، أدفع نفسي مقابل القضبان على بُعد بوصة من (كال).

«سوف يقتلوننا».

يومئ (كال) ويضحك مجددًا، سمعت ضحكته من قبل، كان يضحك في كل مرة حاولت الرقص فيها، ولكن الصوت مختلف. رحل دفؤه وترك الفراغ خلفه.

«سيحرص الملك على ذلك، سوف يعدموننا».

إعدام، لست متفاجئة ولا حتى قليلًا.

«كيف؟» بالكاد أتذكر آخر إعدام، فقط صورًا باقية: دماء فضية على الرمال، زئير الحضور، وأتذكر المشانق في قريتي، حبالًا تتأرجح في الرياح العاتية.

تتوتر كتفا (كال): «هناك طرق متعددة، معًا، كل واحد على حدة، بسيوف، أو أسلحة، أو قدرات، أو جميعهم» يتنهد، بالفعل استسلم لقدره، «سيحرصون أن نتألم، لن يمضي سريعًا».

«ربما سأنزف في جميع أنحاء المكان، هذا سيعطي العالم شيئًا ليفكروا به».

تجعلني الأفكار البائسة أبتسم. عندما أموت، سأغرس علمي الأحمر الخاص، سأنثره عبر رمال الحلبة الضخمة. «لن يقدر على إخفائي وقتها، سيعلم الجميع من أنا».

«هل تظنين أن ذلك سيغير أي شيء؟».

يجب أن يفعل، (فارلي) لديها القائمة، ستجد الآخرين... لكن ماتت (فارلي)، يمكنني فقط أن آمل أنها أعطت أحدًا القائمة، شخصًا لا يزال حيًا، لا يزال هناك آخرون، ويجب العثور عليهم، يجب أن يستمروا، لأنني لا أقدر بعد الآن.

«لا أظن ذلك» يستمر (كال)، ويملأ صوته الصمت: «أظنه سيستغل الأمر كذريعة، سيكون هناك المزيد من التجنيد، المزيد من القوانين، المزيد من معسكرات العمل، ستبتكر أمه كذبة رائعة أخرى، وسيستمر العالم في الدوران مثل ما سبق».

لا، ليس كما سبق.

«سيبحث عن المزيد مثلي» أدرك بصوتٍ عالٍ، لقد سقطت بالفعل، وخسرت بالفعل، أنا ميتة، وهذا آخر مسمار في نعشي. تسقط رأسي بين يديّ، وأشعر بأصابعي الحادة الذكية تتلوى عبر شعري.

يتحرك (كال) مقابل القضبان، ويبعث وزنه اهتزازات عبر المعدن. «ماذا؟».

«هناك آخرون، اكتشف (جوليان) ذلك، طلب مني إيجادهم، و...» يتقطع صوتي، لا أريد الاستمرار، «وقلت له عنهم» أشعر أنني على وشك الصراخ: «استغلني ببراعة».

يلتفت (كال) عبر القضبان لينظر إليَّ، حتى ومع اختفاء قدراته، تحجبها هذه الجدران البائسة، يشتعل جحيم خلف عينيه.

«كيف تشعرين؟» يزمجر، وجهي مقابل وجهه: «كيف هو شعورك أن يستغلك أحد يا (ماير بارو)؟».

سابقًا، كنت لأمنح أي شيء لأسمعه يقول اسمي الحقيقي، ولكن الآن يؤلمني مثل الحرق، ظننتني استغلهما معًا، (مافين) و(كال)، كم كنت غبية.

«أنا آسفة» أجبر نفسي على القول، أكره هذه الكلمات، ولكنها كل ما أقدر على منحه.

«لست (مافين)، لم أفعل ذلك لأؤذيك، لم أرِد أذيتك قطُّ» وبصوتٍ ألطف، بالكاد مسموع: «لم يكن كله كذبًا».

ترتطم رأسه بالقضبان، بصوتٍ عالٍ مؤلم، لكن (كال) لا يبدو مباليًا، مثلي، فقد القدرة على الشعور بالألم أو الخوف، قد مرَّ بالكثير.

«هل تظنه سيقتل والديَّ؟» أختي، إخوتي، لمرة أنا سعيدة أن (شايد) مات بعيدًا عن يد (مافين).

أشعر بدفء مفاجئ ينزف داخلي، ويستقر بعظامي المرتجفة، تحرك (كال) مجددًا، يستند إلى القضبان خلفي، حرارته لطيفة، طبيعية، لا يسيطر عليها غضب أو قدرات، بشرية، أشعر به يتنفس، وبقلبه ينبض، ينبض كالطبول بينما يجد القوة ليكذب عليَّ.

«أظنه لديه أمور أهم ليفكر بها».

أعلم أنه يشعر ببكائي، تهتز كتفاي مع النحيب، ولكنه لا يقول أي شيء، لا توجد كلمات لهذا، ولكنه يبقى هكذا، آخر جزء من الدفء في عالم يتحوّل إلى غبار، أبكي من أجلهم جميعًا، (فارلي)، (تريستان)، (والش)، (ويل)، (شايد)، (بري)، (ترامي)، (جيسا)، أمي وأبي. مقاتلون، جميعهم. و(كيلورن)، لم أقدر على إنقاذه، ولم يهم كم حاولت، لا يمكنني حتى إنقاذ نفسي.

على الأقل لديَّ أقراطي، القطع الصغيرة الحادة مقابل بشرتي، ستبقى معي إلى النهاية، سأموت معها، وهي معي، نبقى هكذا لمدة تبدو كساعاتٍ، رغم أن لا شيء يتغير ليدل على مرور الوقت. أغفل مرة خلالها حتى قبل أن يوقظني صوتٌ مألوفٌ.

«في حياة أخرى، قد أشعر بالغيرة».

ترسل كلمات (مافين) رجفة في عمودي الفقري وليست ممتعة، يقفز (كال) على قدميه أسرع مما ظننته ممكنًا ويرمي بنفسه تجاه القضبان، ويجعل المعدن يغني، لكن تظل القضبان ثابتة، و(مافين) المخادع، المقزز، (مافين) البشع بهذا القرب ولا يصل إليه، ولسعادتي، لا يزال يجفل.

«حافظ على قوتك يا أخي» يقول، وأسنانه تصطك ببعضها مع كل كلمة. «ستحتاج إليها قريبًا»، رغم أنه لا يرتدي أي تاج، يقف (مافين) في ثقة ملك رهيب، زيه الرسمي مقلدٌ بميداليات جديدة، كانت لأبيه سابقًا؛ أنا متفاجئة أنها ليست مغطاة بالدماء. يبدو أكثر شحوبة من قبل، مع اختفاء الدوائر الغامقة تحت عينيه، يساعده القتل على النوم.

«هل ستكون أنت من في الحلبة؟» يزمجر (كال) عبر القضبان، وتشتد قبضتاه على المعدن: «هل ستقوم بذلك بنفسك؟ هل لديك الجرأة؟».

لا أجد القوة لأقف، بقدر ما أريد أن أندفع إلى القضبان وأمزق المعدن بيديَّ العاريتين حتى أصل إلى حلق (مافين)، يمكنني فقط أن أشاهده يضحك في برودٍ على كلام أخيه.

«كلانا نعرف أنه لا يمكنني أن أغلبك بالقدرات» يقول، قاذفًا بنصيحة (كال) في وجهه، «لذا غلبتك بعقلي يا أخي العزيز».

قال لي (كال) مرة إنه يكره الخسارة، أدرك الآن أن من يلعب للفوز كان دومًا (مافين)، كل نفس، كل كلمة كانت في خدمة انتصاره الدموي.

يزمجر (كال) بنفسٍ منخفضٍ: «(مافي)» يقول، اللقب الذي لا يحمل أي حب بعد الآن: «كيف يمكنك فعل ذلك بأبيك؟ بي؟ بها؟».

«ملك مقتول، أمير خائن، الكثير من الدماء» يسخر ويرقص على حدود قدرة (كال) للإمساك به، «يبكون في الشوارع من أجل أبينا، أو على الأقل يتظاهرون بذلك» يضيف في لامبالاة، «الذئاب الحمقى ينتظرون مني أن أتعثَّر، والأذكياء منهم يعلمون أنني لن أفعل. منزل (ساموس) ومنزل (إيرال)، يشحذون مخالبهم منذ أعوام في انتظار ملك ضعيف، ملك عطوف، تعلم أنه يسيل لعابهم عند رؤيتك، فكر بالأمر يا (كال)، بعد عقود من الآن، أبي سيموت ببطء، في سلامٍ، وستصعد أنت إلى العرش متزوجًا من (إيفانجلين)، ابنة الحديد والشفرات، وسيكون أخوها بجانبك، لن تنجو بعد ليلة التتويج، ستقوم بما فعلته أمي وتبدل بك طفلها».

«لا تقل لي إنك تفعل هذا لتحمي السلالة» يقول (كال) ساخرًا، ويهز رأسه، «فعلتَ ذلك من أجلكَ».

مجددًا، يهز (مافين) كتفيه، يبتسم ابتسامة حادة وقاسية: «هل أنت متفاجئ حقًّا؟ (مافي) المسكين، الأمير الثاني، ظل لهيب أخيه، الشيء الضعيف، الشيء الصغير، مقدر للوقوف جانبًا والركوع» تحرك من أمام زنزانة (كال) ليقف أمامي. يمكنني فقط التحديق إليه من مكاني على الأرض، لا أثق بقدرتي على الحركة، حتى ابتسامته باردة. «مخطوب لفتاة عيناها على شخص آخر، أخي، الأمير الذي لا يقدر أحد على تجاهله» تأخذ كلماته منحنى شرسًا، ثقيلة بغضبٍ وحشي، ولكن داخلها حقيقة، حقيقة قاسية حاولت نسيانها، تجعل جلدي يقشعر: «أخذتَ كل ما المفترض أن يكون ملكي يا (كال)، كل شيء».

فجأة أنهض وأرتجف بعنفٍ، ولكني صامدة، كذب علينا لفترة طويلة، لكن لا يمكنني تركه يكذب الآن.

«لم أكن لكَ أبدًا، ولم تكن لي يا (مافين)» أزمجر: «وليس بسببه، أيضًا، ظننتُ أنك رائعٌ، ظننتكَ شجاعًا وقويًّا وصالحًا، ظننتُ أنك أفضل منه».

أفضل من (كال). هذه كلمات لم يعتقد (مافين) أن يقولها أحد على الإطلاق. يجفل وللحظة أرى الفتى الذي عرفته، فتى لا وجود له. يمد يده، ويمسك بي عبر القضبان، عندما يغلق أصابعه على معصمي، لا أشعر بشيء

غير النفور، يمسكني بقوة كأنني طوق نجاة. انفجر شيء بداخله، كاشفًا عن فتى بائس، مثير للشفقة، شيء يائس يحاول التمسك بلعبته المفضلة.

«يمكنني إنقاذك».

تجعل كلماته جلدي يقشعر.

«أحبَّكَ والدكَ يا (مافين)، لم ترَ هذا، ولكنه أحبك».

«كذب».

«أحبَّكَ وقتلته!» تأتي الكلمات بسرعة، تتدفق مثل الدماء في الوريد. «أحبك أخاك، وجعلته قاتلًا، أنا...أحببتك، وثقت بك، احتجت إليك، والآن سأموت من أجل هذا».

«أنا الملك، ستعيشين إذا أردت ذلك، سأجعله يتحقق».

«تقصد إذا كذبت؟ يومًا ما ستخنقك أكاذيبك أيها الملك (مافين)، ندمي الوحيد أنني لن أكون حية لأرى ذلك» ثم يأتي دوري للإمساك به، أجذبه بكل قوتي، وأجعله يتعثَّر أمام القضبان، تصطدم قبضتي بوجنته، ويصرخ ككلبٍ مضروبٍ: «لن أقوم بخطأ حبك مجددًا أبدًا».

لخيبة أملي، يتعافى سريعًا ويصفف شعره: «إذن، تختاريه؟».

هذا كل ما كان عليه الأمر، الغيرة، الخصومة، كله حتى يغلب الظل اللهيب. أميل برأسي إلى الخلف وأضحك، وأشعر بأعين الأخوين عليَّ، «خانني (كال) وخنته، وخنتنا، بألف طريقة مختلفة» الكلمات ثقيلة كالحجر، ولكنها صائبة، للغاية: «لا أختار أحدًا».

لمرة، أشعر كأني أتحكَّم بالنار وأحرق به (مافين)، يبتعد عن الزنزانة مهزومًا من فتاة البرق الصغيرة من دون برقها، السجينة في السلاسل، البشرية أمام الإله.

«ماذا ستقول لهم عندما أنزف؟» أقول له، في غضبٍ «الحقيقة؟».

يضحك بعمقٍ، يختفي الفتى الصغير، ويبدله الملك القاتل مجددًا: «الحقيقة هي كما أصنعها، يمكنني إشعال النيران بالعالم وأدعوها مطرًا».

وسيصدق البعض، الحمقى، ولكن لن يصدقه آخرون، أحمر وفضي، عالٍ ومنخفض، سيرى البعض الحقيقة، يصير صوته زمجرة، ويصير وجهه ظلًّا وحشيًّا: «أي شخص يعلم أننا أخفيناكِ، أي شخص لديه أقل الشكوك، سنتعامل معه».

يعمل عقلي سريعًا، يطير لكل من يعلم أن هناك شيئًا غريبًا بي، يسبقني (مافين) ويبدو متمتعًا بينما يسرد قائمة القتلى، «كان على السيدة (بلونوس) الرحيل، بالطبع، قطع الرأس يعمل بشكلٍ جيدٍ مع معالِجي الجلد».

كانت غرابًا عجوزًا، مصدر إزعاج ولم تستحق ذلك.

«التعامل أسهل مع الخادمات، فتيات جميلات، أخوات من (أولدشاير)، قامت أمي بقتلهن بنفسها».

لم أعرف حتى أسماءهن.

تصطدم ركبتاي بالأرض في ثقلٍ، ولكني بالكاد أشعر بهما: «لم يعرفن أي شيء» ولكن توسُّلي بلا فائدة الآن.

سيرحل (لوكاس) أيضًا» يقول ويبتسم بأسنان ساطعة في الظلام: «سترين هذا بنفسك».

أشعر أنني على وشك التقيؤ: «قلت لي إنه في أمان، مع عائلتي...».

يضحك طويلًا وبشدة: «متى ستدركين أن كل كلمة خرجت من فمي كانت كذبة؟».

«أجبرناه، (جوليان) وأنا، لم يفعل شيئًا خاطئًا» التوسل يشعرني بالبشاعة، ولكنه كل ما يمكنني فعله، «هو من منزل (ساموس)، لا يمكنك قتل فردٍ منهم».

«(ماير)، ألم تكوني منتبهة؟ يمكنني فعل أي شيء» يزمجر، «من المؤسف أننا لم نستطع جلب (جوليان) هنا في الوقت المناسب، كنت سأحب جعله يشاهدك تموتين».

أقوم بكل ما في وسعي لأمنع بكائي، وأغطي فمي بيدي، بجانبي يزمجر (كال)، يفكر في خاله: «وجدته؟».

«بالطبع وجدناه، قبضنا عليه وعلى (سارة) معًا» يضحك (مافين).

«سأرضى بقتل (سكونوس) أولًا، وأنهي العمل الذي بدأته أمي، تعلم القصة وراءها الآن، أليس كذلك يا (كال)؟ تعلم ما فعلته أمي، همست بداخل رأس (كوريان) وجعلت عقلها يرتجف» يقترب وعيناه متسعة ومخيفة. «علمت (سارة) بهذا، وأبوك، وحتى أنت، رفضتما تصديقها، تركتما أمي تفوز؛ وفعلتموها مجددًا».

لم يقدر (كال) على الرد، يسند رأسه إلى القضبان، وراضيًا بتدمير أخيه يلتفت تجاهي ويخطو أمام زنزانتي، «سأجعل الآخرين يصرخون من أجلك يا (ماير)، كل واحد فيهم، ليس فقط والديكِ، ليس فقط إخوتك، ولكن كل واحد مثلك، سأجدهم، وسيموتون وأنت في أفكارهم، ليعلموا أن هذا قدر جلبتِهِ لهم، أنا الملك وكان من الممكن أن تكوني ملكتي الحمراء والآن أنتِ لا شيء».

لا أبالي بمسح الدموع السائلة على وجنتيّ، لا فائدة لذلك بعد الآن، يستمتع (مافين) برؤيتي محطمة ويلعق أسنانه كأنه يريد تذوقي.

«الوداع، (مافين)» أتمنى أن كان هناك المزيد لقوله، ولكن لا توجد كلمات لمثل هذا الشر، يعلم من هو، والأسوأ من ذلك، يعجبه ما هو عليه. يخفض رأسه، كأنه ينحني لنا، لا يهتم (كال) بالنظر ويمسك بالقضبان، يخنق المعدن كأنه رقبة (مافين).

«الوداع يا (ماير)» اختفت ابتسامته، ولمفاجأتي تبدو عيناه مبتلة، يتردد، لا يريد الذهاب، كأنه أدرك فجأة ما فعله وما على وشك الحدوث لنا، «قلت لكِ أن تخبئي قلبك مرة، كان يجب أن تستمعي لي».

يا لجرأته.

لديّ ثلاثة إخوة فتيان أكبر مني، لذا عندما أبصق عليه لا أفوت الهدف، وأضربه في عينيه. يلتفت سريعًا، يكاد يركض مبتعدًا عنا، يحدق إليه (كال) لوقتٍ طويلٍ، لا يقدر على الكلام. يمكنني فقط أن أجلس وأترك غضبي يتسرب مني مجددًا. عندما يجلس (كال) مقابلي، لا توجد كلمات باقية لنقولها. قادت أشياء عديدة إلى هذا اليوم، إلينا جميعًا. تجاهل أب لابنه، وانتقام أم، أخ ذو ظل طويل، وتحور غريب، معًا كوّنوا مأساة. في القصص

والحكايات الخيالية القديمة، يأتي البطل، لكن جميع أبطالي قد رحلوا أو ماتوا، لن يأتي أحدٌ من أجلي.

يبدو أنه الصباح التالي عندما يصل حراس (السينتنال)، يقودهم (أرفين) بنفسه، مع الجدران الخانقة، يجعل وجوده النهوض صعبًا، ولكنهم يجبرونني على الوقوف.

«(السينتنال بروفوز)، (سينتنال فاير)» يومئ (كال) إلى الحارسين عندما يفتحان الزنزانة، يسحبانه بقوة للوقوف. حتى الآن في مواجهة الموت، (كال) هادئًا. يوجه (كال) التحية إلى كل حارس نمرُّ به باسمه، يحدقون إليه، في غضبٍ أو حيرة أو الاثنين معًا. لا يجب أن يكون قاتل الملك بهذا اللطف، والجنود أسوأ، يريد أن يقف ويودعهم بطريقة لائقة، ولكن يصير رجاله قساة وباردين عند رؤيته، وأظن ذلك يؤلمه أكثر من أي شيء آخر، بعد فترة، يصبح صامتًا، ويفقد آخر ذرة إرادة لديه. بينما نصعد من الظلام، تزداد ضوضاء الحشد في الاقتراب، ضعيفة في البداية ثم صيحات باهتة فوقنا. الحلبة ممتلئة، هم مستعدون للعرض. بدأ هذا عندما سقطت في الحديقة الحلزونية، جسد مكون من الشرار الكهربائي، والآن ينتهي في وعاء العظام، وسأخرج منه جثة.

ينقض علينا عاملو الحلبة كسربٍ من الحمام، جميعهم فضيون ذوو نظرات باردة، يدفعونني خلف ستارة ويجهزونني للقادم بحركات سريعة وأيدٍ قاسية، لا أشعر بهم تقريبًا، يجذبون ويدفعون، يضعونني في نسخة رخيصة من زي التدريبات، المقصود من ذلك الإهانة، أن نرتدي شيئًا بسيطًا كهذا لنموت فيه، ولكني أفضِّل خشونة القماش على نعومة الحرير. أفكر بالخادمات، قمن بطلائي كل يوم؛ علمن أن لديَّ ما أخفيه، وماتوا لذلك. لا يقوم أحد بطلائي الآن أو حتى يبالي بمسح الغبار التي سبَّبته ليلتي في الزنزانة، عرض آخر. في وقت سابق، ارتديت الحرير والمجوهرات والابتسامات الجميلة، ولكن لا يناسب هذا كذبة (مافين)، فتاة حمراء بملابس رثة أسهل لهم في الفهم، والقتل.

عندما يسحبونني إلى الخارج مجددًا، يمكنني أن أرى أنهم فعلوا المثل لـ(كال). لا توجد ميداليات أو درع من أجله، ولكن لديه سواره الذي يشعل اللهب، ما زالت النيران تشتعل، محترقة في الجندي المحطم، استسلم للموت، ولكن ليس قبل أن يأخذ آخر معه. نتبادل النظرات، فقط لأنه لا يوجد مكان آخر للنظر إليه.

«ما الذي نسير تجاهه؟» يقول (كال) أخيرًا، ويدير نظره من عليَّ إلى (أرفين).

الرجل المسن، أبيض كالورقة، ينظر إلى تلاميذه السابقين دون أي ندم، ما الذي وعدوك به ثمنًا لمساعدتك؟ لكنني أرى بالفعل الشارة فوق قلبه، التاج المصنوع من الفحم والألماس والياقوت، كانت ملكًا لـ(كال) سابقًا، ليس لديَّ شك أنهم منحوه المزيد.

«كنت أميرًا وجنرالًا، وبحكمته، قرر الملك الرؤوف أنك على الأقل ستموت بشرفٍ» يبتسم بينما يتحدث، ويكشف أسنانه البيضاء الحادة، أسنان فأر، «ميتة صالحة، التي لا يستحقها خائن».

«وبالنسبة إلى الفتاة الحمراء، المخادعة» يدير نظرته المخيفة تجاهي، ويركز بشدة. ثقل قوته الخانق يسحبني إلى أسفل: «لن تحصل على أي أسلحة وستموت كالشيطان الذي هي عليه» أفتح فمي لأعترض، ولكن يقول (أرفين) في خبثٍ، وأنفاسه تفوح بالسم: «أوامر الملك».

لا أسلحة، أشعر أنني على وشك الصراخ، لا برق، لن يتركني (أرفين)، حتى لأموت. تدوي كلمات (مافين) بحدة في رأسي، أنتِ الآن لا شيء، سأموت كلاشيء. لا يحتاجون إلى تغطية دمائي إذا ادَّعوا أن قدراتي كانت مزيفة بطريقة ما. في الزنزانة كنت تقريبًا متحمسة للخروج إلى الرمال، وإرسال برقي إلى السماء ودمائي إلى الأرض، الآن أرتجف وأهتز، أريد الهروب، لكن كبريائي البائس، الشيء الوحيد الباقي لي، لن يسمح لي. يأخذ (كال) يدي، يرتجف مثلي، خائف من الموت، على الأقل لديه فرصة القتال.

«سأحميكِ لأطول فترة أقدر عليها» يهمس، لا أسمعه تقريبًا مع أصوات ضربات الأقدام ودقات قلبي المثيرة للشفقة.

«لا أستحق هذا» أتمتم، ومع ذلك أحكم قبضتي على يده في شكرٍ، خنته، دمرت حياته، وهكذا يجيبني. الغرفة القادمة هي الأخيرة، ممر مائل، يقود إلى بوابة معدنية. تتراقص أشعة الشمس، تتخللها وتصل إلينا مع كل ضوضاء الحلبة. تشوه الجدران الأصوات، وتحول التشجيع والصياح إلى صرخات كابوسية، أظن أن هذا ليس بعيدًا عن الحقيقة. بينما ندخل، أرى أننا لسنا الوحيدين في انتظار الموت.

«(لوكاس)!».

يمسك حارس بذراعه، لكن يتمكن (لوكاس) من النظر خلف كتفه. وجهه مليء بالكدمات ويبدو أكثر شحوبة من قبل، كأنه لم يرَ الشمس منذ أيام، هذه على الأرجح الحقيقة.

«(ماير)» مجرد الطريقة التي قال بها اسمي تجعلني أقشعر، هو شخص آخر خنته، استغللته كما استغللت (كال)، (جوليان) والكولونيل، مثلما حاول استغلال (مافين): «كنت أتساءل متى سأراكِ مجددًا».

«أنا آسفة للغاية» أذهب إلى قبري في أسف، ولن يكون هذا كافيًا، «قالوا لي إنك مع عائلتك، إنك في أمان، أو...».

«أو ماذا؟» يسأل في بطء، «أنا لاشيء بالنسبة إليكِ، شيء لاستخدامه ورميه بعيدًا».

يجرحني الاتهام كالسكين: «أنا آسفة، ولكن كان لا بد من القيام بذلك».

«أجبرتني الملكة على التذكر» أجبرته، هناك ألم في صوته.

«لا تعتذري، لأنكِ لا تعنيه».

أريد أن أحتضنه، لأريه أنني لم أرد هذا أبدًا: «أعنيه، أقسم لك يا (لوكاس)».

«جلالته (مافين) من منزل (كالور) ومنزل (ميراندس)، ملك (نورتا)، شعلة الشمال» تدوي الصيحات عبر الحلبة، تصل إلينا عند البوابة، تجعلني أصوات التشجيع أقشعر، ويجفل (لوكاس)؛ اقتربت النهاية.

«هل ستفعلينها مرة ثانية؟» تؤلمني الكلمات بشدة: «هل ستخاطرين بي من أجل أصدقائك الإرهابيين مرة أخرى؟» سأفعل، لا أقولها بصوتٍ عالٍ، ولكن يرى (لوكاس) الإجابة في عيني، «حافظت على سرك» هذه أسوأ من أي إهانة يمكن أن يقذفني بها، معرفة أنه قام بحمايتي، رغم أنني لا أستحقها، تنخر جوهري: «لكنني أعلم أنكِ لستِ مختلفة، ليس بعد الآن» يستكمل، ويكاد يبصق: «أنت مثل البقية، بلا قلبٍ، أنانية، باردة...مثلنا، علموكِ جيدًا».

ثم يلتفت ويواجه البوابة مجددًا، لا يريد أي حديث آخر مني. أريد أن أذهب إليه، أحاول أن أشرح، ولكن يمنعني الحارس، لا يوجد هناك شيء لي أكثر لفعله غير الوقوف وانتظار هلاكي.

«أيها المواطنون» يدخل صوت (مافين) عبر البوابة مع ضوء الصباح، يبدو كأبيه، مثل (كال)، ولكن هناك شيء أكثر حِدَّة في صوته، هو فقط في السابعة عشرة من عمره وبالفعل صار وحشًا: «شعبي، أطفالي».

يصدر (كال) صوتًا ساخرًا بجانبي، ولكن في الحلبة، يستقر صمتٌ محدقٌ، مؤرق، حاز عليهم في راحة يده.

«قد يطلق البعض على هذا قسوة» يكمل (مافين). لا أشك أنه حفظ الخطبة المؤثرة، ربما كتبتها أمه الساحرة. «لا تزال جثة أبي دافئة، ودماؤه على الأرض، وأجبرت على الحلول مكانه، لأبدأ عصري بهذا الظل القاسي. لم نقم بإعدام من منا منذ عشرة أعوام ويؤلمني اليوم أننا سنبدأ هذا التقليد مجددًا، لكن من أجل أبي والتاج ومن أجلكم، يجب أن أفعل ذلك. أنا شاب، ولكني لست ضعيفًا، جرائم كهذه، شر كهذا يجب معاقبته» فوقنا في الحلبة، تدوي صيحات الاستهجان، تشجيع الموت. «(لوكاس) من منزل (ساموس)، لجرائمك تجاه التاج، التآمر مع المنظمة الإرهابية المدعوة بالحرس القرمزي، أعلنك مذنبًا، وأحكم عليك بالموت، تقدم إلى حكم الإعدام».

ثم يصعد (لوكاس) الممر المائل، ليواجه موته، لا يبالي بإلقاء نظرة خاطفة تجاهي، ليس الأمر أنني أستحق واحدة، سيموت، ليس بسبب ما أجبرناه على فعله فقط، ولكن لما أنا عليه. مثل الآخرين، سيموت. عندما يختفي خلف البوابة البعيدة، كان يجب أن ألتفت وأحدق إلى الجدار، من الصعب تجاهل صوت إطلاق النيران، يصيح الجمهور، راضيًا بالعرض العنيف، كان (لوكاس) البداية فقط، العرض الافتتاحي، نحن العرض الحقيقي.

«تقدَّما» يقول (أرفين)، يدفعنا إلى الأمام، ويتبعنا بينما نبدأ تسلقنا البطيء. لا أستطيع ترك يد (كال)، في حالة تعثري. تتوتر كل عضلة فيه، يستعد لمعركة حياته. أحاول الوصول إلى البرق للمرة الأخيرة، لكن لا يأتي شيء. لا توجد حتى رجفة باقية داخلي، سلبها (أرفين) و(مافين). أشاهدهم يسحبون جسد (لوكاس) بعيدًا، يترك آثارًا فضية عبر الرمال، أشعر بموجة من الغثيان، واضطررت إلى عض شفتي.

ترتجف البوابة وتفتح لتصدر صريرًا قويًا، يعميني ضوء الشمس للحظة، ويجمدني في مكاني، ولكن يسحبني (كال) تجاه الحلبة. رمال أبيض، ناعم كالبودرة، تنزلق بين قدميَّ، بينما يستقر نظري، أكاد أنسى أن أتنفس. الحلبة ضخمة، فم واسع رمادي من الحديد والحجارة، مليئة بآلاف الوجوه الغاضبة، يحدقون إلينا في صمتٍ محدقٍ، يصبُّون كرههم داخلي. لا أرى أي حُمر على الإطلاق، ولا أتوقع هذا، هذا ما يدعونه (الفضيون) ترفيهًا، مسرحية أخرى ليضحكوا عليها، ولن يشاركوها مع أحد. تنتشر شاشات الفيديو في الحلبة، عاكسة وجهي. بالطبع سيسجلون هذا، لبثِّه عبر الدولة، ليشاهد العالم أحمر آخر يُجبر على الخضوع. تجعلني صورتي أتجمد؛ أبدو كنفسي مجددًا، رثة، شعري مجعد، ملابسي بسيطة، يسقط التراب من عليَّ في سحب، تحمر وجنتاي بلون الدماء الذي حاولت أن أخفيه لوقت طويل، إذا لم يكن ينتظرني الموت كنت سأبتسم.

لدهشتي، ترتعش الشاشات، تتحول من صورة (كال) وأنا إلى شاشة مشوشة، مشاهد أمنية من جميع الكاميرات، كل الأعين الكهربائية. بأنفاس مرتجفة، أدرك العمق التي وصلت إليه خطة (مافين). يحدث

كل شيء مجددًا عبر الشاشات، كل لحظة مسروقة. التسلل مع (كال) عبر الردهة، الرقص معًا، همساتنا، قبلتنا، ثم مشهد مقتل الملك بكامل مجده البشع. كل شيء معًا، ليس من الصعب تصديق قصة (مافين)، كل شيء يتصل ببعضه، قصة الشيطانة الحمراء التي أغوت الأمير، وجعلته يقتل الملك، يشهق الحشد ويهمسون، يأكلون الكذبة البارعة أكلًا، حتى أهلي سيواجهون الصعوبة في الإنكار.

«(ماير مولي بارو)».

ينفجر صوت (مافين) من خلفي، ونلتفت لنرى الأحمق الملكي يحدق إلينا من أعلى، يرفرف في مقصورته الخاصة من المقاعد الأعلام السوداء والحمراء، ممتلئة حتى الحافة بلوردات وسيدات نبيلة أتعرف عليهم. يرتدي الجميع الأسود، متجاهلين ألوانهم الخاصة لشرف ملكهم المقتول. (سونيا)، (إيلاين) وكل أبناء المنازل الراقية الأخرى يحدقون إليّ في تقزز. يقف اللورد (ساموس) يسار (مافين)، والملكة على يمينه. تختبئ (إيلارا) خلف حجاب أسود شفاف، ربما ليحجب ابتسامتها الخبيثة. أتوقع أن تكون (إيفانجلين) على قرب، مسرورة بالزواج بالملك التالي. بعد كل شيء، كل ما أرادته هو التاج، ولكني لا أراها في أي مكان، يبدو (مافين) نفسه كشبح أسود، بشرته شاحبة مقابل بريق درعه الأسود. ويرتدي السيف الذي قُتل به الملك حتى، ويستقر تاج أبيه فوق شعره، يبرق في ضوء الشمس.

«صدّقنا يومًا ما أنكِ (مارينا تيتانوس) المفقودة، ضحية أخرى من مواطني تاجي. مع مساعدة أشقائك (الحمر) خدعتِنا بخدع وحيل تكنولوجية، وتسللتِ داخل عائلتي» حيل تكنولوجية. تعرض الشاشات لقطات سقوطي في الحديقة الحلزونية، والكهرباء تموج حولي. في اللقطات، تبدو غير طبيعية. «منحناكِ التعليم، المكانة، القوة والقدرة...وحتى حبنا. ومقابل ذلك، الخيانة، قلبتِ أخي ضد دمائه بخدائعك، نعلم أنكِ عميلة لدى الحرس القرمزي المهزوم، ومسؤولة مباشرة عن موت عدد لا يحصى من الحيوات».

تنتقل الشاشات إلى لحظات حادثة إطلاق النيران في قصر الشمس، قاعة الحفلات مليئة بالدماء والموت، علم (فارلي) المرفرف والشمس الممزقة بارز وسط الفوضى.

«مع أخي، الأمير (تايبرياس) السابع من منزل (كالور) ومنزل (جاكوس)، أنتِ متهمة بتهم عنيفة ومحزنة متعددة ضد التاج، من ضمنهم: الخداع، والخيانة، والإرهاب، والقتل».

يداك ليست أنظف من يديَّ يا (مافين): «قتلتِ الملك، أبي، وسحرتِ ابنه ليقوم بهذا، أنتِ شيطان أحمر» يلتفت إلى (كال)، يكاد ينفجر من الغضب الآن: «وأنت رجل ضعيف، خائن للتاج، ودمائك، وألوانك» يُعاد مشهد موت الملك مجددًا، ليؤكد كلمات (مافين) الملتوية.

«أعلنكما معًا مذنبين بجرائكما، تقدَّما إلى حكم الإعدام» تصدر صيحات احتقار في الحلبة، تبدو كخنازير تصرخ، وتعوي من أجل الدماء. تعود الشاشات لعرض (كال) وأنا، تتوقع منا أن نبكي أو نتوسل من أجل حياتنا، لا يتحرك أي منا إنشًا، لن يحصلوا على ذلك منا. يحدق إلينا (مافين) من حافة مقصورته، في سخرية، ينتظر أن يتحطم أحدنا. عوضًا عن ذلك، يقوم (كال) بالتحية، إصبعان فوق حاجبه، هذا أفضل من لكم (مافين) في وجهه. يبتعد (مافين) في خيبة أمل، ينظر تجاه الجانب البعيد من الحلبة، عندما ألتفت، أتوقع أن أرى المسلحين الذين قتلوا (لوكاس)، ولكن يرحب بي مشهد آخر كليًّا.

لا أعلم من أين أتوا أو متى، خمسة ظلال تظهر من وسط الغبار.

«هذا ليس سيئًا» أهمس، أضغط يد (كال)، هو محارب، جندي. ربما يكون خمسة ضد واحد حكمًا عادلًا بالنسبة إليه، ولكن يضيق (كال) حاجبيه، وتركيزه على الجلادين. يجتاحني الخوف عندما يتضح من هم، أعرف أسماءهم وقدراتهم، بعضهم أفضل من الآخرين، تتدفق خلالهم القوة، في الدرع والزي المقدر للحرب.

(رامبوز) (السترونج أرم) ليمزقني إربًا، الفتى (هافين) الذي سيختفي ويخنقني مثل الشبح المظلل، ولورد (أوسانوس) بنفسه ليغرق نيران (كال)، و(أرفين) أيضًا، أذكر نفسي، ما زال يقف عند البوابة، عيناه لا تترك جسدي، ولا تنسي الاثنين الآخرين، (الماجنترون).

أنه شاعري تقريبًا، في أزياء مماثلة وتجهم مماثل. (إيفانجلين) و(بتوليموس) يحدقان إلينا، تعج قبضاتهما بشفراتٍ طويلة حادة، في مكانٍ ما في عقلي، تدق ساعة تنازليًا، لم يتبقَّ وقتٌ طويلٌ.

من فوقنا، يصدر صوت (مافين) نعيقًا.

«فليموتا».



الفصل الثامن والعشرون

ينفجر الدرع فوقنا، قبة ضخمة بنفسجية من الزجاج المعرق مثل التي في الحديقة الحلزونية. ليست هنا لحمايتنا، بل لحماية الجمهور. تنبض شرارات من البرق عبر السقف الوحشي، لتغيظني. من دون (أرفين) كان البرق ليكون ملكي وكان سيمكّنني من القتال. يمكنني أن أظهر للعالم ماهيتي، لكن هذا لن يحدث. يتحرك (كال) ويرفع ذراعيه، يتموج الهواء حوله، تتخلله موجات من الحرارة متدفقة من جسده، يوجه نفسه ناحية الآخرين بزاوية تحميني.

«ابقي خلفي لأطول فترة ممكنة» يقول، ويدع حرارته تدفعني إلى الخلف. يشتعل سواره صانعًا الشعلة، وتطقطق النيران بين أصابعه. شيء ما في قميصه يمنعه من الاحتراق، ولا يصدر منه أي دخان. «عندما يعبرون، يجب أن تركضي، (إيفانجلين) الأضعف، ولكن (السترونج أرم) بطيء، يمكنك سبقه، سيحاولون المماطلة، لتقديم عرضٍ» ثم يقول بصوتٍ ألطف، «لن يتركونا نموت سريعًا».

«ماذا عنك؟ (أوسانوس) سوف...».

«دعيني أقلق بشأن (أوسانوس)».

يتحرك الجلادون في ثباتٍ، مثل الذئاب التي تتربص بالفريسة، ينتشرون خلال منتصف الحلبة، كل واحدٍ مستعدٌ للتقدم. في مكان ما، يصدر صوت صرير معدن وينزلق جزء من أرض الحلبة، كاشفًا عن بركة من المياه عند أقدام (أوسانوس). يبتسم ويسحب المياه إلى أعلى ويكون درعًا مهيبًا. أتذكر ابنته (تيرانا) تقاتل (مافين) في التدريبات، دمرته. يشجع من حولنا الجمهور. يزأر (بتوليموس) من أجلهم، ويترك مزاجه المشهور يسيطر عليه، يضرب درعه، يقرعه مثل الجرس. بجانبه تحرك (إيفانجلين) سكاكينها في حركة دائرية، وتنزلق فوق مفاصل يدها، وتبتسم في سخرية.

«لن يكون هذا مثل ما سبق يا حمراء» تصيح: «لا خدع يمكنها إنقاذك الآن»، خدع، تعرف (إيفانجلين) قدرتي أكثر من أي شيء، تعلم أنها لم تكن مجرد خدعة، ولكنها تصدق، تتجاهل الحقيقة مقابل شيء أكثر سهولة في الفهم. فتى منزل (هافين): (سترااليان) يبتسم لنفسه، مثل أخته (إيلاين)، هو ظل. عندما يختفي من الوجود وسط ضوء الشمس المشرق، يتحرك (كال) أسرع مما ظننته ممكنًا، يلوح بذراعٍ في قوس واسع كأنه يصوب لكمة قوية.

تتبع ذراعه كتلة من اللهب، تحرق الرمال وتفصلنا عنهم، لكن اللهب ضعيف بشكلٍ مفاجئ، بالكاد تحترق الرمال. لا أقدر على منع نفسي من النظر إلى (مافين)، أريد الصراخ به، وأجده ينظر ناحيتي وابتسامته الملتوية التي لا تُحتمَل على وجهه، لم يسلبني فقط قدراتي، ولكنه يقلل قدرات (كال) على قدر استطاعته.

«حقير» ألعنه تحت أنفاسي، «الرمال...».

«أعلم» يندفع (كال)، ويشعل أجزاء أخرى من الأرض بتلويح من يده.

أمامنا مباشرة، ينفصل خط النيران للحظة، وتتبعه صرخة ألم سريعًا. على الجانب الآخر من النيران، يظهر (سترااليان) عائدًا إلى مجال الرؤية، ويبعد النيران عن ذراعيه. يغرقه (أوسانوس) بإشارة كسولة ويخمد النيران بموجة من المياه. ثم يحوِّل عينيه الزرقاوين المروعتين ناحيتنا، تجاه جدار (كال)، وفي حركة واحدة يسحب المياه تجاه النيران الضعيفة مثل موجة دائرية. تهسهس المياه وتبصق، وتغلي وتتبخر في سحبٍ من البخار. حبيس القبة الزجاجية، يستقر البخار خلال الحلبة، يحيطنا ضباب أبيض شبحي، يدور ويلف ويطوقنا في عالم أبيض حيث يمكن أن يكون كل ظل نهايتنا.

«استعدي!» يصيح (كال) ويمد ذراعه تجاهي، لكن يندفع (بتوليموس) عبر الضباب في زئيرٍ من اللحم والمعدن، يضرب (كال) في منتصف جذعه ويسقطه أرضًا، لكن (كال) لا يظل في مكانه طويلًا ليطعنه (بتوليموس) بشفراته. تحفر الشفرة داخل الأرض بعدما يقفز (كال) بثوانٍ، ويده على درع (بتوليموس)، يذوب المعدن تحت لمسته، ويجلب صرخةً من الثائر. يمكنني فقط أن أركض بينما يقوم (كال) بطهي شخصٍ داخل درعه.

«لا أريد أن أقتلك يا (بتوليموس)» يقول (كال) خلال صرخات الألم، كل شفرة وكل شظية معدن ترتفع لطعن (كال) تنصهر من الحرارة المرتفعة، «لا أريد أن أفعل هذا».

تقطع الضباب ثلاث شفرات لامعة، بالكاد ومضات مشوشة، أسرع من أن تذوب في الهواء. يضربون ظهر (كال)، يصرخ في ألمٍ ويفقد تركيزه للحظة بينما تلطخ ثلاث بقع فضية قميصه. الشفرات قصيرة لتقطع عميقًا، ولكنها ما زالت تضعفه. يستغل (بتوليموس) الفرصة وفي طرفة عين، تذوب شفراته وتكون سيفًا وحشيًا، يلوح به بقصد تمزيق (كال) نصفين، ولكنه يتفاداه في الوقت المناسب، ويكسب خدشًا عبر بطنه، ما زال حيًا، ولكن ليس لوقتٍ طويلٍ.

تظهر (إيفانجلين) عبر الضباب، تطير الشفرات حولنا في عرضٍ براقٍ، ينخفض (كال) ويتفادى الشفرات، يقذف بضرباتٍ من اللهب ليسقطها عن مسارها. يقاتلهما معًا، يصل إلى إيقاع جنوني يسمح له بمقاتلة اثنين من (الماجنترون)، على الرغم من قوتهما وقدرتهما، لكن تلطخ بقع دماء ملابسه وتظهر جروح جديدة مع كل ثانية تمر.

يتحول سلاح (بتوليموس) من سيف إلى فأس إلى سوط معدني حاد رفيع، بينما تستمر نجوم (إيفانجلين) في العض. هما يرهقانه، ببطء، ولكن قطعيًا، برقي، أفكر في حزن، وأنظر تجاه (أرفين) عند البوابة. لا يزال هناك، تواجد مظلم يطاردني، معلق عند خصره مسدس؛ لا يمكنني حتى عراكه، لا يمكنني فعل أي شيء. عندما تطير كتلة من الأسمنت عبر الضباب تتجه ناحيتي، بالكاد أقدر على تفاديها في الوقت المناسب، تتحطم فوق الرمال حيث وقفت منذ لحظات، وقبل أن أحظى بوقت للتفكير، تأتي أخرى تصطاد وتزمجر عبر الهواء، تمطر السماء أسمنتًا فوقي. مثل (كال) أجد إيقاعي، أهرول عبر الرمال مثل الفأر، حتى يوقفني شيء في مكاني، يد، يد خفية.

يغلق (سترايان) قبضته حول عنقي، يخنقني، أسمع أنفاسه في أذني، رغم أنني لا أقدر على رؤيته: «حمراء وميتة» يزمجر، ويضيق قبضته. ألوِّح بذراعي وأضربه بكوعي فيما أظنها ضلوعه، ولكنه يظل صامدًا. لا أستطيع

التنفس وتظهر نقاط سوداء أمام عينيّ، تهدد بالانتشار، ولكن أظل أقاتل، عبر الضباب يمكنني رؤية (رامبوز) (السترونج أرم) يطوف، عيناه مثبتة عليَّ، سيمزقني إربًا.

لا يزال (كال) يقاتل الشقيقين (ساموس)، يقوم بكل ما في وسعه حتى لا يتلقَّى طعنة، لا أقدر على الصراخ له حتى إذا أردت، ولكنه يتمكَّن بطريقة ما من قذف كرة نارية تجاهي. يضطر (رامبوز) إلى تفاديها ويتعثر فوق قدميه الضخمتين، مما يتيح لي بعض اللحظات، أشهق وأختنق وأحفر بأظافري إلى الخلف لأصل إلى رأس لا أستطيع رؤيتها. ومعجزة أنني أشعر بوجهه وعينيه. في صرخة أحفر إبهاميَّ في تجويفي عينيه، وأعميه، يعوي (ستراليان) ويتركني. يسقط على ركبتيه، ويرتجف عائدًا إلى مجال الرؤية، تسقط دماء فضية من عينيه كأنها دموع عاكسة.

«كنتَ من المفترض أن تكون لي!» يصرخ صوتٌ، وألتفت لأرى (إيفانجلين) تقف فوق (كال)، وسكينها مرفوعٌ، قام (بتوليموس) بمصارعة (كال) إلى الأرض، يدور الاثنان عبر الرمال وتلاحقهما (إيفانجلين)، تهاجم سكاكينها الأرض حوله، «ملكي!».

لا يخطر لي أن الاندفاع تجاه (ماجنترون) ورأسي بالمقدمة ليس بفكرة جيدة إلا عندما أصطدم بها. نسقط معًا، ويحتك وجهي بالدرع. يتألم وينزف، وتسقط الدماء الحمراء ليراها الجميع. رغم أنني لا أرى الشاشات، أعلم أن جميعها تعرض صورة دمائي عبر البلاد. تصرخ (إيفانجلين)، وتقذف بشفراتها الراقصة. خلفنا، ينهض (كال) على قدميه مفجرًا (بتوليموس) بعيدًا بجحيمٍ ناري، يصطدم (الماجنترون) بأخته، يسقطها بعيدًا قبل أن تمزقني سكاكينها بثوانٍ.

«انخفضي!» يصيح (كال)، ويدفعني إلى الرمال قبل أن تطير شريحة أخرى من الأسمنت فوقنا، وتتحطم على الجدار البعيد، لا يمكننا المواصلة بفعل هذا، «لديَّ فكرة».

يبصق (كال) على الرمال وأظن أنني أرى بعض أسنانه ملطخة بالدماء، «جيد، فقد نفدت مني الأفكار منذ خمس دقائق».

تطير كتلة أخرى، وتجبرنا على القفز مبتعدين عن بعضنا، وفي الوقت المناسب. يعود الشقيقان للانتقام، ويحصران (كال) في رقصة فوضوية من الشفرات والشظايا. تهز قدراتهما الحلبة حولنا، يستدعيان المزيد من المعدن من الأعماق أسفلنا، يجبران (كال) على الانتباه لخطواته بجانب كل شيء. تبرز شظايا من أسلاك وأنابيب عبر الرمال، تكون مسار عقبات من الحديد، تطعن إحداها (ستراليان) حيث يجلس على ركبتيه مستمرًا في البكاء على عينيه، تخترقه الأنبوبة وتبرز من فمه وتخرس صراخه إلى الأبد. خلال الحطام، أسمع شهيقَ وصرخات الحشد بسبب المشهد، مع كل طرقهم العنيفة، وكل قوتهم، ما زالوا جبناء.

تضرب قدماي الرمال بينما أدور حول (رامبوز)، أتحداه للهجوم. (كال) محقٌّ، أنا أسرع. ورغم أن (رامبوز) وحش عضلات، يتعثر فوق قدميه في أثناء محاولة مطاردتي، يمزق الأنابيب المتعرجة من الأرض ويقذفها تجاهي كالرماح، لكن من السهل تفاديها ويعوي هو في إحباطٍ.

أنا حمراء، أنا لا شيء، وما زلت قادرة على إسقاطك.

تعيدني إلى رشدي أصوات المياه الجارية، وتجعلني أتذكر الجلاد الخامس، (النيمف). ألتفت في الوقت المناسب لأرى لورد (أوسانوس) يفرق البخار مثل الستار، ويُظهر أرض الحلبة. وعلى بُعد عشر ياردات، ما زال (كال) يقاتل بشدة، ينفجر الدخان والنيران منه، هاجمًا على (الماجنترون). بينما يتقدم (أوسانوس)، والمياه تدور كعباءة خلفه، تنحسر نيران (كال)، ها هو الجلاد الحقيقي، هذه نهاية العرض.

«(كال)!» أصرخ، لكن لا يوجد ما يمكنني أن أفعله من أجله، لا شيء. تطير أنبوبة أخرى بجانب وجنتي، إلى درجة أنني أشعر باللدغة الباردة، إلى درجة أنها تجعلني أدور وأسقط. البوابة على بُعد بضع ياردات فقط، وما زال (أرفين) يقف عند فمها، شبه مظلل بالظلام. يرسل (كال) كرة من النار تجاه (أوسانوس)، ولكن المياه تفوز. يتقدم (رامبوز) ويدفعني تجاه البوابة، محاصرة، أتركه يحاصرني. تتحطم الحجارة والحديد على الجدار خلفي، كافية لتحطيم عظامي. البرق، يصرخ عقلي، البرق، ولكن لا يوجد

أي شيء، فقط الظلام الخانق للحواس الميتة، تخنقني.

يقفز الحشد على أقدامهم، يشعرون باقتراب النهاية، يمكنني أن أسمع (مافين) يشجع مع الباقي.

«اقضوا عليهما!» يصيح، ما زال يفاجئني سماع هذا الأذى في صوته، لكن عندما أنظر إلى أعلى وتتقابل أعيننا، لا أرى غير الغضب والشر. يتخذ (رامبوز) هدفه وفي يده أنبوبة معرجة طويلة، حضر الموت. أسمع هدير النصر فوق الضجيج: (بتوليموس). يخطو هو و(إيفانجلين) خارج الدوامة المائية، والشكل الضبابي بداخلها. (كال)، تغلي المياه ويعاني جسده، يحاول أن يتحرر، لكن من دون فائدة، سوف يغرق.

في أذني مباشرة من خلفي، يضحك (أرفين): «من لديه الأفضلية؟» يسخر مرددًا الكلمات من التدريبات، تؤلمني عضلاتي وترتجف، تتوسل إلى النهاية، أريد فقط أن أستلقي، وأعترف بالهزيمة، وأموت. قالوا إنني كاذبة، مخادعة، وكانوا محقين؛ ليس لديَّ أي خدع أخرى في جعبتي. يستهدفني (رامبوز) ويثبت قدميه في الرمال، وأعلم ما يجب أن أفعله. يقذف برمحٍ تجاهي بقوة تبدو كأنها تحرق الهواء، أسقط، أرمي بنفسي فوق الرمال. صوتٌ مثيرٌ للغثيان يخبرني أن خطتي قد نجحت وصرخة الكهرباء داخلي وهي تتدفق عائدة إلى الحياة تخبرني أنني قد أفوز، خلفي يسقط (أرفين)، وفي منتصف جزعه أنبوبة.

«أنا لديَّ الأفضلية» أقول لجثته.

عندما أنهض على قدميّ، ينفجر من جسدي البرق والرعد والشرارات والصدمات وكل شيء يمكنني التحكم به، يصرخ الجمهور، ومعهم (مافين).

«اقتلوها! اقتلوها!» يصرخ، ويشير عبر القبة، «أطلقوا عليها النيران».

تحفر طلقات النار في القبة، وتضيء وترسل شظايا في الدرع الكهربائي، لكنه يظل صامدًا. من المفترض أن يحميهم، ولكنه كهربائي، هو برق، هو لي، ويحميني الدرع الآن. يشهق الجمهور، لا يصدقون أعينهم. تسقط دماء حمراء من جروحي ويهتز البرق على جلدي، معلنًا عن هويتي للجميع. فوقنا تظلم شاشات العرض، ولكن تم رؤيتي بالفعل، لا يستطيعون إيقاف

ما حدث. يأخذ (رامبون) خطوة مرتجفة إلى الخلف، وينقطع نفسه في حلقه، لن أعطيه فرصة ليأخذ الثانية.

فضية وحمراء وأقوى منهما معًا، يضربه برقي ويغلي دماءه، ويحرق أعصابه، حتى يتهاوى في كومة مرتجفة من اللحم. يسقط (أوسانوس) تاليًا بعدما دهسه برقي، تنهار الكرة المائية على الأرض ويسقط (كال) على الرمال، يبصق مياهًا ويسعل بشدة. رغم الأشواك المعدنية المتعرجة التي تبرز من الرمال، وتحاول أن تخترقني، أركض، وأتفادى كل عقبة. دربوني على هذا، هذا خطؤهم، ساعدوا في جعلي هلاكهم.

تلوح (إيفانجلين) بيدها وترسل بعمودٍ معدني يتجه إلى رأسي، أنزلق أسفله، وتحتك ركبتاي بالأرض، قبل أن أنهض بجانبها، أسحب أسهمًا من البرق إلى يديَّ. تستدعي سيفًا من المعدن وتكون شفرة. يتحطم برقي فوقه، ويصدم الحديد، لكنها تستمر في القتال. ينقسم المعدن أجزاء حولنا، يحاول عراكي. حتى عناكبها تعود لتمزقني إربًا، لكنها ليست كافية، ضربة أخرى من البرق تُسقط شفراتها وتتهاوى هي مترامية الأطراف، تحاول الهروب من بطشي، لن تهرب.

«ليستِ خدعة» تهمس، متفاجئة، تطير عيناها بين يديَّ بينما تتراجع، وأجزاء من المعدن تطوف بيننا مكونة درعًا على عجلة: «ليستِ كذبة».

أتذوق الدماء الحمراء في فمي، مذاقها حاد ومعدني ورائع بشكلٍ مدهشٍ، أبصقها ليراها الجميع، أعلانا تظلم السماء الزرقاء عبر القبة المحصنة، تتجمع سحب سوداء، ثقيلة وممتلئة بالمطر، هناك عاصفة قادمة.

«قلتِ لي إنكِ ستقتلينني إذا وقفتُ في طريقكِ» يشعرني بشعورٍ جيدٍ قذف كلماتها في وجهها: «ها هي فرصتك».

هي مجروحة، والفولاذ خلف عينيها يكاد يختفي، ويستسلم للخوف. تندفع وأسرع إلى صد هجومها، ولكنه لا يأتي، عوضًا عن ذلك، تركض، تركض مني، تهرع إلى أقرب بوابة تجدها. أركض خلفها، أطاردها، ولكن صرخة إحباط من (كال) توقفني. (أوسانوس) على قدميه مجددًا، يقاتل

بقوة متجددة، بينما يرقص (بتوليموس) حولهما، يبحث عن فرصته للهجوم. (كال) ليس جيدًا ضد (النيمف) ليس بنيرانه، أتذكر كيف هزم (مافين) في تدريباته منذ فترة.

تغلق قبضتي حول معصم (النيمف)، وتصعقه عبر بشرته، وتجبره ليحيل غضبه تجاهي. أشعر بالمياه كأنها مطرقة، تسقطني إلى الخلف على الرمال، تضرب وتضرب، تجعل من التنفس استحالة. لأول مرة منذ دخلت الحلبة، تقبض أيدي الخوف على قلبي. الآن ولدينا فرصة الفوز والحياة، أخاف الخسارة. تصرخ رئتاي من أجل الهواء ولا أقدر على منع نفسي من فتح فمي، وترك المياه تخنقني، تؤلمني مثل النار، مثل الموت.

تجري شرارة صغيرة داخلي وهي كافية لأصعق المياه حتى تصل إلى (أوسانوس). يصرخ ويقفز إلى الخلف لوقتٍ كافٍ لأتحرر منه، وأنزلق على رمال مبتلة. يحرق الهواء رئتيّ بينما أشهق لأتنفس، ولكن ليس هناك وقتٌ للاستمتاع به. ينقض عليّ (أوسانوس) مجددًا، وهذه المرة يداه حول عنقي، ويثبتني تحت قدم من دوامة مياه.

لكني مستعدة له، الأحمق غبي كفاية ليلمسني، ليلامس جلده بجلدي. عندما أطلق سراح البرق، يصعق اللحم والمياه، يصرخ مثل إبريق الشاي الذي يغلي ويسقط إلى الخلف. عندما تسقط المياه وتتسلل عبر الرمال، أعلم أنه مات. عندما أنهض مبتلة بالكامل وأرتجف من الأدرينالين، الخوف والقوة، تطير عينيّ تجاه (كال). لديه جروح وكدمات وينزف من كل مكان، لكن ذراعيه تشتعل بنيران حمراء مشرقة، و(بتوليموس) منكمش تحت أقدامه، يرفع يديه في هزيمة، ويتوسل من أجل الرحمة.

«اقتله يا (كال)» أزمجر، أريد أن أراه ينزف، فوقنا ينبض الدرع الكهربائي مجددًا يغذيه غضبي، لو كنت فقط هذه (إيفانجلين)، لو كان في إمكاني فعلها بنفسي: «حاول قتلنا؛ اقتله».

لا يتحرك (كال) ويتنفّس بصعوبة عبر أسنانه، يبدو ممزقًا، متلهفًا على الانتقام، يسيطر عليه حماس المعركة، لكنه يعود بثباتٍ للرجل الهادئ الرصين الذي أعتاد أن يكونه، الرجل الذي لا يمكن أن يكونه بعد الآن، لكن طبيعة المرء ليس من السهل تغييرها، يتراجع ويدع نيرانه تخبو.

«لن أفعل».

يسيطر الصمت، تغيير رائع من الصراخ والجماهير المتهكمة التي أرادت موتنا منذ عدة دقائق. لكن عندما أنظر إلى أعلى، أدرك أنهم لا يحدقون إلينا، لا يرون رحمة (كال) أو قدراتي، إنهم ليسوا هناك على الإطلاق. صارت الحلبة الضخمة فارغة، لا يوجد أي شهود على فوزنا، أرسلهم الملك بعيدًا، ليخفي حقيقة ما فعلناه حتى يكملها بكذبه، من مقصورته، يبدأ (مافين) في التصفيق.

«أحسنتما» يصيح، ويتحرك إلى طرف الحلبة، ينظر تجاهنا عبر الدرع، ووالدته قريبة من كتفه. يؤلمني الصوت أكثر من أي شفرة، ويجعلني أقشعر. يصدر صدى عبر البناء الفارغ، حتى تغرقه أصوات أقدام في مسيرة، وأحذية على الحجر والرمال. ضباط أمن وحراس (سينتتال) وجنود، ينصبون فوق الرمال من كل بوابة. هناك المئات، الآلاف، أكثر مما يمكننا مقاتلته، أكثر مما يمكننا الهرب منهم. فزنا بالمعركة، ولكن خسرنا الحرب. يهرع (بتوليموس) هاربًا، ويختفي وسط حشد الجنود، الآن نحن وحدنا في دائرة مغلقة بإحكامٍ، ولا يتبقى شيء أو أحد لنا.

هذا ليس عادلًا، لقد فزنا، وأريناهم. هذا ليس عادلًا، أريد أن أصرخ وأصعق وأغضب وأقاتل، لكن ستصل الطلقات أولًا. تملأ عيني دموع ساخنة من الغضب، ولكني لن أبكي، ليس في هذه اللحظة الأخيرة.

«أنا آسفة أنني فعلتُ بكَ هذا» أهمس إلى (كال)، لا يهم ما أشعر به تجاه معتقداته، هو الذي سيخسر فعليًا هنا. علمتُ بالمخاطر، ولكنه كان مجرد بيدق، ممزق وسط الكثيرين يلعبون لعبة خفية. يشد على فكه، ويدور ويلف بينما يبحث عن طريق ما للهروب من هذا، لكن لا يوجد واحد. لا أتوقع منه أن يسامحني، ولا أستحق هذا أيضًا، لكن يده تغلق حول يدي، تمسك بآخر شخص إلى جانبه. ببطء، يبدأ في الهمهمة، أتعرف على اللحن والأغنية الحزينة، وقت قُبلتنا في غرفة مليئة بضوء القمر. يدوي الرعد في السحب يهدد بالانفجار، وتتساقط قطرات المطر على القبة فوقنا، تصعقها وتحرقها، وما زالت المياه تنهمر في ثباتٍ، حتى السماء تبكي من أجل خسارتنا.

يحدق إلينا (مافين) من حافة المقصورة، يشوش الدرع المشتعل وجهه، يجعله يبدو كالوحش الذي هو عليه حقًّا، تسقط المياه على أنفه ولا يلاحظ. تقول له أمه شيئًا وينتفض عائدًا للواقع.

«الوداع يا فتاة البرق الصغيرة» عندما يرفع يده، أعتقد أنها ترتجف.

وكالفتاة الصغيرة التي هي أنا، أغلق عيني، أتوقع الشعور بالألم المبرح من مئات الطلقات تمزقني إربًا، تتحول أفكاري إلى الداخل، لأيام سابقة، لـ(كيلورن) ووالديَّ وإخوتي وأختي، هل سأراهم قريبًا؟ يقول لي قلبي نعم، ينتظرونني في مكانٍ ما، بشكلٍ ما. ومثلما فعلت في هذا اليوم في الحديقة الحلزونية، عندما ظننت أنني سأسقط إلى هلاكي، أشعر بقبولٍ باردٍ، سأموت. أشعر بالحياة تغادرني وأدعها. تنفجر العاصفة أعلانا بصوت مدوٍ من الرعد، قوي إلى درجة تهز الهواء. ترتجف الأرض أسفل قدمي وحتى خلف عيني المغلقة، أرى ومضة ساطعة من الضوء، بنفسجية وبيضاء وقوية، أقوى شيء شعرت به من قبل. أفكر فيما قد يحدث إذا صدمتني، هل سأموت أو سأنجو؟ هل ستحولني إلى سيف أو شيء بشع وحاد وجديد؟ لا أكتشف أبدًا.

يمسك (كال) بكتفي ويدفعنا بعيدًا بينما تضرب صاعقة ضخمة من البرق الأرض من السماء. تحطم الدرع الكهربائي وترسل بشظايا بنفسجية فوقنا مثل الثلج المتساقط. تلسع جلدي بشعورٍ لطيفٍ، نبضة منعشة من الطاقة تعيدني إلى الحياة. حولنا ينكمش المسلحون، ينخفضون أو يهربون، يحاولون الهروب من العاصفة المشتعلة. يحاول (كال) أن يجرجرني، ولكني لا أكاد أشعر به. بالأحرى، تشتعل حواسي مع العاصفة، أشعر بها تموج فوقي، هي ملكي.

تضرب صاعقة أخرى الرمال ويتبعثر ضباط الأمن، يركضون نحو البوابات، لكن حراس (السينتنال) لا يخافون بسهولة، يعودون إلى رشدهم سريعًا. ورغم أن (كال) يسحبني بعيدًا، يحاول إنقاذنا معًا، يطاردوننا، لا مكان للهروب. وكما تشعرني العاصفة بشعورٍ جيدٍ، ترهقني، تمتص قدراتي. التحكم بعاصفة برق كثير للغاية. تضعف ركبتاي وينبض قلبي كالطبول،

بسرعة إلى درجة أنني أعتقد أنه سينفجر. صاعقة أخرى، واحدة فقط، وقد يكون لدينا فرصة. عندما تتعثر قدمي إلى الخلف، ويبرز كعبي فوق الحفرة الفارغة التي كان بها سلاح (أوسانوس) المائي، أعلم أنه قد انتهى الأمر، لا يوجد مكان آخر للهرب.

يمسكني (كال) بقوة، ويسحبني بعيدًا عن الحافة حتى لا أسقط، لا يوجد غير الظلام في الأسفل، وصدى المياه الجارية بالعمق، لا شيء غير الأنابيب والصرف والظلام، وأمامنا، صفوف الجنود المدربة القاسية، يتخذون هدفهم بصورة آلية، يرفعون أسلحتهم معًا في تزامن. تحطم الدرع، وتموت العاصفة وخسرنا. يمكن أن يشتم (مافين) خسارتي ويبتسم من مقصورته، ترسم شفاهه ابتسامة بشعة. حتى من على بُعدٍ يمكنني أن أرى الأطراف اللامعة لتاجه، تسقط الأمطار في عينيه، ولا يرمش، لا يريد أن يفوته موتي.

ترتفع الأسلحة وهذه المرة لا ينتظرون أمر (مافين)، يدوي صوت إطلاق النيران مثل رعد العاصفة، يطن عبر الحلبة الفارغة، لكنني لا أشعر بشيء. عندما يسقط أول صف من المسلحين، صدورهم مليئة بثقوب الرصاص، لا أفهم. أنظر إلى أسفل وأرى صفًا من الأسلحة الغريبة بارزًا من أطراف الحفرة، كل فوهة سلاح تدخن وتقفز وما زالت تطلق الطلقات، تحصد كل الجنود أمامنا. قبل أن أفهم، يمسك أحدهم بظهر قميصي ويجذبني إلى أسفل عبر الهواء المظلم، نهبط في المياه أسفلنا ولا تتركني الذراعان.

تأخذني المياه إلى الأسفل نحو الظلام.

الخاتمة

ينحسر الفراغ الأسود للنوم، ويفسح المجال للحياة مرة أخرى، يرتجف جسدي من الحركة، وأشعر بوجود محرك في مكان ما. يحتك معدنٌ بمعدن، يصدر ضوضاء بسرعة عالية بالكاد أتعرّف عليها، القطار تحت الأرض.

المقعد أسفل وجنتي ناعم بطريقة غريبة، ولكنه مشدود أيضًا، ليس جلدًا أو قماشًا أو أسمنتًا، أدرك أنه لحمٌ دافئ، يتحرك أسفل مني ويعتدل بينما أتحرك. أفتح عيني، وما أراه كافيًا لجعلي أظن أنني ما زلت أحلم. يجلس (كال) مقابلي، وضعيته حادة ومتوترة، نظره يلتفت من حين إلى آخر، يراقب الأضواء والنوافذ والأسلاك، يتلهف على فحص كل شيء، لكن الشخص الذي بجانبه يمنعه من الحركة، (فارلي).

الثورية بكل ندباتها وضغطها تقف بجانبه، بطريقة ما نجت من المذبحة أسفل الميدان. أريد أن أبتسم، أن أناديها، لكن يسيطر عليَّ الضعف، ويبقيني في مكاني. أتذكر العاصفة، ومعركة الحلبة، وكل الرعب الذي سبقها، (مافين)، يجعل اسمه قلبي ينقبض، ويلتوي في ألمٍ وعارٍ، أي شخص يمكنه خيانة أي شخص.

مسدسها معلق أمام صدرها، مستعد لإطلاق النيران تجاه (كال). هناك المزيد مثلها، يحرسونه في توترٍ. هم محطمون، ومجروحون، وعددهم قليل، لكن لا يزال مظهرهم مخيفًا، لا تغفل أعينهم عن الأمير الساقط، يراقبونه كما يراقب القط الفأر. ثم أرى أن معصميه مكبلان، مقيدان بحديدٍ يمكنه بسهولة صهره، ولكنه لا يفعل هذا، يجلس في هدوء، ينتظر شيئًا ما.

عندما يشعر بنظرتي، يلتفت ناحيتي سريعًا، تعود الحياة بداخله مجددًا: «(ماير)» يهمس ويخرج بعض الغضب المحموم، بعض. يدور رأسي عندما أحاول الجلوس، لكن يدًا مريحة تعيدني مرة أخرى، «استلقي» يقول الصوت، صوت بالكاد أتعرف عليه، «(كيلورن)» أتمتم.

«أنا هنا».

لحيرتي، يقطع متدرب الصياد القديم طريقه عبر الحراس خلف (فارلي)، لديه ندبات خاصة به الآن، وضمادات متسخة على ذراعه، ولكنه يقف بثباتٍ، وهو حي. ترسل رؤيته فيضانًا من الراحة داخلي، لكن (كيلورن) يقف هناك، مع باقي الحرس، إذن...

أدير رقبتي بسرعة، وأتحرك لأنظر إلى الشخص فوقي.

«من؟».

وجهه مألوفٌ، وجه أعرفه جيدًا، إذا لم أكن مستلقية بالفعل، كنت سأسقط، فالصدمة قوية جدًّا لأحتملها: «هل أنا ميتة؟ هل متنا؟».

لقد أتى ليأخذني بعيدًا، مُت في الحلبة، وهذه هلوسة، حلم، أمنية، فكرة أخيرة قبل الموت، متنا جميعًا، لكن أخي يهز رأسه ببطء، ويحدق إليَّ بعين بلون العسل، كان (شايد) دومًا الأكثر وسامة، ولم يغيِّر الموت هذا.

«لم تموتي يا (ماير)» يقول بصوتٍ سلس كما أتذكر، «ولا أنا أيضًا».

«كيف؟» هو كل ما أتمكن من قوله، أجلس لأفحص أخي بالكامل، يبدو كما أتذكره، من دون الندبات المعتادة للجنود. حتى شعره البني يزداد طولًا، ويطرد تسريحته العسكرية، أمسح بأصابعي خلاله، لأقنع نفسي أنه حقيقي.

ولكنه ليس كما كان، كما أنتِ لست كما كنتِ.

«التحور» أقول وأدع يدي تربت على ذراعه: «قتلوك لهذا».

يبدو أن عينيه تتراقص: «حاولوا».

لا أرمش، يبدو أن الوقت ظل ثابتًا، ولكنه يتحرك بسرعة تفوق نظري، تفوق سرعة مُسْرِع (سويفت). والآن هو جالس مقابلي، بجانب (كال) المقيد، كأنه ينتقل عبر المكان، يقفز من مكان إلى آخر في لاوقت تقريبًا.

«وفشلوا» ينهي جملته من مقعده الجديد، وابتسامته واسعة، يستمتع بسرور لتحديقي فاغرة الفم: «قالوا إنهم قتلوني، قالوا للكابتن إنني قد مت وجثتي احترقت».

نصف ثانية أخرى وأجده بجانبي مجددًا، ظهر من وسط الفراغ، ينتقل آنيًا، «لكنهم لم يكونوا بالسرعة الكافية، ليس هناك أحدٌ هكذا».

أحاول أن أومئ، أن أفهم قدرته، بساطة وجوده، ولكني لا أستوعب أكثر من ذراعيه اللتين تحاوطانني، (شايد)، حي ومثلي.

«ماذا عن الآخرين؟ أمي وأبي...» لكن يوقفني (شايد) بابتسامة.

«هم في أمان وينتظرون» يقول، يتقطع صوته قليلًا، تغلبه مشاعره، «سنراهم قريبًا».

يتضخم قلبي من الفكرة، لكن كل سعادتي، وسروري وأمالي، لا تطول، تقع عيني على الحارس المشغول بالأسلحة، وندبات (كيلورن)، ووجه (فارلي) المتوتر وأيدي (كال) المكبلة، (كال) الذي عانى الكثير، يهرب من سجن إلى آخر.

«أطلقوا سراحه» أنا مدينة له بحياتي، وأكثر من حياتي، بالتأكيد يمكنني أن أوفر له بعض الراحة هنا، لكن لا يتحرك شخص لكلماتي، ولا حتى (كال).

لدهشتي، يجيب هو قبل (فارلي): «لن يفعلوا، ولا يجب أن يفعلوا، في الواقع، ربما يجب أن تعصبي عينيَّ، إذا أردتِ أن تكوني دقيقة».

حتى بعد خفض مكانته، وطرده من حياته، لا يقدر (كال) على تغيير ما هو عليه، الجندي لا يزال داخله، «(كال)، اصمت لستَ خطرًا لأي أحد».

يخفض (كال) رأسه ويتظاهر بالسعال للسخرية، ويشير إلى القطار المليء بالثوار: «يبدو أنهم لا يظنون ذلك».

«ليس بالنسبة إلينا، أقصد» أضيف، وأنكمش في مقعدي، «أنقذتني هناك، حتى بعد ما فعلته، وبعد ما فعله (مافين) بك...».

«لا تقولي اسمه» صياحه مخيف، ويرسل داخلي رجفة ولا أفوت رعشة يد (فارلي) فوق مسدسها.

تخرج كلماتها بين أسنانها المطبقة فوق بعضها، «لا يهم ما فعله من أجلكِ، الأمير ليس في صفنا، ولن أخاطر بحياة من تبقى منا من أجل الرومانسية الصغيرة الخاصة بكما».

رومانسية، أجفل من الكلمة، لا يوجد بيننا مثل هذا بعد الآن، ليس بعد ما فعله أحدنا بالآخر، وما حدث لنا، لا يهم كم أردناها أن تكون.

«سنظل نتقاتل يا (ماير)، لكنَّ (الفضيين) خانونا من قبل، ولن نثق بهم مجددًا»، كلمات (كيلورن) ألطف، كالبلسم لمساعدتي على الفهم. لكنَّ عينيه تشتعل بالنظر إلى (كال)، من الواضح أنه يتذكر التعذيب في الزنزانة والمشهد المروع للدماء المجمدة، «ربما يكون سجينًا ذا قيمة».

لا يعرفون (كال) كما أعرفه، لا يعلمون أنه في إمكانه تدميرهم جميعًا، وأنه يستطيع الهرب خلال نبضة قلب إذا أراد حقًّا، لذا لِمَ يبقى؟ عندما تقابل عيناه عينيَّ، يجيب عن أسئلتي من دون أن يتحدث، الألم الذي أراه يشع منه كافيًا ليحطم قلبي، هو متعب، هو مكسور، ولا يريد أن يقاتل بعد الآن. وجزء مني كذلك أيضًا، جزءٌ مني يتمنى أن أستسلم للقيود، والأسر والصمت، لكني عشت هذه الحياة من قبل، في الوحل، والظلال، في سجن، في فستان من الحرير، لن أستسلم مرة أخرى، لن أتوقف عن القتال، ولن يفعل (كيلورن) أو (فارلي)، لن نتوقف أبدًا.

«الآخرون مثلنا...» يهتز صوتي، لكني لم أشعر بمثل هذه القوة سابقًا، «الآخرون مثلي ومثل (شايد)».

تومئ (فارلي) وتربت على جيب معطفها: «ما زالت لديَّ القائمة، أعرف الأسماء».

«وكذلك (مافين)» أجيب في سلاسة، يتلوَّى (كال) من الاسم: «سيستخدم سجلات الدماء ليتعقبهم، ويطاردهم».

حتى مع اهتزاز القطار وتمايله، يلتف ويدور فوق قضبان مظلمة، أجبر نفسي على النهوض على قدمي، يحاول (شايد) تثبيتي، لكنني أبعد يده، يجب أن أقف وحدي.

«لا يمكنه إيجادهم قبلنا» أرفع ذقني، وأشعر بنبض القطار، يرسل الكهرباء داخلي: «لا يمكنه».

عندما يتقدَّم (كيلورن) تجاهي، بوجه عازمٍ ومصرٍّ، يبدو أن ندباته وكدماته تختفي، وأظن أنني أرى الفجر في عينيه: «لن يفعل».

يغمرني دفء غريبٌ، دفء مثل الشمس رغم أننا عميقًا تحت الأرض، مألوف لي مثل برقي، يحاول الوصول إليّ ليحيطني في عناقٍ لا يمكننا الحصول عليه، رغم أنهم يطلقون على (كال) عدوي، رغم أنهم يخشونه، أترك دفأه يسقط على جلدي، وأترك عينيه تحترق داخل عينيَّ، تومض ذكرياتنا المشتركة أمامي، تستعرض كل ثانية من وقتنا معًا، لكن الآن رحلت صداقتنا، بدَّلها الشيء الباقي الوحيد المشترك.

كرهنا لـ(مافين).

لا أحتاج إلى أن أكون هامسة (ويسبر) لأعلم ما يفكر به.

سوف أقتله.

-النهاية-



